الموازنة

بين أبي تمام حبيب بن أوس، الطائي، المتوفى بالموصل في عام ٢٣١ هـ
وأبي عبادة الوليد بن عبيد الله، البحتري، المتوفى في عام ٢٨٤ هـ

تصنيف

الإمام النقادة أبي القاسم الحسن بن بشر بن يحيى، الآمدي، البصري
المتوفي في عام ٣٧٠ من الهجرة

حقق أصوله، وعلق حواشيه
محمد محيي الدين عبد الحميد
عفا الله تعالى عنه!

الطبعة الثانية

ربيع الأول ١٣٧٣ هـ - نوفبر ١٩٥٤ م

تطلب من المكتبة التجارية الكبرى ، بشارع محمد على بمصر
لصاحبها : مصطفى محمد

مطبعة السعادة بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك اللهم على جزيل نَعمائك ، وأسألك المَزِيدَ من صلاتك وسلامك على خاتم أنبيائك ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين .

وأما بعد ؛ فإنى ألفيتُ أشقَّ ما يضطلع به أهلُ العلم من عملٍ أن يوكَلَ إليهم تحقيقُ كتابٍ صُنِّف وكُتب قبل زمانهم ، وقد رأيت أنه على قدر بُعْد العهدِ بالتصنيف والكتابة يكون الجهدُ ، وتثقل التَّبِعة ، وأن العمل يكون أكثرَ تعقُّدًا وأثقلَ تبعة إذا لم يتيسَّر من نُسَخ الأصل سوى نسخة فريدة أو ما هو بمنزلة ذلك من النسخ التى أُخذ بعضها عن بعض ، وما من شك فى أنه لا يقدِّر هذا الجهد الجاهد إلا مَنْ عرف ما يكابده العالمُ الحريصُ على بلوغ الغاية التى يَصْبُو إليها من الدقة والإتقان ؛ وهذا وحده عناء ليس من فوقه عناء .

وهذا كتاب «الموازنة بين الطائيَّيْنِ أبى تمام والبحترى» أحدُ تصانيف الإمام النقادة أبى القاسم الحسن بن بشر بن يحيى ، الآمدى ، البصرى ، المتوفى فى عام ٣٧٠ من الهجرة ، أقدِّمُه لقراء العربية بعد الذى كابدتُ فى تحقيقه ، وأنا مطمئن – أو قريب من الطمأنينة – إلى أنهم سيجدون فيه طَلِبةً طالما تاقت إليها نفوسُهم ، وأنهم سيقرءون نسخةً صحيحة من كتابٍ نَشَره الورّاقون قبل اليوم ثلاث مراتٍ وكأنه لم يُنْشَر ؛ لكثرة ما شاع فيه من تحريفٍ ، ونقصٍ ، وسوء ترتيب .

وقد كانت النية على أن أنشر – مع هذه الكلمة – بحثاً ضافياً أتعرض فيه لتأريخ فنِّ النقد الأدبى ، ثم أرسم لك طريقة أبى القاسم الآمدى فى كتابه ، وأذكر ما تجمع لدىَّ من الملاحظات عليه بعد أن صحبته أمداً ليس بالقصير ، وأحدثك – على الأخص – عن تحامله على أبى تمام وإغضائه الإغضاء البالغ عن البحترى. كما كانت النية منعقدة على أن أنشر مع الكتاب أنواعاً من الفهارس الأبجدية

عدَدْتُها له ؛ ولكن ظروفاً قاهرة عاقتنى عن كل ذلك ، وأهونها ظروف الحرب القائمة التى جعلت الحصول على الورق من أعقد الأمور ، وإنه ليهوّن على نفسى فَوَاتَ هذه الأغراض ، ويهوّنها على نفسك معى ، أنك لن تجد بُدًّا من استيعاب الكتاب قراءةً وتدبُّراً ، وأنك حين تنتهى من قراءته ستكون قد أدركت من ذلك الشىء الكثير .

والله المسئول أن ينفع بهذا العمل على قدر الإخلاص فيه ، وأن يُهَيِّئَ له فرصة أخرى يخرج فيها للناس على وجه أقرب إلى الكمال ؟

عن منيل الروضة فى { شعبان ١٣٦٣ / يوليه ١٩٤٤ }

كتبه المعتز بالله تعالى أبو رجاء
محمد محيى الدين عبد الحميد

أبو تمام[1]

١ — هو حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشج بن يحيى بن مروان ابن مر بن سعد بن كاهل بن عمرو بن عدى بن عمرو بن الغَوْث بن جلهمة ، وجلهمة هو طيئ ، بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشْجُب بن عريب ابن زيد بن كهلان بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

٢ — ولد بقرية جاسم ، وهى إحدى قرى الجيدور ، من أعمال دمشق ، وأثبتُ الأقوال المأثورة أن مولده كان فى سنة تسعين ومائة من الهجرة .

٣ — كان أبو تمام أَسْمَرَ اللون ، طويلاً ، حلو الكلام ، غير أن فى لسانه حبسة وفى كلامه تمتمة يسيرة ، حتى قيل[2] فيه :

يا نَبِيَّ الله فى الشِّعْـــر ، ويا عيسى بْنَ مَرْيَمْ
أنت من أشعر خلق اللـــه ما لم تتكلَّمْ

وكان فَطِناً شديد الفطنة ، قوىّ العارضة ، حاضر البديهة . وقد واتته هذه الخِلاَلُ ومكّنت له من الغَوْص على المعانى ؛ فكان لا يزال يجدّ فى أثرها حتى يصل إلى ما يعسر على غيره مُتَنَاوله .

٤ — كان لأبى تمام مذهب فى المطابق والمجانس اشتهر به ، ونسب إليه . وهذا المذهب لم ينسب لأبى تمام لأنه اخترعه ؛ فقد طرقه الشعراء من قبله ، وقالوا منه ، ولكنه نسب إليه وعرف هو به لأنه فَضَلَ الشعراء جميعا فيه ، وأكثر منه ، وسَلَكَ جميع شُعبه ، بل إنه كان مَثَارَ ما دار حوله من الْجَدَل ، ومن جهته انطلقت ألسنة الناقدين عليه ، بحق أحيانا ، و بغير حق أحيانا أخرى ؛ ذلك بأنه

(١) انظر كلة ابن المعتز عن أبى تمام فى مطلع كتابه « البديع »

(٢) ينسب هذان البيتان إلى أبى العميثل ، وينسبان تارة إلى عبد الصمد بن المعذل ، ونسبهما الصولى فى «أخبار أبى تمام» (٢٤١) إلى مخلد بن بكار الموصلى .

بالغ فى سلوك هذه السبيل وأولع بها ، حتى لَيَنْدُرُ أن يخلو بيتٌ له منه ، فأوقعه هذا الوَلُوعُ فى التعسف وارتكاب متن الشطط . ولكن الذى لا شك فيه أن الجيد من شعره كثير ، وأنه لا يُلحق غُباره فى جيده .

٥ — اتصل أبو تمام برجال الدولة فى عصره ، ومدح وهَجَا ورَثَى ، وقال فى كل أغراض الشعر ، وقد أحْصَيْتُ عدة مَنْ مدحهم فألفيتهم ثمانية وأربعين مابين خليفة وابن خليفة ووزير وكاتب وقاض وسَرِيّ : مدح أمير المؤمنين المعتصم بالله محمد بن هارون الرشيد ورثاه بعد موته ، ومدح أمير المؤمنين الواثق بالله بن المعتصم ، ومدح محمد بن عبد الملك الزيات ، وأبا عبد الله أحمد بن أبى دؤاد ، والحسن بن وهب ، وأخاه سليمان بن وهب ، ومالك بن طَوْق ، وأبا دُلَفَ القاسمَ ابن عيسى العِجْلى ، وأبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقى ، وأبا الحسن محمد بن الهيثم بن شبابة ، وإسحاق بن إبراهيم المُصْعَبى ، وإسحاق بن أبى ربعى كاتب أبى دُلَف ، ومحمد بن حسان الضبى ، وخالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى ، وكان أكثر إنسان مدحه أبو تمام هو أبو سعيد محمد بن يوسف الثغرى ؛ فقد أحصينا له فيه سبعا وعشرين كلمة . ونريد أن نسجل ههنا أن أبا تمام الطائى كان كثيراً ما يمدح الطائيين ؛ فأبو سعيد طائى ، وأحمد بن عبد الكريم طائى ، وعمر بن عبد العزيز طائى ، وغير هؤلاء من ممدوحيه طائيون ؛ فهل كان يمدح على العصبية أو الرغبة فى الجائزة ؟ ذلك بحث لم يستقم لنا وجه الرأى فيه ، ولا هو مما تحتمله هذه العجالة فى هذه الظروف . وعسى أن يتهيأ لنا من بعدُ أن نفيض فيه .

٦ — وتوفى أبو تمام بالموصل سنة إحدى وثلاثين ومائتين ، وبنى عليه أحد بنى حُمَيد الطوسى قبةً خارج الميدان ، وقبره الآن فى حديقة البلدية بالموصل .

البحترى

١ — هو أبو عبادةَ الوليدُ بن عبيد الله بن يحيى ، البحتريُّ ، الطائيُّ ، أحد بنى بحتر بن عتود ، ثم من طيء .

٢ — وُلِدَ بمَنْبِجَ فى عام ٢٠٦ من الهجرة ، ونشأ فى البادية بين قومه بنى طيىء وغيرهم ، ورَوَى عن كثير من العلماء ، كأبى العباس المبرد ، ثم اتصل بأبى تمام ولزمه ، وما زال يترسَّم خُطاه ، ويحذو حَذْوَه ، ويردِّد صَداه ، ويقتفى قَفْوَه ، حتى طار فى الآفاق ذِكْرُه ، وعَلا كَعْبُه .

٣ — كان - على فضله ، ونَصَاعة بيانه ، ورقة كلامه ، وبديع أسلوبه ، وجزيل شعره - من أبخل خلق الله ؛ فقد كان له أخ وغلام معه فى داره ، فكان يقتلهما جوعاً ، حتى إذا بلغ منهما الجهد أتياه يبكيان ، فيرمى إليهما بثمن أقواتهما مُضَيقا مقترا ، ويقول لهما مع ذلك : كُلا ، أجاع الله أكبادكما وأطال إجهادكما ! وكان - فوق ذلك - من أوسخ خلق الله ثوباً وآلة ، وأبغضهم إنشاداً ، وأكثرهم افتخاراً بشعره ، حتى لَيُرْوَى عنه أنه كان إذا أنشد شعرا قال لمستمعيه : لم لاتقولون أحسنت ؟ هذا والله ما لا يقدر أحد أن يقول مثله !

٤ — قال أبو الفرج عنه : شاعر ، فاضل ، حسن المذهب ، نقىّ الكلام ، مطبوع ، كان مشايخنا رحمة الله عليهم يختمون به الشعراء ، وله تصرف حسن فى ضروب الشعر ، سوى الهجاء ؛ فإن بضاعته فيه نَزْرَة ، وجيده منه قليل.

٥ — اتصل بكثير من رجالات الدولة ، ومدح الكثيرين ، وأكثر مدائحه فى أمير المؤمنين المتوكل على الله ، ووزيره الفَتْح بن خاقان ، وما زال متصلا منهما بسبب : يختلف إليهما ، ويمدحهما ، إلى أن قُتِلاَ على مشهد منه ، فرجع إلى منبج ، وبقى يختلف إلى الرؤساء والعلية فى بغداد وسُرَّ من رأى ، ويمدحهم .

٦ — سئل أبو العلاء المعرى : أىّ الثلاثة أشعر ؟ أبو تمام أم البحترى أم المتنبى ؟ فأجاب : المتنبى وأبو تمام حكيمان ، والشاعر البحترىُّ . وسُئل البحترىُّ : أيكما أشعر ؟ أنت أم أبو تمام ؟ فأجاب : جَيِّدُ أبى تمام خير من جيِّدى ، ورديئى خير من رديئه . وقيل للبحترى يوماً : إن الناس يزعمون أنك أشعر من أبى تمام ، فقال : والله ماينفعنى هذا القولُ ، ولا يضرُّ أبا تمام ، والله ما أكلت الخُبْزَ إلاّ به!

ولوَدِدْت أن الأمر كما قالوا ، ولـكنى والله تابع له ، آخذٌ منه ، لائذ به ، نَسيمى يرْكُدُ عند هوائه ، وأرضى تنخفض عند سمائه .

٧ — أنشد البحترىُّ أبا تمام يوماً شيئاً من شِعْرِهِ ، فلما انتهى تمثل أبو تمام بقول أوس بن حَجَر :

إذا مُقْرِمٌ منا ذَرَا حــدُّ نابِهِ تَخَمَّط فينا نابُ آخــر مُقْرِمِ

ثم قال له : نَعَيْتَ إلىَّ والله نفسى ، فقال : أعيذك بالله من هـذا القول ! فقال : إن عمرى لن يطول وقد نشأ فى طيىء مثلُكَ ! أما علمت أن خالد بن صَفْوان رأى شبيب بن شَبَّة — وهو من رَهْطِهِ — يتكلم فقال : يا بنى ، لقد نعى إلىَّ نفسى إحسانُك فى كلامك ؛ لأنا أهل بيت ما نشأ فينا خطيب إلا مات مَنْ قبله ، فقال : بل يبقيك الله و يجعلنى فداك . ومات أبو تمام بعد سنة .

٨ — وتوفى البحترى فى عام ٢٨٤ من الهجرة .

الآمدى

١ — هو أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى ، الآمدى الأصل ، البصرى المولد والمنشأ .

٢ — كان حَسَن الفهم ، جيد الدراية والرواية ، أخذ العلم عن الأخفش ، والزجاج ، وابن السَّرَّاج ، والحامض ، وابن دُرَيْد ، ونِفطَوَيْهِ ، ومَن فى طبقة هؤلاء ، وله شعر حسن ، وتآليف جيدة تدلّ على بَصَرٍ صحيح واطّلاع واسع ، وكان يتعاطى مذهب الجاحظ فيما يصنعه من التآليف .

٣ — كتب فى بغداد لأبى جعفر هارون بن محمد الضبى . وكتب فى البصرة لأبى الحسن أحمد بن الحسن بن المثنّى ولأخيه أبى أحمد طَلْحَةَ بن الحسن بن المثنى، ثم كتب بعدهما للقاضى أبى جعفر بن عبد الواحد الهاشمى على الوقوف التى يليها

القُضَاة ، وكان يكتب له بحضرته فى مجلس حكمه ، ثم من بعده كتب لأخيه القاضى أبى الحسن محمد بن عبد الواحد حين ولى قضاء البصرة ، واشتهر بهما حتى لقبوه « كاتب بنى عبد الواحد الهاشميين » ثم لزم بيته .

٤ — له تصانيف كثيرة : نذكر منها ههنا : (١) تفضيل امرىء القيس على شعر الجاهليين ، وهو يُشِير إليه فى الموازنة أحياناً (ص٣٤٩) . (٢) تبيين غلط قُدَامة فى كتابه « نقد الشعر » . وقد أشار إليه فى الموازنة أيضاً (٢٦١) . (٣) المؤتلف والمختلف من أسماء الشعراء ، وقد طبع فى مصر . (٤) معانى شعر البحترى . (٥) الرد على ابن عمار فيا خَطَّأ فيه أبا تمام . (٦) فَرْق ما بين الخاص والمشترك من معانى الشعر . (٧) كتاب فعلت وأفعلت . (٨) الموازنة بين أبى تمام والبحترى ، وهو هذا الكتاب .

٥ — وتوفى أبو القاسم الآمدى فى عام سبعين وثلثمائة (٣٧٠) من الهجرة .

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله ، والصلاة والسلام على رُسُلِ الله)

قال أبو القاسم الحسنُ بن بِشْرِ بن يَحْيَى الآمِدِيُّ :

هذا ما حَتَنْتَ — أدام الله لك العز والتأييد ، والتوفيقَ والتسديدَ — على تقديمه ، من الموازنة بين أبى تمّامٍ حبيبِ بن أوسٍ الطائىّ وأبى عُبَادَةَ الوليدِ بن عبيد الله البُحْتُرِىّ فى شعريهما ، وقد رَسَمْتُ من ذلك ما أرجو أن يكون الله عز وجل قد وَهَبَ فيه السلامةَ ، وأَحْسَنَ فى اعتماد الحق وتَجَنُّبِ الهوى المعونةَ منه برحمته .

ووجَدْتُ ـ أطال الله عمرك ـ أكثَرَ مَنْ شاهدتُه ورأيته من رُوَاة الأشعار المتأخرين يزعمون أن شعر أبى تمامٍ حبيبِ بن أوسٍ الطائى لا يتعلّق بجيده جيد أمثالِهِ ، ورديُّه مطروحٌ ومرذول ؛ فلهذا كان مختلفاً لا يتشابه ، وأن شعر الوليدِ ابن عبيد الله البحترى صحيحُ السَّبْك ، حَسَنُ الدِّيبَاج ، وليس فيه سَفْسَافٌ ولا رَدِىّ ولا مَطْروح ، ولهذا صار مُسْتَوِياً يُشْبه بعضُه بعضاً . ووجدتهم فاضَلُوا بينهما لغزارة شعريهما وكثرة جيدهما وبدائعهما ، ولم يتفقوا عَلَى أيهما أشعر ، كما لم يتفقوا على أحدٍ ممن وقع التفضيلُ بينهم من شُعَراء الجاهلية والإسلام والمتأخرين ، وذلك كمن فَضَّلَ البحترىَّ ، ونسبه إلى حلاوة النفس ، وحسن التخلص ، ووَضْع الكلام فى مواضعه ، وصحة العبارة ، وقُرْب المَأْتَى ، وانكشاف المعانى ، وهم الكُتَّابُ والأعرابُ والشعراء المطبوعون وأهلُ البلاغة ، ومِثْلُ من فَضَّلَ أبا تمامٍ ، ونسبه إلى غُمُوض المعانى ودِقَّتِها ، وكثرة ما يورده مما يحتاج إلى استنباط

وشرح واستخراج ، وهؤلاء أهلُ المعانى والشعراء أصحابُ الصَّنعة ومَنْ يميل إلى التدقيق وفلسفىّ الكلام . وإن كان كثير من الناس قد جعلهما طبقةً ، وذهب إلى المساواة بينهما ، وإنهما لمختلفان ؛ لأن البحترى أعرابىُّ الشعر ، مطبوع ، وعَلَى مذهب الأوائل ، وما فارق عَمودَ الشعر المعروف ، وكان يتجنَّب التعقيد ومُستَكرَهَ الألفاظ ووَحْشِىَّ الكلام ؛ فهو بأن يُقَاس بأشْجَعَ السُّلَمِى ومنصور وأبى يعقوب المكفوف وأمثالهم من المطبوعين أولى ، ولأن أبا تمامٍ شديدُ التكلف ، صاحبُ صنعةٍ ، ومستكرهُ الألفاظ والمعانى ، وشِعرُه لا يشبه أشعار الأوائل ، ولا عَلَى طريقتهم ؛ لما فيه من الاستعارات البعيدة ، والمعانى المولَّدة ، فهو بأن يكون فى حَيِّز مسلم بن الوليد ومَنْ حَذَا حَذْوَهُ أحَقُّ وأشْبَهُ ، وعَلَى أنى لا أجد مَنْ أقرِنه به ؛ لأنه ينْحطّ عن درجة مسلم ؛ لسلامة شعر مسلم وحُسْنِ سبكه وصحة معانيه ، ويرتفع عن سائر من ذهب هذا المذهب وسلك هذا الأسلوب ؛ لكثرة محاسنه وبدائعه واختراعاته

ولست أحبُّ أن أطلق القولَ بأيهما أشعر عندى ؛ لتباين الناس فى العلم ، واختلاف مذاهبهم فى الشعر ، ولا أرى لأحد أن يفعل ذلك فَيَسْتَهْدِفَ لذم أحد الفريقين ؛ لأن الناس لم يتفقوا عَلَى أى الأربعة أشعر فى امرىء القيس والنابغة وزُهير والأعشى ، ولا فى جرير والفرزدق والأخطل ، ولا فى بشَّار ومَرْوَان ، ولا فى أبى نُوَاس وأبى العتاهية ومُسْلِم ؛ لاختلاف آراء الناس فى الشعر ، وتباين مذاهبهم فيه

فإن كنت — أدام الله سلامتك — ممن يُفَضِّلُ سَهْل الكلام وقريبه ، ويُؤْثِر صحة السَّبْك وحسنَ العبارة وحُلْو اللفظ وكثرة الماء والرَّونق ؛ فالبحترى أشعر عندك ضرورةً . وإن كنت تميل إلى الصَّنْعة ، والمعانى الغامضة التى تُسْتَخرج بالغَوْص والفكرة ، ولا تَلْوِى عَلَى غير ذلك ؛ فأبو تمام عندك أشعر لا محالة

فأما أنا فلست أُفصِح بتفضيل أحدهما عَلَى الآخر ، ولـكنى أقارن بين قصيدتين من شعرهما إذا [اتَّفقتا] فى الوزنِ والقافيةِ وإعرابِ القافية ، وبين مَعْنًى ومَعْنًى ، فأقول : أيهما أشْعَر فى تلك القصيدة ، وفى ذلك المعنى ، ثم احْكُمْ أنت حينئذ عَلَى جملة ما لـكل واحد منهما إذا أحَطْتَ علماً بالجيد والردىء.

* * *

وأنا ابتدئ بمـا سمعته من احتجاج كل فرقة من أصحاب هٰذَين الشاعرين على الفرقة الأخرى ، عند تخاصمهم فى تفضيل أحدهما على الآخر ، وما ينعاه بَعْضٌ على بعضٍ ؛ لتتأمل ذلك ، وتَزْداد بَصِيرةً وقُوةً فى حكمك إن شئتَ أن تحكم ، واعتقادك فيما لعلك تعتقد احتجاج الخصمين به :

١ — قال صاحبُ أبى تمام : كيف يجوز لقائل أن يقول إن البحترى أشعر من أبى تمام وعن أبى تمام أخَذَ ، وعَلَى حَذْوه احْتَذَى ، ومن معانيه اشْتَقَّ ؟ وبَارَاهُ حتى قيل : الطائى الأكبر ، والطائى الأصغر ، واعترف البحترىُّ أن جَيِّدَ أبى تمام خيرٌ من جيده ، على كثرة جيد أبى تمام ، فهو بهذه الخصال أن يكون أشعَرَ من البحترى أولىٰ من أن يكون البحترى أشعر منه .

٢ - قال صاحب البحترى: أما الصحبة فما صَحِبه ولا تَلْمَذَ له[١] ، ولا روى ذلك أحدٌ عنه ، ولا نَقَله ، ولا أرى قَط أنه محتاج إليه ، ودليلُ هـذا الخبرُ المستفيضُ من اجتماعهما وتعارفهما عند أبى سعيدٍ محمدِ بن يوسفَ الثَّغرى وقد دخل إليه البحترىُّ بقصيدته التى أولها :

* أأفَاقَ صَبٌّ مِنْ هوًى فَأُفِيقَا *[٢]

وأبو تمام حاضر ، فلما أنشدها عَلَّق أبو تمام أبياتاً كثيرة منها ، فلمـا فرغ من الإنشاد أقبل أبو تمام على محمدبن يوسف[٣] فقال: أيها الأمير ، ما ظننت أن

---

(١) يقال «تلمذله» على مثال دحرج ، و «تتلمذله» على مثال تدحرج ؛ إذا صار تلميذاله ، والتلميذ : من يسلم نفسه لمعلم كى يعلمه صنعته ، علما كانت الصنعة أم غيره .

(٢) تمامه * أم خان عهدا أم أطاع شفيقاً * الديوان (٢ – ١٤٥)

(٣) انظر القصة فى معاهد التنصيص (١٠٩ بولاق)

أحدا يُقدِم على أن يسرق شعرى وينشده بحضرتى حتى اليوم ، ثم اندفع يُنْشد ما حَفِظه ، حتى أتى على أبيات كثيرة من القصيدة ، فبُهِتَ البحترى ، ورأى أبو تمام الإنكار فى وجه أبى سعيد محمد بن يوسف ، فحينئذ قال له أبو تمام : أيها الأمير ، والله ما الشعرُ إلاَّ لَهُ ، وإنه أحْسَنَ فيه الإحسانَ كلَّه ، وأقبل يُقرظه ويَصِف معانيه ، ويذكر محاسنه ، ثم جعل يَفخَر باليمن ، وأنهم يَنْبُوع الشعر ، ولم يَقنَع من محمد بن يوسف حتى أضْعَفَ له الجائزة .

فهذا الخبر الشنيع يُبطل ما ادعيتم ؛ إذ كان مَنْ يقول هذه القصيدةَ التى هى من عَيْن شعره وفاخر كلامه ، وهو لا يعرفُ أبا تمام إلا أن يكون بالخبر ، يستغنى عن أن يَصْحَبه أو يتلمذ له أو لغيره فى الشعر .

وقد أخبرنى أنا رَجُلٌ من أهل الجزيرة ــ ويكنى أبا الوضاح ، وكان عالما بشعر أبى تمام والبحترى وأخبارهما ــ أنَّ القصيدةَ التى سمع أبو تمام من البحترى عند محمد بن يوسف وكان اجتماعهما وتعارفهما القصيدةُ التى أولها :

* فِيمَ ٱبْتِدَارُ كُماَ ٱلْمَلاَمَ وَلُوعاَ *(١)

وأنه لما بلغ إلى قوله فيها :

فِي مَنْزِلٍ ضَنْكٍ تَخَالُ بِهِ ٱلْقَنَا … بَيْنَ الضُّلُوعِ إِذَا انْحَنَيْنَ ضُلُوعاَ(٢)

نهض إليه أبو تمام فقبَّل بين عينيه : سروراً به ، وتَحَفِّياً بالطائية ، ثم قال : أبَى الله إلا أن يكون الشعر يَمَنِيًّا.

٣ — قال صاحب أبى تمام(٣) : إلا أنه ـ مع هذا ـ لا يُنْكَرُ أن يكون قد استعار بعضَ معانى أبى تمام ؛ لقرب البلدين ، وكثرة ما كان يَطْرُقُ سمعَ البحترى من شعر أبى تمام فَيُعَلِّق شيئاً من معانيه ، معتمِداً للأخذ أو غَيْرَ معتمد.

(١) تمامه … * أبكيت إلا دمنة وربوعا *
انظر الديوان (٢ ـ ٨٤ طبع مصر) ، وفيه « فيم ابتداركم » .

(٢) فى الديوان « فى معرك » .

(٣) فى المطبوعات كلها «صاحب البحترى» وليس بذاك

٤ — [قال صاحب البحترى] : ليس ذلك بمانع من أن يكون البحترىُّ أشعرَ منه ؛ فهذا كُثَيِّر قد أخذ من جَميل ، وتَلْمذ له ، واشْتَقَّ من معانيه ، فما رأينا أن أحداً أطلق على كُثَيِّر أن جَميلاً أشعرمنه ، بل هو ـ عند أهل العلم بالشعر والرواية ـ أشعر من جميل . وهذا ابنُ سَلاَّم الجُمَحِيُّ ذكره فى كتابِ الطبقات فى الطبقة الثانية من شعراء الإسلام ، جعله مع الْبَعِيث والْقُطَامى ، وذكر أنه عند أهل الحجاز خاصةً أشعرُ من جرير والفرزدق والأخطل ، وجعل جَميلاً فى الطبقة السادسة مع عبد الله بن قَيْس الرُّقَيَّاتِ والأحْوَص ونُصَيْب ، إلا أنه قال : إن جميلا يَتقدَّمه فى النسيب . وهذا غير مقبول منه ؛ لأنه إنما يحكيه عن نفسه ، وأهلُ الحجاز إنما قدموا كُثيرا من أجل نَسيبه ، وحُسْن تَصَرفه فيه . وحكى عن جرير أنه قال فى بعض الروايات : كُثَير أنْسَبُنا . ويدلّ على تقدمه فى النسيب قولُ أبى تمام فى قصيدة يمدح بها أبا سَعيد الكاتبى أولها :

* مِنْ سَجَايَا الطُّلُول أنْ لاَ تُجِيبَا * (١)

لَوْ يُفَاجِى رُكْنُ الْمَدِيحِ كُثَيِّراً ... بِمَعَانِيـــهِ خَالَهُنَّ نَسِيبَا (٢)

طَابَ فِيهِ الْمَدِيحُ وَالْتَذَّ حَتَّى ... فَاقَ وَصْفَ الدِّيَارِ وَالتَّشْبِيبَا

أراد أن كُثيرا لو فاجأه هـذا المديحُ ـ على حُسْن نسيبه ـ لَخَالَه نسيبا ، وخصَّ كُثيرا لشهرته بالنسيب وبراعته ، واحتمل ضرورةَ الشعر ، ورَدَّ كُثَيِّرا إلى التكبير فقال كَثِيراً ولم يقل جَميلاً ولاجريراً ولا غيرَهما ، مما لاضرورة فى اسمه . وعلى أن « كُثَيِّراً » ذكر اسمه مكبراً : إما ضرورةً ، وإما اعتماداً لتفخيمِ اسمه وأن لا يأتى به مُحقَّرا ، فقال :

---

(١) تكملة هذا المطلع قوله :

* فَصَوَابٌ مِنْ مُقْلَتِي أنْ تَصُوبَا *

وانظر الديوان (ص ٢٥ بيروت)

(٢) فى الديوان « لو يفاجى ذكر المديح » والبيت الثانى مقدم فيه على الأول .

وَقَالَ لِيَ الْوَاشُونَ: وَيْحَكَ! إنَّهَا بِغَيْرِكَ حَقًّا يَا كُثَيِّرُ تَهِيمُ

وقد ذكر أبو تمام كُثَيِّراً فى مواضع أُخَرَ فجاء به مكبرا فى قصيدة يمدح بها الحسنَ بن وَهْب(١) ويصفه بالبلاغة، وهو قوله:

فَكَأَنَّ قُسًّا فِي عُكَاظٍ يَخْطُبُ وَكَثِيرَ عَزَّةَ يَوْمَ بَيْنٍ يَنْسُبُ(٢)

وذلك لعلم أبى تمام بتقدُّم كُثَيِّر فى النسيب على غيره، وشهرته بالتجويد فيه، على أن جَميلاً لا شعر له مما يُعتدُّ به إلا فى النسيب والغَزَل.

فقد علمتم الآن أن هذه حالةٌ لا توجب لكم تفضيلَ أبى تمام على البحترى من أجل أنه أخذ شيئاً من معانيه.

وأما قول البحترى « جَيِّدُه خير من جَيدِى ورديئى خير من رديئه » فهذا الخبر - إن كان صحيحاً - فهو للبحترى، لا عليه؛ لأن قوله هذا يدلُّ على أن شعرَ أبى تمام شديدُ الاختلاف، وشعرَه شديدُ الاستواء، والمُسْتوِى الشعر أولىٰ بالتَّقْدِمة من المختلف الشعر، وقد أجتمعنا — نحن وأنتم — على أن أبا تمام يَعْلُو عُلُوًّا حَسَناً ويَنْحَطُّ انحطاطاً قبيحاً، وأن البحترىَّ يعلو بتوسُّطٍ، ولا يسقط، ومن لا يسقط ولا يُسَفْسِفُ أفضلُ ممن يسقط ويسفسف.

والذى نرويه عن أبى على محمد بن العلاء السجستانى — وكان صديق البحترى - أنه قال: سُئل البحترىُّ عن نفسه وعن أبى تمام، فقال: هو أغْوَصُ على المعانى، وأنا أقْوَمُ بعَمُود الشعر. وهذا الخبر هو الذى يعرفه الشاميون، دون غيره.

---

(١) انظر الديوان (٣٨ — ٤٠).

(٢) هذا البيت ملفق من بيتين، ورواية الديوان (٤٠) هكذا:

فكأن قسا فى عكاظ يخطب وكأن ليلى الأخيلية تندب

وكثير عزة يوم بين ينسب وابن المقفع فى اليتيمة يسهب

وسمعت أبا عليّ محمدَ بن العلاء أيضاً يقول : كان البحتريُّ عند نفسه أشعرَ من أبي تمام وسائرِ الشعراء المحدَثين .

وقد ذكر أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح في كتابه الذي ذكر فيه أخبارَ الشعراء نحواً من ذلك .

قال أبو علي محمد بن العلاء : كان البحتري إذا شَرِبَ وَأنِسَ أنشدَ شعرَه وقال : ألا تسمعون ؟ ألا تعجبون ؟ قال : وكان ـ مع هذا ـ أحسنَ الناس أدبَ نفسٍ ، لايذكر شاعراً مُحْسن أو غيرُ محسنٍ إلاَّ قرَّظه ، ومدحه ، وذكر أحسن ما فيه . قال أبو علي : ولِمَ لايفعل ذلك ؟ وقد أسقط في أيامه أكثرَ من خمسمائة شاعر ، وذهب بخيرهم ، وانفرد بأخذِ جوائز الخلفاء والملوك دونهم . فلو لم يفعل ذلك إلا استِنْكافاً وحَذَراً من بيت واحد يندر فيبقى على الزمان لكان من الحظ له أن يَفعله .

وكذلك كان أبوعلي دِعْبِلُ بن على الخزاعى يهجو الملوك والخلفاء ولايعرض لشاعرهم إلا ضرورة، وقد حذَّر فى أول كتابه الذى ألفه فى الشعراء من التعرض للشاعر ، ولو كان من أدْوَنِ الناسِ صنعةً فى الشعر ، وقال : رُبَّ بيت جرى على لسان مُفْحَم قيل فيه « رُبَّ رميةٍ من غير رامٍ » فسارت به الركبان ، ولذلك يقول فى بعض شعره(١) .

لاتَعْرِضَنَّ بِمَزْحٍ لِامْرِىءٍ طَبِنٍ ‍ ‍ ‍ مارَاضَهُ قَلْبُهُ أَجْرَاهُ فِي الشَّفَةِ
فَرُبَّ قَافِيَــةٍ بِالْمَزْحِ جَارِيَةٍ ‍ ‍ ‍ مَشْئُومَةٍ لَمْ يُرِدْ إنْمَاؤُهَا نَمَتِ

ثم نرجع إلى قول الخصمين :

٥ — قال صاحب أبي تمام : فأبو تمام انفرد بمذهبٍ اخترعه ، وصار فيه أولا وإماماً متبوعاً ، وشُهِر به حتى قيل: هذا مذهب أبي تمام، وطريقة أبي تمام، وسَلَكَ الناسُ نَهْجَه ، واقتفَوْا أَثَرَهُ ، وهذه فضيلة عَرِيَ عن مثلها البحترى .

---

(١) روى هذين البيتين أبو على القالى فى ذيل أماليه (١١١ — ١١٢) ثالث عشر ورابع عشر ستة عشر بيتا ، وفيه فى ثانيهما « بالمزح قائلة »

٦ — قال صاحب البحترى : ليس الأمر لاختراعه لهذا المذهب على ما وصفته، ولا هو بأول فيه ، ولا سابق إليه ، بل سلك فى ذلك سبيلَ مُسْلِم ، واحتذى حَذْوه ، وأفرط وأسرف وزال عن النَّهج المعروف ، والسَّنَن المألوف ، وعلى أن مسلماً أيضاً غيرُ مبتدِع لهذا المذهب ، ولا هو أوّلٌ فيه ، ولكنه رأى هذه الأنواع التى وقع عليها اسمُ البديع — وهى : الاستعارة ، والطِّباق ، والتجنيس — منشورةً متفرقة فى أشعار المتقدمين ، فقَصَدها، وأكثر فى شعره منها ، وهى فى كتاب الله عز وجل موجودة ، قال الله تعالى : (وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً[١]) وقال تبارك وتعالى: (وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ[٢]) وقال : (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ[٣]) فهذه من الاستعارة التى هى فى القرآن .

وقال امرؤ القيس :

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِجَوْزِهِ ... وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءَ بِكَلْكَلِ[٤]

فجعل الليل يتمطَّى ، وجعل له إردافا وكَلْكَلاً . وقال زهير :

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَأَقْصَرَ بَاطِلُهْ ... وَعُرِّيَ أَفْرَاسُ الصِّبَا وَرَوَاحِلُهْ[٥]

فجعل للهوى أفراسا ورَوَاحل . وقال لَبيدٌ الْجَعْفِيُّ :

وَغَدَاةِ رِيحٍ قَدْ كَشَفْتُ وَقِرَّةٍ ... إِذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا[٦]

فجعل للغداة يداً ، وللشمال زماماً ؛ فهذه كلها استعارات .

---

(١) من الآية ٣ من سورة مريم

(٢) من الآية ٣٧ من سورة يس

(٣) من الآية ٢٤ من سورة الإسراء

(٤) ورد فى الصناعتين (٢١٧) وفى دلائل الإعجاز (٦٢ و ٢٧٥ و ٣٦٣) والموشح (٣١) والبديع (٧ أوربة) ويروى فيهن وفى الديوان والمعلقات « لما تمطى بصلبه » وسيذكره المؤلف ثانية فى (٢٣٥) .

(٥) الصناعتين (٢١٧) ومعاهد التنصيص (٢٦٠) والبديع (٨ أوربة) .

(٦) الصناعتين (٢٢٠) وأسرار البلاغة (٣٢) ودلائل الإعجاز (٥٣ و ٢٣٤ و ٣٥٤) والبديع (١١ أوربة).

وقال جل وعز فى التجنيس : (وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١)) (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ(٢)) وقال النبى صلى الله عليه وسلم : عُصَيَّةُ عَصَتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وغِفَارٌ غَفَرَ الله لها ، وأَسْلَمُ سالمها الله . وقال القُطَامىُّ :

ولَمَّا رَدَّهَا فى الشَّولِ شَالَتْ ... بِذَيَّالٍ يَكُونُ لَهَا لِفَاعَا(٣)

وقال أيضاً :

كَنِيَّةِ الحىِّ مِنْ ذِى الْقَيْظِ فاحْتَمَلُوا ... مُسْتَحْقِبِينَ فُؤاداً مَالَهُ فَادِ(٤)

وقال جرير :

وَمَا زَالَ مَعْقُولاً عِقَالٌ عَنِ النَّدى ... وَمَا زَالَ مَحْبُوساً عَنِ الْمَجْدِ حَابِسُ(٥)

وقال ذو الرمة :

كَأَنَّ الْبُرَى وَالْعَاجَ عِيجَتْ مُتُونُهُ ... عَلَى عُشَرٍ يَرْمِى بِهِ السَّيْلَ أَبْطَحُ(٦)

وقال امرؤ القيس :

لَقَدْ طَمَحَ الطَّمَّاحُ مِنْ بُعْدِ أَرْضِهِ ... لِيُلْبِسَنِى مِنْ دَائِهِ مَا تَلَبَّسا(٧)

وقال الفرزدق :

خُفَافُ أَخَفَّ اللهُ عَنْهُ سَحَابَهُ ... وَأَوْسَعَهُ مِنْ كُلِّ سَافٍ وَحَاصِبِ(٨)

---

(١) من الآية ٤٤ من سورة النمل (٢) من الآية ٤٣ من سورة الروم

(٣) الصناعتين (٢٥٦) وفيه « فلما ردها » والبديع ٢٦ ، والشول : الناقة خف لبنها ، والذيال : الطويل الذيل ، واللفاع : الملحفة أو الكساء ، وسيذكره المؤلف ثانية فى بيان ما جاء فى شعر أبى تمام من قبيح التجنيس (ص ٢٤٩)

(٤) الشعراء ٤٥٤ ، وسر الفصاحة ١٨٤ ؛ ومستحقبين فؤادا : أرادأخذوه معهم كما يأخذون متاعهم فى حقائبهم

(٥) الصناعتين (٢٥٦) وأخبار أبى تمام ٢٦٤ ، وسر الفصاحة ١٨٤ ، وفيهن « محبوسا عن الخير »

(٦) الصناعتين (٢٥٥) والبديع ٢٦ ونقد الشعر ٦١ ، والبرى : جمع برة ، وهى حلقة تجعل فى أنف البعير ، وعيجت : عطفت ، وكان فى الأصول « نهى به السيل » وفى الكامل « نهى به السيل »

(٧) الصناعتين (٢٥٣) وكامل المبرد ٢ / ١٢ خامس ستة أبيات ، والبديع ٢٧

(٨) الصناعتين (٢٥٣) ونقد الشعر ٦١ والبديع ٢٧

ذكر ذلك كله أبو العباس عبدُ الله بن المعتز في كتاب البديع . قال : ومن الطباق قولُ الله تعالى : (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ[(١)]) وقال النبي صلى الله عليه وسلم: « إِنَّكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَزَعِ وَتَقِلُّونَ عِنْدَ الطَّمَعِ ». وقال زهير :

لَيْثٌ بِعَثَّرَ يَصْطَادُ الرِّجَالَ إِذَا ... مَا كَذَّبَ اللَّيْثُ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقَا[(٢)]

فطابق بين الصدق والكذب . وقال طُفَيْلٌ الغَنَوِيُّ :

بِسَاهِمِ الْوَجْهِ لَمْ تُقْطَعْ أَبَاجِلُهُ ... يُصَانُ وَهْوَ لِيَوْمِ الرَّوْعِ مَبْذُولُ[(٣)]

فطابق بين قوله « يصان » و بين قوله « مبذول »

فتتبع مسلمُ بن الوليد هذه الأنواعَ واعتدَّها ، ووشَّحَ شعره بها ، ووضعها في موضعها ، ثم لم يَسْلم مع ذلك من الطعن ، حتى قيل : إنه أول من أفسد الشعر ، روى ذلك أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح ، قال : وحدثني محمد بن قاسم بن مهرويه ، قال : سمعت أبي يقول : أول من أفسد الشعر مسلم بن الوليد ، ثم اتبعه أبو تمام ، واستحسن مذهبه ، وأحبَّ أن يجعل كل بيت من شعره غيرَ خالٍ من بعض هذه الأصناف ، فسلك طريقا وَعْراً ، وَاسْتَكْرَهَ الألفاظَ والمعاني ، ففسد شعره ، وذهبت طَلاوته ، ونشف ماؤه ، وقد حكى عبد الله بن المعتز في هذا الكتاب الذي لقبه البديع[(٤)] أن بَشَّارا وأبا نُوَاس ومُسلم بن الوليد ومَنْ تَقَيَّلَهم[(٥)] لم يَسْبِقوا إلى هذا الفن ، ولكنه كثر في أشعارهم فعُرف في زمانهم . ثم إن الطائي تَفَرَّعَ فيه ، وأكثر منه ، وأحسن في بعض ذلك ، وأساء في بعض ، وتلك عُقْبَى الإفراط وثمرة الإسراف . قال : وإنما كان الشاعر يقول من هذا الفن البيتَ والبيتين في القصيدة ، وربما قرىء في شعر أحدهم قصائدُ من غير أن يوجد فيها بيت واحد بديع ، وكان يُسْتَحسن ذلك منهم إذا أتى قَدَراً ، ويزداد حُظْوة بين الكلام

---

(١) من الآية ١٧٩ من سورة البقرة

(٢) الصناعتين (٢٤١) والبديع ٣٨ ، وفيه « إذا ما الليث كذب عن أقرانه » وعثر — بوزن بقم — أرض مأسدة بناحية تبالة

(٣) الصناعتين (٢٤٢) والبديع ٣٩ ، وساهم الوجه : متغيره ، والأباجل : جمع أبجل ، وهو عرق في الفرس والبعير بمنزلة الأكحل في الإنسان

(٤) انظر البديع (ص ١) وفي العبارة بعض مخالفة (٥) تقيلهم : تبعهم ، واقتفى أثرهم

المرسل . وقد كان بعضهم يشبه الطائى فى البديع بصالح بن عبد القدوس فى الأمثال. ويقول : لو كان صالحٌ نثرَ أمثاله فى تضاعيف شعره وجعل منها فصولا فى أبياته لسبق أهلَ زمانه ، وغلب عَلَى مَيْدَانه . قال ابن المعتز : وهذا أعدل كلام سمعته .

قال صاحب البحترى : فقد سقط الآن احتجاجكم باختراع أبى تمام لهذا المذهب وسَبْقِه إليه ، وصار استكثاره منه و إفراطه فيه من أعظم ذنوبه ، وأكبر عيوبه ، وحصل للبحترى أنه ما فارق عَمود الشعر وطريقته المعهودة ، مع ما نجدهُ كثيرا فى شعره من الاستعارة والتجنيس والمطابقة ، وانفرد بحسن العبارة، وحلاوة الألفاظ ، وصحة المعانى . وحيث وقع الإجماع على استحسان شعره واستجادته ، ورَوَى شعرَهُ واستحسنه سائرُ الرواة عَلَى طبقاتهم واختلاف مذاهبهم ؛ فمن اتَفَقَ على الناس جميعا أوْلَى بالفضيلة ، وأحقّ بالتقدمة .

٧ — قال صاحب أبى تمام : إنما أعْرَضَ عن شعر أبى تمام مَنْ لم يفهمه ؛ لدقة معانيه ، وقُصور فهمه عنه ، وفَهِمَهَ العلماء والنقَّاد فى علم الشعر ، و إذا عرَفَتْ هذه الطبقةُ فضيلته لم يَضُرّه طعنُ مَنْ طعن بعدها عليه .

٨ — قال صاحب البحترى : إن ابن الأعرابىّ وأحمدَ بن يحيى الشيبانى ـ وقبلهما دِعْبِل بن علىّ الخزاعى ـ قد كانوا عُلماء بالشعر وكلام العرب ، وقد علمتم مذاهبهم فى أبى تمام ، وازدراءهم بشعره[1] ، وطَعْن دعبل عليه ، وقولهم : إن ثُلُث شعره محال ، وثلثه مسروق ، وثلثه صالح . ورَوَى أبو عبد الله محمد بن داود ابن الجراح فى كتاب الشعراء عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن الهيثم بن داود عن دعبل أنه قال : ما جَعَلَه الله من الشعراء ، بل شعره بالخطب والكلام المنثور أشبه منه بالشعر ، ولم يُدْخله فى كتابه المؤلّف فى الشعراء . وقال ابن الأعرابى فى شعر أبى تمام : إن كان هذا شعراً فكلام العرب باطل ، روى ذلك أبو عبد الله محمد بن داود عن البحترى عن ابن الأعرابى . وحكى محمد بن داود أيضاً عن محمد

---

(١) كذا ، ولعله « إزراءهم بشعره » أو « ازدراءهم شعره »

ابن القاسم بن مهرويه عن حذيفة بن محمد ـ وكان عالماً بالشعر ـ أنه قال : أبو تمام يريد البديع فيَخْرُج إلى المحال . وروى عنه أنه قال : دخل إسحاق بن إبراهيم المَوْصِلى عَلَى الحسن بن وهب وأبو تمام يُنْشده ، فقال له إسحاق : يا هذا لقد شَدَّدْتَ عَلَى نفسك[١]. وذكره أيضاً أبو العباس عبدُ الله بن المعتز فى كتاب البديع.
وغيرُ هؤلاء العلماء ممن أفسدوا شعره كثيرٌ : منهم أبو سعيد الضرير ، وأبو العَمَيْثل الأعرابى صاحبُ عبد الله بن طاهر بخراسان ، وكانا من أعلم الناس بالشعر ، وكان عبد الله بن طاهر لا يسمع من شاعر إلا إذا امتحَنَاه وأنشدهما شعره ورضياه، فقصدهما أبو تمام بقصيدته التى يمدح فيها عبد الله بن طاهر وأولها :

هُنَّ عَوَادِى يُوسُفٍ وَصَوَاحِبُهْ ... فَعَزْماً فَقِدْماً أَدْرَكَ النُّجْحَ طَالِبُهْ[٢]

فلما سمعا هذا الابتداء أعرضا عنه ، وأسقطا القصيدة ، حتى عاتبهما أبو تمام ، وسألهما النظر فيها ، فلولا أنهما ظفرا ببيتين مسروقين فيها استحسناهما فعرضا القصيدة عَلَى عبد الله بن طاهر وأخذا له الجائزة لكان قد افتضح وخابت سَفْرَته ، وخَسِرَتْ صَفْقته ، والبيتان :

وَرَكْبٍ كَأَطْرَافِ الأَسِنَّةِ عَرَّسُوا ... عَلَى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ تَسْطُو غَيَاهِبُهْ[٣]
لِأَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ ... وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهْ

أخذ معنى البيت الأول من قول البَعِيث :

أَطَافَتْ بِشُعْثٍ كَالأَسِنَّةِ هُجَّدٍ ... بِخَاشِعَةِ الأَصْوَاءِ غُبْرٍ صُحُونُهَا[٤]

---

(١) انظر فى الوساطة ٦٤ البيت الذى من أجله قال له إسحاق ذلك ، وفيه « لقد شققت على نفسك ، إن الشعر لأقرب مما تظن » .
(٢) الديوان (٤٣) وفيه « أهن عوادى » وفيه « أدرك السؤل »
(٣) فى أخبار أبى تمام (٥٢ و ١١٦ و ١١٧) « والليل داج غياهبه »
(٤) شعث : جمع أشعث ، وهو المغبر الرأس المتلبد الشعر ، والأسنة : جمع سنان ، وهو نصل الرمح ، وهجد : جمع هاجد ، وهو النائم ، والأصواء : جمع صوى ، وهو جمع صوة ، وهو حجر يوضع فى الطريق ليهتدى به السائر ، ومعنى « خاشعة الأصواء » أن هذه العلامات قد تغيرت ، والصحون : جمع صحن ، وهو ساحة وسط الفلاة .

وأخذ معنى البيت الثانى من قول الآخر[١] :

غُـــلَامُ وَغًى تَقَحَّمَهَا فَأَبْـلَى فَخَانَ بَلَاءَهُ الدَّهْرُ الْخَؤُونُ

وَكَانَ عَلَى الْفَتَى الْإِقْدَامُ فِيهَا وَلَيْسَ عَلَيْهِ مَا جَنَتِ الْمَنُونُ

ولما أوصلا إليه الجائزة قالا له : لم تقول مالا يفهم ؟ فقال لهما : لم لا تفهمان ما يقال ؟ فـكان هذا مما استحسن من جوابه[٢] .

وهذا أبو العباس محمدُ بن يَزيد المبردُ ، ما علمناه دَوَّنَ له كبير شىء ، وهذه كتبه وأماليه و إنشاداته تَدُلُّ على ذلك ، وكان يفضل البحترى ، ويستجيد شعره ، و يكثر إنشاده ، ولا يُمليه[٣] ؛ لأن البحترى كان باقياً فى زمانه ، أخبرنا أبو الحسن الأخفش قال : سمعت أبا العباس محمدَ بن يزيدَ المبرد يقول : مارأيت أشعر من هذا الرجل ، يعنى البحترى ، لولا أنه ينشدنى لِمَا أنشدكم لملأتُ كتبى من أمالى شعره .

٩ — قال صاحب أبى تمام : فقد بطل احتجاجكم بالعلماء ، وتفضيلـكم شعره عليه ؛ لأن دِعْبِلاً كان يَشْنأ أبا تمام و يحسُده ،وذلك مشهور معلوم منه؛ فلا يقبل قول شاعر فى شاعر ، وأما ابن الأعرابى فـكان شديد التعصُّب عليه ؛ لغرابة مذهبه ، ولأنه كان يَرِد عليه من معانيه مالا يفهمه ولا يعلمه ، فـكان إذا سُئل عن شىء منها يأنف أن يقول لا أدرى فيعدل إلى الطعن عليه ، والدليل على ذلك أنه أُنشِدَ يوماً أبياتاً من شعره، وهو لا يعلم قائلها ، فاستحسنها وأمر بكَتْبها،

---

(١) فى أخبار أبى تمام (٥٢) والصناعتين (١٥٤) « دهر خؤون » ورواها فى اللسان (م ن ن) عن عبد الرحمن بن أخى الأصمعى عن عمه ، وفيه فى صدر الثانى « فإن على الفتى » وسيأتى مرة أخرى (ص ٥٠ من هذا الـكتاب) .

(٢) انظر القصة والأبيات فى أخبار أبى تمام (٥٢ و١١٧) والصناعتين (١٥٤) وهبة الأيام (١٣٤) ولعل الأفضل أنهما قالا له « لم لا تقول ما يفهم؟»

(٣) فى الأصول « ولا يستمليه » والسياق يقتضى ما أثبتنا

فلما عرف أنه قائلها قال : خَرِّقوه[١] ، والأبيات من أرجوزته التي أولها[٢] .

وَعَاذِلٍ عَذَلْتُهُ فِي عَـذْلِهِ   فَظَنَّ أَنِّي جَاهِلٌ مِنْ جَهْلِهِ

وكان ابن الأعرابي ـ على علمه وتقدُّمه ـ قد حَمَل نفسه على هذا الظلم القبيح والتعصب الظاهر، فما تُنكرون أيضاً أن تكون حالُ سائرِ من ذكرتموه مثلَ حاله؟

١٠ ـ قال صاحب البحترى : لا يلزم ابنَ الأعرابى من الظلم والتعصب ما ادَّعيتم ، ولا يلحقه نقصٌ فى قصور فهمه عن معانى شاعرٍ عَدَل فى شعره عن مذاهب العرب إلى الاستعارات البعيدة المُخرِجة للكلام إلى الخطأ أو الإحالة ، والعيبُ والنقص فى ذلك يلحقان أبا تمام ؛ إذ عدل عن المحجَّة إلى طريقة يجهلها ابنُ الأعرابى وأمثاله ، وأما ما استحسنه ابن الأعرابى من شعر أبى تمام فأمر بكَتْبه ، ثم أمر بتخريقه لما علم أنه قائله فذلك غير مُنْكَر ، ولا يُدْخِل ابنَ الأعرابى فى التعصُّب والظلم ؛ لأن الذى يورده الأعرابى ـ وهو محتذٍ على غير مثال ـ أحلى فى النفوس ، وأشهى إلى الأسماع ، وأحق بالزيادة والاستجادة مما يورده المحتذى على الأمثلة ، وعُذرُ ابن الأعرابى فى هذا إذاً قد صح ، وقد سبقه الأصمعى ، وذلك أن إسحاق[٣] بن إبراهيم الموصلى أنشد الأصمعى :

هَـلْ إلى نَظْرَةٍ إِلَيْكِ سَبِيلُ   فيروَى الصَّدَى وَيشفى الْغَلِيلُ

إنَّ ما قَلَّ مِنْكِ يَكْثُرُ عِنْدِى   وَكَثِيرٌ مِمَّنْ تُحِبُّ الْقَلِيلُ

فقال : لمن تنشدنى ؟ فقال : لبعض الأعراب ، فقال : والله هذا هو الدِّيباجُ الخسروانى ، قال : إنهما لليلتهما ، فقال : لا جَرَمَ والله إن أثر الصنعة والتكلُّف بَيِّنٌ عليهما . حدثنا بهذا الحديث أبو الحسن علىُّ بن سليمانَ الأخفشُ النحوىُّ ، قال : حدثنا أبو الحسن البهرانى ، قال : حدثنى أبو خالد يزيد بن محمد المهلبى ، قال : حدثنى إسحاق بن إبراهيم الموصلى[٣] ، قال : أنشدت الأصمعى ، إلا أنه ذكر

---

(١) التخريق : التمزيق ، يريد مزقوا الورقة التى كتبت فيها هذه الأرجوزة

(٢) هى أرجوزة يقولها فى هجاء صالح بن عبدالله الهاشمى (الديوان ٥٠٤) وانظر قصة ابن الأعرابى حيال هذه الأرجوزة فى خبار أبى تمام (١٧٥) وفى مروج الذهب للمسعودى ٧٣/٤ طبعة ثانية بتحقيقنا

(٣) انظر الصناعتين ٣١٤ والوساطة ١٧٩ ، وانظر القصة والبيتين فى الوساطة ٤٧ .

عن إسحاق أنه قال له : إنهما لمليلتهما ، فقال الأصمعى : أفسدتهما ؛ فالأصمعى فى هذا غيرُ ظالم ؛ لأن إسحاق ــ مع علمه بالشعر ، وكثرة روايته ــ لا ينكر له أن يُورِدَ مثلَ هذا ؛ لأنه يقوم فى النفس أنه قد احتذاه على مثال ، وأخذه عن متقدِّم ، وإنما يُسْتَطْرَف مثله من الأعرابى الذى لا يعوِّل إلا على طبعه وسليقته ، وابنُ الأعرابى فى أبى تمام أعْذَرُ من الأصمعى فى إسحاق ؛ لأن أبا تمام كان مُغْرَماً مشغوفاً بالشعر ، وانفرد به ، وجعله وُكْدَه ، وألَّفَ كتباً فيه ، واقتصر من كل علم عليه ، فإذا أورد المعنى المستغرَبَ لم يكن ذلك ببِدْع له ؛ لأنه يأخذ المعانىَ ويحتذيها ، فليس لها فى النفوس حلاوة ما يورده الأعرابى

١١ ــ قال صاحب أبى تمام : فقد أقررتم لأبى تمام بالعلم والشعر والرواية ، ولا مَحالة أن العلم فى شعره أظهر منه فى شعر البحترى ، والشاعر العالم أفضل من الشاعر غير العالم

١٢ ــ قال صاحب البحترى : فقد كان الخليل بن أحمد عالما شاعرا ، وكان الأصمعى شاعرا عالما ، وكان الكسائى كذلك ، وكان خَلَفُ بن حَيَّان الأحمر أشْعَرَ العلماء ، وما بلغ بهم العلم طبقةَ مَنْ كان فى زمانهم من الشعراء غير العلماء ؛ فقد كان التجويد فى الشعر ليست علته العلم ، ولو كانت علته العلم لكان مَنْ يتعاطاه من العلماء أشعر ممن ليس بعالم ؛ فقد سقط فضل أبى تمام من هذا الوجه على البحترى ، وصار أفضلَ وأولى بالسبق ؛ إذا كان معلوما شائعا أن شعر العلماء دون شعر الشعراء ، ومع ذلك فإن أبا تمام يعمل [على] أن يَدُلَّ فى شعره على علمه باللغة وبكلام العرب ؛ فيعمد لإدخال ألفاظ غريبة فى مواضع كثيرة من شعره ، وذلك نحو قوله :

هُنَّ البجارى يا بُجَـــيْرُ ... أهْدَى لها الأبْؤُسَ الغُوَيْرُ(١)

---

(١) ليس هذا البيت فى الديوان ، والبجارى : الدواهى والأمور العظيمة ، وبعضه إشارة إلى المثل «عسى الغوير أبؤسا» قالته الزباء فى قصة مشهورة ، وأنشده صاحب الوساطة ٢٦

وقوله :

* قَدْكَ اتَّئِبْ أرْبَيْتَ فِي الغُلَوَاءِ *(١)

وقوله :

* أقَرْمَ بَكْرٍ تُبَارِي أيُّهَا الخُفَضُ *(٢)

وهذا فى شعره كثير موجود، والبحترى لم يقصد هذا ، ولا اعتمده ، ولا كان له عنده فضيلة ، ولا رأى أنه علم ؛ لأنه نشأ ببادية مَنْبِج ، وكان يتعمّد حذف الغريب والوَحْشِيّ من شعره ليقربه مِن فهم مَنْ يمتدحه ، إلا أن يأتيه طبعُه باللفظة بعد اللفظة فى موضعها من غير طلب لها ، ويرى أن ذلك أنفق له ، فَنَفَقَ ، وبلغ المراد والغرض ، ويدلك على ذلك أنه كان يُكنى أبا عُبَادة ، ولما دخل العراق تكنَّى أبا الحسن ؛ ليزيل العنجهية والأعرابية ، ويساوى فى مذاهبه أهل الحاضرة ، ويقرب بهذه الكنية إلى أهل النباهة والكُتّاب من الشيعة . وقد ذكر بعضهم أنه كان يكنى أبا الحسن ، وأنه لما اتصل بالمتوكل وعَرف مذهبه عدل إلى أبى عُبَادة ، والأول أثبتُ ، وقد حكى أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح أن أبا عُبادة كنية البحترى القديمة ، فشتّان ما بينهما مِنْ حَضَرِيٍّ تشبَّه بأهل البدو فلم ينفق بالبادية ولا عند أكثر الحاضرة وبَدَوِيٍّ تحضّر فنفَق فى البدو والحضر

١٣ ــ قال صاحب أبى تمام : فقد عرَّفْنا كم أن أبا تمام أتى فى شعره بمعان فلسفية ، وألفاظ غريبة ، فإذا سَمع بعض شعره الأعرابىُّ لم يفهمه ، فإذا فسِّر له فهمه واستحسنه

---

(١) انظر الديوان (ص ٢) وقدك : يكفيك ، واتئب : استح ، وأربيت : زدت ، والغلواء : ههنا مجاوزة الحد ، وتمامه :

* كم تعذلون وأنتم سجرائى *

والسجراء : جمع سجير ، وهو الأنيس . وانظر أيضا الموشح (٣٠٥) والصناعتين ٣٤٧

(٢) هذا صدر مطلع قصيدة ، وتمامه :

* ونجمها أيهذا الهالك الحرض *

انظر الديوان (١٨٠) والقرم : السيد ، والخفض : الجمل الضعيف ، وتبارى : تفاخر ، والحرض : الذى أضناه المرض ، وفى التنزيل الكريم : (تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا) وهو يمدح خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى ويهجو رجلا فاخره فى المجلس

١٤ ـ قال صاحب البحترى : هذه دعاوٍ منكم على الأعراب فى استحسان شعر صاحبكم إذا فهموه ، ولا يصح ذلك إلا بالأمتحان ، ولكنكم معترفون ومُجْمِعون مع منْ هو معكم وعليكم أن لصاحبكم إحسانات و إساءات ، وأن الإحسان للبحترى دون الإساءة ، ومَنْ أحْسَنَ ولم يسىء أفضلُ ممن أحسن وأساء

١٥ ـ قال صاحب أبى تمـــام : ما أجمعنا معكم أن صاحبكم لم يسىء ، بل هو قد أساء فى قوله[1] :

يُخْفِى الزُّجَاجَةَ لَوْنُهَا فَكَأَنَّهَا ... فِى الْكَفِّ قَائِمَةٌ بِغَيْرِ إِنَاءِ

وهذا وصف للاناء ، لا للشراب ؛ لأنه لو ملأ الإناء دِبْساً لكان هذا صفته .

وقال[2] :

ضَحِكَاتٌ فِى إِثْرِهِنَّ الْعَطَايَا ... وَبُرُوقُ السَّحَابِ قَبْلَ رُعُودِهْ

فأقام البرقَ مقام الضحك ، والرعدَ مقام العطايا ، و إنما كان يجب أن يُقيم الغيثَ مُقام العطايا ، لا الرعد ، وله لُحُون فى شعره معروفة نحو قوله[3] :

* وَنَصَبْتَهُ عَلَماً بِسَامُرَّاء *

وقوله[4] :

* نبرات مَعْبَدَ فى الثَّقِيلِ الأَوَّلِ *

---

(١) من قصيدة يمدح فيها أباسعيد محمد بن يوسف (الديوان ج١ ص٤) والبيت فى وصف الخمر ، وسيذكره ثانية فى سرقات البحترى، وثالثة فى باب ماعيب به البحترى مما ليس بعيب .

(٢) من قصيدة له يمدح فيها الخضر بن أحمد الثعلبى (الديوان ج ١ ص ١٦٩) وانظر موشح المرزبانى (٣٤٢)

(٣) هو عجز بيت من قصيدته التى يمدح فيها أباسعيد محمد بن يوسف (الديوان ج ١ ص ٥) ، وصدر البيت قوله :

* أخليت منه البذ وهى قراره *

والبيت فى الحديث عن بابك الخرمى.

(٤) لم أجد هذا البيت فى ديوانه المطبوع ، وفى هذا الشطر منع صرف «معبد» وهو لا يستحق ذلك ؛ لأنه لم تجتمع فيه مع العلمية علة أخرى تقتضيه ، وله مع =

وقوله[1] :

* عرجٌ عَلَى حَلَبِ *

وأشباه لهذا كثيرة ؛ فقد تساويا فى الغلط

١٦ — قال صاحب البحترى : ما نَعَيْنا على أبى تمام اللحنَ — وهو فى شعره كثير لو تتبّع — فتنعوا مثله على البحترى ؛ لأن اللحن لا يكاد يَعْرَى منه أحد من الشعراء المحدَثين ، ولا يسلم منه شاعر من الشعراء الإسلاميين ، وقد جاء فى أشعار المتقدمين ما علمتم من الألفاظ مما لا يقوم العذرُ فيه إلا بالتأويلات البعيدة ، وعلى أنه ليس شىء مما عبتم به البحترى خارجا عن مقاييس العربية ولا بعيداً من الصواب ، بل قد جاء مثله كثير فى أشعار القدماء والأعراب والفصحاء ، ولو كان هذا موضع ذكره لذكرناه ، ونحن لو رُمْنَا أن نُخْرِج ما فى شعر أبى تمام من اللحن لكثر ذلك واتسع ، ولوجدنا منه ما يضيق العذر فيه ، ولا يجد المتأوِّلُ له مخرَجاً منه إلا بالطلب والحيلة والتمحل الشديد ، وذلك مثل قوله[2] :

ثانِيهِ فى كَبِدِ السَّماء ، وَلَمْ يَكُنْ   لِاثْنَيْنِ ثانٍ إذْ هُما فِى الْغارِ

معنى هذا البيت أنَّ بابَكَ صار جاراً فى الصَّلْب لمازيّار[3] ، وهو ثانيه فى كبد السماء ، ولم يكن ثانياً لاثنين إذ هما فى الغار : أى هو ثانى اثنين فى الصَّلب لمازيّار الذى هو رَذيلة ، وليس هو ثانيا فى الغار ؛ لأن هذه فضيلة ؛ فكان يجب

= ذلك نظائر فى شعر من يحتج بشعرهم ، وقد ذكر البيت صاحب ديوان الصبابة (٢/٤٩ بهامش تزيين الأسواق) وقال : إنه يصف فيه صهيل فرس ، وصدره قوله :

* هزج الصهيل كأن فى نغماته *

وذكره فى زهر الآداب (٢ / ٢٤) ضمن قطعة عدتها ثلاثة عشر بيتا ، وفى معناه يقول على بن محمد الإيادى يصف فرس جعفر بن أبى القاسم :

حلو الصهيل تخال فى لهواته   حاد يصوغ بدائعا من لحنه

(١) ولا عثرت على فى هذا الديوان.

(٢) من قصيدة له يمدح فيها المعتصم ويذكر إحراق الأفشين (الديوان ص ١٥٤)

(٣) قبل البيت الذى أنشده المؤلف — وبذكره يظهر المعنى — قوله :

ولقد شفى الأحشاء من برحائها   أن صار بابك جار مازيار

أن يقول فى البيت « ولم يكن لاثنين ثانيا[1] » لأنه خبر يكن ، واسمها هو اسم بابك مضمر فيها ؛ فليس إلى غير النصب سبيل فى البيت ، وإلا بطل المعنى وفسد ، وفسادُهُ أنك إذا أخليت «يكن» من ضمير بابك وجعلت قوله «ثانى» اسمها كان ذلك خطأً ظاهراً قبيحا ؛ لأنك إذا قلت : كان زيد وعمرو اثنين ولم يكن لهما ثان ، كنت مخطئاً ؛ لأن [كلّ] اثنين أحدهما ثان للآخر ، وكذلك إذا قلت : كانوا ثلاثةً ولم يكن لهم ثالث ، كنت مخطئاً ؛ لأن أحد الثلاثة هو ثالثهم ، وإنما تكون مصيباً إذا قلت : كانا اثنين ولم يكن لهما ثالث ، وثلاثةً ولم يكن لهم رابع ، وأيضاً فإنه لو أراد هذا المعنى لم يكن فى البيت فائدة البتة ؛ لأنه كان يكون المعنى حينئذ أن بابك ثانى ما زيَّار ، فأىُّ فائدة فى هذا مع ما فيه من الخطأ الفاحش ؟ وأىُّ تعلق لهذا المعنى بما قبله فى البيت ؟

وقال فى آخر قصيدة[2] :

شَامَتْ بُرُوقَكَ آمَالِى بِمِصْرَ ، وَلَوْ   أَضْحَتْ على الطُّوسِ لم تَسْتَبْعِدِ الطُّوسَا

فأدخل فى طوس الألفَ واللامَ ، وهى اسم بلدة معروفة . وقال[3] :

---

(١) قد ورد لذلك نظائر فى شعر من يحتج بشعرهم ، وإن كان معدودا عند العلماء من ضرورات الشعر ؛ من ذلك قول الشاعر :

كفى بالنأى من أسماء كاف   وليس لهجرها إن طال شاف

فقد كان من حق الكلام أن يقول « كفى بالنأى من أسماء كافيا » ومن ذلك قول الآخر :

ولو أن واش باليمامة داره   ودارى بأعلى حضرموت اهتدى ليا

فقد كان من حق الكلام أن يقول « ولو أن واشيا »

(٢) من قصيدة له يمدح فيها عياش بن لهيعة (الديوان ص ١٧٢) وفيه :

* أضحت بطوس لما قصرت عن طوسا *

ولا اعتراض على هذه الرواية من الجهة التى ذكرها المؤلف

(٣) هو صدر مطلع قصيدة له يمدح فيها يحيى بن عبدالله (الديوان ٣٤١) وعجزه   * بين الكثيب الفرد فالأمواه *

وانظر معاهد التنصيص ٤١٩ بولاق ، وانظر فى أخبار أبى تمام (٢٦٠) تعليقا على هذا البيت عن شرح التبريزى .

* إحْدَى بَنِى بَكْرِ بْن عَبْدِ مَنَاهِ *

وإنما هى مَنَاة فى الإدراج ، كما قال الله تبارك وتعالى : (وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى)[١] وإنما تكون بالهاء فى الوقف ، لا فى الحركة والدَّرْجِ .

وقال فى هذه القصيده :

* لَوْلاَ صِفَاتٌ فِى كِتَابِ الْبَاهِ *

وإنما هى الباءة بالمد فى تقدير الباعة ، وإن كان قد حكى الباه فى بعض اللغات الرديئة ، والردىء لا يُعْتَدُّ به ، وقال[٢] :

فكَمْ لِيَ مِنْ هَوَاه فِيكِ صَافٍ   غَذِيٍّ جَوُّهُ وَهَـــوًى وَبِىّ

فقال غذىّ وهو غَذٍ بالتخفيف . وقال فى قصيدة[٣] :

* عَلَى الأعَادِىِ مِيكَالٌ وَجِبْرِيلُ *

فأوقع الإعراب على الأعادى ، وذلك غير جائز لمتأخر[٤] ، وقال :

سِتِّينَ أَلْفاً وَسَبْعِيناً وَمِثْلُهُمَا   كَتَائِبُ الْخَيْلِ تَحْمِيهَا الأَرَاجِيلُ[٥]

---

(١) الآية ٢٠ من سورة النجم

(٢) هو من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (٣٤٣) ومطلعها قوله :

ألا ويل الشجى من الخلى   وبالى الربع من إحدى بلى

(٣) ليس له وجود فى نسخ الديوان

(٤) قد ورد منه قول جرير يهجو الفرزدق:

وَعِرْقُ الْفَرَزْدَقِ شَرُّ العُرُوقِ   خَبِيثُ الثَّرَى كَابِىُ الأَزْنُدِ

وقول الآخر :

لاَبَارَكَ اللهُ فِى الغَوَانِى هَلْ   يُبِتْنَ إلاَّ لَهُنَّ مُطَّلَبُ

وهو كثير فى الشعر العربى المحتج به ، وإن كان معدودا فى ضرورات الشعر ، ومجازه عندهم معاملة حروف العلة مع ضعفها عن احتمال الحركة معاملة الحروف الصحيحة الجلدة

(٥) ليس له وجود فى نسخ الديوان

فَنَوَّنَ النون من « سبعين » وهذا لا يُسَوِّغه محدَثٌ ، ونحو هذا مما ليست بنا حاجة إلى ذكره ؛ لأنا لم نتتبعه ولا عنيناه به ؛ لِمَا وصفنا فى باب اللحن وكثرته فى أشعار المتأخرين ، وإنما عنيناه بخطائه فى معانيه ، وإحالته فى استعاراته ، وكثرة مايورده من الساقط والغث البارد ، مع سوء سَبْكه ، ورداءة طبعه ، وسخافة لفظه ، مما سنذكره فى باب آخر من الاحتجاج عليكم .

فأما ماعبتم به البحترى من قوله :

يَخْفَى الزُّجَاجَةَ لَوْنُهَا فَكَأَنَّهَا   فى الكَفِّ قَائِمَةٌ بِغَيْرِ إنَاء

فما زالت الرواةُ وشيوخُ أهل الأدب والعلم يستحسنون هذا البيت ويستجيدونه له ، وذكَرَهُ عبدُ الله بن المعتز ـ وقد علمتم فضله وعلمه بالشعر ـ فى باب مااختاره من التشبيه فى كتابه الذى نسبه إلى البديع ، ولكنكم أبيتم إلا إفساده ، ثم أجلبتم وأكثرتم أن تَنْعَوْا على شاعرٍ مُحْسِنٍ بيتاً واحداً ، فما زلتم تتمنون وتتمحلون حتى وجدتم أبياتاً تحتمل من التأويل ما يحتمله الأول ، وهو قوله :

ضَحِكَاتٌ فى إثْرِهِنَّ العَطَايَا   وَبُرُوقُ السَّحَابِ قَبْلَ رُعُودِهْ

وكلا البيتين إلى الصواب أقرب ، ومن الخطأ أبعد ، فأما قوله :

يَخْفَى الزُّجَاجَةَ لَوْنُهَا فَكَأَنَّهَا   فى الكَفِّ قَائِمَةٌ بِغَيْرِ إنَاء

فإنما قصد إلى وصف هيئة الشراب فى الإناء ، ولم يقصد إلى وصف الشراب خاصة ، ولا إلى الإناء ، كما ادعيتم ، ولو أراد وصف الإناء لكان مصيباً ؛ لأن الزجاجة أيضاً يوصف ما فيها ، وتقع المبالغة فى نعتها ، وقد جاء فى وصف أوانى الشراب ما جاء ، ومن أحسن ما قيل فى ذلك قول على بن العباس بن جُرَيْج الرومى يصف قَدَحاً :

تنفذُ العينُ فيه حتى تراها   أخطأتْهُ من رقة المُسْتَشَفِّ(١)

(١) كان ابن الرومى يملك قدحا ، وكان يزعم أنه كان من قبل فى ملك هارون الرشيد أمير المؤمنين ، ثم أهدى هذا القدح إلى على بن يحيى المنجم ، وقال فيه هذه الأبيات ، وقبلها قوله :

=

كهواء بلا هَبَاء، مَشُوب ‏ بضياء، أرقّ بذاك وأصفى
وَسَط القَدْر، لم يكبر لجرع ‏ مُتَوال، ولم يُصَغَّر لرَشْف
لاعجول على العقول جهول ‏ بل حليم عنهنّ من غير ضَعْف

فالزجاجه إذا رقّت وصَفَت وسلمت من الكدر اشتدّ صفاؤها و بريقها، فإذا وقع فيها الشراب الرقيقُ اتصل الشعاعان، وامتزج الضوءان، فلم تكد الزجاجة تتبين للناظر، ولو جعلها دِبْساً أو عَسَلا أو لبنا أو ماء كَدِرا فى إناء هذه صفته فى الرقة لما خفى الإناء على الناظر؛ لأن هذه الأشياء لا شعاع لها ولا ضياء يتصل بشعاع الإناء وضوئه، وقد سبقه إلى هذا المعنى علىّ بن جبلة فقال:

كأنّ يَدَ النَّدِيمِ تُدِيرُ مِنْهَا ‏ شُعاعاً لا تُحِيطُ عَلَيْهِ كاسُ(١)

وقال آخر، أنشده أبو الحسن علىّ بن سليمان الأخفشُ:

وَإذا ما مُزِجَتْ فِى كأسِهَا ‏ فَهِىَ وَالْكَأسُ مُعَاشَىٌّ أحَدْ(٢)

فأنتم فى هذه المعارضة بالخطأ أجْدَرُ، وبالعيب أحْرَى.

فأما قوله:

وَبُرُوقُ السَّحَابِ قَبْلَ رُعُودِهْ

فإنه أقام الرعد مُقامَ الغيث؛ لأنه مقدّمة له، وعَلَم من أعْلاَمه، ودليل من أقوى دلائله، ألا ترى أن بَرْق الْخُلّب لا رَعْدَ له، وقد قال الأعشى:

وَالشِّعْرُ يَسْتَنْزِلُ الْكَرِيمَ كَمَا اسْتَنْزَلَ رَعْدُ السَّحَابَةِ السَّبَلاَ

فجعل الرعدَ هو الذى يستنزل المطر، وقال الكميت:

وَأنْتَ فى الشَّتْوَةِ الجَمَادِ إذا ‏ أخْلَفَ مِنْ أنجمٍ رَوَاعِدُها

= وبديع من البدائع يَسْبِى ‏ كلّ عقل، ويَطّبِى كلّ طَرْف
وُفِىَ الحسنَ والملاحَةَ حتى ‏ ما يوفّيه واصف حقّ وَصْف
قَدَحٌ كان للرشيد اصْطَفَاهُ ‏ خَلَف من ذكوره غيرُ خَلْف
كفم الحِبّ فى الحلاوة، بل أحْلَى، وإن كان لايناغِى بحَرْف

(١) سيذكره المؤلف فى سرقات البحترى، وفى باب ما عيب به البحترى مما ليس بعيب. (٢) سيذكر المؤلف فى ص ٣٥٦ ثانى بيتين.

وإذا كان البرق ذا رَعْدٍ فقلَّما يُخلف . ومثل هذا فى كلام العرب ـ مما يَنُوب [فيه] الشىء عن الشىء ، إذا كان متصلا به ، أو سبباً من أسبابه ، أو مجاوراً له ـ كثيرٌ ؛ فمن ذلك قولهم للمطر : سماء ، ومنه قولهم : مازلنا نطأ السماء حتى أتيناكم ، قال الشاعر :

إذا نَزَلَ السَّماء بِأَرْضِ قَوْمٍ   رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كانُوا غِضَابَا(١)

يريد إذا سقط المطرُ رعيناه ، يريد رعينا النَّبْتَ الذى يكون عنه ، ولهذا سمى النبت نَدًى ؛ لأنه عن الندى يكون ، وقالوا : ما به طِرْقٌ ، أى ما به قوة ، والطِّرْقُ: الشحم ، فوضعوه موضع القوة ؛ لأن القوة عنه تكون ، وقولُهم للمَزَادة : راوية ، وإنما الراوية البعيرُ الذى يسقى عليه الماء ، فسمى الوعاء الذى يحمله باسمه ، ومن ذلك الحَفَضُ متاعُ البيتِ ، فسمى البعير الذى يحمله حفَضاً ، ومن ذلك قول المسيَّبِ بن عَلَسٍ :

* وَتَمُدُّ ثِنْيَ جَدِيلِهَا بِشِرَاعِ(٢) *

أراد بدَقَلٍ ، فقال : بشراع ؛ لأن الشراع عليه يكون

وهذا باب واسع ، وأيْسَرُ من أن يحتاج إلى استقصائه

---

(١) ينسب هذا البيت لجرير ، وهو خطأ ، والصواب أنه لمعاوية بن مالك ابن جعفر معود الحكماء ، من قصيدة أولها قوله :

أجد القلب من سلمى اجتنابا   وأقصر بعد ما شابت وشابا

وانظره فى معاهد التنصيص (٣٠٣) وفى الصناعتين (٢١٢)

(٢) هذا عجز بيت له ، وصدره قوله :

* وكأن غاربها رباوة مخرم *

والغارب : ما بين السنام والعنق ، والرباوة ـ مثلث الراء ـ منقطع الغلظ من الجبل ، والمخرم : منقطع أنف الجبل ، والجديل : الزمام ، وثنيه : ما انثنى منه باليد ، وأراد مد جديلها بعنق طويل ، فشبهها بشراع السفينة ، ولكنه أراد الدقل (الصارى) وقد ذكره صاحب الصناعتين (٥٢) فيما يعاب من الشعر ، وانظر الوساطة (ص ١٧) أيضا .

و بعد ، فلو كان هذان البيتان خطأ — كما ادعيتم وأخذتم على هذا الشاعر المجتمَع على إحسانه غلطاً — من غيرهما فى شعره لمَا كان بذلك داخلا فى جملة المسبوقين ، ولا الخاطئين فى الشعر ؛ لجودة نظمه ، واستواء نَسْجِه ، ووقوع لفظه فى مواقعه ، ولأن معانيه تصحُّ بالنقد ، وتخلُصُ على السبك ، وأبو تمام يَتَبَهْرَجُ شعره عند التفتيش والبحث ، ولا تصح معانيه على التفسير والشرح .

١٧ — قال صاحب أبى تمام : لئن أسرفتم فى الذمّ ، و بالغتم على صاحبنا فى الطعن ، وتجاوزتم الحدَّ الذى يقف عنده المحتجُّ المناظر ، إلى مذهب المسقِط المغالِطِ ، والمتعصِّب المتحامل — فلسنا نمنع أن يكون صاحبُنا قد وهِمَ فى بعض شعره ، وعدا عن الوجه الأوضح فى كثير من معانيه ، وغيرُ منكَرٍ لفكرٍ نَتَج من المحاسن ما نَتَج ، وولَّد من البدائع ما ولَّد ، أن يلحقه الكَلالُ فى الأوقات ، والزلل فى الأحيان ، بل من الواجب لمن أحسن إحسانَه أن يُسامَحَ فى سهوه ، ويُتَجاوز له عن زَلَله ، فما رأينا أحداً من شعراء الجاهلية سلم من الطعن ، ولا مِنْ أخذ الرواة عليه الغلطَ والعيبَ ، هذا الأصمعى قد عاب امرأ القيس بقوله :

وَأَرْكَبُ فِي الرَّوْعِ خَيْفَانَةً ... كَسَا وَجْهَهَا سَعَفٌ مُنْتَشِرْ (١)

وقال : شبه شَعَرَ الناصية بسَعَف النخلة ، والشَّعَر إذا غطَّى العينَ لم يكن الفرس كريماً ، وذلك هو الغَمَم ، والذى يُحمَد فى الناصية الجَثْلَةُ ، وهى التى لم تفرط فى الكثرة فتكونَ الفرسُ غمّاء ، والغَمَم مكروه ، ولم تفرط فى الخفة فتكونَ الفرس سَفْواء ، والسفا أيضاً مكروه فى الخيل ، والجيِّدُ ما قال عَبيد :

---

(١) انظر البيت والاعتراض عليه فى الموشح (٣٥ وما بعدها) وفى الصناعتين (٧٠) وفى صحاح الجوهرى (خ ى ف) وفى الوساطة (١٦) والبيت فى صفة فرس ، والخيفانة فى الأصل : الجرادة ، شبه بها فرسه .

مُضَــبَّرٌ خَلْقُها تَضْــبِيراً　　يَنْشَقُّ عَنْ وَجْهِهَا السَّبِيبُ[١]

ورَوَى ذلك عنه أبو حاتم سَهْل بن محمد السِّجِسْتَانى ، وقال أيضاً : سمعت الأصمعى يقول : أخطأ امرؤ القيس فى قوله :

لَهَا مَتْنَتَانِ خَظَاتَا كَمَا　　أَكَبَّ عَلَى سَاعِدَيْهِ النَّمِرْ

لأن المتن لا يوصف بكثرة اللحم ، ويُستحب منه التَّعريق ، وكذلك الوجه كما قال طفيل :

* مُعَرَّقَةُ الْأَلْحِى تَلُوحُ مُتُونُها *

وأُخِذَ عليه فى قوله فى وصف الفرس :

فَلِلسَّوْطِ أُلْهُوبٌ وَلِلسَّــاقِ دِرَّةٌ　　وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقْعُ أَخْرَجَ مُهْذِبِ[٢]

وقال : هذه الفرس بطيئة ؛ لأنها تُحْوِجُ إلى السوط ، وإلى أن تُركض بالرجل وتزجر ، ويقال : إن أول من عابه بهذا البيت زوجته لمّا احتكم إليها هو وعَلْقمة الفَحْل ، فغلّبت علقمة ، فطلقها . وقد أُخِذَ أيضاً عليه قولُه :

---

(١) المضبر : الملزز الخلق المكتنز اللحم ، والسبيب : شعر الذنب والعرف والناصية وانظر الموشح (٣٥) .

(٢) انظر الصناعتين (٥٤) والموشح (٢٩) وفيه « فللزجر ألهوب » وفى الديوان « وللزجر منه وقع أهوج متعب » والألهوب : شدة الجرى ، والدرة : أصلها اسم لما در من اللبن ، والأخرج : الظليم ، وهو الذكر من النعام ، والمهذب الشديد العدو . قال أبو هلال : ولو وصف أخس حمار وأضعفه مازاد على ذلك . والجيد قوله :

على سابح يعطيك قبل سؤاله　　أفانين جرى غير كز ولا وان

وقول علقمة :

فأدركهن ثانيا من عنانه　　يمر كمر الرائح المتحلب

قلت : ومن المعيب قول امرىء القيس أيضا :

وللسوط منها مجال كما　　تنزل ذو برد منهمر

* أغَرَّكِ مِنِّى أنَّ حُبَّكِ قَاتِلِى * (١)

وقال : إذا لم يَغُرَّ هذا فأىُّ شىء يغر ؟

وعِيبَ زهير بن أبى سُلْمَى بقوله :

يَخْرُجْنَ مِنْ شَرَبَاتٍ ماؤُهَا طَحِلٌ عَلَى الْجُذُوعِ يَخَفْنَ الْغَمَّ وَالْغَرَقَا (٢)

وقالوا : ليس خروج الضفادع من الماء خوفَ الغَمّ والغرق ، وإنما ذلك لأنها تَبيض فى الشطوط .

وعِيبَ على كعب ابنِهِ قولُه :

* ضَخْمٌ مُقَلَّدُها فَعْمٌ مُقَيَّدُها * (٣)

وقالوا : إنما توصف النجائب برقة المَذْبَحِ .

وأخِذ على النابغة قولُه يصف عُنُقَ المرأة بالطول :

إِذَا ارْتَعَثَتْ خافَ الْجَبَانُ رِعَاثَهَا وَمَنْ يَتَعَلَّقْ حَيْثُ عُلِّقَ يَفْرَقِ (٤)

وهذا قريب من قول أبى نُوَاس :

[وأخَفْتَ أهْلَ الشركِ حَتَّى إنَّهُ] لَتَخَافُكَ النُّطَفُ الَّتِى لَمْ تُخْلَقِ

بل أبو نُوَاس أعذَرُ ؛ لقوله « لتخافك » يريد لتكاد تخافك ، والشعراء تُسقط « تكاد » فى الشعر وهى تُريدها .

---

(١) هذا صدر بيت ، وعجزه قوله : * وأنك مهما تأمرى القلب يفعل * وانظر الموشح (٣٦) والصناعتين (٥٤)

(٢) الشربات : جمع شرب — بفتح الشين والراء — وهو حويض يصنع حول النخلة بقدر ما يسع ريها ، والطحل — بفتح الطاء وكسر الحاء — الماء الفاسد المتن من حمأة ونحوها . وانظر الاعتراض على هذا البيت فى الموشح (٤٧) وفى الصناعتين (٥٣) . وانظر الوساطة ١٦

(٣) هذا صدر بيت ، وعجزه قوله : * فى خلقها عن بنات الفحل تفضيل * والمقلد : العنق ، سمى بذلك لأنه موضع القلادة ، والفعم : الممتلىء ، والمقيد : أراد الرجلين ؛ لأنهما موضع القيد .

(٤) ارتعثت : لبثت الرعاث ، وهو حلية من حلى الأذن ، ويفرق : يخف ، وسيذكره المؤلف مرة أخرى (ص ١٣٨) ويخرجه .

وجاء فى القرآن مثل ذلك ، قال الله عز وجل : (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ[١]) ، وقال الشاعر :

يَتَقَارَضُونَ إِذَا الْتَقَوْا فِى مَوْطِنٍ　　نَظَراً يُزِيلُ مَوَاطِئَ الْأَقْدَامِ[٢]

أى : نظراً يكاد يُزيل ، فأضمر « يكاد » ، واللام إذا جاءت كانت أدلّ عليها ، [و] قال الله جل وعز : (وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ[٣]) أى : كادت .

وأُخِذَ على النابغة قولُه :

أَلِكْنِى يَا عُيَيْنَ إِلَيْكَ قَوْلاً　　سَتَحْمِلُهُ الرُّوَاةُ إِلَيْكَ عَنِّى[٤]

وقالوا : قوله أَلكنى أى كُنْ لى رسولا ، فكيف يكون ألكنى إليك عنى ؟ فاعتذر له الأصمعى ، وقال : هذا مما حملته الرواة على النابغة ! كأنه يدفع أن يكون قاله .

وأُخذ على المسَيب قوله :

وَقَدْ أَتَنَاسَى الْهَمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ　　بِنَاجٍ عَلَيْهِ الصَّيْعَرِيَّةُ مُكْدَمِ[٥]

قال : الصيعرية صفةٌ للنوق ، لا للفحول ، فسمعه طَرَفَةُ بن العبد ـ وهو صبى ـ فقال : اسْتَنْوَقَ الجملُ ، وضحك منه ، ويقال : إن المسيب قال: أَخْرِجْ لسانك يافتى ، فأخرجَهُ ، فقال : وَيْلٌ لهذا من هذا ، يعنى رأسه من لسانه .

---

(١) من الآية ٤٦ من سورة إبراهيم ، ومثل بها فى الصناعتين ٢٨١ للغو

(٢) انظره فى الصناعتين ٢٨١ فى مبحث اللغو .

(٣) من الآية ١٠ من سورة الأحزاب

(٤) انظره فى الصناعتين (٥٧)

(٥) نسب صاحب الصناعتين (٦٣و٦٤) هذا البيت إلى المتلمس ،وليس كما ذكر بل البيت ـ كما قال المؤلف هنا ـ للمسيب بن علس ، من قصيدة أولها :

ألا انعم صباحا أيها الربع واسلم　　نحييك عن شحط وإن لم تكلم

وانظر الموشح فى الاعتراض على البيت وفى قصة طرفة(٧٦) وفيه«عند ادكاره» وانظره فى اللسان (ص ع ر)

وأُخذ على المرقّش قوله :

صَحَا قَلْبُهُ عَنْهَا سِوَى أَنَّ ذِكْرَهُ إذا خَطَرَتْ دَارَتْ بِهِ الْأَرْضُ قَائِمَا(١)

قالوا : مَنْ إذا ذَكَر دارت به الأرضُ ليس بصاح .

وأُخذ على عدىّ بن زيد قوله :

* يَبُذُّ الجياد فَارِهاً مُتَتَابِعاً *(٢)

وقالوا : لا يقال للفرس فاره ، وإنما يقال له : جواد ، وكريم ، والفارهُ : البغل والحمار .

وأُخذ عليه أيضا قولُه فى صفة الخمر :

الْمُشْرِفُ الهيْدبُ يسعَى بِهِ أَخْضَرَ مطموثاً بماء الحريصْ(٣)

الحريص : سحابة تحرص وجه الأرض : أى تَقْشره لشدتها ، ويقال : الحريص اسم نهر بناحية الحِيرَة ، فوصف الخمر بالخضرة ، وما وصفها بذلك أحد غيره .

---

(١) ورد هذا البيت مع الاعتراض عليه فى الصناعتين (٥٤) ، والبيت للمرقش الأصغر ، واسمه ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة ، وهو عم طرفة بن العبد بن سفيان . قال أبو هلال : وكيف صحا عنها من إذا ذكرت له دارت به الأرض ..؟ والجيد فى السلو قول أوس :

صحا قلبه عن ذكره وتأملا وكان بذكرى أم عمرو موكلا

(٢) هذا عجز بيت ، وصدره قوله :

* فَصَافَ يُفَرِّى جُلَّهُ عَنْ سَرَاتِهِ *

قال ابن منظور (ف ر ه) : « فأما قول عدى بن زيد فى صفة فرس (وأنشد البيت) فزعم أبو حاتم أن عديا لم يكن له بصر بالخيل ، وقد خطىء عدى فى ذلك » اهـ .

(٣) قال أبو هلال (٧١) : « ومما لم يسمع مثله قط قول عدى بن زيد فى الخمر ، ووصفه إياها بالخضرة حيث يقول (وأنشد البيت كما أثبتناه) »والهيدب : =

وأخذ على الأعشى قوله :

وَقَدْ غَدَوْتُ إلى الحَانُوتِ يَتْبَعُنِي ... شاوٍ شَـلُولٌ مِشَلٌّ شُلْشُلٌ شَوِلُ[١]

وقالوا : هذه الألفاظ كلُّها التى بعد « شاوٍ » متقاربة فى المعنى .

وقرئ على الأصمعى قول أبى ذؤيب الهذلى[٢] :

قَصَرَ الصَّبُوحَ لَهَا فَشُرِّجَ لَحْمُهَا ... بِالنَّيِّ فَهْىَ تَثُوخُ فِيهَا الإِصْبَعُ[٣]

تَأْبَى بِدِرَّتِهَا إذا مَا اسْتُكْرِهَتْ ... إِلاَّ الحَمِيمَ فَإِنَّهُ يَتَبَضَّعُ[٤]

فقال : هذه الفرس تُساوى دِرْهمين ؛ لأنه جَعَلها كثيرة اللحم ، رِخْوَةً ، يدخل فيها الإصبعُ ، حرُونا ، إذا حُرِّكت قامت ، إلا العرق فإنه يسيل .

وقرئ على الأصمعى قولُ أبى النجم :

= الذى عليه أهداب تذبذب من بجاد ونحوه ، وكان فى أصول هذا الكتاب « والمشرف الهندى يسق به » وهو تحريف من عدة وجوه . والحريص : بالصاد المهملة كما فى القاموس وغيره ، ووقعت فى الأصول بالضاد معجمة ، وهو تحريف أيضاً ، ووقع على الصواب فى الصناعتين .

(١) غدوت : أصله الذهاب غدوة ، ثم أريد منه مطلق الذهاب ، والحانوت : دكان الخمار ، والشاوى : الذى يشوى اللحم ، والشلول والمشل والشلشل والشول كلهن بمعنى الخفيف فى العمل والخدمة والحاجة ، وسيذكر المؤلف عجز هذا البيت مرة أخرى عند الكلام على ما يستكره من جناس أبى تمام (ص٢٥٤) .

(٢) البيتان من مرثيته لأبنائه الذين ماتوا فى مصر ، وهى فى المفضليات والجمهرة ، وانظر الصناعتين (٥٨) والوساطة ١٧

(٣) قصر : حبس ، والصبوح: شرب الغداة ، وشرج : خلط ، والنى : الشحم، وتثوخ : تغيب .

(٤) « ما استكرهت » فى الجمهرة : ما استصعبت ، وفى المفضليات : ما استغضبت ، وتأبى بدرتها : تمتنع ، لا تعطيه كل جريها ، والحميم : العرق ، ويتبضع — بالضاد المعجمة وبالصاد المهملة — يرشح ويجرى قليلا قليلا ، يقول : إن جلدها يرشح بالعرق .

* يَسْبَحُ أُولاَهُ وَيَطْفُو آخِرُهُ *(١)

فقال : حِمار السكساح إذا أفزَهُ منه

وعاب الأصمعيُّ ذا الرمة بقوله :

حَتَّى إذا دَوَّمَتْ فِي الْأَرْضِ أَدْرَكَهَا كِبْرٌ وَلَوْ شَاءَ نَجَّى نَفْسَهُ الْهَرَبُ(٢)

وقال : الفصحاء لا يقولون دَوَّمَ فى الأرض ، وإنما يقولون : دَوَّمَ فى الهواء ، إذا حَلَّق ، وَدوَّى فى الأرض ، إذا ذهب .

وكان الأصمعى أيضا يَعِيبُه فى قوله :

* وَنَقْرِى عَبِيطَ الشَّحْمِ والماءُ جَامِسُ *(٣)

وقال : إنما يقال للجامد من السمن وما أشبهه جامس ، وروى ذلك عنه أبو حاتم .

وحكى أبو نصر عن الأصمعى قال : كنا نظن الطِّرِمَّاحَ شيئا حتى قال :

وَأَكْرَهُ أَنْ يَعِيبَ عَلَيَّ قَوْمِي هِجَائِي الْأَرْذَلِينَ ذَوِي الْحِنَاتِ

لأنها إحْنَةٌ وإحَنٌ ، ولا يقال حنات

---

(١) هذا بيت من الرجز المشطور ، فى صفة فرس ، وروايته هكذا :

جاء كلمع البرق جاش ماطره يسبح أولاه ويطفو آخره

* فما يمس الارض إلا حافره *

وانظر الصناعتين (٦٠) وديوان المعانى ١٠٨/٢ والوساطة ١٧

(٢) فى الجمهرة * حتى إذا دومت فى الأرض راجعه كبر . . *

(٣) هذا عجز بيت ، وصدره قوله :

* نغَارُ إذا ما الرَّوْعُ أَبْدَى عَنِ الْبُرَى *

وانظر الصناعتين (٨٣) وحماسة ابن الشجرى ٥٤ ومختار الخالديين ٢٢٣ وفيه «سديف الشحم» ونغار : مضارع من الغيرة ، والروع : الفزع ، وأبدى : أظهر ، والبرى : يقال هو كالورى وزنا ومعنى ، والمراد إذا اشتد الفزع فخرج من أجله الناس جميعا ، ونقرى : من القرى وهو إطعام الضيف،وأراد بقوله « والماء جامس » حين اشتداد البرد ؛ لأن وقت الشتاء عندهم هو زمان القحط الذى يعز فيه الجود .

وأُخذ على الآخر قوله :

فَمَا رَقَدَ الوِلْدَانُ حَتَّى رَأَيْتُهُ ... عَلَى البَكْرِ يَمْرِيهِ بساقٍ وحافِرِ (١)

فسمّى رِجْلَ الإنسان حافرا ، وهذه استعارةٌ فى نهاية القبح . وكذلك قول الآخر :

قَدْ أُفْنِي أنامِلَهُ عَضُّهُ ... فَأَضْحَى يَعَضُّ عَلَيَّ الوَظِيفا (٢)

فجعل له وظيفا مكان الرِّجْل . وكذلك قول الآخر :

سَأَمْنَعُها أَوْ سَوْفَ أَجْعَلُ أَمْرَها ... إِلَى مَلِكٍ أَظْلافُهُ لَمْ تُشَقَّقِ (٣)

وقال الحُطيئة :

قَرَوْا جارَكَ العَيْمانَ لَمَّا جَفَوْتَهُ ... وقَلَّصَ عن بَرْدِ الشَّرَابِ مشافِرُهْ (٤)

وعيب على أيمن بن خُرَيْم قوله يمدح بشر بن مروان :

فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا أُمَّ بِشْرٍ ... كَأُمِّ الأُسْدِ مِذْكاراً وَلُودَا (٥)

وقالوا : أخطأ فى أنْ جَعَلَ أم الأسد وَلُودا ؛ لأن الحيوانات الكريمة عسرة نَزْرَة النِّتاج ، والصوابُ قول كُثَيِّر :

---

(١) البيت لجبيهاء الأسدى ، وقد ورد فى الموشح (٩١) وفيه « فما برح الولدان » وفى الصناعتين ١٢١ و ٢٣٣ وفى الصحاح (ح ف ر) كما فى الموشح وفى اللسان (ح ف ر) مع بيت سابق عليه،وقال : إنه يصف ضيفا طارقا أسرع إليه.

(٢) ورد فى الصناعتين ٢٣٤ ، وفيه « قد افنى أنامله أزمه »

(٣) ورد فى الصناعتين ٢٣٤ أيضا .

(٤) ورد فى الموشح (٩١) وفى الصناعتين ٢٣٣ وفيه «سقوا جارك» والعيمان : وصف من العيمة ، وهى اشتهاء اللبن .

(٥) ورد فى الموشح (٣٢٢) وفى الصناعتين (٧٤) وقبله قوله :

ولو أعطاك بشر ألف ألف ... رأى حقا عليه أن يزيدا

وأعقب مدحتى سرجا خلنجا ... وأبيض جوزجانيا عقودا

قال العسكرى : « جميع هذا الكلام جار على غير الصواب ، إلا فى ابتداء وصفه بالتناهى فى الجود ، ثم انحط إلى مالا يقع مع الأول موقعا ، وهو السرج وغيره ، وأتى فى البيت الثالث بما هو أقرب إلى الذم منه إلى المدح ؛ لأن الناس مجمعون على أن نتاج الحيوانات الكريمة أعسر ، وأولادها أقل »

بغَاثُ الطَّيرِ أكثرُها فِراخاً ... وَأُمُّ الصَّقْرِ مِقلاتٌ نَزُورُ(١)

وقال جرير :

صارَتْ حَنِيفَةُ أثلاثاً فَثُلثُهُمُ ... مِنَ العَبِيدِ وَثُلثٌ مِنْ مَوَاليها(٢)

فقيل لرجل من بنى حنيفة : من أى الأثلاث أنت ؟ فقال : من الثلث المُلغَى

وسمع إسحاق بن إبراهيم الموصلى عمارة بن عقيل ينشد لجرير :

لَمَّا تذَكَّرْتُ بالدَّيْرَيْنِ أرَّقَنِي ... صَوْتُ الدَّجاجِ وَقَرْعٌ بالنَّوَاقيسِ(٣)

فقال : أخطأ والله أبوك ، التأذينُ لا يكون فى أول الليل ، وقال من طلب العذر لجرير : أرقنى انتظار صوت الدجاج .

وعاب الأخطلُ الفرزدقَ فى قوله(٤) :

أبنِى غُدَانَةَ إنَّنِى حَرَّرْتُكُمْ ... فوَهَبْتُكُمْ لِعَطِيَّةَ بْنِ جِعَالِ

لَوْلا عَطِيَّةُ لاجتدَعْتُ أُنُوفَكُم ... مِنْ بَيْنِ ألأمِ أعْيُنٍ وَسِبالِ

قال : وكيف وهَبهم له وهو يهجوهم بمثل هذا الهجاء ؟ وقال عطية حين بلغه الشعر : ما أسْرَعَ ما رجع أخى فى هبته !

ومدح الفرزدق الحجاج وقد دخل عليه ببيت واحد ، فقال :

وَمَنْ يَأْمَنُ الحَجَّاجَ ـ وَالطَّيْرُ تتَّقِي ... عُقُوبَتَهُ ـ إلاَّ ضَعِيفُ العَزائِمِ(٥)

---

(١) انظره فى زهر الآداب ٢/٧١ من كلة عدتها تسعة أبيات ، ولها قصة.

(٢) الموشح (١٢٦) والصناعتين ٢٦٩ وفيه « وثلث من موالينا »

(٣) الصناعتين (٨٣) والدجاج ههنا الديكة

(٤) ورد البيتان فى الصناعتين (٦٦) منسوبين إلى جرير ، قال العسكرى قبل إنشادها : « وأراد جرير أن يذكر عفوه عن بنى غدانة حين شفع فيهم عطية ابن جعال ، فهجاهم أقبح هجاء ، فقال (وأنشدها) فلما سمع عطية هذا الشعر قال : ما أسرع مارجع أخى فى عطيته »

(٥) الصناعتين (٧٥) وفيه « اجتمع جرير والفرزدق عند الحجاج ، فقال : من مدحنى منكما بشعر يوجز فيه ويحسن صفتى فهذه الخلعة له ، فقال الفرزدق (وأنشد البيت) وقال جرير :

فقال له الحجاج : الطير تتّقى الثوبَ ، وتتقى الصبى ، ما جئت بشىء ! وإنما أراد الفرزدق الطائر الذى يطير فى السماء فليست تناله يدٌ .

وأخذ على الأخطل قوله فى عبد الملك بن مروان :

وَقَدْ جَعَلَ اللهُ الخِلافَةَ مِنْهُمُ ... لِأبيَضَ لاعارِى الخِوانِ وَلاجَدْبِ (١)

وهـذا لا يُمْدَح به خليفة . . وأراد أن يمدح رجلا من بنى أسد كان أجاره ، فهجاه ؛ وكان يقال لقوم الرجل : القُيُون ، يُعَيَّرون بذلك ، فقال :

قَدْ كُنتُ أحْسِبُهُ قَيْناوَأنْبَؤُهُ ... فالْيَوْمَ طُيِّرَ عَنْ أثْوَابِهِ الشَّرَرُ (٢)

أى : فاليوم نفى ذلك عن نفسه ، فما زاد على أن نبَّه عليه ، وقد كان له فى المادح مُتَّسعٌ . وأراد أن يهجو سُوَيْدَ بن مَنْجُوفٍ فمدحه ، وذلك قوله :

فَما جِذْعُ سُوءٍ خَرَّبَ السُّوسُ وَسْطَهُ ... لِمَا حَمَّلَتْهُ وَائِلٌ بِمُطِيقِ (٣)

وأخذ على الفرزدق قوله يمدح وكيع بن أبى سويد :

إذا الْتَقَتِ الأبْطالُ أبْصَرْتَ وَجْهَهُ ... مُضِيئاً ، وَأعْناقُ الْكُماةِ خُضُوعُ (٤)

فقالوا : أساء القِسْمة ، وأخطأ الترتيب ؛ وإنما كان يجب أن يقول : أبصرته ساميا وأعناق الملوك خضوع ، أو أبصرت لونه مضيئا وألوان الكماة كاسفة .

= فمن يأمن الحجاج ؟ أما عقابه ... فمر ، وأما عقده فوثيق

يسر لك البغضاء كل منافق ... كما كل ذى دين عليك شفيق

فقال الحجاج للفرزدق : «ما عملت شيئا ، إن الطير تنفر من الصبى والخشبة . ودفع الخلعة إلى جرير » . وورد مثل ذلك فى الموشح (١١٣) وفيه أن الحجاج قال للفرزدق « كلام لا خير فيه ؛ لأن الطير تتقى كل شىء : الثوب والصبى وغير ذلك » وكان فى الأصول « الطير تتقى الثور وتتقى الظبى » وهو تحريف

(١) الموشح (١٤١) والصناعتين (٥٥)

(٢) الصناعتين (٦٤) وفيه زياده بيت قبله ، والموشح (١٣٤) وفيه زيادة بيتين أحدهما قبله والآخر بعده ، وفى كل منهما قصة .

(٣) انظر الموشح (١٣٥) وفيه « خرق السوس وسطه » والصناعتين (٦٤)

(٤) ورد فى الصناعتين ٢٦٩ منسوبا إلى الأخطل.

ومن خطأ الشعر قول عَدِى بن الرِّقاع يذكر البارى تبارك وتعالى :

وَكَفُّكَ بَسْطَةٌ وَنَدَاكَ سَحٌّ وَأَنْتَ الْمَرْءُ تَفْعَلُ ما تَقُولُ(١)

فجعل ربه مرءاً ، وعابه الأصمعى فى قوله :

لَهُمْ رَايَةٌ تَهْدِى الجموعَ كأنَّها إذاخَطَرَتْ فِى ثَعْلَبِ الرُّمْحِ طائِرُ(٢)

وقال : الراية لا تخطر ، إنما الخَطَران للرمح .

ومن فاسد اللفظ وقبيحه قولُ ذى الرمّة :

فأَضْحَتْ مَبَادِيهَا قِفارًا رُسُومُهَا كأنْلَمْ-سِوَىأَهْلٍمِنَالوحْشِ-تُؤْهَلِ(٣)

أراد : كأن لم تؤْهَلْ سوى أهل من الوحش .

ومن خطأ المديح قولُ الكميت يمدح النبى صلى الله عليه وسلم :

إلَى السِّرَاجِ المُنِيرِ أحْمَدَ لاَ تَعْدِلُ بى رَغْبَةٌ وَلاَ رَهَبُ(٤)

عَنْهُ إلَى غَيْرِهِ وَلَوْ رَفَعَ النَّـــاسُ إلَىَّ الْعُيُونَ وَارْتَقَبُوا

وَقِيلَ أفْرَطْتَ، بَلْ قَصَدْتُ، وَلَوْ عَنَّفَنِى الْقائِلُونَ أوْثَلَبُوا

لَجَّ بِتَفْضِيلِكَ اللِّسَانُ وَلَوْ أُكْثِرَ فِيكَ الضَّجاجُ وَاللَّجَبُ

فمن يعنفه ويؤنبه على مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يكثر عليه فيه الضَّجاج واللجَب ؟ وهذا لو كان قاله بين المشركين وفى صدر الإسلام لعل العذر كان يتّسع له فيه ، وقد اعتذر له معتذر واحتج محتج بأن قال : لم يرد النبى

---

(١) انظره فى الصناعتين (٧٥) وفيه « ونداك غمر » .

(٢) الصناعتين (٧١)

(٣) « مباديها » حيث تبدو فى الربيع ، وهذه روايةملفقةمن روايتين (انظر الخزانة ٣ — ٢٢٦) ووقع فى الأصول « مناديها » وهو تحريف

(٤) « إلى السراج » متعلق ببيت قبله ، وهو :

فاعتتب الشوق من فؤادى والـــشعر إلى من إليـــه معتتب

وروى « لا تعدلنى » فى مكان « لا تعدل بى » وانظر الهاشميات (ص ٨٢ طبع ليدن عام ١٩٠٤)

صلى الله عليه وسلم خاصةً بهذا الخطاب ، وإنما أراد أهلَ بيته ؛ لأنه قد قال فيهم من الشعر ما قال ، ولأن بنى أمية كانت تعنف من يمدحهم ، وتنكر أشد الإنكار على من يتخونهم[١] ، ويُغرِقُ فى الثناء عليهم والوصفِ لهم .

وعيب أيضاً الكميت بأن جمع كلمتين لا تُشْبِه إحداهما الأخرى ، وذلك قوله :

وَقَدْ رَأَيْنَا بِهَا حُوراً مُنَعَّمَةً ... روداً تَكَامَلَ فِيهَا الدَّلُّ وَالشَّنَبُ[٢]

وقال : الدَّلُّ إنما يكون مع الغَنَج أو نحوه ، والشَّنَبُ إنما يكون مع اللَّمس أو ما يجرى مَجْرَاه من أوصاف الثغر والفم ؛ والجيِّدُ ما قاله ذو الرمة :

لَمْيَاءُ فِي شَفَتَيْهَا حُوَّةٌ لَعَسٌ ... وَفِي اللِّثَاتِ وَفِي أَنْيَابِهَا شَنَبُ

ولو استقصينا هـذا الباب لطال جدا ، وإنما أوردنا ههنا منه مثالا لتعلموا أن فحولَ الشعراء ـ الذين غلبوا عليه ، وافتتحوا معانيه ، وصاروا قُدْوة ، واتبعهم الشعراء ، واحتذَوْا عَلَى حَذْوهم ، وبَنَوْا على أصولهم ـ ما عُصموا من الزَّلَل ، ولا سلموا من الغلط .

هذا فى المعانى التى هى المقصد والمرمى والغرض ، فأما ما يَوَّبه النحويون من عيوب الشعر فى الإقواء والإكفاء والسِّناد ، وغـير ذلك مما هو عَيْبٌ فى اللفظ دون المعنى ، فليست بنا حاجةٌ إلى ذكره ؛ لكثرته وشهرته . وكذلك ما أخذَتْه الرواة على المحدَثين المتأخرين ـ من الغلط والخطأ واللحن ـ أشهرُ أيضا من أن يحتاج إلى أن نبرهنه أو ندل على ذلك ؛ فلم يك أحـد من متقدِّم ولا متأخر فى خطئه ولا سَهْوِه وغلطه مجهولَ الحق ، ولا بمجحود الفضل ، بل عَفَّى عندكم إحسانُه على إساءته ، وعلا تجويدُه عَلَى تقصيره ، فـكيف خصصتم أبا تمام دون غـيره بالطعن ، وعبتموه دون مَنْ سواه بالزلل والوهن ؟ ولم يك بذلك بِدْعاً ، ولا منفرداً ، ولا إليه سابقاً ؛ فَبَخَسْتُمْ حقَّ الإحسان الذى انتشر فى الآفاق ،

---

(١) يتخونهم : يتعهدهم ، وأراد يوالِيهم ويكون لهم نصيراً .

(٢) انظر الموشح (١٩٣) وفيه « بيضا تـكامل » .

وسارت به الركبان . وتمثل به المتمثل ، وتأدَّبَ بحفظه وإنشاده المتأدب ، مما إنْ ذكرناه لم تنكروه ، وأقررتم بفضله ، وأجمعتم عَلَى استجادته واستحسانه ، فهل الظلم المستقبَحُ والتعصُّبُ المستهجَن إلا ما أنتم مُرْتكبوه وخابطون فيه ؟

١٨ — قال صاحب البحترى : أما أخذ السهو والغلطِ عَلَى مَنْ أخذ عليه من المتقدمين والمتأخرين فى البيت الواحد والبيتين والثلاثة ، وربما سَلِم الشاعر المكثِرُ من ذلك بتَّةً ، وتعرَّى منه ، حتى لاتؤخذ عليه لفظة ، وأبو تمام لاتكاد تخلو له قصيدة واحدة من عِدَّة أبيات يكون فيها مخطئاً ، أو مُحيلا ، أو عن الغرض عادلا ، أو مستعيراً استعارة قبيحة ، أو مفسدا للمعنى الذى يَقْصد بطَلب الطِّباق والتَّجنيس ، أو مُبْهما بسوء العبارة والتعقيد حتى لايفهم ، ولا يوجد له مخرج ، مما لو عددناه لكان كثيرا فاحشا ، فكيف يكون ما أخذ عَلَى الشعراء من الوَهم وقليل الغلط عذراً لمن لاتُحْصَى معايبُه ومواقعُ الخطإ فى شعره ؟ . وعلى أن أكثر ما عَدَدْتُمُوه — مما أخذته الرواة على الشعراء — صحيح ، والسهو فيه إنما دخل على الرواة ، ولو كان هذا موضعَ ذكره لذكرناه .

١٩ — قال صاحب أبى تمام الطائى : فبِمَ تدافعون قول البحترى يرثى أبا تمام وَدِعْبِلاً ، ويذمُّ مَنْ بقى بعدهما من الشعراء(١) :

قدْ زَادَ فى حُزْنى وَأَوْقَدَ لَوْعَتِى ... مَثْوَى حَبيبٍ يَوْمَ مَاتَ وَدِعْبِلِ(٢)

وَبَقَاء ضَرْبِ الخثعمىِّ وشِبْهِهِ ... من كل مُضْطَرِب القريحة مُخبل(٣)

---

(١) الأبيات غير موجودة فى ديوان البحترى ، ويوجد أولها ورابعها وخامسها فى « هبة الأيام » (ص ٥٠) وفى معاهد التنصيص (٢٧٧ بولاق) ، وخمستها موجودة فى أخبار أبى تمام ٢٧٤ .

(٢) فى الأخبار « قد زاد فى كلفى » .

(٣) كان فى أصول الكتاب « وتقاصرت بالخثعمى وشبهه » وهو تصحيف الذى أثبتناه عن الأخبار ، وفيه « مضطرب القريحة مهمل »

أهـــل المعانى المستحيلة إن هم ... طلبوا البراعة بالـكلام المقفل[1]
أخوىّ لا تَزَلِ السَّماء مُخِيلَةً ... تَغْشَا كُمَا بحَيَا السَّحابِ المُسبلِ[2]
جَدَثٌ لدَى الأهْوَازِ يَبْعُدُ دُونَهُ ... مَسْرَى النَّعِيِّ وَرِمَّةٌ بالمَوْصِلِ

فمحال أن يرثى البحترى أبا تمام ويذكر مَنْ بَعْده من الشعراء بأن قرائحهم مضطربة ومعانيهم مستحيلة وعنده أن أبا تمـام تلك صفته ، فلم تنكرون فضلَ مَنْ يعترف البحترى بفضله ، ويشهد فى الشعر له ، وتنسبُون العيبَ إليه وهذه صفته عنده ، وتلحقونه به وهو يبرئه منه ؟

٢٠ — قال صاحب البحترى: وَلِمَ لا يفعل البحترى ذلك وقد كان هو وأبو تمام بَعْد اجتماعهما وتعارفهما متصافِيَيْنِ عَلَى القرب والبعـــد ، متحابَّيْنِ متلائمين على الدنو والشَّحَط ، يجمعهما الطلب والنسَب والمـكتسَب ، ولم يكن فى زمانهما شاعر مشهور يَفد على الملوك ويَجْتَدِى بالشعر وينتسب إلى طيئ سواهما ، فليس بمنـكرٍ أن يشهد أحدهما لصاحبه بالفضـل ، ويصفه بأحسن ما فيه ، ويَنْحَلَه ماليس فيه ، وخاصةً فى الشعر ؛ ثم تأبينُ الميت فإن العادة جرت بأن يُعْطَى من التقريظ والوصف وجميـل الذكر أضعافَ ما كان يستحقه ، فلا تَدْفَعُوا العِيان فلن يَمْحَقَ وصفُ البحترى أبا تمام فى حياته وتأبينهُ إياه بعد وفاته ما ظهر من مقابحه وفضائح شعره .

٢١ — قال صاحب أبى تمام : فقد علمتم وسمعتم الرواة وكثيراً من العلماء بالشعر يقولون : جيد أبى تمام لا يتعلق به جيد أمثاله ، وإذا كان كل جيد دون جيده لم يضر ما يؤثَرُ من رديئه .

٢٢ — قال صاحب البحترى : إنما صار جيد أبى تمام موصوفاً لأنه يأتى فى تضاعيف الردىء الساقط ؛ فيجىء رائقاً لشدة مباينته مايليه فيظهر فضله بالإضافة ،

---

(١) فى الأخبار « طلبوا البداعة والـكلام المقفل » بعطف « الـكلام » على « المعانى » .

(٢) فى الأخبار « بحيا مقيم مسبل »

ولهذا قال له أبو هفان : إذا طَرَحْتَ دُرَّةً فى بحر خُرْء فمن الذى يغوص عليها ويخرجها غيرك ؟ والمطبوعُ الذى هو مستوِى الشعر قليلُ السقط لايبين جيده من سائر شعره بينونة شديدة،ومن أجل ذلك صار جيد أبى تمام معلوماً وعَدَدُهُ محصوراً.

وهذا عندى ـ أنا ـ هو الصحيح ؛ لأنى نظرت فى شعر أبى تمام والبحترى وتلقَّطت محاسنهما ، ثم تصفحت شعريهما بعد ذلك على مر الأوقات ؛ فما من مرة إلا وأنا أُلحِق فى اختيار شعر البحترى ما لم أكن اخترته من قبل ، وما أعلم أنى زدتُ فى اختيار شعر أبى تمام ثلاثين بيتاً على ما كنت اخترته قديماً .

٢٣ — قال صاحب أبى تمـام : أفتنكرون كثرة ما أَخَذَه البحترى من أبى تمام ، وإغراقه فى الاستعارة من معانيه ؟ فأيهما أولى بالتقدمة : المستعير ، أو المستعار منه ؟

وقد[1] ابتدأنا بالجواب عن هذا فى صدر كلامنا ، ونحن نُتِمُّه فى هذا الموضع إن شاء الله تعالى : أما ادِّعاؤكم كثرةَ الأخذ منه فقد قلنا إنه غير منكرٍ أن يكون أخذ منه مِنْ كثرة ما كان يرد على سمع البحترى من شعر أبى تمام فيعتلق معناه : قاصدا الأخذ ، أو غيرَ قاصدٍ ، لكن ليس كما ادعيتم وادعاه أبو الضياء بشر بن تميم فى كتابه ؛ لأنا وجدناه قد ذكر ما يشترك الناس فيه ، وتجرى طباع الشعراء عليه ، فجعله مسروقاً ، وإنما السَّرَق يكون فى البديع الذى ليس للناس فيه اشتراك ، فما كان من هذا الباب فهو الذى أخذه البحترى من أبى تمام ، لاماذكره أبو الضياء وحَشَا به كتابه ، وأنا أذكر هذين الشيئين فى موضعهما من الكتاب، وأبين ما أخذه البحترى من أبى تمام على الصحة ، دون ما اشتركا فيه ؛ إذ كان غير منكر لشاعرين متناسبين من أهل بلدين متقاربين أن يتفقا فى كثير من المعانى ، لا سيما ما تقدم الناس فيه ، وتردد فى الأشعار ذكره ، وجرى فى الطباع والاعتياد من الشاعر وغير الشاعر استعماله .

---

(١) يظهر لنا أنه قد سقط من صدر هذه العبارة « قال صاحب البحترى » .

وبعـد ؛ فينبغى أن تتأملوا محاسن البحترى ، ومختار شعره ، والبارعَ من معانيه ، والفاخِرَ من كلامه ؛ فإنكم لاتجدون فيه على غَزْره وكثرته حرفاً واحداً مما أخذه من أبى تمام ، وإذا كان ذلك إنما يوجد فى المتوسط من شعره فقد قام الدليل على أنه لم يعتمد أخذه ، وأنه إنما كان يطرق سمعه فيلتبس بخاطره فيورده.

تمّ احتجاج الخصمين بحمد الله.

• • •

وأنا أبتدىء بذكر مساوى هذين الشاعرين لأختم بذكر محاسنهما ، وأذكر طَرَفاً من سرقات أبى تمام ، وإحالاته ، وغَلَطه ، وساقط شعره ، ومساوى البحترى فى أخذ ما أخذه من معانى أبى تمام ، وغير ذلك من غلطٍ فى بعض معانيه ، ثم أوازن من شعريهما بين قصيدتين إذا اتفقتا فى الوزن والقافية وإعراب القافية ، ثم بين معنًى ومعنًى ؛ فإن محاسنهما تظهر فى تضاعيف ذلك ، ثم أذكر ما انفرد به كل واحد منهما فجوّده من معنًى سلكه ولم يسلكه صاحبه ، وأفرد بابا لما وقع فى شعريهما من التشبيه ، وبابا للأمثال ، أختم بهما الرسالة ، وأضع ذلك بالاختيار المجرد من شعريهما ، وأجعله مؤلفا على حروف المعجم ؛ ليقرب مُتَنَاوَلُه ، ويسهل حفظه ، وتقع الإحاطة به ، إن شاء الله تعالى.

سرقات أبى تمام

كان أبوتمام مشتهراً بالشعر ، مشغوفاً به ، مشغولا مدةَ عمره بتخيرِه ودراسته ، وله كتبُ اختيارات فيه مشهورة معروفة ؛ فمنها الاختيار القبائلىّ الأكبر اختار فيه من كل قصيدة ، وقد مر على يَدَىَّ هذا الاختيار ، ومنها اختيار آخر ترجمته القبائلى اختار فيه قطعاً من محاسن أشعار القبائل ، ولم يوردْ فيــه كبيرَ شىء للمشهورين ، ومنها الاختيار الذى تلقط فيــه محاسنَ شعرِ الجاهلية والإسلام ، وأخذ من كل قصــيدة شيئاً حتى انتهى إلى إبراهيم بن هَرْمَة ، وهو اختيار مشهور معروف باختيار شعراء الفحول ، ومنها اختيار تلقَّط فيه أشياء من الشعراء المقلّين والشعراء المغمورين غير المشهورين ، وبوّبه أبوابا ، وصدره بما قيـل فى

الشجاعة ، وهو أشهر اختياراته ، وأكثرها فى أيدى الناس ، ويُلقب بالحماسة ، ومنها اختيار المقطعات ، وهو مُبوَّب على ترتيب الحماسة ، إلا أنه يذكر فيه أشعار المشهورين وغيرهم والقدماء والمتأخرين ، وصَدَّره بذكر الغزل ، وقد قرأتُ هذا الاختيار ، وتلقطت منه نُتَفاً وأبياتاً كثيرة ، وليس بمشهور شهرة غيرهِ ، ومنها اختيار مجرد فى أشعار المحدثين ، وهو موجود فى أيدى الناس ؛ وهذه الاختيارات تدل على عنايته بالشعر ، وأنه اشتغل به ، وجعله وُكْدَه ، واقتصر من كل الآداب والعلوم عليه ، فإنه ما شئ كبير من شعر جاهلى ولا إسلامى ولا محدث إلا قرأه واطلع عليه ، ولهذا أقول : إن الذى خفى [من] سرقاته أكثرُ مما قام منها ، على كثرتها .

وأنا أذكر ما وقع إلى فى كتب الناس من سرقاته ، وما استنبطته أنا منها واستخرجته ؛ فإن ظهرتُ بعد ذلك منها على شىء ألحقته بها ، إن شاء الله .

١ ـــ قال الكميت الأكبر ، وهو الكميت بن ثعلبة :

وَلا تُكْثِرُوا فيهِ اللَّجاجَ فَإنَّهُ مَحا السَّيْفُ مَاقَالَ ابنُ دَارَةَ أجْمَعَا(١)

أخذه الطائى فقال :

* السَّيْفُ أصْدَقُ أنباءً مِنَ الكُتُبِ(٢) *

---

(١) كان ابن دارة ـ وهو سالم بن مسافع بن عقبة بن يربوع ـ قد هجا فزارة هجاء مقذعاً ، فبلغ هجاؤه زميل بن أبير أحد بنى عبد الله بن مناف الفزارى ، فحلف ألا يأكل لحماً ولا يغسل رأسه ولا يأتى امرأة حتى يقتل ابن دارة ، ثم أمكنته فيه الفرصة فقتله ، وقال فى قتله إياه :

أنا زميل قاتل ابن داره وغاسل المخزاة عن فزاره

* ثم جعلت عقله البكاره *

وفى مقتل ابن دارة يقول الكميت بن ثعلبة هذا البيت ؛ وهو الكميت الأكبر

(٢) هو صدر مطلع قصيدة يقولها أبو تمام فى مدح أمير المؤمنين المعتصم بالله ابن هارون الرشيد ، وعجزه قوله :

* فى حده الحد بين الجد واللعب *

وانظر الديوان (ص ٧)

وذلك أن أهل التنجيم كانوا حكموا بأن المعتصم لا يَفتَح عمورية ، وراسلته الروم : إنا نجد فى كُتُبنا أن مدينتنا هذه لاتفتح إلا فى وقت إدراك التين والعنب ، و بيننا و بين ذلك الوقتِ شهورٌ يمنعك من المقام فيها البردُ والثلج ، فأبى أن ينصرف ، وأكبَّ عليها حتى فتحها وأبطل ماقالوه ، فلذلك قال الطائى :

* السَّيفُ أصْدَقُ أنْباءً مِنَ الكُتُبِ *

وهو أحسن ابتداءاته .

٢ — وقال النابغة يصف يوم الحرب :

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طالِعَةٌ ... لاالنُّورُ نُورٌ وَلا الإظْلامُ إظْلامُ[1]

أخذه الطائى، فقال وذكر ضوء النهار وظلمة الدخان فى الحريق الذى وصفه :

ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ وَالظَّلْماءُ عاكِفَةٌ ... وَظُلْمَةٌ مِنْ دُخانٍ فى ضُحًى شَحِبِ
فالشَّمْسُ طالِعَةٌ مِنْ ذا، وقَدْ أفَلَتْ ... وَالشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذا ،وَلَمْ تَجِبِ

٣ — وقال الأعشى :

وإنَّ صُدُورَ العِيسِ سَوْفَ يَزُورُكُمْ ... ثَناءٌ عَلَى أعْجازِهِنَّ مُعَلَّقُ

أخذه الطائى فقال[2] :

مِنَ القِلاصِ اللَّوَاتى فِى حَقائبِها ... بِضاعَةٌ غَيْرُ مُزْجاةٍ مِنَ الكَلِمِ

٤ — وقال مسلم بن الوليد فى صفة الخمر :

قُتِلَتْ وعاجلها المدير ولم يُقَدْ ... فإذا به قـــد صَيَّرَتْهُ قتيلا

---

(١) وذكر صاحب الصناعتين (١٤٧) أن النابغة أخذ هذا البيت من قول وهب ابن الحارث بن زهرة :

تبـدو كواكبه والشمس طالعة ... يجرى على الـكأس منه الصاب والمقر

وأنشده فى ديوان المعانى ٢/٦٧ مع تغيير فى عجزه ، وأنشده فيه مرة أخرى ٢/٧٠ مع بيت سابق عليه .

(٢) البيت من قصيدة له يمدح فيها مالك بن طوق أولها :

سلم على الربع من سلمى بذى سلم ... عليـه وسم من الأيام والقـدم

انظر الديوان (٢٦٨)

أخذه الطائى وأحسن الأخذ فقال :

إِذَا الْيَـدُ نَالَتْهَا بِوِتْرٍ تَوَقَّرَتْ ... عَلَى ضِغْنِهَا ثُمَّ اسْتَقَادَتْ مِنَ الرِّجْلِ (١)

وإن كان أخذها من ديكِ الجنّ فلا إحسان له ؛ لأنه أتى بالمعنى بعينه ، قال ديك الجن :

تظـــل بأيدينا تَقَعْقَعُ روحُهَا ... وتأخذ من أقدامنا الراحُ ثارَها

كذا وجدته فيما نقلته ، وليس ينبغى أن يُقْطَع على أيهما أخذ من صاحبه ؛ لأنهما كانا فى عصر واحد .

٥ — وقال الأعشى :

وَأَرَى الْغَوَانِيَ لا يُوَاصِلْنَ امْرَأً ... فَقَدَ الشَّبَابَ وَقَدْ يَصِلْنَ الْأَمْرَدَا

أخذ الطائى المعنى والصفة فقال (٢) :

أَحْلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ مَوَاقِعاً ... مَنْ كَانَ أَشْبَهَهُمْ بِهِنَّ خُدُودَا

٦ — وقال البَعِيث :

وَإِنَّا لَنُعْطِى الْمَشْرَفِيَّةَ حَقَّهَا ... فَتَقْطَعُ فى أَيْمَانِنَا وَتُقَطَّعُ (٣)

فقال الطائى :

فَمَا كُنْتُ إلا السَّيْفَ لَاقَى ضَرِيبَةً ... فَقَطَّعَهَا ثُمَّ انْثَنَى فَتَقَطَّعَا (٤)

---

(١) البيت من قصيدة له يصف فيها تقتير الرزق عليه وهو بمصر (الديوان ٤١٩) وأولها قوله :

أصب بحميا كأسها مقتل العذل ... تكن عوضا إن عنفوك من النبل

(٢) البيت من غزل قصيدة له يمدح فيها خالد بن يزيد الشيبانى (الديوان ص ٨٨) وأولها قوله :

طلل الجميع لقد عفوت حميدا ... وكفى على رزئى بذاك شهيدا

(٣) ورد فى أخبار أبى تمام (١٠٠)

(٤) لايوجد هذا البيت فى الديوان ، وهو فى أخبار أبى تمام (٩٨) ثانيا ثين

٧ — وقال الطائى :

وَرَكْبٍ كأطرافِ الأسِنَّةِ عَرَّسُوا ... عَلَى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ تَسْطُو غَيَاهِبُهْ (١)
لِأَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ ... وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهْ

أخذ صدر البيت الأول من قول كُثَيِّر :

وَرَكْبٍ كأطرافِ الأسِنَّةِ عَرَّسُوا ... قَلَائِصَ فِي أَصْلَابِهِنَّ نُحُولُ

ويشبه قول البَعِيث :

أطافَتْ بِشُعْثٍ كالأسِنَّةِ هُجَّدٍ ... بِخَاشِعَةِ الأصْوَاءِ غُبْرٍ صُحُونُهَا

وأخذ معنى البيت الثانى من قول الآخر :

غُـلام وَغًى تقحَّمها فأبْلَى ... فَخَانَ بَلاءَهُ الدَّهْرُ الخَؤُونُ
فَكَانَ عَلَى الفَتَى الإقْدَامُ فِيهَا ... وَلَيْسَ عَلَيْهِ ما جَنَتِ المَنُونُ

٨ — وقال جِرَانُ العَوْدِ يصف الخيال :

سَقْياً لِزَوْرِكَ مِنْ زَوْرٍ أتاكَ بِهِ ... حَدِيثُ نَفْسِكَ عَنْهُ وَهْوَ مَشْغُولُ

فذكر العِلَّةَ فى طروق الخيال ، وهو السابق لهذا المعنى ، فأخذه العباس بن الأحنف فقال :

خَيالُكِ حِينَ أرْقُدُ نُصْبُ عَيْنِي ... إلَى وَقْتِ انْتِبَاهِي ما يَزُولُ
وَلَيْسَ يَزُورُنِي صِلَةً ، وَلَـكِنْ ... حَدِيثُ النَّفْسِ عَنْكِ هُوَ الوَصُولُ

فتبعه الطائى فقال :

زَارَ الخَيالُ لَهَا ، لا، بَلْ أزارَكَهُ ... فِكْرٌ إذا نامَ فِكْرُ الخَلْقِ لَمْ يَنَمِ (٢)

---

(١) سبق ذكر هذين البيتين وبيان ما أخذهما منه (انظر ص ١٥و١٦ من هذا الكتاب) وارجع إلى الصناعتين (١٥٤) وما ذكرناه هناك من المراجع . ثم انظر (ص ١٠٤ من هذا الكتاب)

(٢) هو من غزل قصيدة يمدح فيها مالك بن طوق (الديوان ٢٦٨) وفيه « إذا نام فكر الخلق » وما هنا أحسن

وقال فى هذا المعنى أيضاً :

ثَمَّ فما زارَكَ الْخَيالُ وَلٰكِنَّــكَ بِالفِكْرِ زُرْتَ طَيْفَ الْخَيالِ (١)

٩ — وقال أبو تمام الطائى (٢) :

أمَّا الهجاء فَدَقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ وَالْمَدْحُ فِيكَ ، كَمَا عَلِمْتَ ، جَلِيلُ

فاذْهَبْ فَأَنْتَ طَلِيقُ عِرْضِكَ إنَّهُ عِرْضٌ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ

أخذه من قول هشام المعروف بالحلو أحد الشعراء البصريين يهجو بشار ابن برد :

بِذِلَّةِ وَالدِيكَ كَسَبْتَ عِزًّا وَباللُّؤْمِ اجْتَرَأْتَ عَلَى الْجَوابِ (٣)

فأخذه إبراهيم بن العباس فأجاد وأحسن :

نَجَا بِكَ عِرْضُكَ مَنْجَى الذُّبابِ حَمَتْهُ مَقَــاذِرُهُ أَنْ يُنَالا (٤)

١٠ — وقال الطائى :

وَالشَّيْبُ إِنْ طَرَدَ الشَّبابَ بَيَاضُهُ كالصُّبْحِ أَحْدَثَ لِلظَّلامِ أُفُولا

---

(١) من أبيات فى الغزل (الديوان ٤٥٩) . قلت : ومن قوله فى هذا المعنى أيضاً

استزارته فكرتى فى المنام فأتانى فى خيفة واكتتام

(انظر الديوان ص ٤٦٠)

(٢) نسبهما فى أخبار أبى تمام (٤١) إلى مسلم بن الوليد ، وهما فى ديوان مسلم (٢٤٢) ونسبهما فى الكامل إلى دعبل بن على الخزاعى ، ونسبهما فى هبة الأيام (١٦٠) إلى أبى تمام .

(٣) فى أخبار أبى تمام (٤٢) وسمى قائله أباهشام ، ونسبه فى المنتحل (١٤٤) إلى البحترى

(٤) فى أخبار أبى تمام (٤٣) مع بيت سابق عليه ، وذكر أن صاحبه هو إبراهيم ابن العباس بن محمد بن صول تكين الصولى ، وهو عم أبى بكر الصولى صاحب أخبار أبى تمام ، والمقول له هذا البيت محمد بن عبدالملك بن أبان ، ونسبه فى اليتيمة ٢٥٨/٢ إلى ابن الزيات ، وكذلك فى معاهد التنصيص ٥٣/٤ بتحقيقنا ، وذكر معه أبياتا فى معناه ، ومنها ما يوافقه فى بعض ألفاظه

أراد قول الفرزدق :

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبابِ كَأَنَّهُ … لَيْلٌ يصيحُ بِجانِبَيْهِ نَهارُ

فقصَّر عنه

١١ — وقال قيس بن ذريح :

بَلِيغٌ إذا يَشْكُو إِلَى غَيْرِها الْهَوى … وَإِنْ هُوَ لاقاها فَغَيْرُ بَلِيغِ

أخذه الطائى فقال :

لِمْ تُنْكِرِينَ مَعَ الْفِراقِ تَبَلُّدِى … وَبَرَاعَةُ الْمُشْتاقِ أَنْ يَتَبَلَّدَا (١)

١٢ — وقال الحطيئة:

إِذَا هَمَّ بِالأَعْدَاءِ لَمْ يَثْنِ هَمَّهُ … حَصَانٌ عَلَيْهَا لُؤْلُؤٌ وَشُنُوفُ

فأخذه كُثَيِّر فقال :

إذا هَمَّ بالأعْدَاءِ لَمْ يَثْنِ هَمَّهُ … حَصَانٌ عَلَيْهَا عِقْدُ دُرٍّ يَزِينُهَا

أخذه الطائى فخلط ؛ لقصده إلى مجانسة اللفظ ، فقال :

عَدَاكَ حَرُّ الثُّغُورِ الْمُسْتَضَامَةِ عَنْ … بَرْدِ الثُّغُورِ، وَعَنْ سَلْسالِهَا الْحَصِبِ (٢)

١٣ — وقال مسلم بن الوليد :

قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عاداتٍ وَثِقْنَ بِهَا … فَهُنَّ يَتْبَعْنَهُ فِي كُلِّ مُرْتَحَلِ

أخذه الطائى فقال :

وَقَدْ ظُلِّلَتْ عِقْبانُ أَعْلامِهِ ضُحًى … بِعِقْبانِ طَيْرٍ فِي الدِّماءِ نَوَاهِلِ (٣)

---

(١) هو من غزل قصيدة يمدح فيها أحمد بن عبد الكريم (الديوان ص ١٢٥) وأولها قوله :

يا دار ، دار عليك أرهام الندى … واهتز روضك فى الثرى فترأدا

(٢) من قصيدته فى مدح المعتصم بعد فتح عمورية (الديوان ص ١٠) وعداك : صرفك، والثغور الأولى : المواضع التى تخشى المخافة من جهتها ، والمستضامة: التى أصابها الضيم ، والثغور الثانية : المباسم ، والسلسال : العذب البارد

(٣) من قصيدة له يمدح فيها المعتصم بالله (الديوان ص ٢٤٨) وأولها قوله :

غدا الملك معمور الحرا والمنازل … منور وحف الروض عذب المناهل

وانظر مع ذلك معاهد التنصيص (٥٤٠ بولاق)

أَقَامَتْ مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَأَنَّهَا مِنَ الْجَيْشِ إِلاَّ أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلِ

فأتى فى المعنى زيادةً ، وهى قوله « إلا أنها لم تقاتل » وجاء به فى بيتين .

وقد ذكر المتقدمون هذا المعنى ؛ فأولُ من سبق إليه الأفْوَه الأَوْدِىّ ، وذلك قوله:

وَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثارِنا رَأْىَ عَيْنٍ ثِقَةً أنْ سَتُمَارْ

فتبعه النابغة فقال :

إذا مَا غَزَوْا بالْجَيْش حلّقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِى بِعَصَائِبِ [1]

جَوَانِحُ قَدْ أَيْقَنَّ أَنَّ قَبِيلَهُ إذا ماالْتَقَى الْجَمْعَانِ أَوَّلُ غَالِبِ

فأخذه حميد بن ثور فقال يصف الذئب :

إذَا مَا غَدَا يَوْماً رَأَيْتَ غَمَامَةً مِنَ الطَّيْرِ يَنْظُرْنَ الَّذِى هُوَصَانِعُ [2]

وقال أبو نُوَاس :

تَتَأَيَّا الطَّيْرُ غَزْوَتَهُ ثِقَةً بِالشِّبْعِ مِنْ جَزَرِهْ

أى : تتعمد وتقصد [3]

١٤ ــ وقال منصور النَّمَرِىُّ يمدح الرشيد [4] :

وَعَيْنٌ مُحِيطٌ بِالْبَرِيَّةِ طَرْفُهَا سَوَاءٌ عَلَيْهِ قُرْبُهَا وَبَعِيدُهَا

أخذه أبو تمام فقال :

---

(١) فى دلائل الإعجاز (٣٦٠) « إذا ما غدا » وفيه فى الثانى « إذا ما التقى الصفان » وفى معاهد التنصيص والديوان كما هنا

(٢) فى المطبوعات الثلاث

* إذا ما غزا يوما رأيت غيابة *

وما أثرناه عن معاهد التنصيص ، وهو أليق

(٣) تتأيا : من قولهم تأيا فلان الشىء ، إذا تحرى آيته وقصد إليها . وآية الشىء : شخصه ، وجزر الطير والسباع : اللحم .

(٤) فى المطبوعات « منصور النميرى » وليس بشىء .

أطَلَّ على كُلَى الآفاقِ حتى ... كأنَّ الأرضَ في عينيهِ دارُ[١]

عجز هذا البيت حسَن جداً ، وبيت النمرى أحبُّ إلىَّ ؛ لأن معناه أشرح

١٥ ـــ وقال مسلم بن الوليد :

فَلَمَّا انقضَى اللَّيلَ الصَّباحُ وَصَلتُهُ ... بحاشيةٍ مِن لونهِ المُتَورِّدِ

أخذه أبو تمام فقال :

حُطَّتْ على قُبَّةِ الإسلامِ أرحُلُهُ ... والشمسُ قد نفضتْ وَرْساً على الأُصُلِ[٢]

هذا ما ذكره ابن المنجم ، والذى أظنه أنه أخذه من قول الآخر :

* وَالشَّمْسُ صَفْرَاء كَلَوْنِ الْوَرْسِ *

١٦ ـــ وقال مرار الفقعسىُّ فى وصف الأثافىّ :

أثرُ الوقودِ على جوانبها ... بخدودهنَّ كأنَّهُ لطمُ

أخذه أبو تمام فقال :

أثافٍ كالخدودِ لُطِمْنَ حُزْناً ... ونُؤْىٌ مثلما انفصمَ السِّوارُ[٣]

أوردَ المعنى فى مصراع ، وأتى بالمصراع الثانى بمعنى آخر يليق به فأجاد ، إلا أن بيت المرار أشرح وأوضح معنًى ؛ لقوله «أثر الورود على جوانبها» فأبان المعنى الذى من أجله أشبه الخدودَ الملطومة .

١٧ ـ وقال أبو نُوَاس :

فالخمرُ ياقوتةٌ والكأسُ لؤلؤةٌ ... مِنْ كفِّ لؤلؤةٍ ممشوقةِ القدِّ

---

(١) من قصيدة يمدح فيها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان ١٤١) وكلى الآفاق : جوانبها ونواحيها

(٢) من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغرى ويذكر حجه (الديوان ٢٥٠) وفيه « إلى عمدة الإسلام » . والورس : نبات أصفر اللون . والأصل ـ بضمتين ـ جمع أصيل ، وهو الوقت قبيل غروب الشمس

(٣) الديوان (١٤١) ، والأثافى : الحجارة التى تنصب عليها القدر ، والنؤى : حفيرة كانوا يصنعونها حول خيامهم لتمنع تسرب المطر إلى داخلها ، وانفصم : انقطع ، والسوار : واحد الأساور

أخذه أبو تمام فقال وأساء :

أَوْ دُرَّةٌ بَيْضاءُ بِكْرٌ أُطْبِقَتْ حبلا عَلَى يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءِ[١]

لأن قوله « حبلا » كلام قبيح مستكره جدا

١٨ ـ وقال أبو تمام[٢] :

نَقِّلْ فُؤَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى ما الْحُبُّ إِلا لِلْحَبِيبِ الأَوَّلِ

أخذه من قول كُثَيِّر :

إذا وَصَلَتْنا خُلَّةٌ كَيْ تُزِيلَها أَبَيْنا ، وَقُلْنا : الْحَاجِبِيَّةُ أَوَّلُ[٣]

وذكر محمد بن داود بن الجراح فى كتابه أنه أخذ المعنى من قول ابن الطَّثْرِيَّةِ[٤] إذ يقول :

أَتَانِي هَوَاها قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى
فَصَادَفَ قَلْباً فَارِغاً فَتَمَكَّنَا

وهذا أجود ما قيل فى هذا المعنى ؛ لأنه ذكر العلة

---

(١) من قصيدة يمدح فيها يحيى بن ثابت (الديوان ٣) وفيه « أطبقت حملا » وقبل هذا البيت :

وكأن بهجتها وبهجة كأسها نار ونور قيدا بوعاء

(٢) الديوان (٤٥٧) من أربعة أبيات فى الغزل ، وبعده :

كم منزل فى الأرض يألفه الهوى وحنينه أبداً لأول منزل

وانظر أخبار أبى تمام (٢٦٣ ومابعدها) والصناعتين (١٥٢) وأسرار البلاغة ١٠٢ ودلائل الإعجاز ٢٧٩ والبيان والتبيين ٢/٤٥ وشرح الشريشى على المقامات ١/١٥

(٣) فى دلائل الإعجاز ٢٧٩ « إذا ما أرادت خلة أن تزيلنا » وفى أخبار أبى تمام (٢٦٤) إذا وصلتنا... لتزيلها » وانظر طبقات ابن سلام ١٢٢ ، وابن قتيبة ٣١٦ و٣٢٩

(٤) فى المطبوعات « من قول الطثرية » وليس بشىء ، وابن الطثرية : هو يزيد بن سلمة الخير من بنى عامر بن صعصعة ، وأمه من طثر ، بطن من عنز ، ونسب البيت فى البيان والتبيين (٢/٤٥) لمجنون بنى عامر قيس بن الملوح

١٩ ـ وقال أبو تمام[١] :

وَمَا سافَرْتُ فِي الآفاقِ إلاّ ... وَمِنْ جَدْوَاكَ رَاحِلَتِي وَزَادِي
مُقِيمُ الظَّنِّ عِنْدَكَ وَالأمانِي ... وَإنْ قَلِقَتْ رِكابِي فِي الْبِلادِ

أخذه من قول أبي نُواس :

وَإنْ جرَتِ الألفاظُ يَوْماً بِمَدْحَةٍ ... لِغَيْرِكَ إنساناً فأنْتَ الّذي نَعْنِي

وقد كان ابن أبي دُؤاد[٢] سأله عن هـذا المعنى حين أنشده القصيدة ، فقال : أهو مما اخترعته ؟ فقال : أخذته من قول ابن هانى :

* وَإنْ جرَتِ الألفاظُ يَوْماً بِمَدْحَةٍ *

٢٠ ـ وقال ابن الخياط[٣] في قصيدة يمدح بها المهدى ، فأجازه بجائزة ففرّقها في الدار ، فبلغه فأضْعَفَ له الجائزة ، فقال :

لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أبْتَغِي الْغِنَى ... وَلَمْ أدْرِ أنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدِي

أخذه أبو تمام فقال :

عَلَّمَنِي جُودُكَ السَّماحَ ، فَمَا ... أبْقَيْتُ شَيْئاً لَدَيَّ مِنْ صِلَتِكْ[٤]

وبيت ابن الخياط أبلغ وأجود

٢١ ـ وقال دِعْبِل بن على :

وَإنَّ امْرَأً أسْدَى إلَيَّ بِشَافِعٍ ... إلَيْهِ وَيَرْجُو الشُّكْرَ مِنِّي لَأحْمَقُ[٥]

---

(١) من قصيدة يمدح فيها أحمد بن أبي دؤاد (الديوان ٧٩) وانظر أخبار أبي تمام (١٤١) وجدواك : عطائك ومنحتك ، وراحلتي : ناقتي

(٢) في المطبوعات « ابن أبي داود » وهو تحريف يعلم صوابه من الديوان ومن أخبار أبي تمام

(٣) هو عبدالله بن محمد بن سالم بن يونس ، من شعراء الدولتين . انقطع أولا إلى آل الزبير ومدحهم ، وانظر الصناعتين أيضا (١٤٩) والوساطة ١٧٢

(٤) ليس البيت في الديوان ، وانظر أخبار أبي تمام (١٥٨ وما بعدها) فقد ذكره أول أربعة أبيات ، وذكره في الوساطة (١٧٢) مفردا كما هنا

(٥) الصناعتين (١٦٠) أسدى إليك : منحك وأعطاك ، يريد أن الذي لا يعطيك إلا بعد أن تتوسل إليه بالشفعاء لا يستحق مدحا على عطائك ، إنما يستحقه الشفعاء .

شَفِيعَكَ فَاشْكُرْ فِي الحَوائِجِ ؛ إِنَّهُ   يَصُونُكَ عَنْ مَكْرُوهِهَا وَهْوَ يَخْلَقُ

فأخذه أبو تمام فقال وألطف المعنى وأحسن اللفظ :

فَلَقِيتُ بَيْنَ يَدَيْكَ حُلْوَ عَطائِهِ   وَلَقِيتَ بَيْنَ يَدَيَّ مُرَّ سُؤالِهِ (١)

وَإِذا امْرُؤٌ أَهْدَى إِلَيْكَ صَنِيعَةً   مِنْ جاهِهِ فَكَأَنَّها مِنْ مالِهِ

٢٢ ـ وقال مسلم بن الوليد فى الحجاب ، وأخطأ فى المعنى :

كَذَلِكَ الغَيْثُ يُرْجَى فِي تَحَجُّبِهِ   حَتَّى يُرَى مُسْفِراً عَنْ وابِلِ المَطَرِ

أخذه أبو تمام فقال :

لَيْسَ الحِجابُ بِمُقْصٍ عَنْكَ لِي أَمَلاً   إِنَّ السَّماءَ تُرَجَّى حِينَ تَحْتَجِبُ (٢)

إلا أن لبيت أبى تمام وجها من الصواب ، وقد ذكرته فى باب فى هذا الكتاب مع ما أخذ على مسلم فى بيته من العيب

٢٣ ـ وقال النابغة الجعدى :

وَتَسْتَلِبُ الدُّهْمَ الَّتِي كانَ رَبُّها   ضَنِيناً بِها ، وَالحَرْبُ فِيها الحَرائِبُ (٣)

فأخذه أبو تمام فقال وقصر عنه :

لَمَّا رَأَى الحَرْبَ رَأْيَ العَيْنِ تُوفَلِسٌ
وَالحَرْبُ مُشْتَقَّةُ المَعْنَى مِنَ الحَرَبِ (٤)

أو أخذه من قول إبراهيم بن المهدى :

---

(١) من ستة أبيات يقولها فى إسحاق بن أبى ربعى كاتب أبى دلف يسأله أن يشفع له (الديوان ٢٤٠) وانظر أخبار أبى تمام (٦٤)

(٢) من أربعة أبيات يعتب بها على أبى دلف ، وقيل : على عبدالله بن طاهر (الديوان٢٢)وأخبار أبى تمام ٢٢١وفيه ذكر الخلاف فيمن قيلت له على أربعة أقوال

(٣) أنشده أبو هلال فى ديوان المعانى ٢ / ٦٦ والصولى فى أخبار أبى تمام مع بيتين سابقين عليه ٥٤ و ٥٥ .

(٤) من مدحته فى المعتصم بعد فتح عمورية (الديوان ١٠) والحرب ـ بفتحتين ـ سلب الأموال ، وانظر الأخبار (٥٤)

وَسَعَّرُوا الحَرْبَ وَاسْمُ الحَرْبِ قَدْ عَلِمُوا ... لَوْ يَنْفَعُ العِلْمُ مُشْتَقٌ مِنَ الحَرَبِ [١]

٢٤ — وقالت مريم بنت طارق [٢] ترثى أخاها فى أبيات أنشدها ابن الأنبارى فى أماليه :

كُنَّا كَأَنْجُمِ لَيْـلٍ بَيْنَهَا قَمَرٌ ... يَجْلُو الدُّجَى، فهوَى مِنْ بَيْنِهَا القَمَرُ

أخذ أبو تمام اللفظ والمعنى ، فقال :

كأن بَنِى نَبْهَانَ يَوْمَ وَفَاتِهِ ... نُجُومُ سَمَاءٍ خَـرَّ مِنْ بَيْنِهَا البَدْرُ

أو أخذه من قول جرير يرثى الوليد بن عبد الملك :

أَمْسَى بَنُوهُ وَقَدْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُمْ ... مِثْلَ النُّجُومِ هَوَى مِنْ بَيْنِهَا القَمَرُ

ولست أدرى أيهما أخذ من صاحبه ؟ أمريم أخذت من جرير أم جرير أخذ منها ؟

وروى دِعْبِل بن على الخزاعى لأبى سُلْمى المزنى ، من ولد زهير ، واسمه مكنفٌ [وهو [٣]] الذى [كان [٣]] يهجو بنى القَعْقاع آلَ ذُفافة العَبْسِىِّ فيقول :

إنَّ الضُّرَاطَ بِهِ تَعَاظَمَ مَجْدُكُمْ ... فَتَعَاظَمُوا ضَرِطًا بَنِى القَعْقَاعِ [٤]

قال دعبل : فلما مات ذُفافة رثاه أبو سُلْمى فقال :

---

(١) فى المطبوعات « ومسعر الحرب » وفى أخبار أبى تمام « هم هيجوا الحرب » وسعروها : أو قدوا نارها

(٢) نسبه فى أخبار أبى تمام(١٣٣) إلى صفية الباهلية ، ووجد فى ديوان الخنساء (١٣٤) ونسبه فى ديوان المعانى ١ / ١٧ إلى صفية الباهلية مع بيت قبله ، وسيذكره المؤلف مرة أخرى فى سرقات البحترى من أبى تمام ٣٢٥ .

(٣) زيادة يقتضيها السياق

(٤) فى أخبار أبى تمام (٢٠٠) وفيه « تصاعد جدكم » وفيه سبعة أبيات من الرثاء اشتركت مع سبعة الأبيات الآتية فى ١و٢و٣و٤و٥ مع تخالف فى الترتيب وفيها بيتان زائدان عما هنا ، كما أن فى ماهنا زيادة بيتين، وفى الوساطة ١٥٢ رواية سبعة الأبيات على ترتيب روايتها هنا ، إلا أنها هناك ثمانية بزيادة بيت بين الثانى والثالث

أبَعْدَ أبِي العَبَّاس يُسْتَعْتَبُ الدَّهْرُ ... ومَا بَعْدَهُ لِلدَّهْرِ عُتْبَى ولا عُذْرُ
ألاَ أيُّهَا النَّاعِي ذُفافةَ ذا النَّدَى ... تَعِسْتَ وَشَلَّتْ مِنْ أنامِلِكَ العَشْرُ
وَلاَ مَطَرَتْ أرْضاً سَمَاء، وَلاَ جَرَتْ ... نُجُومٌ، وَلاَ لَذَّتْ لِشَارِبِهَا الخَمْرُ
كَأنَّ بَنِي القَعْقَاعِ بَعْدَ وَفَاتِهِ ... نُجُومُ سَمَاء خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا البَدْرُ
تُوُفِّيَتِ الآمالُ بَعْدَ ذُفافَةٍ ... فَأصْبَحَ فِي شُغْلٍ عَنِ السَّفْرِ السَّفْرُ
يُعَزَّوْنَ عَنْ ثَاوٍ تُعَزَّى بِهِ العُلاَ ... وَيَبْكِي عَلَيْهِ البَأْسُ وَالجُودُ وَالشِّعْرُ
ومَا كانَ إلاَّ مَالَ مَنْ قَلَّ مَالُهُ ... وَذُخْراً لِمَنْ أمْسَى وَلَيْسَ لَهُ ذُخْرُ

قال أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح : قال أبو محمد اليزيدى : أنشدنى دِعْبِلٌ هذه القصيدة ، وجعل يعجّبنى من الطائى فى ادعائه إياها ، وتغييره بعضَ أبياتها .

٢٥ — وقال مسلم بن الوليد يرثى :

فَاذْهَبْ كَمَا ذَهَبَتْ غَوَادِي مُزْنَةٍ ... أثْنَى عَلَيْهَا السَّهْلُ وَالأجْبالُ

أخذ أبو تمام المعنى وقصّر فى العبارة ، فقال[1] :

وَقَفْنَا فَقُلْنَا بَعْدَ أنْ أُفْرِدَ الثَّرَى ... بِهِ مَا يُقَالُ فِي السَّحَابَةِ تُقْلِعُ

وتقصيرُه عن مسلم أن مسلماً قال « أثنى عليها السهل والأجبال » فأراد أن هذه السحابة عمّت بنفعها ، وفى قول أبى تمام « ما يقال فى السحابة تقلع » إبهام ، لأنه لم يُفْصح بالثناء عليها وأنها نفعت، وقد يقال فى السحابة إذا أقلعَتْ ماهو غير المدح والثناء ، إذا نزلت فى غير حينها ، وفى غير وقت الحاجة إليها ، وكثيراً ما يضرُّ المطر إذا كانت هذه حالَه ، وإن كان أبو تمام لم يُرد هذا القِسْم ، وإنما أراد القسم الآخر فقط ؛ فقصّر فى العبارة والشرح ، ألا ترى إلى قول الشاعر الأول ما أحْسَنَ ما شرَط ، وهو طَرَفَةُ :

---

(١) من قصيدة يرثى فيها إدريس بن بدر السامى (الديوان ٣٧٣) وفيه
* وقمنا فقلنا بعد أن أفرد الندى *

فَسَقَى دِيَارَكِ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةٌ تَهْمِى (١)

قال « غير مفسدها » لما دعا لها بالسُّقْيا الذى يدوم ، وقال البحترى :

أَلَحَّ جُوداً فَلَمْ تَضْرُرْ سَحَائِبُهُ وَرُبَّمَا ضَرَّ عِنْدَ الحَاجَةِ المَطَرُ

وقول أبى تمام « ما يقال فى السحابة تقلع » يحتاج إلى تفسير مع سَرِقته .

٢٦ — وقال العباس بن الأحنف :

سَأَطْلُبُ بُعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرُبُوا وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدُّمُوعَ لِتَجْمُدَا (٢)

أخذه الطائى فقال :

أَآلِفَةَ النَّحِيبِ ، كَمِ افْتِرَاقٍ أظل فَكَانَ دَاعِيَةَ اجْتِمَاعِ (٣)

وبيت الأعرابى — وهو عُرْوة بن الوَرْد — أجْوَدُ من بيتيهما ، وهو قوله :

تَقُولُ سُلَيْمَى : لَوْ أَقَمْتَ بِأَرْضِنا، وَلَمْ تَدْرِ أَنِّى لِلْمُقَامِ أُطَوِّفُ (٤)

٢٧ — وقال أبو تمام :

أُسَرْبِلُ هُجْرَ القَوْلِ مَنْ لَوْ هَجَوْتُهُ إذاً لَهَجَانِى عَنْهُ مَعْرُوفُهُ عِنْدِى (٥)

---

(١) من كلة له يمدح فيها قتادة بن مسلمة الحنفى ، وكان قد بذل لقوم طرفة فى عام جديب (انظر العقد الثمين ٢١ والديوان ٦٢ ومعاهد التنصيص ١٦٣ بولاق)

(٢) انظر معاهد التنصيص (٢٤ بولاق) والصناعتين (١٦٥) والوساطة ١٨٠

(٣) من قصيدة يمدح فيها ابن أصرم (الديوان ١٩٣) . وفيه « ألم فكان » والنحيب : البكاء . وألم : نزل وعرض ، وفى الوساطة ١٨٠ « أظل فكان » وفى معاهد التنصيص ٢٥ « أظل فكان » .

(٤) انظر ديوان عروة بن الورد (٩٣ طبع الجزائر) وفيه «لو أقمت لسرنا» وأطوف — بتشديد الواو — أكثر الطواف والجولان ، وانظر الصناعتين (١٦٥ و ١٦٨) والوساطة ١٨٠ والأغانى ٣ / ٨٢ الدار والمعاهد ٢٥ وفيه قصة طريفة جرت بين ثعلب والمبرد بشأن بيت أبى تمام .

(٥) من قصيدة يمدح فيها موسى بن إبراهيم الرافقى ويعتذر إليه (الديوان ١٢٩) وانظر معاهد التنصيص (١٧ بولاق) وقبل البيت المذكور :

فكيف وما أخللت بعدك بالحجى وأنت فلم تخلل بمكرمة عندى

وانظر الصناعتين أيضا (١٦٢) .

أخذ المعنى من قول بعض الخوارج (١) وسامه قطرىّ بن الفجاءة قتالَ الحجاج فأبى ؛ لأن الحجاج كان منّ عليه ، فقال :

أأقاتلُ الحجّاجَ عنْ سُلطانِهِ ... بيدٍ تقرُّ بأنها مـــولاتُه
إنى إذاً لأخو الدناءةِ والذى ... غطّتْ على إحسانِهِ جهلاتُهُ
ماذا أقولُ إذا وقفتُ إزاءهُ ... فى الصفِّ فاحتجّتْ لهُ فعلاتُه
أأقولُ جارَ علىَّ ؟ لا ، إنى إذاً ... لأحقُّ منْ جارتْ عليهِ ولاتُهُ
وتحدّثَ الأقوامُ أنَّ صنائعاً ... غُرِستْ لدىَّ فحنظلتْ نخلاتُهُ

٢٨ ـــ وقال قيس بن الخطيم (٢) :

قضى لها اللهُ حينَ صوّرَها الـــخالقُ أنْ لا يُكِنّها سَدَفُ

أخذه أبو تمام فقال :

فمحجّبتْ منْ شمسٍ إذا حُجِبتْ بدتْ ... منْ نورِها فكأنها لمْ تُحْجَبِ (٣)

أو أخذه من قول أبى نواس :

ترى ضوءَها منْ ظاهرِ الكأسِ ظاهراً ... عليكَ ، ولوْ غطّيتَها بغطاءِ

٢٩ ـ وقال مسلم بن الوليد :

يُصيبُ منكَ معَ الآمالِ طالبُها ... حِلماً وعِلماً ومعرُوفاً وإسلاما

---

(١) انظر حديثه فى أخبار أبى تمام (٢٠٥) وفيه خمسة الأبيات التى يرويها هنا باختلاف يسير ، ومعها هناك سادس . وانظر دلائل الإعجاز (٢٦٠)

(٢) انظر ديوانه (١٧ طبع ليبزج) والسدف ـ بفتحتين ـ الظلمة ، ومثله السدفة ـ بضم فسكون ـ ويكنها : يسترها . ويروى « يجنها » وفى المطبوعات الثلاث « وقضى الله حين صورها » والوزن به غير قائم ؛ فالبيت من قصيدة من المنسرح أولها قوله :

رد الخليط الجمال فانصرفوا ... ماذا عليهم لو أنهم وقفوا ؟

والتصويب عن الديوان وانظر الأغانى ٣/٢٣الدار ، وشرح مختار الخالديين ١٤٢

(٣) من قصيدة يمدح فيها عمر بن طوق (الديوان ١٢) وفيه « فنعمت من شمس » .

أخذه أبو تمام فقال[١] وبَرّز عليه وإن كان بيت مسلم أَجْمَعَ للمعنى :

نَرْمِى بِأَشْبَاحِنَا إِلَى مَلِكٍ   نَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ أَدَبِهْ

٣٠ ـ وقال أبو نُوَاس :

تَبْـكِى الْبُدُورُ لِضِحْـكِهِ   وَالسَّيْفُ يَضْحَكُ إِنْ عَبَسْ

أراد بالبدور جمع بَدْرة ، فأخذه أبو تمام فقال وقصر عنه :

كُلَّ يَوْمٍ لَهُ وَكُلَّ أَوَانٍ   خُلُقٌ ضَاحِكٌ وَمَالٌ كَئِيبٌ[٢]

فبإزاء هذا البيت قولُ أبى نواس « تبـكى البدور لضحكه » وقولُه « والسيف يضحك إن عبس » فَضْلٌ

٣١ ـ وقال جرير[٣] :

* وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللهِ أَرْكَانَا *

أخذه أبو تمام فجعله فى الخمر فقال :

وَضَعِيفَةٍ فَإِذَا أَصَابَتْ فُرْصَةً   قَتَلَتْ ، كَذَلِكَ قُدْرَةُ الضُّعَفَاءِ[٤]

---

(١) من قصيدة يمدح فيها أبا الحسن محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمى (الديوان ٥٢) وقبل البيت قوله :

لست من العيس أو أكلفها   وخدا يداوى المريض من وصبه

للمصطفى محتدا أبى الحسن انـ   ـصعن انصياع الكدرى فى قربه

(٢) من قصيدة يمدح فيها محمد بن عبد الملك الزيات (الديوان ٥٨)

(٣) هذا عجز مشهور ، وقبله :

إن العيون التى فى طرفها حور   قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لاحراك به   وهن أضعف — إلخ

وانظر الشعراء لابن قتيبة

(٤) من قصيدة يمدح فيها يحيى بن ثابت (الديوان ٣) وقبله :

عنبية ذهبية سبكت لها   ذهب المعانى صاغة الشعراء

صعبت وراض المزج سيىء خلقها   فتعلمت من حسن خلق الماء

خرقاء يلعب بالعقول حبابها   كتلاعب الأفعال بالأسماء

٣٢ — وقال رجل من بنى أسد ، وكان أبو عبد الله الجرشى (١) أحد شعراء الشاميين أنشدنيه لبعض شعراء بنى أسد :

تَغَيَّبْتُ كَى لا تحتَوِينِى دِيارُكُمْ ... وَلَوْ لَمْ تَغِبْ شَمْسُ النَّهارِ لَمُلَّتِ

أخذه الطائى فقال :

فَإنى رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحبَّةً ... إلَى النَّاسِ إذ لَيْسَتْ عَلَيهِمْ بسَرْمَدِ (٢)

فأما قول الإيادى:

فَإِنى رَأَيْتُ القَطْرَ يُسْأَمُ دَائِباً ... وَيُسْأَلُ بالأيْدِى إذا هُوَ أَمْسَكا (٣)

فمن أبى تمام أخذه ؛ لأنه متأخر بعده .

٣٣ — وقال مسلم بن الوليد :

مُوفٍ عَلَى مُهَجٍ وَاليَوْمُ ذُو رَهَجٍ ... كأَنَّهُ أَجَلٌ يَسْعَى إلَى أَمَلِ

فأخذه الطائى فقال وقصّر :

رَآهُ العِلْجُ مُقْتَحِماً عَلَيْهِ ... كما اقْتَحَمَ الفَنَاءُ عَلى الخُلُودِ (٤)

٣٤ — وقال قَطَرِىّ بن الفُجَاءة :

ثُمَّ انْثَنَيْتُ وَقَدْ أَصَبْتُ وَلَمْ أُصَبْ ... جَذَعَ البَصِيرَةِ قارِحَ الإقْدامِ (٥)

أخذه أبو تمام فقال :

وَمُجَرَّبُونَ سَقَاهُمُ مِنْ بَأْسِهِ ... فَإِذَا لَقُوا فَكَأَنَّهُمْ أَغْمَارُ (٦)

---

(١) كذا ، ولم أعثر على تحقيقه ، وفى الشعراء المغمورين من اسمه أبو عبد الله الجدلى ، ومن اسمه أبو عبد الله السلمى

(٢) من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائى (الديوان ١٠١) وفيه « أن ليست عليهم » وأنشده الصولى فى أخبار أبى تمام ٦١ مع أبيات سابقة عليه ، وأنشده الجرجانى فى أسرار البلاغة ١٠٦ مع بيت سابق عليه .

(٣) أنشده الشريشى ١/٢٧٠ ثانى اثنين (٤) الديوان (١٠٥) والعلج ـ بكسر فسكون ـ الرجل الضخم من كفار العجم. (٥) انظر شرح الحماسة للتبريزى (١ـ١٣٠) وجذع البصيرة : حال من الضمير المستتر فى « انصرفت »

(٦) الديوان (١٤٨) لقوا : التقوا بالعدو ، وأغمار : غير مجربين ، وانظره فيما يلى (ص ٢٩٤ طبعة أولى)

وقد ذكر هذا المعنى فى بيت آخر فقال :

كَهْلُ الْأَنَاةِ فَتَى الشَّذَاةِ، إذا غدَا ... لِلحَرْبِ كانَ الْماجِدَ الْغِطْرِيفا[1]

٣٥ — وقال آخر :

يَبِيعُ وَيَشْتَرِى لَهُمُ سواهم ... وَلَـكِنْ بالطِّعَانِ هُمُ تِجارُ

ويروى «بالرماح» ، أخذه الطائى فقال وقصّر وغير المعنى وجاء بغرض آخر:

لُفُظٌ لِأَخْلاقِ التِّجَارِ ، وَإِنَّهُمْ ... لَغَدًا بِمَا ادُّخِرُوا لَهُ لَتِجَارُ[2]

٣٦ — وقال أبو نُوَاس يمدح الخصيب[3] :

فَمَا جَازَهُ جُودٌ ، وَلا حَلَّ دُونَهُ ... وَلَـكِنْ يَسِيرُ الْجودُ حَيْثُ يَسِيرُ

[أخذه أبو تمام فقال :

إِلَيْكَ تَنَاهَى المَجْدُ مِنْ كلِّ وِجْهَةٍ ... يَصِيرُ فما يَعْدُوكَ حَيْثُ تَصِيرُ]

٣٧ — وقال جرير يهجو الأخطل :

مازِلْتَ تَحْسَبُ كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَهُمْ ... خَيْلاً تَكُرُّ عَلَيْكُمْ وَرِجَالاً

أخذه أبو تمام فقال :

---

(١) الديوان (٢٠٧) وفيه «إذا عدا» وفيه «كان القشعم الغطريفا» والأناة : الحلم . والشذاة : القوة ، أو بقيتها ، والقشعم : الأسد ، والغطريف: السيد الشريف

(٢) لفظ ـ بضمتين ـ جمع لافظ ، على غير قياس . واللافظ للشىء : الطارح له المهمله ، يعنى أنهم يتركون أخلاق التجار لدناءتها ، ولـكنهم لـكثرة ما أحرزوا من المحامد والمـكرمات ، ولـكثرة ما اكتسبوا بها من ثناء وحمد، يشبهون التجار، فقد اشتروا حمد الناس وثناءهم عليهم بكريم سجاياهم فـكانوا الرابحين . وانظر الديوان (١٤٨) وفيه : * وإنهم بكثير ما فضلوا به لتجار *
وكان فى الأصول «لقط» بالقاف والطاء المهملة ، وهو تحريف ، صوابه عن الديوان

(٣) سقط هنا من جميع الأصول بيت أبى تمام الذى يقال إنه مسروق المعنى من بيت لأبى نواس ، وقد بحثت ديوان أبى تمام حتى عثرت على البيت الذى أثبته بين المعقوفين ، وهو يشبه بيت أبى نواس لفظا ومعنى ، وهو من أبيات يمدح فيها أحمد ابن أبى دواد ، ثم رأيت بعد ذلك بيت أبى نواس وبيت أبى تمام فى الوساطة ٢١٩ ومعهما أبيات لشعراء مختلفين فيهم الأسبق من أبى نواس وأبى تمام جميعا ، وعثرت فى ثمرات الأوراق ٢١١ على بيتين للفرزدق يقولهما فى طلحة بن عبيد الله

حَيْرَانَ يَحْسَبُ سِجْفَ النَّقْعِ مِنْ دَهَشٍ ... ثَوْبًا يُحَاذِرُ أَنْ يَنْقَضَّ أَوْ جُرُفَا[١]

وأخذ جرير المعنى من قول الله تعالى : (يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ)[٢]

٣٨ — وقال مسلم يرثى :

سَلَكَتْ بِكَ الْعَرَبُ السَّبِيلَ إِلَى الْعُلَى ... حَتَّى إذا سَبَقَ الرَّدَى بِكَ دَارُوا

نَفَضَتْ بِكَ الْآمَالُ أَحْلَاسَ الْمُنَى ... وَاسْتَرْجَعَتْ نُزَّاعَهَا الْأَمْصَارُ

أخذه أبو تمام فقال :

تُوُفِّيَتِ الْآمَالُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ... فَأَصْبَحَ مَشْغُولًا عَنِ السَّفَرِ السَّفْرُ[٣]

أو أخذ ذلك من أبي سُلْمَى يرثى ذُفَافَةَ العبسى كما حكى دِعْبِلٌ[٤] .

٣٩ — وقال تَوْبة بن الحمير :

يَقُولُ أُنَاسٌ : لا يَضُرُّكَ نَأْيُهَا ... بَلَى كُلُّ ما شَفَّ النُّفُوسَ يَضِيرُهَا

أخذه أبو تمام فقال وزاد فيه :

لا شَيْءَ ضَائِرُ عَاشِقٍ ، فَإِذَا نَأَى ... عَنْهُ الْحَبِيبُ فَكُلُّ شَيْءٍ ضَائِرُهْ[٥]

٤٠ — وقال عنترة :

فَشَكَكْتُ بِالرُّمْحِ الطَّوِيلِ ثِيَابَهُ ... لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمُحَرَّمِ

أخذه أبو تمام فقال[٦] :

يَحْمِلْنَ كُلَّ مُدَجَّجٍ ، سُمْرُ الْقَنَا ... بِإِهَابِهِ أَوْلَى مِنَ السِّرْبَالِ

قال ذلك لأنه ظن أن عنترة أراد الثياب نفسها ، وإنما أراد عنترة بقوله « ثيابه » نفسه .

---

(١) من قصيدة يمدح فيها أبا دلف العجلى (الديوان ٢٠٢) وقبله قوله :
ومر بابك مر الريح منجذبا ... محلوليا دمه المعسول لو رشفا

(٢) من الآية ٤ من سورة المنافقين (٣) من قصيدته فى رثاء محمد وقحطبة وأبى نصر ، بنى حميد الطوسى (الديوان ٣٦٨) وانظر (١٠٤ من هذا الكتاب)

(٤) انظر (ص ٥٩ و ٦٠) من هذا الكتاب

(٥) من غزل قصيدة يمدح فيها نصر بن منصور بن بسام (الديوان ١٥٥)

(٦) من قصيدة يمدح فيها المعتصم بالله ويذكر أخذ بابك (الديوان ٢٦١)

٤١ — وقال مسلم بن الوليد :

يَكْسُو السُّيُوفَ نُفُوسَ النَّاكِثِينَ بِهِ   وَيَجْعَلُ الْهَامَ تِيجَانَ الْقَنا الذُّبُلِ (١)

أخذه أبو تمام وأساء الأخذ وتعسّف اللفظ فقال (٢) :

أَبْدَلْتَ أَرْؤُسَهُمْ يَوْمَ الْكَرِيهَةِ مِنْ   قَنـا الظُّهُورِ قَنا الْخَطِّيِّ مُدَّعَما

أو أخذا المعنى جميعاً من قول جرير :

كَأَنَّ رُؤُوسَ الْقَوْمِ فَوْقَ رِماحِنا   غَداةَ الْوَغَى تِيجانُ كِسْرَى وَقَيْصَرا

٤٢ — وقال امرؤ القيس :

سَمَوْتُ إِلَيْها بَعْدَ ما نَامَ أَهْلُها   سُمُوَّ حَبَابِ الْمَاءِ حالاً على حالِ

أخذه أبو تمام وعدل به إلى وجه المديح فقال :

سَمَا لِلْعُلا مِنْ جانِبَيْها كِلَيْهِما   سُمُوَّ حَبَابِ الْمَاءِ جاشَتْ غَوارِبُهْ (٣)

وما قيل فى إخفاء الحركة والدبيب أبلغ ولا أبرع من بيت امرىء القيس هذا

٤٣ — وقال الفرزدق يهجو جريرا :

أَنْتُمْ قَرَارَةُ كُلِّ مَدْفَعِ سَوْءَةٍ   وَلِكُلِّ سائِلَةٍ تَسِيرُ قَرارُ (٤)

أخذ أبو تمام اللفظ والمعنى جميعاً فقال :

وكانَتْ لَوْعَةً ثُمَّ اطْمَأَنَّتْ   كَذاكَ لِكُلِّ سائِلَةٍ قَرارُ (٥)

---

(١) سيذكره المؤلف فى سرقات البحترى مرة أخرى (ص ٢٨٥) وفيه «يكسو السيوف رءوس الناكثين به» وسيذكر بيت جرير هناك أيضا بغير اختلاف. وانظر ثلاثة الأبيات فى الوساطة ١٧٦ .

(٢) من قصيدة يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم المصعبى (الديوان ٣٠٣) والخطى: المنسوب إلى الخط ، وأراد به الرمح ، ومدعما : مسندا .

(٣) من قصيدة يمدح فيها عبدالله بن طاهر بن الحسين بن مصعب (الديوان ٤٥) وفيه « عباب الماء » والعباب : معظم الماء ، وجاشت : زخرت أو اضطربت ، وغواربه : أعالى موجه

(٤) أنشده فى ديوان المعانى ١/١٧٥ ،وفيه «كل معدن سوءة» و«سائلة تسيل»

(٥) من قصيدة يمدح فيها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان ١٤١) وورد فى ديوان المعانى ١/١٧٥ وفيه « وكانت زفرة »

٤٤ — وقال محمد بن بشير الخارجى من خارجة عَدْوَانَ :

وَإذا رَأَيْتَ صَدِيقَهُ وَشَقِيقَهُ   لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا أخو الأرْحامِ

أخذه أبو تمام فقال :

فَلَوْ أَبْصَرْتَهُمْ وَالزَّائِرِيهِمْ   لَمَا مِزْتَ الْحَمِيمَ مِنَ الْبَعِيدِ(١)

فقصّر عن الأول

٤٥ — وقال بعض الأعراب يصف المصلوبَ ، أنشده ثعلب :

قامَ وَلَمَّا يَسْتَعِنْ بِساقِهِ   أَلِفَ مَثْواهُ عَلَى فِرَاقِهِ

* كَأَنَّمَا يَضْحَكُ فِي إشْرَاقِهِ *

أخذ أبو تمام قوله « ألف مثواه على فراقه » فقال :

لا يَبْرَحُونَ وَمَنْ رَآهُمْ خَالَهُمْ   أَبَدًا عَلَى سَفَرٍ مِنَ الْأَسْفارِ(٢)

٤٦ — وقال مسلم بن الوليد وهو معنى سُبِقَ إليه :

لا يَسْتَطِيعُ يَزِيدُ مِنْ طَبِيعَتِهِ   عَنِ الْمُرُوءَةِ وَالْمَعْرُوفِ إحْجَامَا

أخذ أبو تمام المعنى فكشفه وأحسن اللفظ وأجاد فقال :

تَعَوَّدَ بَسْطَ الْكَفِّ حَتَّى لَوَ انَّهُ   دَعاها لِقَبْضٍ لَمْ تُجِبْهُ أَنَامِلُهْ(٣)

٤٧ — وقال ذو الرمة(٤) :

وَلَيْلٍ كَجِلْبَابِ الْعَرُوسِ أَدَّرَعْتُهُ   بِأَرْبَعَةٍ وَالشَّخْصُ فِي الْعَيْنِ وَاحِدُ

أَحَمُّ عِلافِيٌّ ، وَأَبْيَضُ صَارِمٌ   وَأَعْيَسُ مَهْرِيٌّ ، وَأَرْوَعُ مَاجِدُ

أخذه أبو تمام فقصّر وليس هو المعنى بعينه فقال :

الْبِيدُ وَالْعِيسُ وَاللَّيْلُ التَّمَامُ مَعًا   ثَلاثَةٌ أَبَدًا يُقْرَنَّ فِي قَرَنِ(٥)

---

(١) ليس لهذا البيت وجود فى الديوان

(٢) من قصيدة يمدح فيها المعتصم ويذكر إحراق الأشفين (الديوان ١٥٤)

(٣) من قصيدة يمدح فيها المعتصم (الديوان ٢٣٢) وفيه « ثناها لقبض لم تطعه »

(٤) العلافى : الرجل العظيم ، والأحم : الأسود ، وقيل : الأبيض ، والأعيس من الإبل : ما فى لونه أدمة (وانظر الصناعتين ١٧٥ و ٢٢١)

(٥) من قصيدة يمدح فيها أبا الحسن على بن قرة (الديوان ٣٣٤) وفيه « العيس والهم والليل التمام » والعيس : الإبل ، والقرن : الحبل ، وانظر أخبار أبى تمام (٨٢ وما بعدها) وسيذكره المؤلف أخرى مرة فى ٢٩٥ طبعة أولى

والذى اتبع ذا الرمة فأحسن الاتباع البحترىُّ فى قوله[1] :

يَا خَلِيلَيَّ بِالسَّوَاجِرِ مِنْ أُدِّ ... بْنِ مَعْنٍ وَبُحْتُرِ بْنِ عَتُودِ
أُطْلُبَا ثَالِثاً سِوَاىَ فَإِنِّى ... رَابِعُ الْعِيسِ وَالدُّجَى وَالْبِيدِ

٤٨ — وقال النابغة الذبيانى، وكان الأصمعى يتعجب من جودته :

وَعَيَّرَتْنِى بَنُو ذُبْيَانَ خَشْيَتَهُ ... وَهَلْ عَلَىَّ بِأَنْ أَخْشَاكَ مِنْ عَارِ

أخذه أبو تمام فقال وزاد ذكر الموت :

خَضَعُوا لِصَوْلَتِكَ الَّتِى هِىَ عِنْدَهُمْ ... كَالْمَوْتِ يَأْتِى لَيْسَ فِيهِ عَارُ[2]

٤٩ — وقال كعب بن زهير يمدح قريشا :

لا يَقَعُ الطَّعْنُ إِلاَّ فى نُحُورِهِمُ ... وَمالَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ

أخذه أبو تمام — كما قال لى بعض الرواة — فقال يرثى بنى حُمَيد :

لَوْ خَرَّ سَيْفٌ مِنَ الْعَيُّوقِ مُنْصَلِتاً ... ما كانَ إِلاَّ عَلَى هاماتِهِمْ يَقَعُ[3]

روى الشاميون أن أبا تمام سئل عن هـذا المعنى ، فقال : أخذته من قول نادبة : لو سقط حجر من السماء على رأس يتيم ما أخطأ ، فأما قول كعب «لا يقع الطعن إلاّ فى نحورهم» فإنما أراد أنهم لا يولون الدبر ، وليس من معنى أبى تمام فى شىء .

٥٠ — وقال يصف الراية :

---

(١) من قصيدة يمدح فيها محمد بن عبد الملك الزيات (الديوان : ١ / ٢٠٥) وفيه « يا نديمى بالسواجير من ود — إلخ » . وسيذكر المؤلف ثانى هذين البيتين فى ٢٩٦ ، وفى الشريشى ١/٧١ بيتا ذى الرمة وبيتا البحترى وبيت آخر لأبى تمام رواه المؤلف فى ٨٤ من هذا الكتاب ، وفى الشريشى أبيات أخرى فى المعنى لشعراء آخرين وانظر الحيوان للجاحظ ٣/٢٥٠ وديوان المعانى ٢/٣٤٢ والعمدة ٢/٢٩

(٢) من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد (الديوان ١٤٦) وفيه «خشعوا» وانظر أخبار أبى تمام (٩٩)

(٣) من قصيدة يرثى فيها بنى حميد (الديوان ٣٧١) وفيه « منصلت » وهى خير مما هنا ، وخر : سقط ، والعيوق : نجم ، ومنصلت : ماض نافذ فى ضريبته . وانظر الأخبار ١٣٨ ، وكان فى الأصول « يرثى حميداً »

تَخفِقُ أثناؤُهَا عَلَى مَلِكٍ   يَرَى طِرادَ الأبطالِ مِنْ طَرَدِهْ[١]

أخذه من قول أبي نواس :

* تَعُدُّ عينَ الوَحْشِ مِنْ أقواتِها *

وأخذه أبو نواس من قول أبي النجم :

* تَعُدُّ عاناتِ اللوَى مِنْ مالِها *

٥١ — وقال أبو تمام يستهدى نبيذاً :

وَهِيَ نَزْرٌ لَوْ أَنَّها مِنْ دُمُوعِ الصَّـــبِّ لَمْ تَشْفِ مِنْهُ حَرَّ الْغَلِيلِ[٢]

أخذه من قول الآخر أو أخذه الآخر منه ، والمعنيان متشابهان :

لَوْ كانَ ما أهْدَيْتَهُ إثمِدًا   لَمْ يَكْفِ إلاَّ مُقْلَةً واحِدَهْ

٥٢ — وقال يصف مغنية تغنّى بالفارسية :

وَلَمْ أفْهَمْ مَعانِيَهَا ، وَلَكِنْ   شَجَتْ كَبِدِي فَلَمْ أجْهَلْ شَجاها[٣]

أخذه من قول الحسين بن الضحاك على ما فى قول الخليع من المناقضة[٤] :

وَما أفْهَمُ ما يَعْنِي   مُغَنِّينا إذا غَنَّى

سِوَى أنِّيَ مِنْ حُبِّي   لَهُ أسْتَحْسِنُ المَعْنَى

لأنه قال « ما أفهم ما يعنى » ثم قال « أستحسن المعنى » وإنما أراد بالمعنى اللَّحْنَ ، لا معنى القول ، وأجود من ذلك كله قول حُمَيد بن ثور يصف الحمامة :

وَلَمْ أرَ مِثْلِي شاقَهُ صَوْتُ مِثْلِها   وَلا عَرَبِيًّا شاقَهُ صَوْتُ أعْجَما[٥]

---

(١) من قصيدة يمدح فيها خالد بن يزيد الشيبانى (الديوان ٩٣) وأثناؤها : منعطفاتها ، والطرد : مزاولة الصيد

(٢) من كلمة يعتب فيها على أبى على موسى القمى (الديوان ٤٠٧) والنزر : القليل ، والغليل : العطش. وانظره فى أخبار أبى تمام ٢١٣ سابع ثمانية ، وفى زهر الآداب ١/١٣٧

(٣) الديوان ٤٦٧ ، وفيه « ورت كبدى » وشجت : أحزنت ، وورت : أوقدت ، وشجاها : طربها أو حزنها ، وأنشده الشريشى ١/١٩ كالديوان

(٤) روى صاحب أخبار أبى تمام ٢١٥ هذين البيتين ، وروى قبلهما ثلاثة ، وذكر أن من الناس من يذكر أنها لأبى نواس ، ولا يثبت ذلك عنده

(٥) يروى   * ولم أر مثلى هاجه اليوم مثلها *

وهذا البيت رواه الصولى فى أخبار تمام ٢١٥ و ٢١٦ ثالث ثلاثة ، وصاحب زهر الآداب ١/٢٠١ والمبرد فى الكامل ، والجاحظ فى الحيوان ٣/١٩٧ وخزانة الأدب ٤/٢٩٩ بولاق.

٥٣ — وقال الفرزدق يرثي امرأة له ماتت حاملا[١] :

وَجَفْنِ سِلاحٍ قَدْ رُزِئْتُ فَلَمْ أَنُحْ عَلَيْهِ وَلَمْ أَبْعَثْ عَلَيْهِ البَوَاكِيَا
وَفِي بَطْنِهِ مِنْ دَارِمٍ ذُو حَفِيظَةٍ لَوَ انَّ المَنَايَا أَمْهَلَتْهُ لَيَالِيَا

فقال أبو تمام وأجاد اللفظ وأحسن الأخذ وأصاب التمثيل ، فقال يرثي ابنين صغيرين ماتا لعبد الله بن طاهر :

لَهفِي على تِلْكَ المَخَايِلِ فِيهِما لَوْ أُمْهِلَتْ حَتَّى تَكُونَ شَمَائِلا[٢]
إِنَّ الهِلالَ إِذا رَأَيْتَ نُمُوَّهُ أَيْقَنْتَ أَنْ سَيَكُونُ بَدْراً كَامِلا

٥٤ — وقال أبو تمام :

صِلِّتَانٌ أَعْدَاؤُهُ حَيْثُ كَانُوا فِي حَدِيثٍ مِنْ ذِكْرِهِ مُسْتَفَاضِ[٣]

فأخطأ في قوله « مستفاض » وإنما هو مستفيض ، وقد احتجَّ له محتج بأن قال : أراد مستفاض فيه ، وإنما جعلهم يُفيضون في ذكره لأنهم أبدا على حال وَجَلٍ واحتراس من إيقاعه بهم ؛ فهم لا يقطعون ذِكرَه من شدة الخوف منه ، ألا تراه قال « حيث حلوا » أي : هم بهذه الحال قريبا كانت دارهم منه أو بعيد

وأخذ هذا المعنى من قول أعشى باهِلةَ يرثي أخاه لأمه المنتشر :

لا يَأْمَنُ القَوْمُ مُمْساهُ وَمُصْبَحَهُ فِي كُلِّ فَجٍّ وَإِنْ لَمْ يَغْزُ يُنْتَظَرُ[٤]

أو من قول عُرْوَة الصَّعاليك :

وَإِنْ بَعُدُوا لا يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ تَشَوُّفَ أَهْلِ الغَائِبِ المُتَنَظَّرِ[٥]

(١) انظر البيتين في أخبار أبي تمام ٢٢٠ وزهر الآداب ١/٢١٠ وديوان المعاني ٢/١٧٧ والصناعتين ١٥٥

(٢) الديوان (٣٨٠) وفيه « على تلك الشواهد » وفيه « أيقنت أن سيعود » وسيذكر المؤلف ثاني هذين البيتين في سرقات البحتري ٣١٠ ، وقد أنشدهما في أخبار أبي تمام ٢١٧ و ٢١٨ وفي ديوان المعاني ٢/١٧٨ وفي زهر الآداب ١/٢١٠ وفي الصناعتين ١٥٥ وأسرار البلاغة ١٠٧ والكامل للمبرد

(٣) من قصيدة يمدح فيها أحمد بن أبي دؤاد (الديوان ١٨٧) والصلتان : الشجاع الجريء

(٤) جمهرة أشعار العرب (١٣٧ بولاق) (٥) ديوان عروة (٨٠) وفيه « فإن بعدوا » وسيذكره المؤلف في سرقات البحتري ٢٨٨ على رواية الديوان

وهذان البيتان جميعاً أوضحُ وأشرحُ وأجود من بيت أبى تمام ، وقد قيل : إنه أراد أن أعداءه يُقِرُّون بفضله ، ويُفيضون فى ذكر مناقبه ، وذلك محتمل ، والمعنى الأول أقوَى وأفشى فى كلامهم .

٥٥ — وقال بشار بن بُرد :

شَرِبْنَا مِنْ فُؤَادِ الدَّنِّ حَتَّى ... تَرَكْنا الدَّنَّ لَيْسَ لَهُ فُؤَادُ

أخذه أبو تمام فقصّر عنه فقال :

غَدَتْ وَهْيَ أَوْلَى مِنْ فُؤَادِي بِعَزْمَتِي
وَرُحْتُ بِمَا فِي الدَّنِّ أَوْلَى مِنَ الدَّنِّ(١)

٥٦ — وقال الأخطل :

تَدِبُّ دَبِيباً فى العِظامِ كَأَنها ... دَبِيبُ نِمَالٍ فى نَقاً يَتَهَيَّلُ

أخذه أبو تمام فأفسد المعنى فقال :

إذا الرَّاحُ دَبَّتْ فِيهِ تَحْسِبُ جِسْمَهُ ... لِمَا دَبَّ فِيهِ قَرْيَةً مِنْ قُرَى النَّمْلِ(٢)

٥٧ — وقال أبو دُوَاد الإيادى :

لا أُعِدُّ الإِقْلالَ عُدْماً وَلَكِنْ ... فَقْدُ مَنْ قَدْ فَقَدْتُهُ الإِعْدَامُ(٣)

أخذ أبو تمام صدر البيت فقال :

لا يَحْسِبُ الإِقْلالَ عُدْماً بَلْ يَرَى ... أَنَّ المُقِلَّ مِنَ المُرُوءَةِ مُعْدِمُ(٤)

٥٨ — وقال أبو الهندى:

---

(١) جاء فى الديوان (٣٣٩) : « قال غير الصولى : قال أبو تمام : شربت عند الحسن بن وهب فغلب على السكر ،فأخبرت أنى كسرت آنية ، فحملت بين أربعة؛ فلما أفقت كتبت إليه بهذه الأبيات » وهى اثنا عشر بيتا ثانيها هذا البيت

(٢) من قصيدة له يصف فيها تقتير الرزق عليه فى مصر (الديوان ٤٢٠) وفيه « إذا هى دبت فى الفتى خال جسمه »

(٣) يروى « لا أعد الإقتار » وانظره فى الشريشى ١/١٠٤

(٤) من قصيدة يمدح فيها محمد بن حسان الضبي (الديوان ٢٨٤)

وَتَرَى سُهَيْلاً فى السَّماءِ كَأَنَّهُ ثَوْرٌ يُعَارِضُهُ هِجانُ الرَّبْرَبِ (١)

أخذه أبو تمام فقال :

أُرَاعِي مِنْ كَوَاكِبِهِ هِجاناً سَوَاماً لا تَرِيعُ إِلَى الْمُسِيمِ (٢)

٥٩ — وقال أبو نُوَاس :

شُقِقْتُ مِنَ الصِّبا وَاشْتُقَّ مِنِّى كَمَا اشْتُقَّتْ مِنَ الكَرَمِ الكُرُومُ

أخذه أبو تمام فقال :

أَلَذُّ مُصافَاةً مِنَ الظِّلِّ فى الضُّحى وَأَكْرَمُ فى اللأْواءِ عُوداً مِنَ الكَرْمِ (٣)

٦٠ — وقال مسلم بن الوليد :

تَمْضِي الْمَنايَا كَما تَمْضِي أَسِنَّتُهُ كَأَنَّ فى سَرْجِهِ بَدْراً وَضِرْغامَا (٤)

أخذه أبو تمام فقال :

فَتًى مِنْ يَدَيْهِ الْبَأْسُ يَضْحَكُ وَالنَّدَى

وَفى سَرْجِهِ بَدْرٌ وَلَيْثٌ غَضَنْفَرُ (٥)

---

(١) سهيل : نجم ينقضى بطلوعه القيظ . والربرب : القطيع من بقر الوحش

(٢) من قصيدة يمدح فيها بعض الطائيين (الديوان ٢٢٨) وقبل هذا قوله:

وليل بت أكلؤه كأنى سليم أو سهرت على سليم

وأكلؤه : أحرسه ، يريد يرعى نجومه ، والسليم : اللديغ ، وفى أمثالهم « السليم لا ينام ولا ينيم » والهجان : الكرام ، والسوام : السائمة

(٣) من كلمة يعاتب فيها أبا القاسم بن الحسن بن سهل (الديوان ٤١١) وقبل هذا البيت قوله :

يداك لنا شهرا ربيع كلاهما إذا جف أطراف النخيل من الأزم

(٤) انظره فى ديوان مسلم ٥٤ وفى كامل المبرد ، وفى شرح مختار الخالديين ٢٣٣ .

(٥) من قصيدة يمدح فيها جعفرا الخياط (الديوان ١٥٩) والبأس : الشجاعة ، والندى : الكرم ، والليث والغضنفر جميعاً من أسماء الأسد ، وقد جعل أحدهما صفة للآخر .

٦١ — وقال ابن هَرْمة:

اسْتَبْقِ عينَيْكَ لا يُودِ البُكا بِهِما ... وَاكْفُفْ بَوادِرَ مِن عَيْنَيْكَ تَسْتَبِق

أخذه أبو تمام فقال:

أَيْنَ الشُّؤُونُ وَإنْ جادَتْ بِباقِيَةٍ ... وَلاَ الجُفُونُ عَلى هٰذا وَلا الحَدَقُ(١)

وقال أيضاً:

وَلا يَبْقَى عَلى إدمانِ هٰـذا ... وَلا هٰذا العُيُونُ ولا القُلوبُ(٢)

٦٢ — وقال أبو تمام يهجو السَّرَّاجَ:

يا ابْنَ الخَبِيثَةِ لِمْ تعرِضُ صَخْرَةَ ... صَمَّاءَ مِنْ مجْذى بِعِرْضِ زُجاجِ؟(٣)

أخذه من قول الآخر وأظنه بشارا:

ارْفُقْ بِعَمْرٍو إذا حَرَّكْتَ نِسْبَتَهُ ... فإنَّهُ عَرَبِيٌّ مِنْ قَوارِيرِ

٦٣ — وقال الشاعر:

مَهامِهُ أشْباهٌ كأنَّ سَرابَها ... مُلاءٌ بِأيْدِي الغاسِلاتِ رَحِيضُ(٤)

أخذه أبو تمام فقال:

وَبِساطٌ كأنَّما الآلُ فِيـــهِ ... وَعَلَيْهِ سَحْقُ المُلاءِ الرَّحِيضِ(٥)

٦٤ — وقال أبو تمام:

فَاشْمأَلُّوا يُلَجْلِجُونَ دُءُوبًا ... مُضَغًا لِلْكَلالِ فِيها أنِيضُ(٦)

(١ و ٢) ليس لهما وجود فى الديوان

(٣) له كلمة فى هجاء يوسف السراج الشاعر (الديوان ٤٩١) ولكن ناشرى الديوان فى بيروت أسقطوا كثيراً من باب الهجاء

(٤) المهامه: الصحارى، وأشباه: متشابهة، والسراب — ومثله الآل — مايرى ماء وليس بماء، والرحيض: المغسول، والبيت ثانى اثنين رويا فى خزانة الأدب ٢/٣٦٨ والبيان ١/٢٨٠ وفى شرح مختار الخالديين ٢٦٢ والبيت الأول قوله:

ودون يد الحجاج من أن تنالنى ... بساط لأيدى الناعجات عريض

وفى شرح المختار « ملاء بأيدى الناسجات »

(٥) من قصيدة يمدح فيها أبا الغيث موسى بن إبراهيم الرافقى (الديوان ١٨٢)

(٦) فى الديوان « اشمعلوا » وهما واحد، ومعناه ساروا متفرقين من المرح، ويلجلجون: يضجون، والدءوب: الجد والمتابعة. والكلال: التعب، والأنيض: الخفقان

أخذه من قول زهير :

تُلَجْلِجُ مُضْغَةً فِيهَا أَنِيضٌ أَصَلَّتْ فَهْيَ تَحْتَ الْكَشْحِ دَاءُ[(١)]

٦٥ — وقال أبو نُوَاس :

سَنَّ لِلنَّاسِ النَّدَى فَنَدُوا فَكَأَنَّ الْبُخْلَ لَمْ يَكُنِ

أخذه أبو تمام فقال :

مَضَوْا وَكَأَنَّ الْمَكْرُمَاتِ لَدَيْهِمُ لِكَثْرَةِ مَا أَوْصَوْا بِهِنَّ شَرَائِعُ[(٢)]

٦٦ — وقال فى الغَزَل :

مُسْتَحِيلٌ أَنْ تَحْتَوِيكَ الظُّنُونُ كَيْفَ يُحْوَى مَا لَا تَرَاهُ الْعُيُونُ[(٣)]

غَيْرَ أَنَّا نَقُولُ إِنَّكَ خَلْقٌ حَرَكَاتٌ مَفْعُولَةٌ وَسُكُونُ

أخذه من قول أبى نُوَاس وقصَّر عنه :

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْخَلْقَ مِنْ ضَعِيفٍ مَهِينِ

يَسُوقُهُ مِنْ قَرَارٍ إِلَى قَرَارٍ مَكِينِ

حَتَّى بَدَتْ حَرَكَاتٌ مَخْلُوقَةٌ مِنْ سُكُونِ

٦٧ — وقال أبو العتاهية :

كَمْ نِعْمَةٍ لَا يُسْتَقَلُّ بِشُكْرِهَا لِلَّهِ فِى طَىِّ الْمَكَارِهِ كَامِنَهْ

أخذه الطائى فقال وأحسن؛ لأنه جاء بالزيادة التى هى عكس الشىء الأول:

قَدْ يُنْعِمُ اللهُ بِالْبَلْوَى وَإِنْ عَظُمَتْ وَيَبْتَلِى اللهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنِّعَمِ[(٤)]

---

(١) العقد الثمين (٣٠) وسيذكره المؤلف مرة أخرى ٢٤٥

(٢) من قصيدة له يفتخر بقومه ويذكرهم (الديوان ٤٧٩)

(٣) هذان البيتان غير موجودين فى ديوانه المطبوع

(٤) من كلمة يقولها فى مرض الياس بن أسد (الديوان ٣١٦) وانظر الصناعتين (١٧١) وقبل هذا البيت قوله :

فليهنك الأجر والنعمى التى سبغت حتى جلت صدأ الصمصامة الخذم

وسيأتى البيت مرة أخرى فى ٢٥٨ طبعة أولى .

٦٨ — وقال آخر ولست أدرى أهو قبل الطائى أو فى أيامه :

ما كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ بَحْرًا زاخِرًا   عَمَّ الْبَرِيَّةَ كُلَّها إرْوَاء
أضْحَى دَفِيناً فى ذِرَاعٍ وَاحِدٍ   مِنْ بَعْدِ ما مَلَكَ الْفَضاء فَضَاء

فقال الطائى وأبرّ عليه وعلى كل من ذكر هذا المعنى :

وكَيْفَ احْتِمالِى لِلسَّحابِ صَنِيعَةً   بإسْقائها قَبْرًا وَفِى لَحْدِهِ الْبَحْرُ[١]

٦٩ — وقال آخر :

نُؤْىٌ كما نَقَصَ الْهِلالَ مَحاقُهُ   أوْ مِثْلَ ما فَصَمَ السِّوَارَ الْمِعْصَمُ

أخذه أبو تمام فقال[٢] :

* وَنُؤْىٌ مِثْلَما انفَصَمَ السِّوَارُ *

٧٠ — وقال آخرُ فى السحاب :

كَأَنَّ عَيْنَيْنِ باتا طُولَ لَيْلِهِمَا   يَسْتَمْطِرَانِ عَلى عُذْرَانِهِ الْمُقَلا

فقال الطائى وحوّل المعنى وأجاد :

كَأَنَّ الْغَمَامَ الغُرَّ غَيَّبْنَ تَحْتَها   حَبِيباً فَمَا تَرْقَى لَهُنَّ مَدَامِعُ[٣]

٧١ — وقال الطائى :

وَلَيْسَتْ بِالْعَوَانِ الْعَنْسِ عِنْدِى   وَلاَ هِىَ مِنْكَ بِالْبِكْرِ الْكَعَابِ[٤]

---

(١) من مرثيته فى بنى حميد الطوسى (الديوان ٣٧٠) وفيه « وكيف احتمالى للغيوث » وسيذكره المؤلف فى سرقات البحترى من أبى تمام ٢٩٧ طبعة أولى

(٢) قد مضى ذكر مأخذ هذا البيت (انظر ص ٥٦ من هذا الكتاب)

(٣) من قصيدته فى وصف قومه والافتخار بهم (الديوان ٤٧٨) وفيه « كأن السحاب الغر »

(٤) من مدحة له فى أبى الحسن محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان ٥٥) والعوان : المرأة فى نصف عمرها ، والعنس : التى طال مكثها بغير زواج، والكعاب: البارزة النهد

أخذه من قول الفرزدق[١] :

وَعِنْدَ زِيادٍ لَوْ يُرِيدُ عَطـــاءَهُمْ   رِجالٌ كَثِيرٌ قَدْ تَرَى بِهِمُ فَقْرَا
قُعُودٌ لَدَى الْأَبْوَابِ طالِبُ حاجَةٍ   عَوَانٍ مِنَ الْحَاجاتِ أَوْ حاجَةً بِكْرَا

٧٢ — وقال الآخر ، وهو معبد الهذلى :

أىُّ عَيْشٍ عَيْشِي إذا كُنتُ مِنْهُ   بَيْنَ حِلٍّ وَبَيْنَ وَقْتِ الرَّحِيـلِ ؟
كُلَّ فَجٍّ مِنَ البِـــلادِ كَأَنِّى   طالِبٌ بَعْضَ أَهْـلِهِ بِذُحُولِ

فقال الطائى :

كَأَنَّ لَهَا دَيْناً على كُلِّ مَشْرِقٍ   مِنَ الأَرْضِ أوْ ثاراً لَدَى كُلِّ مَغْرِبِ[٢]

٧٣ — وقال آخر ،وأنشده ابن أبى طاهر والأخفش للأرقط بن دعبل :

نَهْنِهْ دُمُوعَكَ مِنْ سَحٍّ وَتَسْجامِ   الْبَيْنُ أَكْثَرُ مِنْ شَوْقِى وَأَسْقامِى
وَما أَظُنُّ دُمُوعَ العَيْنِ رَاضِيَةً   حَتّى تَسُحَّ دَماً هطْلاً بِتَسْجامِ

أخذ الطائى معنى البيتين ولفظهما فقال[٣] :

ما اليَوْمَ أَوَّلُ تَوْدِيعِى ولا الثانى   البَيْنُ أَكْثَرُ مِنْ شَوْقِى وأَحْزَانِى
وَما أَظُنُّ النَّوَى تَرْضَى بِمَاصَنَعَتْ   حَتّى تُبَلِّغَنِى أَقْصَى خُرَاسانِ

٧٤ — وأنشدنى ابن أبى طاهر لدعبل :

إنْ جاءَهُ مُرْتَغِباً سَـــائِلٌ   آلَتْ عَلَيْهِ رَغْبَةُ السَّائِلِ[٤]

أخذه أبو تمام فقال :

وَإِنِّى لأَرْجُو عاجِلاً أَنْ تَرُدَّنِى   مَوَاهِبُهُ بَحْراً تُرَجَّى مَوَاهِبِى[٥]

---

(١) سيذكر المؤلف هذين البيتين مرة أخرى فى ١٥٣ ، وروى العباسى فى معاهد التنصيص ٢٣ بولاق أول هذين البيتين ثانى ثلاثة أبيات ومعها قصة

(٢) من قصيدة يمدح فيها عباس بن لهيعة (الديوان ٢٤)

(٣) أولهما مطلع قصيدة فى مدح ابن حسان الضبى، وبينه وبين الثانى ثلاثة أبيات (الديوان ٣٢٣)

(٤) يريد إن جاءه سائل أعطاه عطاء كثيراً حتى يصير معقدا لرجاء السائلين

(٥) من قصيدة يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ٤٣)

٧٥ — وقال دِعْبِلُ بن على :

وأسْمَرُ فى رأسِهِ أزْرَقُ ... مِثْلُ لِسانِ الْحَيَّةِ الصَّادِى

أخذه الطائى فقال :

مُثقَّفاتٌ سَلَبْنَ الرُّومَ زُرْقَتَها ... وَالْعُرْبَ أُدْمَتَها، وَالعاشِقَ الْقَضَفا[1]

فزاد المعنى بأن شبّه زُرْقتها بزرقة الروم ، وسمرتها بسمرة العرب ، ولكن قول دِعْبِل « مثل لسان الحية الصادى » ليس لحسنه نهاية

٧٦ — وقال أبو نواس :

وَأطْعَمَ حَتَّى ما بِمَكَّةَ آكِلٌ ... وَأعْطَى عَطاءً لَمْ يَكُنْ بِضَمانِ

أخذ الطائى معنى صَدْر البيت فقال :

فَنَوَّلَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ مَنْ يُنِيلُهُ ... وَحارَبَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ مَنْ يُحارِبُهْ[2]

٧٧ — وقال أبو نواس فى أُرجوزة يصف فيها الحمام ويمدح فيها قوماً :

بِشْرُهُمُ قَبْلَ النَّوالِ اللاَّحِقِ ... كالبَرْقِ يَبْدُو قَبْلَ جَوْدٍ دافِقِ

وَالْغَيْثُ يَخْفَى وَقْعُهُ لِلرَّامِقِ ... إنْ لَمْ يَجِدْهُ بِدَلِيلِ البارِقِ

أخذ المعنى أبو تمام فقال :

يَسْتَنْزِلُ الأمَلَ البَعِيدَ بِبِشْرِهِ ... بِشْرَ الْخَمِيلَةِ بالرَّبِيعِ الْمُغْدِقِ[3]

وكَذَا السَّحائِبُ قَلَّما تَدْعُو إلَى ... مَعْرُوفِها الرُّوَّادَ مالَمْ تَبْرُقِ

---

(١) من قصيدة يمدح فيها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلى (الديوان ٢٠٣) وفيه « والعرب سمرتها » ومثقفات : مقومات معدلات ، والأدمة : السمرة ، والقضف : النحافة .

(٢) من قصيدة يمدح فيها أبا العباس عبدالله بن طاهر (الديوان ٤٥) ونول : أعطى ، وينيله : يعطيه ، مضارع أنال ، وسيأتى مرة أخرى فى ١٠١

(٣) من قصيدة يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ٢١٣) وفيه « بشرى الخميلة » والخميلة : الروضة الكثيرة الشجر ، والمغدق : الكثير المطر ، والرواد — فى البيت الثانى — جمع رائد ، وهو طالب الكلأ والعشب والماء ، وسيذكر ثانيهما مرة أخرى فى ٣٥٨

٧٨ — وقال أبو العتاهية(١) :

وَإِنَّا إذا ما تَرَكْنا السُّؤا … لَ مِنْهُ فَلَمْ نَبغِهِ يَبْتَدِينا
وَإِنْ نَحْنُ لَمْ نَبْغِ مَعْرُوفَهُ … فَمَعْرُوفُهُ أَبَدًا يَبْتَغِينا

وقال مسلم بن الوليد فى معنى بيت أبى العتاهية الأول :

أخٌ لِىَ يُعْطِينِى إذا ما سَأَلْتُهُ … وَلَوْلَمْ أُعَرِّضْ بالسُّؤالِ ابْتَدَانِيا

أخذ أبو تمام معنى البيت ومعنى بيت أبى العتاهية الأول فقال :

وَرَأَيْتَنِى فَسَأَلْتَ نَفْسَكَ سَيْبَها … لِى ثُمَّ جُدْتَ وَما انتَظَرْتَ سُؤالِى(٢)

أو لعله أخذه من قول منصور النمرى :

رَأَيْتُ المُصْطَفَى هارُونَ يُعطِى … عَطاءً لَيْسَ يَنْتَظِرُ السُّؤالا

وأجود من هذا كله قولُ سَلْم الخاسر :

أعْطاكَ قَبْــلَ سُؤالِهِ … فَــكَفاكَ مَكْرُوهَ السُّؤالِ

وأخذ أبو تمام معنى بيت أبى العتاهية الثانى فقال :

كالغَيْثِ إنْ جِئْتَهُ وَافاكَ رَيِّقُهُ … وإنْ تَحَمَّلْتَ عَنْهُ كانَ فى الطَّلَبِ(٣)

٧٩ — وقال مسلم :

وما كانَ مِثْلِى يَعْتَرِيكَ رَجاؤُهُ … ولـكِنْ أساءَتْ شِيمَةٌ مِنْ فَتًى مَحْضِ

أخذه أبو تمام وزاد زيادة حسنة فقال :

فإنْ كانَ ذَنْبِى أنَّ أحْسَنَ مَطْلَبِى … أساءَ فَفِى سُوءِ القَضاءِ لِىَ العُذْرُ(٤)

٨٠ ـ وأنشد أبو تمام فى الحماسة :

---

(١) انظر هذه الأبيات فى الوساطة ٦٧ وفيه زيادة بيت آخر لأبى تمام فى نفس المعنى.
(٢) من قصيدة يمدح فيها الحسن بن رجاء (الديوان ٢٤٧)
(٣) من قصيدة يمدح فيها الحسن بن سهل (الديوان ١٦) وفيه «وإن ترحلت عنه لج » والغيث : المطر ، وريقه : صافيه
(٤) من قصيدة له فى الفخر (الديوان ٤٧٥) وقبله قوله :
ومن قامر الأيام عن ثمراتها … فأحج به أن ينجلى ولها القمر
وانظره فى أخبار أبى تمام ٥١

تَرِدُ السِّباعُ مَعِى فأُلْــفَى كالمُدِلِّ مِنَ السِّباعِ

أخذ المعنى من فيه فقال :

أَبَنَّ مَعَ السِّباعِ الماء حتَّى خَالَتْهُ السِّباعُ مِنَ السِّباعِ (١)

٨١ ـ وقال النظار بن هاشم الأزدى :

يَعِفُّ المَرْء ما استَحْيا وَيَبْقَى نَبَاتُ العُودِ ما بَقِىَ اللِّحاء

وما فى أنْ يَعِيشَ المَرْء خَيْرٌ إذا ما المَرْء زايَلَهُ الحَياء

أخذ أبو تمام معنى البيتين وأكثر لفظهما فقال :

يَعِيشُ المرء ما استَحْيا بِخَيْرٍ وَيَبْقَى العُودُ مَا بَقِىَ اللِّحاء (٢)

فَلَا وَاللهِ مَا فى العَيْشِ خَــيْرٌ وَلا الدُّنيا إذا ذَهَبَ الحَيَاء

٨٢ ـ وقال أبو نُوَاس :

أَبِنْ لِى كَيْفَ صِرْتَ إلى حَرِيمِى وَنَجْمُ اللَّيْلِ مُكْتَحِلٌ بِقَارِ

أخذه الطائى فقال :

إليكَ هَتَكْنَا جِنْحَ لَيْلٍ كَأَنَّهُ قَدِ اكتَحَلَتْ مِنْهُ البِلادُ بِإثْمِدِ (٣)

٨٣ ـ وسُمِعَ أبو نواس يقول :

تَبْكى فَتُذْرِى الدُّرَّ مِنْ نَرْجِسٍ وَتَلْطِمُ الوَرْدَ بِعُنَّابِ

فقال وأساء كل الإساءة وقبّح صدر البيت :

---

(١) من قصيدة يمدح فيها ابن أصرم (الديوان ١٩٣) وفيه « أبن مع السباع الغيل » وأبن ـ ومثله بن ـ بمعنى أقام ، وضمنه معنى سكن فنصب به « الغيل » أو « الماء » والمراد بالماء موارده ، وخالته : حسبته وظنته .

(٢) من أبيات يعرض فيها ببعض بنى حميد ، ولم يصرح فيها بهجائه ؛ لأنه كان كثير المدح لهم ، ولأنهم طائيون (الديوان ٤٨٥)

(٣) من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائى (الديوان ١٠٣) وأنشده الشريشى ٧١/١ ، وراجع إلى الهامشة رقم ١ فى ص ٧٠ من هذا الكتاب.

مَظْلُومَةٌ بِالْوَرْدِ أُطْلِقَ طَرْفُها ... فى الْخَلْقِ فَهْوَ مَعَ الْمَنُونِ مُحَكَّمُ(١)

٨٤ ـ وقال أبو تمام :

وَمِمَّا كانَتِ الْحُكَماءُ قالَتْ: ... لِسَانُ الْمَرْءِ مِنْ خَدَمِ الْفُؤَادِ(٢)

أخذه من الجعد بن صمام أحد بنى عامر بن سنان ، ذكره أبو تمام فى اختيارات القبائل :

إنَّ الْبَيَانَ مَعَ الْفُؤَادِ ، وَإِنَّما ... جُعِلَ اللِّسَانُ بِمَا يَقُولُ رَسُولا

٨٥ ـ وقال طريح الثقفى يرثى قوما

فَلِلَّهِ عَيْنَــــا مَنْ رَأَى قَطُّ حادِثاً

كَفَرْسِ الْكِلَابِ الْأُسْدَ يَوْمَ الْمُشَلَّلِ(٣)

أخذه أبو تمام فأجاد فى الأخذ فقال :

مَنْ لَمْ يُعَايِنْ أَبا نَصْرٍ وَقاتِلَهُ ... فَما رَأَى ضَبُعاً فى شِدْقِها سَبُعُ(٤)

وهذا معنى مُتَدَاوَل ، وقد يجوز أن يكون أخذه الطائى من غير هذا الموضع .

٨٦ ـ وقال مروان بن أبى حَفْصة :

مَاضَرَّنى حَسَدُ اللِّئامِ ، وَلَمْ يَزَلْ ... ذُوالْفَضْلِ يَحْسُدُهُ ذَوُو التَّقْصِيرِ

أخذه أبو تمام فقال :

* وَذُو النَّقْصِ فى الدُّنْيَا بِذِى الْفَضْلِ مُولَعُ(٥) *

---

(١) من غزل قصيدة يمدح فيها محمد بن حسان الضبى (الديوان ٢٨٤) وفيه « مظلومة للورد » .

(٢) من قصيدة يمدح فيها أبا عبد الله أحمد بن أبى دؤاد (الديوان ٨٠)

(٣) فرس : هو مصدر فرسه يفرسه ـ من باب ضرب ـ بمعنى دق عنقه ، وكل قتل فرس ، والفريس : القتيل .

(٤) من كلمة يرثى فيها بنى حميد (الديوان ٣٧٢) وأنشده الشريشى ١١٦/١ مع بيت تال له ، وذكر أنه أخذه من بيتين ليزيد المهلبى يرثى فيها المتوكل .

(٥) هذا عجز بيت من قصيدة يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان ١٩٠) وصدره قوله :

* لقد آسف الأعداء مجد ابن يوسف *

٨٧ ـ وقال أبو دهبل الجمحى (١) :

مَا زلْتَ فى العفْوِ للذُّنُوبِ وَإطْـلاَقِ لِعَانٍ بِجُرْمِهِ غلِقِ
حَتَّى تَمَنَّى الْبُرَاةُ أنَّهُمُ عِنْدَكَ أمْسَوْا فى الْقِدِّ وَالْحَلَقِ

أخذه أبو تمام فقال :

وَتَكَفَّلَ الأيْتَامَ عَنْ آبَائِهِمْ حَتَّى وَدِدْنَا أنَّنَا أيْتَامُ (٢)

٨٨ ـ وقال زيد الخيل الطائى :

وَأسْمَر مَرْبُوعٌ يَرَى مَا رَأيْتُهُ بَصِيرٌ ـ إذا صوَّبْتُه ـ بالْمَقَاتِلِ (٣)

أخذه أبو تمام فقال :

مِنْ كُلِّ أسْمَرَ نَظَّارٍ بلاَ نَظَرٍ إلى الْمَقَاتِلِ مَا فى مَتْنِهِ أوَدُ (٤)

٨٩ ـ وقال أبو نُخَيْلة فى مَسْلَمة بن عبد الملك :

وَنَوَّهْتَ مِنْ ذِكْرِى وَمَا كَانَ خَامِلاً
وَلَـكِنَّ بَعْضَ الذِّكْرِ أنْبَهُ مِن بَعْضِ (٥)

---

(١) وقع فى المطبوعات « أبوذهيل » وهو تحريف، وانظر الصناعتين (١٥٣) والوساطة ٦٥ .

(٢) من قصيدة يمدح فيها المأمون (الديوان٢٨٠) وانظر الصناعتين (١٥٤)

(٣) عنى بالأسمر الرمح ، والمربوع : الذى ليس بالطويل ولا القصير

(٤) من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائى (الديوان٩٩) وفيه « من كل أزرق » وقبل هذا البيت قوله :

أنهبت أرواحه الأرماح إذ شرعت فما ترد لريب الدهر عنه يد
كأنها ـ وهى فى الأوداج والغة وفى الـكلى ـ تجد الغيظ التى تجد

(٥) ذكر مؤلف هذا الـكتاب فى كتابه المؤتلف والمختلف أنه يقول هذا فى مسلمة بن هشام بن عبدالملك، وروى هناك صدره « وأحييت لى ذكرا » انظره (ص ١٩٣) وانظره مع بيتين سابقين عليه فى المستطرف ٢٨٠/١

أخذه أبو تمام فقال :

لَقَدْ زِدْتَ أَوْضَاحِي امْتِدَاداً ، وَلَمْ أَكُنْ
بَهِيماً ، وَلا أَرْضِي مِنَ الأَرْضِ مَجْهَلاَ[1]

وَلٰكِنْ أَيَادٍ صَادَفَتْنِي جِسَامُهَا
أَغَرَّ فَوَافَتْ بِي أَغَرَّ مُحَجَّلاَ

٩٠ ـ وقال المسيب بن عَلَس :

هُمُ الرَّبِيعُ عَلَى مَنْ كَانَ حَلَّهُمُ
وَفِي الْعَدُوِّ مَنَاكِيدٌ مَشَائِيمُ

وقال غلافة بن عركى التميمى يرثى قوما :

وَكُنْتُمْ قَدِيماً فِي الحُرُوبِ وَغَيْرِهَا
مَيَامِينَ لِلأَدْنَى لِأَعْدَائِكُمْ نُكْدَا

ومثله قول كعب بن الجزم :

بَنُو رَافِعٍ قَوْمٌ مَشَائِيمُ لِلْعِدَى
مَيَامِينُ لِلْمَوْلَى وَلِلْمُتَحَرِّمِ

أخذ الطائى هذا المعنى فقال فى مدح أبى سعيد :

إِذَا مَا دَعَوْنَاهُ بِأَجْلَحَ أَيْمَنٍ
دَعَاهُ وَلَمْ يَظْلِمْ بِأَصْلَعَ أَنْكَدِ[2]

---

(١) من قصيدة يمدح فيها محمد بن عبدالملك الزيات (الديوان ٢٥٢) وفيه « فألفت بى أغر محجلا » والأوضاح : جمع وضح ، وهى الغرة ، والمجهل : الأرض التى لا أعلام فيها

(٢) (الديوان ١٠١) والضمير المستتر فى « دعاه » يعود إلى بابك ، وقبل البيت قوله :

رمى الله منه بابكا وجيوشه
بقاصمة الأصلاب فى كل مشهد

بأسمح من صوب الغمام سماحة
وأشجع من صرف الزمان وأنجد

والأجلح : الشديد المقدام ، والأيمن : المبارك ، والأصلع : الشديد أو المنحسر شعر رأسه ، والأنكد : المشؤوم ، يريد أنه مبارك ميمون لنا ؛ لأننا أولياؤه ، وأنكد مشئوم على بابك ؛ لأنه معاديه .

٩١ ـــ وقال دُكَيْن الراجز :

* عارِى الحَصَى يَدْرُسُ مالَمْ يُلْبَسِ *

فقال أبو تمام :

تُجَدَّدُ كُلَّما لُبِسَتْ، وَتَبْقَى إذا ابتُذِلَتْ،وَتَخْلُقُ فى الحِجَابِ[1]

أو أخذه من قول الراجز :

عَوْدٌ عَلَى عَوْدٍ مِنَ القُدْمِ الأُوَلْ يُميتُهُ التَّرْكُ وَيُحْييهِ العَمَلْ

يعنى طريقا

٩٢ ـــ وقال تميم بن أُبَىّ بن مُقْبل :

قَدْ كُنْتُ رَاعِىَ أَبْكارٍ مُنَعَّمَةٍ فَالْيَوْمَ أَصْبَحْتُ أَرْعَى جِلَّةً شُرُفَا[2]

يريد عجائز ، أخذه الطائى فقال وعَدَل بشطر البيت إلى وجه آخر فأحسن :

كُنْتُ أَرْعَى الخُدُودَ، حَتَّى إذا ما فارَقُونى بَقِيتُ أَرْعى النُّجُوما[3]

٩٣ ـــ وقال حسان بن ثابت الأنصارى :

والمالُ يَغْشَى رجالا لا طَبَاخَ بهم كالسيل يغشى أصول الدِّندِنِ البالى[4]

---

(١) من قصيدة يمدح فيها أبا الحسن محمد بن الهيثم (الديوان ٥٦) وقبل البيت قوله :

ذكرت صنيعة لك ألبستنى أثيث المال والنعم الرغاب

وأثيث المال : كثيره ، والنعم : جمع نعمة ، والرغاب : الكثيرة ، وابتذلت : امتهنت ، وتخلق : تبلى .

(٢) الجلة ـ بكسر الجيم وتشديد اللام ـ ذو السن العالية من الآدميين ومن الإبل ، يطلق هذا اللفظ على الواحد والمثنى والجمع وعلى المذكر والمؤنث، والشرف ـ بضم الشين والراء ـ جمع شارف أو مشارفة ، وهى الناقة المسنة الهرمة .

(٣) هو ثانى أبيات قصيدة يمدح فيها أبا سعيد (الديوان ٢٩٠) وفيه : « كنت أرعى البدور » وفيه « أمسيت أرعى النجوما » .

(٤) « لا طباخ بهم » لا قوة ولا سمن ، والدندن : ما اسود من النبات لقدمه

أخذه الطائى فقال :

لاَ تُنْكِرِى عَطَلَ الكَرِيمِ مِنَ الغِنَى   فالسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ العَالِى(١)

٩٤ — وقال أبو تمام فى وصف الشعر :

وَلٰكِنَّه صَوْبُ العقُولِ : إذا انجلَتْ
سَحَائِبُ مِنْهُ أُعْقِبَتْ بِسَحَائِبِ(٢)

أخذه من قول أوس :

أقولُ بما صَبَّتْ علىَّ غمَامَتِي   وَدَهْرِى، وَفى حَبْلِ العشِيرَةِ أَحْطِبُ(٣)،

٩٥ — وقال أمية بن أبى الصَّلْتِ :

عَطاؤُكَ زَيْنٌ لِامْرِىءٍ إنْ حَبَوْتَهُ   بِخَيْرٍ، وَما كُلُّ العطَاءِ بِزَيْنِ(٤)،

أخذه الطائى فقال :

ما زِلْتُ مُنْتَظِراً أُعْجُوبَةً زَمَناً   حَتَّى رَأَيْتُ سُؤالاً يَجْتَنِى شَرَفا(٥)

٩٦ — وقال كثير :

وَنازَعنِى إلى مَدْحِ ابْنِ لَيْلَى   قَوَافِيهَا مُنَازَعَةَ الغراب

أخذه الطائى فقال :

تَغَايَرَ الشِّعْرُ فيه إذْ سَهِرْتُ لَهُ   حَتَّى ظَنَنْتُ قَوَافِيهِ سَتَقْتَتِلُ(٦)،

٩٧ — وقالت محياة بنت طليق من بنى تَيْمِ الله بن ثَعْلبة :

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن رجاء (الديوان ٢٤٦) .

(٢) من قصيدة يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ٤٣) والصوب : المطر.

(٣) أنشده فى أخبار أبى تمام ٥٤ وفيه « بما صبت على غمامتى وجهدى فى حبل العشيرة » وانظر زهر الآداب ٩٩/١ .

(٤) انظره مع بيت تال له فى الصناعتين (٣٠) وأمية يقولها فى مدح عبدالله بن جدعان

(٥) من قصيدة يمدح فيها أبا دلف القاسم بن عيسى (الديوان ٢٠١) وفيه « أعجوبة عننا » أى ظاهرة

(٦) من قصيدة يمدح فيها المعتصم بالله (الديوان ٢٢٧)

نَعَى أَبْنَىْ مجل صوتُ ناعٍ أصَمَّنِى ... فَلا آبَ مَحْمُوداً بَرِيدٌ نَعاهما

وقال سفيان بن عبد يَغُوثَ النَّصْرِى :

صَمَّتْ لَهُ أُذُناىَ حِينَ نَعَيْتَهُ ... وَوَجَدْتُ حُزْناً دائماً لَمْ يَذْهَب

أخذه الطائى فقال :

أصمَّ بكَ النَّاعى وَإنْ كانَ أسْمعا ... وَأصْبَحَ مَغْنَى الْجُودِ بَعْدَكَ بَلقَعا(١)

ونحوه قول الحارث بن نهيك الدارمى :

فَفَقَأَ عَيْنَىَّ تَبْكاؤُهُ ... وَأوْرَثَ فى السَّمْعِ مِنِّى صَمَمْ

٩٨ — وقال سعران بن عرباض القسرى :

فَما السَّائلُ الْمَحْرُومُ يَرْجِعُ خائباً ... وَلٰـكِنْ بَخِيلُ الأغْنياء يَخيبُ

وقال آخر وهو الشجاع الفائق فى خبر عن ابن الـكلبى ورواه ابن دريد :

لا تَزْهَدَنْ فى اصْطِناعِ الْعُرْفِ مِنْ أحَدٍ

إنَّ الَّذِى يُحْرَمُ الْمَعْرُوفَ مَحْرُومُ

أخذه أبو تمام فقال :

وَإنِىَ ما حُورِفْتُ فى طَلَبِ الْغِنَى ... ولٰـكِنَّما حُورِفْتُمُ فى الْمَـكارِمِ(٢)

٩٩ — وقال عنترة :

* وَالطَّعنُ مِنِّى سابِقُ الآجالِ *

وإنما أراد الآجال سابقة طعنى ؛ لشدة خوفه إذا سَدَّد سنانه للطعن .

أخذه الطائى فغيره تغييراً حسناً فقال :

---

(١) مطلع مرثية له فى أبى نصر محمد بن حميد الطائى (الديوان ٣٧٤) وأصم : أفقد السمع ، والناعى : الذى يخبر بموت الميت ، والمغنى : المنزل ، والبلقع : الخالى

(٢) هذا البيت لايوجد فى الديوان ، وقد ذكره المؤلف مرة أخرى فى سرقات البحترى من أبى تمام ٣٣٧ طبعة أولى

يَكَادُ حِينَ يُلاَقِي الْقِرْنَ مِنْ حَنَقٍ   قَبْلَ السِّنَانِ على حَوْبَائِهِ يَرِدُ(١)

١٠٠ — وقال عديّ بن الرِّقاع يمدح بعضَ بني مروان :

وَإذا رَأَيْتَ جَمَاعَةً هُوَ فِيهِمُ   نُبِّئْتَ سُؤْدَدَهُ وَإنْ لَمْ تَسْأَلِ

أخذه الطائى فقال :

يَحْمِيهِ لأْلاؤُهُ وَلَوْذَعِيَّتُهُ   عَنْ أَنْ يُذَالَ بِمَنْ أَوْ مِمَّنِ الرَّجُلُ(٢)

فقصّر عديٌّ بالممدوح ؛ إذ جعله إذا كان فى جماعة لم يُعْرَف حتى تنبىء عنه شمائله ، وتبعه أبو تمام فى التقصير .

١٠١ — وقال(٣) :

طَلَبُ الْمَجْدِ يُورِثُ الْمَرْءَ خَبْلاً   وَهُمُوماً تُقَضْقِضُ الْحَيْزُومَا

فَتَرَاهُ وَهْوَ الْخَلِيُّ شَجِيًّا   وَتَرَاهُ وَهْوَ الصَّحِيحُ سَقِيمَا

أخذ قوله « وهموما تقضقض الحيزوما » من قول لَقيط الإيادى :

لا يَطْعَمُ النَّوْمَ إلاَّ رَيْثَ يَبْعَثُهُ   هَمٌّ يَكَادُ حَشَاهُ يَحْطِمُ الضِّلَعَا

وأخذ معنى قوله :

وَلَّهَتْهُ الْعُلَى فَلَيْسَ يَعُدُّ الْـ   ـبُؤْسَ بُؤْساً وَلا النَّعِيمَ نَعِيمَا

---

(١) من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان ٩٧) والقرن — بكسر فسكون — البطل المماثل ، والحنق : الغيظ ، والسنان : الرمح أو أعلاه ، والحوباء : النفس ، يريد أن رعبه يطش بقرنه فيميت نفسه قبل أن ينال منه

(٢) من قصيدة يمدح فيها المعتصم بالله (الديوان ٢٢٨) ولألاؤه: ضياؤه وإشراق وجهه ، ولوذعيته : ذكاؤه ، ويذال : يمتهن ، وفى الديوان « من أن يذال »

(٣) ثلاثة الأبيات التى زعم أنه أخذ معناها من قول لقيط هى من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد (الديوان ٢٩٢ و ٢٩٣) وفيه أول الثالث « تيمته العلى » والخبل : الهوج والبله ، وتقضقض : تحطم وتكسر ، والحيزوم : ما استدار بالبطن والظهر. وولهته : صيرته والها ، كتيمته صيرته متيما

من قول لقيط أيضاً :

لا مُتْرَفاً إنْ رَخاءُ العَيْشِ ساعَدَهُ ولا إذا عَضَّ مَكْرُوهٌ بِهِ خَشعا

١٠٢ ـ وقال أبو العارم الطائى :

غبىّ العين أو فَهِمٌ تَغابَى عن الشدات والفِكَرِ القَوَاصِى

أخذه أبو تمام، فقال وزاد عليه وأحسن :

لَيْسَ الغَبِىُّ بِسَيِّدٍ فِى قَوْمِهِ لٰكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ المُتَغَابِى[1]

أو أخذه من قول دِعْبِل :

تُخَالُ أحْيَاناً بِهِ غَفْلَةٌ مِنْ كَرَمِ النَّفسِ، وَمَا أغْلَمَهْ !

١٠٣ ـ وتمثلَتْ فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم عند وفاته عليه السلام فيما روى عنها ولا أعلم صحته :

صُبَّتْ عَلَىَّ مَصَائِبٌ لَوْ أنها صُبَّتْ على الأيّامِ عُدْنَ لَيَالِيا

ومثله قول الطائى :

عادَتْ لَهُ أيّامُهُ مُسْوَدَّةً حَتى تُوُهِّمَ أنَّهُنَّ لَيَالِى[2]

١٠٤ ـ وقال ابن أذينة[3] :

أسْعَى لَهُ فَيُعَنِّينِى تَطَلُّبُهُ وَلَوْ قَعَدْتُ أتَانِى لا يُعَنِّينِى

أخذه الطائى فقال :

---

(١) من قصيدة يمدح فيها مالك بن طوق التغلبى (الديوان ٢٠) والغبى : القليل الفطنة ، والمتغابى : الذى يظهر الغباء وليس بغبى

(٢) من قصيدة يمدح فيها الحسن بن رجاء (الديوان ٢٤٦)

(٣) فى عامة الأصول « أبو أذينة » وليس بشىء ، وابن أذينة صاحب هذا البيت هو عروة بن أذينة ، والبيت من أبيات له قالها فى أثناء مدحته لهشام ابن عبدالملك ، وقبله قوله :

لقد علمت وما الإشراف من خلقى أن الذى هو رزقى سوف يأتينى

وانظره فى الشريشى ١/٢٨٩ ثانى ثلاثة ، وفى ثمرات الأوراق ٤ أول بيتين مع قصة للشاعر ، وانظره ثانى اثنين مع قصة فى المستطرف ١/٨٦

الرِّزْقُ لاَ تَكْمَدْ عَلَيْهِ فإنهُ ... يَأْتِى وَلَمْ تَبْعَثْ إليهِ رَسُولا[١]

١٠٥ ـ وقال الطائى :

وَجَّهَ العِيسَ وَهْىَ عِيسٌ إلَى اللّــــهِ فَآضَتْ مِنَ الهَوَاجِرِ شِيما[٢]

أخذه من قول ابن هَرْمَةَ :

بَدَأْتَ عَلَيْهَا وَهْىَ عِيسٌ فَأَصْبَحَتْ ... مِنَ السَّيْرِ جُوناً لاحِقَاتِ الغَوَارِبِ[٣]

١٠٦ ـ وأنشد الأُشْنَانْدَانِىُّ فى المعانى يذكر الإبل :

رَدَّتْ عَوَارِىَّ غِيطَانِ الفَلاَ ، وَنَجَتْ ... بِمِثْلِ إِبَالَةٍ مِنْ حَائِلِ العُشَرِ[٤]

---

(١) من قصيدة يمدح فيها نوح بن عمر السكسكى من كندة (الديوان ٢٤٣) وفيه « الرزق لا تحرص عليه »

(٢) من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد (الديوان ٢٩٢) وفيه « فآلت مثل القسى حطما » والعيس : الإبل البيض يخالط بياضها شقرة ، والناقة عيساء ، والجمل أعيس ، وآلت : رجعت ، والقسى : جمع قوس ، وحطما : محطومة ، وآضت : صارت ، والهواجر : جمع هاجرة ، وأصلها نصف النهار عند زوال الشمس مع الظهر أو عند زوالها إلى العصر ، سمى هذا الوقت بذلك الاسم لأن الناس يستكنون فيه كأنهم قد تهاجروا ، وتطلق الهاجرة على شدة الحر ، وأراد أبو تمام « من سير الهواجر » والشيما : النوق السود ، أصل عينها واو أو همزة ، يريد أن الممدوح خرج بهذه الإبل فى سبيل الله وهى بيضاء ، فرجع بها وهى سوداء من لفح الهجير .

(٣) الجون هنا : السود ، ولاحقات : جمع لاحقة ، وهى الضامرة ، وفعله لحق كسمع لحوقا ، والغوارب : جمع غارب ، وهو الكاهل ، أو هو مابين السنام والعنق .

(٤) الغيطان : جمع واحده غوط ، وهو المطمئن الواسع من الأرض . يريد أنها كانت قد رعت الغيطان فسمنت ، فلما سافر عليها هزلت ، فكأنها ردت على الغيطان ما كانت قد استعارته من الشحم والسمن ، والإبالة : الحزمة من الحطب . والحائل : الذى أتى عليه حول . والعشر ـ بزنة عمر ـ ضرب من الشجر . يريد أنها نجت وقد صارت مثل الإبالة من النحول ، وانظر معانى الشعر للأشنانداني (٥٠ ، ٥١) ، وانظر أيضا الشريشى ١/٢١٤

أخذه أبو تمام فقال :

فَكَمْ جِزْعَ وَادٍ جَبَّ ذِرْوَةَ غَارِبٍ　　وَبِالْأَمْسِ كَانَتْ أَتْمَكَتْهُ مَذَانِبُه(١)

١٠٧ ـ وقال أبو تمام :

لَوْ أَصَخْنَا مِنْ بَعْدِهَا لَسَمِعْنَا　　لِقُلُوبِ الْأَيَّامِ مِنْكَ وَجِيبَا(٢)

أخذه من قول أبي نواس :

حَتَّى الَّذِي فِي الرَّحْمِ لَمْ يَكُ نُطْفَةً　　لِفُؤَادِهِ مِنْ خَوْفِهِ خَفَقَانُ

١٠٨ — وقال آخر :

يَا حَبَّذَا رِيحُ الْجَنُوبِ إِذَا غَدَتْ　　بِالْفَجْرِ وَهْيَ ضَعِيفَةُ الْأَنْفَاسِ

قَدْ حُمِّلَتْ بَرْدَ الثَّرَى وَتَحَمَّلَتْ　　عَبَقًا مِنَ الْجَثْجَاثِ وَالْبَسْبَاسِ

أخذه الطائي فقال :

أَرْسَى بِنَادِيكَ النَّدَى وَتَنَفَّسَتْ　　نَفَسًا بِعَقْوَتِكَ الرِّيَاحُ ضَعِيفَا(٣)

---

(١) من قصيدة يمدح فيها أبا العباس عبدالله بن طاهر (الديوان ٤٤) وجزع الوادي : جانبه ، وجب : قطع ، والغارب : الكاهل ، وذروته : أعلاه ، وأتمكته : سمنت تامكه ، وهو السنام ، ومذانب الوادي : مجاريه الضيقة ، وأراد العشب الذي ينبت فيها ، وأنشده الشريشي ١٢٤/١

(٢) من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري (الديوان ٢٧) وفي أصول هذا الكتاب « من بعده » وهو تحريف صوابه عن الديوان، ويؤيده أن قبل هذا البيت :

فضربت الشتاء في أخدعيه　　ضربة غادرته قودا ركوبا

والأخدعان : عرقان في العنق ، والقود ـ بفتح فسكون ـ ما يقاد بالمقود من الخيل ، يريد أن هذه الضربة ذللته وسهلت قياده ، وأصخنا : استمعنا وأصغينا ، والوجيب : الرجفان

(٣) من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد (الديوان ٢٠٦) وفيه «أرسى بعرصتك» وأرسى كرسا : ثبت وأقام ، وعرصةالدار : ساحتها ، والندى : بلل الماء ، والعقوة ـ بفتح فسكون ـ ماحول الدار أو الساحة،والبيت دعاء للمنزل بأن يقيم فيه الخصب وطيب الهواء ، وقبل البيت قوله :

يا منزلا أعطى الحوادث حكمها　　لا مطل في عدة ولا تسويفا

١٠٩ ــ وقال نُصَيب :

وَقَدْ عَادَ مَاءُ الأَرْضِ مِلْحاً فَزَادَنِى عَلَى ظَمَئِى أَنْ أَبْحَرَ المَشْرَبُ العَذْبُ(١)

أخذه أبو تمام فقال :

كَانَتْ مُجَاوَرَةُ الطُّلُولِ وَأَهْلِهَا زَمَناً عِذَابَ الوِرْدِ فَهْىَ بِحَارُ(٢)

١١٠ ــ وقال غيلان بن سلمة الثقفى يصف فرسا :

نَهْدٌ كُتَيْسٌ أَقَبُّ مُعْتَدِلٌ كَأَنَّمَا فِى صَهِيلِهِ جَرَسُ

أخذه أبو تمام فقال :

صَهْصَلِقٌ فِى الصَّهِيلِ تَحْسَبُهُ أُشْرِجَ حُلْقُومُهُ عَلَى جَرَسِ(٣)

١١١ ــ وقال الفرزدق :

قِيَامٌ يَنْظُرُونَ إِلَى سَعِيدٍ كَأَنَّهُمُ يَرَوْنَ بِهِ هِلَالَا

أخذه أبو تمام فقال :

رَمَقُوا أَعَالِىَ جِذْعِهِ فَكَأَنَّمَا رَمَقُوا الهِلَالَ عَشِيَّةَ الإِفْطَارِ(٤)

١١٢ ــ وقال ابن مناذر فى البرامكة :

إِذَا وَرَدُوا بَطْحَاءَ مَكَّةَ أَشْرَقَتْ بِيَحْيَى وَبِالفَضْلِ بْنِ يَحْيَى وَجَعْفَرِ

لَهُمْ رِحْلَةٌ فِى كُلِّ يَوْمٍ إِلَى العِدَى وَأُخْرَى إِلَى البَيْتِ العَتِيقِ المُسَتَّرِ

أخذه أبو تمام فقال :

حِينَ عَفَّى مَقَامَ إِبْلِيسَ سَامَى بِالمَطَايَا مَقَامَ إِبْرَاهِيمَا(٥)

---

(١) رواه فى اللسان (ب ح ر) منسوبا إلى نصيب أيضا ، وفيه فى أول عجزه « على مرضى » فى مكان « على ظمئى » .

(٢) من مدحة فى أبى سعيد أيضاً (الديوان ١٤٥) وفيه « وهى بحار »

(٣) من قصيدة يمدح فيها مالك بن طوق ويطلب منه فرسا (الديوان ١٧٠) وصهصلق : شديد ، والصهيل : صوت الفرس ، وأشرج : شد إليه ، ومما يستحب فى الخيل أن يكون صوت الفرس شديداً ؛ لأنه يدل على سعة الصدر

(٤) من قصيدة يمدح فيها المعتصم بالله ، ويذكر إحراق الأفشين (الديوان ١٥٣) وانظر أخبار أبى تمام ٩٥ .

(٥) من قصيدة يمدح فيها أباسعيد ، وكان قد قدم من مكة (الديوان ٢٩٢) .

١١٣ — وقال أبو تمام :

فَحَيَّوْا بالأسنةِ ثُمَّ ثَنَّوْا   مُصافَحَةً بأطرافِ الرِّماحِ[1]

أخذ قوله « فحيوا بالأسنة » من قول مسلم :

فَحَيَّوْا بأطرافِ القَنَا وَتعانَقوا   مُعانَقةَ البَغْضاء غَيْرِ التَّوَدُّدِ

وأخذ قوله « مصافحة بأطراف الرماح » من قول أبي إسحاق التغلبي :

دَنَوْتُ لهُ بأبيَضَ مَشْرَفيّ   كَمَا يَدْنُو المُصافِحُ للسَّلامِ

١١٤ ـ وقال جرير في يزيد بن معاوية :

الحَزْمُ وَالجُودُ وَالإيمانُ قَدْ نَزَلُوا   عَلَى يَزِيدَ أَمِينِ اللهِ فَاخْتَلفُوا

ألم به أبو تمام فقال :

مِنَ البَأْسِ وَالمعْرُوفِ وَالجُودِ وَالتُّقى   عِيالٌ عَلَيْهِ، رِزْقُهُنْ شَمائِلُهْ[2]

فقال « عيال عليه » وهو نحو قول جرير « نزلوا على يزيد » ولعل أبا تمام أخذه من قول دعبل :

تَنافَسَ فيهِ الحَزْمُ وَالبَأْسُ والتُّقى   وَبَذْلُ اللُّهَى حَتَّى اصْطَحَبْنَ ضَرائِرَا

١١٥ ـ وقال الكميت يصف الخيل :

يَفْقَهْنَ عَنْهُمْ إذا قالُوا، وَيَفْقَهُهُمْ   مُسْتَطْعِمٌ صاهِلٌ مِنْهُمْ وَمُنْتَحِمُ

أخذه أبو تمام فقال :

وَهْوَ إذا مَا ناجاهُ فارِسُهُ   يَفْهَمُ عَنْهُ ما تَفْهَمُ الإنْسُ[3]

١١٦ ـ وقال الكميت أيضاً :

والْقَيْنَ البُرُودَ عَلَى خُدُود   يُزَيِّنَّ الفَدَاغِمَ بِالأَسِيلِ[4]

---

(١) لا يوجد هذا البيت في ديوانه المطبوع .

(٢) من قصيدة يمدح فيها المعتصم بالله (الديوان ٢٣٠) .

(٣) من قصيدة يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ١٦٧) .

(٤) الفداغم : جمع فدغم ـ بزنة جعفر ـ وهو الوجه الحسن الممتلىء ، والأسيل ـ بزنة أمير ـ الخد الطويل المسترسل ، وفعله من باب كرم .

يريد بالفداغم الرَّخْوَةَ اللَّحِيمَةَ ؛ فقال أبو تمام :

وَثَنَوْا عَلَى وَشْيِ الْخُدُودِ صِيَانَةً ... وَشْيَ الْبُرُودِ بِمُسْجَفٍ وَمُمَهَّدِ [1]

١١٧ ـ وقال الأبيردُ الرِّياحيُّ :

وَكُنْتُ أَرَى هَجْراً فِرَاقَكَ سَاعَةً ... أَلاَ ، لاَ ، بَلِ الْمَوْتُ التَّفَرُّقُ وَالْهَجْرُ [2]

أخذه أبو تمام فقال :

الْمَوْتُ عِنْدِي وَالْفِرَا ... قُ كِلاهُمَا مالا يُطَاقُ [3]

١١٨ ـ وأنشد أبو العباس المبرد للعُتْبِيّ :

أَضْحَتْ بِخَدِّي لِلدُّمُوعِ رُسُومُ ... أَسَفاً عَلَيْكَ ، وَفِي الْفُؤَادِ كُلُومُ
وَالصَّبْرُ يَحْسُنُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا ... إِلاَّ عَلَيْكَ ؛ فَإِنَّهُ مَذْمُومُ

قال : وأخذه الطائى فقال فى إدريس بن بَدر السامى [4] :

دُمُوعٌ أَجَابَتْ دَاعِيَ الْحُزْنِ هُمَّعُ ... تُوَصِّلُ مِنَّا عَنْ قُلُوبٍ تَقَطَّعُ
وَقَدْ كَانَ يُدْعَى لاَبِسُ الصَّبْرِ حَازِماً ... فَأَصْبَحَ يُدْعَى حَازِماً حِينَ يَجْزَعُ

قال : وجاء به الطائى فى موضع آخر ، فقال :

---

(١) من قصيدة يمدح فيها المعتصم بالله (الديوان ١١١) وثنوا : عطفوا ، والوشى : النقش ، وأرادوا بوشى الخدود زينتها من حمرة وتلوين ، والبرود : الثياب ، واحدها برد ، وأراد بوشى البرود الثياب المطرزة ، والمسجف : الستار المرخى ، والممهد : الممدود .

(٢) البيت من قصيدة له يرثى فيها أخاه بريدا ، وفيها يقول :

أحقا عباد الله أن لست لاقيا ... بريدا طوال الدهر ما لألأ العفر

(٣) البيت خامس سبعة أبيات له فى الغزل (الديوان ٤٥٣) وأولها قوله :

نأى وشيك وانطلاق ... وعليك شوق واحتراق

(٤) فى المطبوعات « الشامى » بالشين معجمة ، وهو تحريف ، وإنما هو بالسين مهملة نسبة إلى سامة بن لؤى ، وهو أحد بنيه (انظر الديوان ٣٧٢) وأول البيتين مطلع القصيدة ، وثانيهما يقع بعده بتسعة أبيات .

الصَّبْرُ أَجْمَلُ غيرَ أنَّ تلذُّذِي   فى الحُبِّ أحْرى أنْ يَكونَ جميلا(١)

١١٩ — وقال الراجز، أنشده يعقوبُ بن السِّكِّيت:

قَدْ أَضْحَتِ العُقْدَةُ صَلْعاءَ اللِّمَمْ   وَأَصْبَحَ الأَسْوَدُ مَخْضُوباً بِدَمْ(٢)

العقدة : موضع ذو شجر لا يَفنى فيذهب ، وصلعاء اللمم : الجماجم ، وهو جمع لمّة ، فجعله مثلا لرؤوس النبت أكلَتْه الإبل فصارت لممه صُلْعاً ، والأسود : الحية تطؤه الإبل فتقتله ؛ فظفر بهذا أبو تمام فقال :

حتى تَعَمَّمَ صُلْعُ هاماتِ الرُّبَى   مِنْ نَوْرِهِ وَتَأَزَّرَ الأَهْضامُ(٣)

والأهضام : ما انخفض من الأرض .

***

ووجدت ابن أبي طاهر خرَّج سرقاتِ أبى تمام ، فأصاب فى بعضها ، وأخطأ فى البعض ؛ لأنه خَلَط الخاصَّ من المعانى بالمشترك بين الناس مما لا يكون مثله مسروقا .

١ — فمن السَّرَق قولُ أبى تمام :

كَما كادَ يُنْسى عَهْدُ ظَمْياء بِاللِّوَى   وَلكِنْ أَمَلَّتْهُ عَلَيْهِ الحَمَائِمُ(٤)

أخذه من قول العَتّابى :

بَكَى وَاسْتَمَلَّ الشَّوْقَ مِنْ فِي حَمامَةٍ   أَبَتْ فى غُصُونِ الأَيْكِ إلاّ التَّرَنُّما

---

(١) البيت من غزل قصيدة يمدح فيها نوح بن عمر السكسكى (الديوان ٢٤٢) وفيه « غير أن تلذذا » وأحرى : أجدر وأليق .

(٢) انظره فى الوساطة ١٦٥ وفيه « أصبحت العقدة »

(٣) من قصيدة يمدح فيها المأمون (الديوان ٢٧٩) والصلع : جمع صلعاء ، وصف من الصلع ـ بفتحتين ـ وهو انحسار شعر الرأس ، والهامات : جمع هامة وهى الرأس ، وتأزر : لبس الإزار ، وفسر المؤلف الأهضام ، وانظر الوساطة ١٦٥

(٤) من غزل قصيدة يمدح فيها أحمد بن أبى دؤاد (الديوان ٢٨٥) ، أملته ـ بتضعيف اللام ـ من الإملال بمعنى الإملاء ، ووزنه ، وفى الكتاب الكريم : (فليملل الذى عليه الحق) وانظره فى الوساطة ١٦٥ مع بيت العتابى

أظن قوله «فى حمامة» أراد [به] من صوت[1] حمامة ، دعته إليه الضرورة ، وليس هذا موضع « فى » وقوله « أملته » من قول العتابى « واستمَلّ » . وقد جاء مثله فى أشعارهم[2] :

٢ ـ وقال : أخذ قوله :

لا تَنْشِجَنَّ لَهَا فإنَّ بُكاءها ضَحِكٌ ،وَإنَّ بُكاءكَ اسْتِغْرامُ[3]

من قول الآخر :

فإنِّى إنْ بَكَيْتُ بَكَيْتُ حَقًّا وَإنّكِ فى بُكائِكِ تَكْذِبينا

٣ ـ وقال :

* فتوَلَّ حتى لَمْ يَجِدْ مَنْ يُنِيلُه *[4]

أخذهُ من قول على بن جَبَلة :

أعْطَيْتَ حتى لَمْ تَجِدْ لكَ سائِلاً وَبدأتَ إذْ قطعَ العُفاةُ سُؤالَهَا

وقد ذكرتُ أخذهُ هذا المعنى فيما تقدم من غير ابن جَبَلة[5] .

٤ ـ وقال :

إنّى لأعْجَبُ مِمَّنْ فى حَقِيبَتِهِ مِنَ المَنِيِّ بُحُورٌ كيفَ لا يَلِدُ

أخذه من مروان فى قوله :

لَوْ كانَ يَحْمِلُ مِنْ هذا الوَرَى ذَكَرٌ لَكُنْتَ أوَّلَ خَلْقِ اللهِ بالوَلَدِ

---

(١) بل نرى أن « فى حمامة » معنـاه « فم حمامة » واستمع إلى قول حميد ابن ثور :

عجبت لها أنى يكون غناؤها فصيحا ، ولم تفغر بمنطقها فما

(٢) اقرأ منه جملة صالحة فى الكامل للمبرد (٨٤٨ طبع مطبعة الحلبى) .

(٣) الديوان (٢٧٩) وفيه « لاتشجين لها » وما هنا أنسب ، وتقول : نشج الرجل ـ من باب ضرب ـ نشيجا ، إذا غص بالبكاء فى حلقه من غير انتحاب . ورواه الشريشى ١/١٩ ثانى ثلاثة أبيات .

(٤) تمامه : * وحارب حتى لم يجد من يحاربه *

(٥) انظر (ص ٧٩ من هذا الكتاب) .

ومن قوله أيضاً :

لَوْ كانَ يُخْلَقُ فى بَطْنِ امْرِىءٍ ولَدٌ لأصْبَحَ البَطْنُ مِنْهُ ضَامِناً وَلَدَا

٥ ــ وقال :

يَحْمِيهِ لَأْلَاؤُهُ وَلَوْذَعِيَّتُــــهُ عَنْ أَنْ يُذَالَ بِمَنْ أَوْ مِمَّنِ الرَّجُلُ

أخذه من [قول] حسان :

إذَا مَا تَرَعْرَعَ فِينَا الْغُلَامُ فَمَا إِنْ يُقَالُ لَهُ مَنْ هُوَهْ

وقد ذكرتُ أخذه هذا المعنى فيما تقدم من غير حسان .[1]

٦ ــ وقال :

فَلَا تَطْلُبُوا أَسْيَافَهُمْ فى جُفُونِهَا فَقَدْ أُسْكِنَتْ بَيْنَ الطُّلَى وَالْجَمَاجِمِ[2]

أخذه من قول عنترة :

وَلَمْ يَعْلَمْ جَزِيَّةُ أَنْ نَبْــلِى يكونُ جَفِيرَهَا الْبَطَلُ النَّجِيدُ[3]

٧ ــ وقال :

يَتَجَنَّبُ الْآثَامَ ثُمَّ يَخَافُهَــا فَكَأَنَّمَا حَسَنَاتُهُ آثَامُ[4]

أخذه من قول أبى العتاهية :

---

(١) انظر (ص ٨٨ من هذا الكتاب) .

(٢) من قصيدة يرثى فيها هاشم بن عبد الله بن مالك الخزاعى (الديوان ٣٨٧) وكان فى المطبوعات الثلاث « فى جنونهـا » والتصويب عن الديوان ، والجفون : جمع جفن ، وهو قراب السيف ، والطلى ــ بضم الطاء ــ الأعناق ، والجماجم : الرؤوس ، يريد لا تبحثوا عن سيوف هؤلاء فى جفونها ؛ فإنكم إن بحثتم عنها فى الجفون لم تجدوها ؛ لأنها أغمدت فى أعنـاق أعدائهم ورءوسهم فبقيت ساكنة فيها .

(٣) الجفير ــ بفتح الجيم ــ جعبة من جلود لا خشب فيها ، أو جعبة من خشب لا جلود فيها ، يريد أن مكان سيفى وغمده الذى أضعه فيه هو البطل النجيد .

(٤) الديوان (٢٨٠) وكان فى المطبوعات « يتجنب الأيام » والتصحيح عن الديوان .

لَمْ تَنْتَقِصْنِي إِذْ أَسَأْتُ وَزِدْتَنِي ... حَتَّى كَأَنَّ إِسَاءَتِي إِحْسَانُ

٨ ـ وقال الطائى :

أَجَلْ أَيُّهَا الرَّبْعُ الَّذِى بَانَ آهِلُهْ ... لَقَدْ أَدْرَكَتْ فِيكَ النَّوَى ما تُحَاوِلُهْ(١)

٩ ـ وقال :

لا تُذِيلَنْ مَصُونَ هَمِّكَ وَانْظُرْ ... كَمْ بِذِى الأَيْكِ دَوْحَةٍ مِنْ قَضِيبِ(٢)

أخذه من قول الأشهب :

عَلَّ بَنِيَّ يَشُدُّ اللهُ أَزْرَهُمُ ... وَالدَّوْحُ يَنْبُتُ عِيدَانًا فَيَكْتَهِلُ(٣)

١٠ ـ وقال :

أَظَلَّهُ الْبَيْنُ حَتَّى إِنَّهُ رَجُلٌ ... لَوْ مَاتَ مِنْ شُغْلِهِ بِالْبَيْنِ مَا عَلِمَا(٤)

أخذه من قول أبى الشِّيص :

وَكَمْ مِنْ مَيْتَةٍ قَدْ مُتُّ فِيهِ ... وَلٰكِنْ كَانَ ذَاكَ وَمَا شَعَرْتُ

١١ ـ وقال فى وصف الرماح :

كَأَنَّهَا ـ وَهْيَ فِي الأَكْبَادِ وَالِغَةٌ ... وَفِى الْكُلَى ـ تَجِدُ الْغَيْظَ الذى تَجِدُ(٥)

---

(١) هو مطلع قصيدة يمدح فيها المعتصم (الديوان ٢٢٩) وكان فى المطبوعات « ما تحاول » والتصحيح عن الديوان ، وقد سقط من جميع الأصول البيت الذى يقال إنه أخذ هذا منه .

(٢) هو من قصيدة يمدح فيها سليمان بن وهب (الديوان ٣٦) وفيه «لاتذيلن صغير همك » وهى أصح ، وفيه أيضا « كم بذى الأثل » وتذيل : تحتقر، والدوحة: الشجرة العظيمة ، و « من قضيب » يعنى به أنها نشأت منه ، والمراد لا تحتقر الأمور الصغيرة فإنها تعود عظيمة كبيرة . ومعظم النار من مستصغر الشرر .

(٣) اكتهل النبت : تناهى وعظم ، ونبت كهل، ومكتهل .

(٤) من قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم المصعبى (الديوان ٣٠٢) وقبل البيت قوله :

نأوا فظلت لوشك البين مقلته ... تندى نجيعا ويندى جسمه سقما

(٥) من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائى (الديوان ٩٩) =

أخذه من قول النَّمرِيّ :

وَمُصَلْتَاتٍ كَأَنَّ حِقْـداً ... مِنْهَا عَلَى الْهَامِ وَالرِّقَابِ

١٢ ـ وقال :

إذا ما أغَارُوا فاحْتَوَوْا مالَ مَعْشَرٍ ... أغارَتْ عَلَيْهِمْ فاحْتَوَتْهُ الصَّنَائِعُ(١)

أخذه من قول الآخر :

إذا أسْـلَفَتْهُنَّ المَلَاحِمُ مَغْنَماً ... دَعاهُنَّ مِنْ كَسْبِ المَكَارِمِ مَغْرَمُ

١٣ ـ وقال :

وَرَكْبٍ كأطْرَافِ الأسِنَّةِ عَرَّسُوا ... عَلَى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ تَسْطُو غَيَاهِبُهْ

وقد ذكرتُ أخذ هذا المعنى فيما تقدم من كُثَيِّر(٢) .

١٤ ـ وقال :

تُوُفِّيَتِ الآمَالُ بَعْدَ مُحَمَّـدٍ ... فَأَصْبَحَ مَشْغُولاً عَنِ السَّفْرِ السَّفْرُ

أخذه من قول عصام الجرجانى(٣) :

ألَا فِي سَبِيلِ اللهِ آمالُكَ التِي ... تُوُفِّينَ لَمَّا اغْتَالَكَ الْحَدَثَانُ

وقد تقدم ذكر هذا وأنه أخذه من موضع آخر(٤) .

= وفيه « كأنها وهى فى الأوداج » والأوداج : جمع ودج ، وهو عرق فى العنق ، ووالغة : شاربة ، والكلى : جمع كلوة أو كلية ، وفى الوساطة ١٩١ « كأنها وهى فى الأرواح »

(١) من قصيدته التى يمدح فيها قومه ويفتخر بهم (الديوان ٤٨٠) وكان فى الأصول « أغار عليهم » وما أثبتناه عن الديوان ، والصنائع : جمع صنيعة .

(٢) ارجع إلى (ص ١٥ و ١٦ و ٥٠) من هذا الكتاب .

(٣) كذا فى جميع الأصول ، ولعله « عصام الزمانى » وهو عصام بن عبيد ، أحد بنى زمان بن مالك ، شاعر أموى ، وكان يناقض يحيى بن أبى حفصة مولى مروان بن الحكم .

(٤) انظر (ص ٦٧ من هذا الكتاب) .

١٥ ــ وقال :

* تَعْلِيقُهَا الإسْرَاجُ وَالإلْجَامُ[١] *

أخذه من قول جرير :

حَرَاجِيجُ يُعْلَفْنَ الذَّمِيلَ كأَنَّهَا مَعَاطِفُ ظَبْيٍ أو حُنِيُّ الشَّرَاجِعِ[٢]

١٦ ــ وقال :

ذاكَ الذِي كانَ لَوْ أَنَّ الأنامَ لَهُ نَسْلٌ لَمَا عَابَهُمْ جُبْنٌ وَلا بُخُلُ[٣]

أخذه من قول أبى الشميط : (؟)

لَوْ كانَ جَدُّكُمُ شريكٌ وَالِداً لِلنَّاسِ لم تَلِدِ النِّسَاءُ بَخِيلاً

١٧ ــ وقال :

حَمْراءَ مِنْ حَلَبِ الْعَصِيرِ كَسَوْتُهَا بَيْضَاءَ مِنْ حَلَبِ الْغَمَامِ الرَّقْرَقِ[٤]

أخذه من قول مسلم :

صَفْرَاءَ مِنْ حَلَبِ الْعَصِيرِ كَسَوْتُهَا بَيْضَاءَ مِنْ حَلَبِ الْغُيُومِ الْبُجَّسِ

١٨ ــ وقال : أخذ قوله :

---

(١) عجز بيت ، وصدره قوله : * بسواهم لحق الأياطل شزب *
والسواهم : الضوامر ، والأياطل : الخواصر ، والشزب : المضمرة ، وهو من قصيدة يمدح فيها المأمون (الديوان ٢٨١) وفيه « تعليقها الإسراج » وما هنا هو الصواب

(٢) الحراجيج : جمع حرجوج وهو الناقة الطويلة ، والذميل : السير اللين ما كان فوق العنق ، والحنى : الجوانب ، والشراجع : جمع شرجع ، وهو سرير الموتى ، تشبه به الناقة .

(٣) من قصيدة يمدح فيها المعتصم بالله (الديوان ٢٢٨) وفيه « لما راضهم » وراضهم : ذللهم ، وما هنا أنسب وأوضح .

(٤) لا يوجد هذا البيت فى ديوانه المطبوع .

* بَيَاضُ الْعَطَايَا فِى سَوَادِ الْمَطَالِبِ *(١)

من قول الأخطل :

رَأَيْنَ بَيَاضاً فى سَوَادٍ كأَنَّهُ ... بَيَاضُ الْعَطَايَا فى سَوَادِ الْمَطَالِبِ

١٩ ـ وأخذ قوله :

نَاجَيْتُ ذِكْرَكَ والظَّلْمَاءُ عاكِفَةٌ ... فَكَانَ يَاسَيِّدِى أَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ(٢)

من قول ابن أبى أمية :

كَمْ لَيْلَةٍ نَادَمَنِى ذِكْرُهُ ... يُسْعِدُنِى المثلث والزير

٢٠ ـ وأخذ قوله :

* وَالْعَيْشُ غَضٌّ وَالزَّمَانُ غُلَامُ(٣) *

من قول الأخطل :

سَعَيْتَ شَبَابَ الدَّهْرِ لَمْ تَسْتَطِعْهُمُ ... أَفَالْآنَ لَمَّا أَصْبَحَ الدَّهْرُ فَانِياً ؟

٢١ ـ وأخذ قوله :

ذَاكَ الذِى أَحْصَى الشُّهُورَ وَعَدَّهَا ... طَمَعاً لِيَنْتِجَ سَقْبَةً مِنْ حَائِلِ(٤)

---

(١) هو عجز بيت ، وصدره قوله :

* وأحسن من نور تفتحه الصبا *

والبيت من قصيدة يمدح فيها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلى (الديوان ٤٢) والنور : زهر النبت ، والصبا : الريح .

(٢) لا يوجد هذا البيت فى ديوانه المطبوع .

(٣) هذا عجز بيت ، وصدره قوله : * ولقد أراك فهل أراك بغبطة * (الديوان ٢٧٩) وكان فى المطبوعات « والظلام غلام » وهو تحريف تصويبه عن الديوان .

(٤) هذا بيت من أبيات له يقولها فى هجاء موسى بن إبراهيم الرافقى (الديوان ٥٠٢) والسقبة ـ بفتح فسكون ـ الأنثى من أولاد الناقة ساعة تولد ، وقد اختلف علماء اللغة فى جواز إطلاق هذا اللفظ بالتاء على الأنثى ، والحائل : الناقة التى حمل عليها فلم تلقح ، وتجمع على حيال ، والمراد أنه يطلب المستحيل .

من قول أعرابى :

إنَّا وَجَدْنَا طرد الهوامل　　خيرا من التاتان والمسائل (؟)

وعدة العـــام وعام قابل　　ملقوحة فى بطن ناب حائل

٢٢ ــ وأخذ قوله :

يغلون حَتَّى ما يَشُكُّ عَدُوُّهُمْ　　أنَّ المَنايا الحُمْـــرَ حَىٌّ مِنْهم (١)

من قول مسلم بن الوليد :

لَوْ أنَّ قَوْماً يَخْلقُونَ مَنِيَّةً　　مِنْ بَأْسِهِمْ كانُوا بَنِى جِبْرِيلا

٢٣ ــ وأخذ قوله :

لَوْ كانَ فى الدُّنْيَا قَبِيلٌ آخَرٌ　　بإزائِهِمْ ما كانَ فِيهَا مُعْدِمُ (٢)

من قول بشار :

لَوْ كانَ مِثْلَكَ آخَـــرٌ　　ما كانَ فى الدُّنْيَا فَقِيرُ (٣)

٢٤ ــ وقال فى قوله :

ذُقْنَا الصُّدودَ فلَمَّا اقتادَ أرْشُدَنا　　حَنَّتْ حَنِينَ عَجُولٍ بَيْنَنا الرَّحِمُ (٤)

من قول الأسود بن يَعْفُر :

سَمَا بَصَرِى لَمَّا عَرَفْتُ مَكانَهُ　　وَأَطَّتْ إلىَّ الوَاشِجَاتُ أطِيطا (٥)

---

(١) من قصيدة يمدح فيها محمد بن حسان الضبى (الديوان ٢٨٥) .

(٢) لا يوجد هذا البيت فى ديوانه .

(٣) نسب أبو الفرج هذا البيت فى الأغانى ٣/٢٨٩ الدار إلى ابن المولى ، أحد مخضرمى الدولتين ، من قصيدة يمدح فيها يزيد حاتم ، وقبله قوله :

يا واحد العرب الذى　　أضحى وليس له نظير

وذكر البيتين فى ترجمة بشار (٣/١٧٨ الدار) ونسبهما إليه ، وقال : إنه يمدح بهما عقبة بن سلم فى قصة له مع أبى الشمقمق وعقبة

(٤) من أبيات له فى العتاب (الديوان ٤١٠) والعجول ـ بفتح العين ـ الثكلى ، أو الواله من النساء والإبل ، قيل لها ذلك لعجلتها فى حركتها جزعا .

(٥) تقول : أطت الإبل أطيطا ؛ إذا أنت من التعب أو الحنين ، والواشجات : جمع واشجة ، وهى الرحم المشتبكة ، وتقول : وشجت بك قرابته تشج ـ مثل وعد يعد ـ ووشجها الله تعالى توشيجا .

٢٥ ـ وأخذ قوله :

صَفْرَاء صُفْرَةَ صِحَّةٍ قَدْ رَكَّبَتْ   جُثْمَانَهُ فِى ثَوْبِ سُقْمٍ أَصْفَرِ [١]

من قول على بن رزين الكوفى :

* بَيْضَاء رُعْبُوبَةٌ صَفْرَاء مِنْ غَيْرِ *

٢٦ ـ وقال فى قوله :

* لَمْ تَكْمَدِى فَظَنَنْتِ أَنْ لَمْ تَكْمَدِى * [٢]

من قولهم :

لا تُنْكِرِى جَزَعَ الْمُحِبِّ ؛ فإنَّهُ   يَطْوِى عَلَى الزَّفَرَاتِ غَيْرَ حَشَاكِ

٢٧ ـ وقال فى قوله :

سَقَى الغَيْثُ غَيْثاً وَارَتِ الأَرْضُ شَخْصَهُ

وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ سَحَابٌ وَلا قَطْرُ [٣]

---

(١) من قصيدة يعاتب فيها عباس بن لهيعة (الديوان ٣٩٦) وقبله :

أما الذى فى جسمه فسل التى   هجرته وهو مواصل لم يهجر

(٢) هذا عجز بيت ، وصدره قوله

* كشف الغطاء فأوقدى أو أخمدى *

وهذا البيت مطلع قصيدة يمدح فيها المعتصم (الديوان ١١١) « وأوقدى أو أخمدى » معناه اعذليه إن شئت فأججى نيران غرامه أو اتركى عذله فتنطفىء لوعته، ومعنى « لم تكمدى » لم تحزنى على حبيب ظعن أو هجر « فظننت » فشككت وتوهمت أن ما يظهره المحبون من الحزن والألم غير صحيح ، و « أن » هو بفتح الهمزة على أن لام التعليل مقدرة قبله ، أى : أن علة شكك فى ما يظهره المحبون هو أنك لم تذوقى حرقة الهوى ولا احترقت بنيرانه ، هذا ما يظهر لى فى هذا البيت ، ونظيره فى المعنى قول أبى تمام نفسه :

برح الخفاء فأججى نار الملام وأخمديها

لم تعشقى فعذلتنى لو ذقته لم توقديها

(٣) من قصيدته فى رثاء بنى حميد الطوسى (الديوان ٣٧٠)

من قول عقيق بن سليك العامرى (١)

* سَقَاكَ الْغَيْثُ إِنَّكَ كُنْتَ غَيْثًا (٢)

٢٨ ـ وقال فى قوله :

أَمِنْ بَعْدِ طَيِّ الْحَادِثَاتِ مُحَمَّدًا يَكُونُ لِأَثْوَابِ الْعُلَى أَبَدًا نَشْرُ (٣)

من قول أبى نواس :

طَوَى الْمَوْتُ مَا بَيْنِى وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ وَلَيْسَ لِمَا تَطْوِى الْمَنِيَّةُ نَاشِرُ

٢٩ ـ وقوله أيضاً :

* وَمِنَ الْعَجَائِبِ نَاصِحٌ لَا يُشْفِقُ (٤) *

من قول المخبل أيضاً :

وَلَا يَعْدَمُ الْغَاوِى عَلَى الْغَيِّ لَائِمًا وَإِنْ هُوَ لَمْ يُشْفِقْ عَلَيْهِ يَلُومُ

٣٠ ـ وأخذ قوله :

مَنْ شَرَّدَ الْإِعْدَامَ عَنْ أَوْطَانِهِ بِالْبَذْلِ حَتَّى اسْتُطْرِفَ الْإِعْدَامُ (٥)

---

(١) كذا فى أصول هذا الكتاب ، وقائل هذا البيت هو « عدى بن ربيعة التغلبى » وهو المهلهل أخو كليب وائل ، فلعل مافى الأصل محرف عن هذا .

(٢) هذا صدر بيت ، وعجزه قوله :

* ويسرا حين يلتمس اليسار *

والبيت من مرثية للمهلهل فى أخيه كليب يقول فيها :

أجبنى يا كليب خلاك ذم لقد فجعت بفارسها نزار

(٣) الديوان (٣٦٩) وفيه « يكون لأثواب الندى »

(٤) هذا عجز بيت من كلمة يهجو فيها عتبة بن أبى عاصم ، وهو مع صدره برواية الديوان (٤٩٩) هكذا :

عمرى لقد نصح الزمان وإنه لمن العجائب ناصح لا يشفق

(٥) من قصيدة يمدح فيها المأمون (الديوان ٢٨٠) والإعدام : الفقر ، وتقول : أعدم فلان ، وهو معدم ، ومعناه أنه لا يجد شيئا . والبذل : العطاء ، واستطرف ـ بالبناء للمجهول ـ أى عده الناس طريفاً ، والطريف : الجديد

من قول الأعشى :

هُمْ يَطْرُدُونَ الفَقْرَ عَنْ جارِهِمْ حَتَّى يُرَى كالْغُصْنِ النَّاضِرِ

وفى قول أبى تمام زيادةٌ حسنة ، وهى قوله « حتى استطرف الإعدام »

٣١ ـ وأخذ قوله :

حَلَفْتَ ، إنْ لمْ تَثَبَّتْ ، أنَّ حافِرَهُ

مِنْ صَخْرِ تَدْمُرَ أوْ مِنْ وَجْهِ عُثْمَانِ (١)

من قول الآخر :

لَوْ كانَ حافِرُ بِرْذَوْنِي كأوْجُهِكُمْ بَنِى بديلٍ لمَا أنْعَلْتُهُ أبدًا

***

ومما نسبه فيه ابن أبى طاهر إلى السَّرَق ما ليس بمسروق ؛ لأنه مما يشترك فيه الناسُ من المعانى والجارى على ألسنتهم ، ومنه ما نسبه إلى السَّرَق والمعنيان مختلفان .

٣٢ ـ [فمن الأول](٢) قول أبى تمام :

ألَمْ تَمُتْ يا شَقِيقَ الجُودِ مُذْ زَمَنٍ فقالَ لى لمْ يَمُتْ مَنْ لمْ يَمُتْ كَرَمُهُ(٣)

وقال : أخذه من [قول(٢)] العتَّابى :

رَدَّتْ صَنائِعُهُ إلَيْهِ حَيَاتَهُ فَكأنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورُ

(١) هذا رابع أربعة أبيات يهجو فيها عثمان بن إدريس السامى ، ولم تذكر فى الديوان المطبوع فى بيروت ، ونشرت فى نسخة الديوان المطبوع بمصر (طبع المطبعة الوهبية ١٢٩٢ من الهجرة) وهاك هذه الأبيات الأربعة :

وسابح هطل التعداء هتان على الجراء أمون غير خوان
أظمى الفصوص ولم تظمأ قوائمه فخل عينيك فى ظمآن ريان
فلو تراه مشيحا والحصى قلق تحت السنابك من مثنى ووحدان
حلفت ـ إن لم تثبت ـ أن حافره من صخر تدمر أو من وجه عثمان

(٢) زيادة لابد منها لتصحيح السياق

(٣) البيت سادس ستة أبيات يقولها فى رثاء محمد بن حميد (الديوان ٣٨٧) وقبله قوله :

فقلت ، والدمع من حزن ومن فرح يجرى ، وقد خدد الخدين منسجمه

ومثل هذا لا يقال له مسروق ؛ لأنه قد جَرَى فى عادات الناس ـ إذا مات الرجل من أهل الخير والفضل ، وأُثنى عليه بالجميل ـ أن يقولوا : ما مات مَنْ خلَّف مثل هـذا الثناء ، ولا من ذُكِر بهذا الذكر . وذلك شائع فى كل أمة ، وفى كل لسان .

٣٣ — وقال أبو تمام :

إذا عُنِيتُ بِشَىْءٍ خِلتُ أنِّىَ قَدْ أدْرَكْتُه أدْرَكَتْنى حِرْفَةُ الأدَبِ (١)

وقال : أخذه من [قول] الْخُرَيْميّ .

أدْرَكَتْنِى بذاك أول دانى بِسِجِسْتَانَ حِرْفَةُ الآدَابِ

و « حرفة الآداب » لفظة قد اشترك الناسُ فيها ، وكثرت على الأفواه ، حتى قد سقط أن واحدا يستملها من آخر ، هـذا قول ابن أبى طاهر ، ولم يقل أبو تمام « أدركتنى حرفة الأدب » إنمـــا قال « أدركتنى حرفة العرب » وقد ذكرتُ غلطه فى هذه اللفظة عند ذكر البيت فى الموازنة .

٣٤ ـ وقال فى قوله :

لَوْ يَعْلَمُ الْعَافُونَ كَمْ لَكَ فى النَّدَى مِنْ لَذَّةٍ وَقَرِيحَةٍ لَمْ تُحْمَدِ (٢)

---

(١) من قصيدة له فى الفخر (الديوان ٤٧١) وفيه « إذا عنيت بشأو » وعنيت بالبناء للمجهول ـ اهتممت . والشأو : الغاية التى يقصدها، ويراد بحرفة الأدب الفقر .

(٢) البيت من قصيدة يقال: إنه مدح بها المأمون ، والأولى أنه مدح بها المعتصم (الديوان ١١٣ بيروت) والرواية التى ذكرها المؤلف هنا هى رواية الديوان المطبوع فى مصر (ص ٥٧) وعليها يتعين أن يكون قوله « لم تحمد » من الحمد الذى هو الثناء ، ويكون « لم تحمد » جواب لو فى أول البيت ، وفى نسخة الديوان « لم تخمد » بالخاء المعجمة على أن هذه الجملة صفية لقريحة . وفى نسخة ثالثة من الديوان (ص ٢٦٤ طبع بيروت ١٩٢٨) :

لم يعلم العافون كم لك فى الندى من لذة وقريحة لم تخمد

وسيأتى ذكر هذا البيت مرة أخرى فى ٢١٣ طبعة أولى .

أخذه من [قول] بشار :

لَيْسَ يُعْطِيكَ لِلرَّجاء وَلاَ الْخَوْ ... فِ ، وَلٰكِنْ يَلَذُّ طَعْمَ الْعَطاء[1]

وما إخاله احْتَذَى فى هـذا البيت على قول بشار ؛ لأن بشارا قال : ليس يعطيك رغبة فى جزاء يرجوه ولا خوفاً من مكروه ، ولـكن لالتذاذه العطيةَ ، وأراد أبو تمام أن الطالبين لو علموا التذاذه الندى لم يحمدوه ، والمعنيان إنما اتفقا فى طريق التذاذ الممدوح بعطائه فقط . وهـذا ليس من بديع المعانى التى يختصّ بها شاعر فيقال : إن واحداً أخذه من الآخر ؛ لأن العادة جارية بأن يقال : فلان لا يعطى متكارها ولا متكلفًا ، بل يُعْطِى عن نية صادقة ، ومحبة لبذل المعروف تامة ، ونحو هذا من القول .

٣٥ ـ وقال فى قوله :

* لَوْ كانَ يَنْفُخُ قَيْنُ الحَىِّ فى فحَمِ[2] *

من قول الأغلب :

قَدْ قاتَلُوا لوْ يَنْفُخُونَ فى فَحَمْ ... ما جَبُنُوا وَلاَ تَوَلَّوْا مِنْ أَمَمْ

وهذا معنى شائع من معانى العرب ، وجارٍ فى الأمثال أن يقولوا : قد فعلتَ كذا ، واجتهدت فى كذا لو كنت تنفخ فى فحمٍ ؛ لأن النفخ فى الفحَم يُحيِى النار وَيُشْعِلُها ، والنفخ فى حطب ليس بفحم إذا أَخَذَتِ النار فيه لايُورِى ناراً .

٣٦ ـ وقال فى قوله[3] :

---

(١) انظره فى شرح مختار الخالديين ٩٣ ثانى ثلاثة أبيات ، وفيه «للرجاء وللخوف»

(٢) هذا عجز بيت ، وصدره قوله :

* لم يألـكم مالك صفحا ومغفرة *

والبيت من قصيدة يمدح فيها مالك بن طوق (الديوان ٢٦٩) .

(٣) لم أجد هذا المصراع فى ديوانه ، ولـكن له من قصيدة يهجو فيها موسى ابن إبراهيم الرافقى بيتا فى هذا المعنى ، وهو قوله :

ماخلفت حواء أحمق لحية ... من سائل يرجو الغنى من سائل

الديوان (٥٠٢) ومحمود الذى يقال إنه أخذ معناه هو محمود بن الحسن الوراق ، وهو معاصر لأبى تمام ، توفى فى أيام المعتصم ، وأكثر شعره فى المواعظ

* وَالمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ سُؤَالِ سَؤُولِ *

من قول محمود :

وَارْغَبْ إلى مَلِكِ المُلوكِ ، وَلا تَكُنْ
بادِي الضَّرَاعة طَالِباً مِنْ طالِبِ

ومثل هذا لا يكون مسروقا ؛ لأنه جار على الألسن أن يقال : وقع سائل على سائل ، ومجتهد على مجتهد ، ووقع البائس على الفقير ، وأمثال هذا .

٣٧ ـ وقال فى قوله(١) :

هِمَّةٌ تَنْطَحُ النُّجُومَ وَجَدٌّ آلِفٌ لِلحَضِيضِ فَهْوَ حَضِيضُ

من قول أعرابى :

هِمَّتُهُ قَدْ عَلَتْ وَقُدْرَتُهُ فى الأخذِ بَيْنَ الثَّرَى مَعَ الكَفَنِ

وهذا أيضاً من المعانى المشتركة الجارية فى العادة أن يقولوا : همته فى عَلاء وجده فى سفال ، وهمته ناطقة وجَدُّه أخرس ، وهمة ذات حِرَاك وجَدٌّ ساكن ، وهمة فلان ترفعه وجَدُّه يضَعه ، وما أشبه هذا .

٣٨ ـ وقال فى قوله(٢) :

تُقَبِّلُ الرُّكْنَ رُكْنَ البَيْتِ نَافِلَةً وَظَهْرُ كَفِّكَ مَعْمُورٌ مِنَ القُبَلِ

من قول عبد الله بن طاهر :

---

(١) من أبيات يتحدث فيها عن نفسه أثناء قصيدة يمدح فيها أبا الغيث موسى بن إبراهيم الرافقى (الديوان ١٨١) وقبل هذا البيت قوله :

أتأرتنى الأيام بالنظر الشزر وكانت وطرفها لى غضيض
كيف يمسى برأس علياء مضح وجناح السمو منه مهيض

وانظر الصناعتين (١٧٠) وسيذكر المؤلف هذا البيت مرة أخرى فى سرقات البحترى ٣٢٥ طبعة أولى

(٢) من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغرى ، ويذكر حجه (الديوان ٢٥١)

أَغْلَتْ لَهُ ذِكْرَهُ مُكافأَةً بأَنْ تَوالَى فى ظَهْرِهَا القُبَـلُ

وليس بين المعنيين اتفاق إلا بذكر قُبَل الـكف . وهـذا ليس من المعانى المبتدَعَة ؛ لأن الناس أبداً يقولون : ما خلق وجههُ إلا للتحية وكَفّه إلا للقبَلِ ، كما قال دِعْبِل[(١)] :

فبَاطِنُهَا لِلنَّدَى وَظَاهِرُهَا للقُبَلْ

ومثل هذا مما نطقوا به كثيراً فلا يكون عندى مسروقا .

٣٩ — وقال فى قوله[(٢)] :

نَظَرَتْ فَالْتَفَتُّ مِنْهَا إلى أَحْـلَى سَـوَادٍ رَأَيْتُه فى بَيَاضِ

من قول كُثير :

وَعَنْ نَجْلاءَ تَدْمَعُ فى بَيَاضٍ إذا دَمَعَتْ وَتَنْظُرُ فى سَـوَادِ

وليس بين المعنيين اتفاق إلا بذكر البياض والسواد ، والألفاظ غير محظورة ، وأبو تمام إنمـا قال « فالتفت منها إلى أحلى سواد » يعنى حدقتها « فى بياض » يعنى شَحْمة عينها ، وهذا هو الصحيح ، وقد قيل : سواد عينها فى بياض وجهها ، وكُثَيِّر أراد أن عينها تدمع فى بياض إذا دمعت ، يريد خدّها ، وتنظر فى سواد ، يعنى حدقتها . وهذا المعنى غير ذاك .

٤٠ ـ وقال فى قوله[(٣)] :

---

(١) نسب أبو هلال هـذا البيت إلى إبراهيم بن العباس من أبيات يقولها فى الفضل بن سهل ، وقبل هذا البيت قوله :

لفضل بن سهل يد تقاصر عنهـا المثل
فبسطتهـا للغنى وسطوتها للأجـل

انظر الصناعتين (١٦٨ و١٦٩) وذكرها الحصرى فى زهر الآداب ١٦/٢ منسوبة لإبراهيم بن العباس أيضا ، وهى موجودة فى ديوان إبراهيم بن العباس الصولى القطعة رقم ٢٩ ص ١٣٦ .

(٢) من غزل قصيدة يمدح فيها أحمد بن أبى دؤاد (الديوان ١٨٧)

(٣) آخر ستة أبيات يقولها فى مدح إسحاق بن أبى ربعى (الديوان ٢٠٩) وفيه « يامنة لك لولا »

وَكَمْ يَدٍ لَكَ لَوْلا ما أُخَفِّفُهَا ... بِهِ مِنَ الشُّكْرِ لَمْ تُحْمَلْ وَلَمْ تُطَقِ
بِاللهِ أَدْفَعُ عَنِّي ثِقْلَ فادِحِهَا ... فَإِنَّنِي خَائِفٌ مِنْهَا عَلَى عُنُقِي

من قول أبي نُوَاس ، والمعنيان مختلفان ؛ لأن أبا نواس قال :

لَا تُسْدِيَنَّ إِلَيَّ عارِفَةً ... حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ ما سَلَفَا[(١)]
أَنْتَ امْرُؤٌ جَلَّلْتَنِي نِعَماً ... أَوْهَتْ قُوَى شُكْرِي فَقَدْ ضَعُفَا

فذكر أن نِعَم الممدوح قد غلبت الشكر ، فاستعفاه من نعمة أخرى حتى يقوم بشكر نعمته السالفة ، وأبو تمام قال : لولا ما أخففها به من الشكر لم أطق حملها ، ثم أحسن وألطف فى قوله « فإننى خائف منها على عنق » ومعنى أبي نواس أجْوَد وأبرع .

٤١ — وقال فى قوله[(٢)] :

أَعْمِلِ النَّتْفَ وَالطِّلا وَقَدِيماً ... كانَ صَعْباً أَنْ تُشْعَبَ القَارُورَهْ

من قول الأعشى :

كَصَدْعِ الزُّجاجَـةِ ما تَسْتَطِيـعُ ... كَفُّ الصَّنَاعِ لَهَا أَنْ تَحِيرَا

قلت : ووقع فى شعر الأعشى أيضاً قوله :

فَبَانَتْ وَفِي الصَّدْرِ صَدْعٌ لَهَا ... كَصَدْعِ الزُّجاجَةِ لا يَلْتَئِمْ

وهـذا معنى متداول مشهور مبذول من معانيهم فى الزجاج ، قد نطق به الناس ، وأكثروا فيه ، حتى سقط أن يقال : إن أبا تمام أخذه من الأعشى ، وقد تقدم فيه المسيَّب بن عَلَس فقال :

بانَتْ وَصَدْعُ القَلْبِ كانَ لَها ... صَدْعَ الزُّجاجَةِ لَيْسَ يَتَّفِقُ

---

(١) انظر الصناعتين (١٦٢) والشريشى ٢٦٨/١ وزهر الآداب ٣٨/٢ رابع وثانى أربعة أبيات

(٢) هو ثالث خمسة أبيات يقولها فى هجاء كاتب ديوان اسمه عبدون ، ويوجد فى الديوان (ص ١٨٧ طبع مصر عام ١٢٩٢ هـ) وفيه « إذ تشعب »

وقال آخر :

وَتفرَّقَتْ نِيَّاتُهُمْ فَتصَدَّعُوا صَدْعَ الزُّجاجَةِ مالَهَا تِيفَاقُ

ومثله كثير .

٤٢ — وقال فى قوله :

إذا سَيْفُهُ أَضْحَى عَلَى الْهَامِ حاكماً غَدا العَفْوُ مِنْهُ وَهْوَ فى السَّيْفِ حاكمُ(١)

من قول مسلم بن الوليد :

يَغْدُو عَدُوُّكَ خائِفاً ؛ فإذا رَأَى أنْ قَدْ قَدَرْتَ عَلَى الْعِقَابِ رَجا كا

والمعنيان مختلفان ؛ لأن أبا تمام قال : إذا حكم سيفُ الممدوح على الهام حكم عفوُه على السيف ، ومسلم قال : إن عدوَّ الممدوح يخافه ؛ فإذا رأى أنْ قد قدر على العقاب رجاه ؛ فليس هذا المعنى من ذلك فى شىء .

٤٣ — وقال فى قوله :

فإنْ هزِئتُم سَلَلْنَاهَا وَقَدْ غَنِيَتْ دَهْراً وَهامُ بَنِى بَكْرٍ لها غُمُدُ(٢)

من قول سعد بن ناشب :

فإنَّ أَسْيَافَنَا بِيضٌ مُهَنَّدَةٌ عُتُقٌ، وَآثارُها فى هامِهِمْ جُدُدُ

والمعنيان مختلفان ؛ لأن أبا تمام قال « وهام بنى بكر لها غمد » وهذا قال : « وآثارها فى هامهم جدد » فهذا غير ذلك .

٤٤ — وقال فى قوله :

فَلوْ كانتِ الأَرْزَاقُ تَجْرِى عَلَى الْحِجَى

هَلَكْنَ إذًا مِنْ جَهْلِهِنَّ الْبَهائِمُ(٣)

---

(١) من قصيدة يمدح فيها أحمد بن أبى دؤاد (الديوان ٢٨٧)

(٢) لايوجد هذا البيت فى إحدى نسخ الديوان .

(٣) من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن أبى دؤاد (الديوان ٢٨٦) وفيه «ولو كانت الأقسام» والحجى ــ بكسر الحاء المهملة ــ العقل ، وقبل البيت قوله :

ينال الفتى من عيشه وهو جاهل ويكدى الفتى فى دهره وهو عالم

من قول أبي العتاهية :

إنَّمَا النَّاسُ كالبَهائمِ في الرِّزْ ... قِ ، سَوَاءٌ جَهُولُهُمْ وَالحَليمُ

و بين المعنيين خلاف ؛ فإن أبا العتاهية أراد أن رزق كل نفس يأتيها جاهلةً كانت أو عالمةً كما يأتي البهائم ، وهذا قائم في الفطرة والعقول ؛ فتتفق الخواطر في مثله . وأبو تمام قال : إن الرزق لو جرى على قَدْر العقل لهلكت البهائم ، وهذه زيادة في المعنى حسنة ، و إن كان إلى مذهب أبي العتاهية يؤول .

٤٥ — وقال في قوله :

وَأَشْجَيْتُ أَيَّامِي بِصَبْرٍ حَلَوْنَ لِي ... عَوَاقِبُهُ ، وَالصَّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ صَبْرُ(١)

من قول أبو الشيص :

يُصَبِّرُنِي قَوْمٌ بَرَاءٌ مِنَ الهَوَى ... وَلِلصَّبْرِ تَارَاتٌ أَمَرُّ مِنَ الصَّبْرِ

فقول الناس : الصبر مر ، والصبر كاسمه صبر ، وقولهم : الصبر محمود العاقبة ، و إن كان مُرًّا ؛ لا يكون مسروقا فيقال : إن واحداً أخذه من آخر ، وقول أبي الشيص : إن للصبر تارات يكون فيها أمرّ من الصبر ، أي : له تارات يكون فيها شديدَ المرارة ، وقول أبي تمام : أشجيت أيامي بصبر حلت لي عواقبه ، ثم قال : والصبر مر عواقبه ، يريد في الحلق لو جرعتهُ لكان مقطعه شديدَ المرارة ؛ و إنما قال هذا ليجتمع له في البيت حلاوة عواقبه ومرارة عواقبه ، هذا تفسيره على مارواه ابن أبي طاهر ، ولم يقل أبو تمام والصبر مر عواقبه ، و إنما قال : والصبر مثل اسمه صبر .

٤٦ — وقال في قوله :

لَئِنْ ذَمَّتِ الأَعْدَاءُ سُوءَ صَبَاحِهَا ... فَلَيْسَ يُؤَدِّي شُكْرَهَا الذِّئْبُ وَالنَّسْرُ(٢)

---

(١) من قصيدة له في الفخر (الديوان ٤٧٥) وكان في الأصول « والصبر عند اسمه صبر » وما أثبتناه عن الديوان . وأشجيت : أحزنت

(٢) من قصيدة له في الفخر (الديوان ٤٧٧) وفيه « فإن ذمت »

من قول مسلم :

لَوْ حا كَمَتْكَ فطَالَبتْكَ بِذَحْلِهاَ ... شَهِدَتْ عَلَيْكَ ثعَالِبٌ وَنُسُورُ(١)

وذِكْرُ وقوعِ الذئاب وغيرها والنسور وما سواها من الطير على القَتْلَى مَعْنًى متداول ومعروف ، وهو فى بيت أبى تمام غيره فى بيت مسلم ؛ لأن مسلماً قال لممدوحه : لو حاكمتك — يريد الفِرْقة والعُصَب التى لقيتْكَ — فى مطالبتك [بثأر] مَنْ قتلتَ منها لشهدَتْ عليك الثعالب والنسور ، وأبو تمـام قال على سبيل الاستهزاء : لئن ذَمَّتِ الأعداء سوء صباحها فليس يؤدِّى الذئب والنسر شكرها ؛ لـكثرة ما أكلاَ منها ، وهذا المعنى غير ذاك ، والله أعلم .

تم الجزء الأول من الموازنة

على ما جزأه مؤلفه ، والحمد لله

---

(١) فسر المؤلف الضمير المستتر فى « حاكمتك » بالفرقة والعصب التى التقى الممدوح بها فى الحرب ، والذحل — بفتح فسكون — الثار ، وجواب « لو » هو قوله « شهدت عليك ثعالب — إلخ »

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

قال أبو القاسم الحسنُ بن بشرِ بن يَحْيَى الآمِدِيُّ عفا الله عنه :

قد ذكرتُ فى الجزء الأول احتجاجَ كل فرقة من أصحاب أبى تمام حبيب ابن أوس الطائى وأبى عُبادة الوليد بن عُبَيْد الله البُحْتُرِى على الأخرى فى تفضيل أحدهما على الآخر ، وقلت : إنى أبتدئ - بعد هذا الباب - بذكر معايبهما ؛ لأختم الكتابَ بوصف محاسنهما ؛ فأتبعت ذلك بما خرَّجْته من سَرِقات أبى تمام وبَيَّضت آخر الجزء لأُلحق به ما وَجدْته منها فى دواوين الشعراء فعلِمْت عليه ، وما أجده بعد ذلك ؛ فإنه كثير السرقة .

وقد سمعت أبا على محمدَ بن العلاء السجستانى يقول : إنه ليس له معنًى انفرد [به] فاخترَعَه إلا ثلاثة معان ، وهى قوله[1] :

تأبَى عَلَى التَّصرِيدِ إلا نائِلاً ... إلا يَكُنْ ماء قَرَاحاً يُمْذَقِ[2]

نَزْراً كما اسْتَكْرَهْتَ عائِرَ نَفْحَةٍ ... مِنْ فأرَةِ المِسْكِ التِى لمْ تُفْتَقِ[3]

وقوله[4] :

بَنِى مالِكٍ قَدْ نَبَّهَتْ خامِلَ الثَّرَى ... قُبُورٌ لكُمْ مُسْتَشْرِفاتُ المَعالِمِ[5]

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب ، ويصف فرسا له (الديوان ٢١١) .

(٢) تأبى : تمتنع . والتصريد : التقليل . والنائل : العطاء . والقراح : الخالص غير المشوب . ويمذق : يخلط ويمزج .

(٣) النزر : القليل ، وفأرة المسك : وعاؤه ، وتفتق : تفوح رائحتها

(٤) من قصيدة له يرثى فيها هاشم بن عبدالله بن مالك الخزاعى (الديوان ٣٨٦)

(٥) الخامل : الذى لا ذكر له ، والثرى : التراب ، ومستشرفات : عالية ، والمعالم : الآثار .

رَوَاكِدُ قِيسَ الْكَفِّ مِنْ مُتَنَاوِلٍ ... وَفِيهَا عُلًى لا تُرْتَقَى بِالسَّلالِمِ[١]

وقوله[٢] :

وَإِذَا أَرَادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ ... طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ

لَوْلَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ ... مَا كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرْفِ الْعُودِ

ولست أرى الأمر على ما ذكره أبو على ، بل أرى أن له — على كثرة مآخذه من أشعار الناس ومعانيهم — مُخْتَرَعاتٍ كثيرةً ، و بدائع مشهورة ، وأنا أذكرها عند ذكر محاسنه إن شاء الله تعالى .

ومع هــذا فلم أر المنحرفين عن هذا الرجل يَجْعلون السرقاتِ من كبير عيوبه ؛ لأنه باب ما يَعْرَى منه أحد[٣] من الشعراء إلا القليل ، بل الذى وجدتهم يَنْعَوْنه عليه[٤] كثرة غلطه، و إحالته، وأغاليطه فى المعانى والألفاظ .

وتأملت الأسباب التى أدَّته إلى ذلك فإذا هى ما رواه أبو عبد الله محمدُ بن داود بن الجرَّاح فى كتاب الورقة[٥] عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن حذيفة بن أحمد أن أبا تمام يريد البديعَ فيخرج إلى المُحَال ، وهذا نحوُ ما قاله أبو العباس عبد الله بن المعتزّ بالله فى كتابه الذى ذكر فيه البديع ، وكذلك ما رواه محمد بن

---

(١) الرواكد : جمع راكد ، والمراد به الثابت ، و « قيس الكف » أى قدر الكف ، وفى الديوان « قيد الشبر »

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أبا عبدالله أحمد بن أبى دؤاد ، ويعتذر إليه ، ويستشفع له فى ذلك بخالد بن يزيد (الديوان ٨٥) والنشر : الظهور ، والطى: الاستتار ، وأصلهما طى الثوب ونشره . وأتاح لها : قدر وهيأ أسبابها . والعود : ضرب من الخشب له رائحة طيبة ، وعرفه — بفتح فسكون — رائحته ، وسيذكر المؤلف هذا البيت مرارا بعد ذلك ، فانظر ص ٢٩١ طبعة أولى

(٣) أى : لا يخلو منه أحد

(٤) « ينعونه عليه » مأخوذ من قولهم : فلان ينعى على فلان ذنوبه ، إذا كان يظهرها ويشهرها .

(٥) وجدت ابن خلكان ينقل عن كتاب الورقة هذا كثيرا ، فانظر مثالا لذلك ترجمة إبراهيم بن العباس الصولى .

داود عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن أبيه أن أول من أفسد الشعر مُسْلم بن الوليد ، وأن أبا تمام تبعه فسلك فى البديع مذهَبَه فتحير فيه ، كأنهم يريدون إسرافَه فى طلب الطِّبَاق والتجنيس والاستعارات ، وإسرافه فى التماس هـذه الأبواب وتوشيحِ شعره بها،حتى صار كثيرٌ مما أتى[به] من المعانى لايُعْرَف ولا يعلم غرضه فيها إلا مع الكَدِّ والفكر وطول التأمل ، ومنه مالا يعرف معناه إلا بالظن والحدْسِ ، ولو كان أخَذَ عَفْوَ هذه الأشياء ولم يُوغِلْ فيها ، ولم يجاذب الألفاظ والمعانى مجاذَبة ويَقْتَسِرها مُكارَهة ، وتناول ما يسمح به خاطره وهو بجمامه غير مُتْعَب ولا مكدود ، وأورد من الاستعارات ما قرُب فى حسن ، ولم يُفحش ، واقتصر من القول على ما كان محذُوًّا حَذْوَ الشعراء المحسنين ؛ ليسلم من هذه الأشياء التى تُهجِّن الشعر وتُذْهب ماءه ورونقه ، ولعل ذلك أن يكون ثلثَ شعره أو أكثر منه — لظننته كان يتقدَّم عند أهل العلم بالشعر أكثَرَ الشعراء المتأخرين ، وكان قليله حينئذٍ يقوم مقامَ كثير غيره ؛ لما فيه من لطيف المعانى ومستغرَب الألفاظ ، لـكن شَرِهَ إلى إيراد كل ما جاش به خاطره ولَجْلَجَهُ فـكرُهُ، فخَلَط الجيدَ بالردىء ، والعينَ النادر بالرَّذْل الساقط ، والصوابَ بالخطأ .

وأفرط المتعصبون له فى تفضيله ، وقدَّموه على من هو فوقه من أجل جيده ، وسامحوه فى رديئه ، وتجاوزوا له عن خطائه ، وتأولوا له التأول البعيد فيه ، وقابل المنحرفون عنه إفراطاً [بإفراط] فبَخَسوه حقه ، واطَّرحوا إحسانه ، ونعَوا سيئاته ، وقدَّموا عليه مَنْ هو دونه . وتجاوز ذلك بعضُهم إلى القَدْح فى الجيد من شعره ، وطعن فيما لا يُطْعَن عليه ، واحتجَّ بما لاتقوم حجة به ، ولم يقنع بذلك مذاكرة ولا قولا حتى ألَّف فى ذلك كتاباً ، وهو أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار القطربلى المعروف بالفريد ، ثم ماعلمته وَضَع يده من غلطه وخطئه إلا على أبيات يسيرة ، ولم يُقم على ذلك الحجة ، ولم يهتد لشرح العلة ، ولم يتجاوز فيما نعاه بعدها عليه الأبياتَ التى تتضمن بُعْدَ الاستعارة وهجين اللفظ ، وقد بينت خطأه فيما أنـكر من الصواب فى جزء مفرد إن أحبَّ القارىء أن يجعله من

جملة هذا الكتاب ويَصِلَه بأجزائه فَعلَ ذلك إن شاء الله تعالى ؛ فالذى تضمَّن يدخُل فى محاسن أبى تمام التى ذكرتُ أنى أختم كتابى هذا بها وبمحاسن البحترى

وأنا الآن أذكر ما غَلِط فيه أبو تمام من المعانى والألفاظ ، مما أخذته من أفواه الرجال وأهل العلم بالشعر عند المفاوضة والمذاكرة ، وما استخرجته أنا من ذلك واستنبطته ، بعد أن أسقطت منه كلَّ ما احتَمَل التأويل ، ودخل تحت المجاز ، ولاَحَتْ له أدنى علة .

وأنا أبتدىء بالأبيات التى ذكرتُ أن أبا العباس أنكرها ، ولم يُقِم الحجة على تبيين عيبها وإظهار الخطأ فيها ، ثم أستقصى الاحتجاجَ فى جميع ذلك ؛ لعلمى بكثرة مَنْ لا يجوزه على الشاعر ، ويوقع له التأول البعيد ، ويورد الشبه والتمويه . وبالله أستعين ، وهو حسبى ونعم الوكيل .

١ — أنكر أبو العباس أحمد بن عُبيد الله على أبى تمام قوله[1] :

هادِيهِ جِذْعٌ مِنَ الأراكِ ، وما تحت الصَّلا مِنْهُ صَخْرَةٌ جَلْسُ[2]

قال : هذا من بعيدِ خطائه أن شبَّه عُنُقَ الفرس بالجِذْع ، ثم قال « جذع من الأراك » ومتى رأى عيدان الأراك تكون جذوعاً ؟ وتشبه بها أعناق الخيل !

وأخطأ أبو العباس فى إنكاره على أبى تمام أنْ شبَّه عُنُقَ الفرس بالجذع ، وذلك عادة العرب ، وهو فى أشعارها أكثر من أن يحصى ، وقد بينت ذلك فيما غلط فيه أبو العباس على أبى تمام ، وأصاب أبو العباس فى إنكاره أن تكون عيدانُ الأراك جذوعاً ، وإن لم يلخص المعنى ؛ لأن عيدان الأراك لا تَغْلُظُ حتى تصير كالجذوع ، ولا تقاربها .

(١) البيت من قصيدة يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ١٦٧)

(٢) فى الديوان «وما خلف الصلا» والهادى : العنق ، والجذع : ساق الشجرة ، والأراك : ضرب من الشجر معروف يستاك بأغصانه ، شبه عنق الفرس بساق أراكة ، والصلا : وسط الظهر ، والجلس : الغليظة .

فإن قيل: إن الشجرة من الأراك قد تعظم حتى تصير دَوْحَة يَسْتَظل بها الجماعة من الناس والسِّربُ من الوحوش ، وذلك معروف موجود ، وقد قال الراعى :

غذاهُ وحولىّ الثرى فوق متنه مدب الأتىّ والأراك الدوائح

والدوائح : العِظام منه ، جمع دَوْحَة .

قيل : إن الأمر و إن كان كذلك فى بعض شجر الأراك من علوها وتشعب أغصانها فإن قائم الشجرة وعيدانها لاتغلظ ولا تمتلىء امتلاء يقارب الجذوع ولا ما هو دونها فى الغلظ ، ولو انتهت إلى هذه الحالة ـ وذلك غير معلوم ـ لما قيل لها أيضاً جذوع ؛ لأن الجذع إنما هو للنخلة فقط ، وقد يقال على سبيل الاستعارة لما يشبه بالنخلة ، قال الراجز :

بِكُلِّ طِرْفٍ أعْوَجِىٍّ صَهَّالْ يَمْشِى إذا ما قِيدَ مَشْىَ الْمُخْتَالْ

* تحتَ هَوَادٍ كَجُذُوعِ الأَوْقَالْ *

فقال : « كجذوع الأوقال » جمع وَقْلة وهى شجرة المقل ؛ لأن فيها شبهاً من النخل من جهة الخوص والليف .

فإن قيل : فقد قال ذو الرمة :

وَهَادٍ كَجِذْعِ السَّاجِ سامٍ يَقُودُهُ مُعَرَّقُ أحناء الصَّبِيَّيْنِ أَشْدَقُ (١)

قيل : ذو الرمة إنما قال ذلك على التشبيه ؛ لأن العود من الساج يشبه الجذع المنحوت فى غلظه وهيئته ، وعودُ الأراكِ مِنْ أبعد شىء من ذلك ؛ لأنه لايمتد ولا يستوى استواء الجذع ولا غيره من أجناس الشجر التى تمتد أبدانها علوا امتداداً مستوياً ، وذلك لرقته وشدة التوائه وتشعبه .

٢ ـ وأنكر أبو العباس قول أبى تمام (٢) :

رَقِيقُ حَواشى الحِلْمِ لَوْ أَنَّ حِلْمَهُ بِكَفَّيْكَ ما مارَيْتَ فى أَنَّهُ بُرْدُ (٣)

(١) انظره فى الصناعتين ٥٣

(٢) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان ١٢١)

(٣) فى الديوان « لو أن خلقه » وما ريت : جادلت ، والبرد : الثوب ، وانظره فى الوساطة ٦٩ .

وقال : هذا الذى أضحك الناس منذ سمعوه إلى هذا الوقت ، ولم يزد على هذا شيئاً ، والخطأ فى هـــذا ظاهر ؛ لأنى ما علمت أحداً من شعراء الجاهلية والإسلام وصف الحلم بالرقة ، وإنما يوصف الحلم بالعظم والرجحان والثقل والرزانة، ونحو ذلك ، كما قال النابغة :

وَأَعْظَمُ أَحْلَامًا وَأَكْبرُ سَيِّداً   وَأَفْضَلُ مَشْفُوعاً إِلَيْهِ وَشَافِعَا

وكما قال الأخطل :

شُمسُ الْعَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ   وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَاماً إِذَا قَدَرُوا

وكما قال أبو ذؤيب :

وَصَبْرٌ عَلَى حَدَثِ النَّائِبَاتِ   وَحِلْمٌ رَزِينٌ وَقَلْبٌ ذَكِيٌّ

وكما قال عَدِىّ بن الرِّقَاع فى مثل ذلك:

فى شِدَّةِ الْعَقْدِ وَالْحِلْمِ الرَّزِينِ وَفِى الْ
قَوْلِ التَّبِيتِ إِذَا ما اسْتُنْصِتَ الْكَلِمُ

وقال أيضاً :

أَبَتْ لَكُمُ مَوَاطِنُ طَيِّبَاتٌ   وَأَحْلَامٌ لَكُمْ تَزِنُ الْجِبَالَا

وكما قال عدى أيضاً :

الْجَامِعُ الْحِلْمَ الأَصِيلَ وَسُؤْدَدًا   غَمْراً يُقَاسُ بِهِ وَحِكْمَةَ حازِمِ

وكما قال أيضاً :

قَرْمٌ لَهُ مَعَ دِينِهِ وَتَمَامِهِ   حِلْمٌ إِذَا وُزِنَ الْحُلُومُ ثَقِيلُ

وقال الفرزدق :

أَحلامُنَا تَزِنُ الْجِبَالَ رَزَانَةً   وَتَخَالُنَا جِنًّا إِذَا مَا نَجْهَلُ

وقال أيضاً :

إِنَّا لَتُوزَنُ بِالْجِبَالِ حُلُومُنَا   وَيَزِيدُ جَاهِلُنَا عَلَى الْجُهَّالِ

وكما قال الآخر :

وَعَظِيمُ الْحِـــلْمِ لَوْ وَازَنْتَهُ ... بِثَبِيرٍ أَوْ بِرَضْوَى لَرَجَحْ

ومثل هـذا كثير فى أشعارهم ، ألا ترى أنهم إذا ذمّوا الحلم كيف يصفونه بالخفة فيقولون : خفيف الحلم ، وقد خَفَّ حلمه . وقال عياض بن كثير الضبي :

قَبَائلُه سُـودٌ خِفَافٌ حُلُومُهُمْ ... ذَوُو نَيْرَبٍ فى الحىِّ يَغْدُو ويطرق

وقال علقمة بن هبيرة الأسدى :

كأنَّ جَرَادةَ صَفْرَاءَ طَارَتْ ... بأحلامِ الغواضرِ أَجْمَعِينَا

جعلها صفراء لأنها ذكر ، وهى أسرع من الأنثى وأخف .

وقال ابن قيس الرُّقَيَّات ووجـدتهما فى ديوانه ، والصحيح أنهما لأبى العباس الأعمى :

بحُلُومٍ إذا الحُلُومُ اسْتُخِفَّتْ ... وَوُجُوهٍ مِثْلِ الدَّنَانِيرِ مُلْس

وقال قيس بن عمير الـكنانى :

كمثل الحصى بكر ولـكن خيانة ... وغدر وَأَحْلَامٌ خِفَافٌ عَوَازِبُ

فهذه طريقة وصفهم الحلم ، وإنما مدحوه بالثقل والرزانة ، وذمّوه بالطَّيْش والخفة .

وأيضاً فإن البُرْدَ لا يوصف بالرقة ، وإنما يوصف بالمتانة والصَّفَاقة ، وأكثر ما يكون ألواناً مختلفة ، كما قال يزيد بن الطَّثْرِيَّة :

أشَاقَتْكَ أطْلَالُ الدِّيَارِ كَأَنَّمَـا ... مَعَارِفُهَا بالأبْرَقَيْنِ بُرُودُ

والأبرق والبرقاء من الأرض : ما كان فيها حجارة ورمل ؛ فقيل «بَرْقاء» لاختلاف الألوان فيها ، ومن ذلك الحبلُ الأبرق الذى فُتِـل من قُوًى مختلفة الألوان ؛ فلذلك شبه الشاعر معارفَ الديار بالبرود لاختلاف ألوان البرود .

ولولا أنه قال « رقيق حواشى الحلم » ماظننت أنه شبهه بالبُرْد إلا لمتانته ، وهذا عندى من أفحش الخطأ ، ثم قوله « بكفيك » كلام فى غاية السخافة ، وأظن أبا العباس بن عمار إنما أنـكر هذه اللفظة فقط .

وإنى لأعجب من أتباع البحترى إياه فى البُرْدِ ـ مع شدة تجنبه الأشياء المنكَرَة عليه ـ حيث يقول[١] :

وَلَيَالٍ كُسِينَ مِنْ رِقَّةِ الصَّيْـــفِ فَخَيَّلْنَ أَنَّهُنَّ بُرُودُ

وكيف لم يجد شيئاً يجعله مثلا فى الرقة غير البرد ؟ ولـكن الجيد فى وصف الحلم قوله متبعاً للمذهب الصحيح المعروف[٢] :

خَفَّتْ إلى السُّؤْدَدِ المجْفُوِّ نَهْضَتُهُ وَلَوْ يُوَازِنُ رَضْوَى حِلْمُهُ رَجَحَا

وقوله[٣] :

فَلَوْ وُزِنَتْ أَرْكَانُ رَضْوَى وَيَذْبُلٍ وَقِيسَ بِهَا فى الْحِلْمِ خَفَّ ثَقِيلُهَا

وأبو تمام لا يجهل هذا من أمر الحلم ، ويعلم أن الشعراء إليه تقصد ، وإياه تعتمد ، ولعله قد أورد مثله ، ولـكنه يريد أن يبتدع فيقع فى الخطأ .

٣ — وأنـكر أبو العباس على أبى تمام قوله :

مِنَ الهيفِ لَوْ أَنَّ الخَلاَخِلَ صُـوِّرَتْ

لهَا وُشُحاً جَالَتْ عَلَيْهَا الْخَلاَخِلُ[٤]

---

(١) من قصيدة للبحترى يمدح فيها الفتح بن خاقان (الديوان ١ / ١٣٨) وبعده :

الرياح التى تهب نسيم والنجوم التى تطل سعود

(٢) من مدائحه فى الفتح بن خاقان أيضا (الديوان ١ / ١١٤) وقبل هذا البيت قوله :

رد المـكارم فينا بعدما فقدت وقرب الجود منا بعد ما نزحا

لا يكفهر إذا انحاز الوقار به ولا تطيش نواحيه إذا مزحا

(٣) لم أعثر على هذا البيت فى الديوان المطبوع بمصر . ورضوى ويذبل : جبلان

(٤) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن عبدالملك الزيات (الديوان ٢٥٦) وفيه « لو أن الخلاخل صيرت » وسينشده المؤلف على هذا الوجه فيما بعد ، وبعد البيت قوله :

مها الوحش إلا أن هاتا أوانس قنا الخط إلا أن تلك ذوابل

وسيأتى للمؤلف حديث طويل عنه فى ص ١٣٠ الآتية ، وانظر الوساطة ٦٩

ولم يذكر موضع العيب فيه ، ولا أراه علمه ، وهذا الذى وصفه أبو تمام ضدّ ما نطقت به العرب ، وهو أقبح ما وُصف به النساء ؛ لأن من شأن الخلاخيل وَالْبُرِينَ[1] أن تُوصَف بأنها تَعَضُّ فى الأعضاد والسواعد ، وتضيق فى الأسْوُق ، فإذا جَعَل خلاخيلَها وُشُحًا تجُول عليها فقد أخطأ الوصف ؛ لأنه لا يجوز أن يكون الخلخالُ الذى من شأنه أن يَعَضَّ بالساق وِشاحاً جائلا على جسدها ؛ لأن الوشاح هو ما تَقَلَّده المرأة متَّشحة به فتطرحه على عاتقها فيستبطن الصدر والبطن وينصبّ جانبه الآخر على الظهر حتى ينتهى إلى العَجْبِ وتلتقى طرفاه على الكشح الأيسر ؛ فيكون منها فى موضع حمائل السيف من الرَّجُل ، وإذا كانت هذه صورةَ الوشاح فغير جائز أن يوصف بالسَّعة والطول ليدل عَلَى تمام المرأة وطولها ، ويكون ذلك لائقا بتشبيه النساء فى البيت الثانى بقَنَا الخطّ ، وإنما يُوصَف الوشاح بالقَلَق والحركة ليستدل بذلك على دقة الخصر ؛ لأنه يَقْلَق هنا إذا كان الخصر دقيقا والبطن ضامرا ، بل حركته تدل على ضُمْر البطن أكثر ، وليس طوله فى نفسه مما يدل على امتلاء ولا خَمَص[3] ، وإذا كان الخلخال ــ وهو الحلقة المستديرة المعروف قدرها ــ وشاحاً للمرأة فإنه يأخذ أعْلَى جسدها كله ، وإذا كانت كذلك فقد مُسِخت إلى غاية القَمَاءة[4] والصِّغر ، وصارت فى هيئة الجُعَل[5] ؛ وقد تصف العرب الخَصْر بالدقة ، ولكن تعطى

(١) البرين ــ بضم الباء أو كسرها ــ جمع برة ، بالضم ، وهى الخلخال

(٢) رد البطليوسى فى شرح سقط الزند(١٥٣٩ دار الكتب) على الآمدى ، وذكر نظائر لكلام أبى تمام ، وبين أن الوشاح ربما أطلق على النطاق الذى يشد على الخصر

(٣) تقول : خمص بطن فلانة ــ بكسر الميم أو ضمها أو فتحها ــ إذا كان ضامراً ، وأصله الخلو من الطعام .

(٤) القماءة : القصر ، ضد الطول ، قال الشاعر :

تبين لى أن القماءة ذلة وأن أعزاء الرجال طوالها

(٥) الجعل ــ بضم الجيم وفتح العين ــ دويبة ، وجمعه جعلان ــ بكسر فسكون ــ وهى التى يقال لها فى مصر (الجمران)

كل جزء من الجسد قِسْطَه من الوصف ، كما قال امرؤ القيس[(١)] :

طِوَالُ المُتونِ وَالعَرَانينِ كالقَنا　　لِطَافُ الخُصُورِ فى تمَامٍ وَإِكمالِ

ألا تراه لما قال « لطاف الخصور » قال « فى تمام وإكمال » ولو قال هذا الشاعر « لو أن الخلاخيل صيرت لها حُقُباً » لصح له المعنى ، كما قال منصور النمرى[(٢)] .

فَلَوْ قِسْتَ يَوْماً حِجْلَها بِحِقابِها　　لَـكانا سَوَاءً ، لَا ، بَلِ الحِجلُ أوْسَعُ

فجعل حجلها ـ وهو الخلخال ـ أوسعَ من حقابها ، والحقاب : ما تديره المرأة على خصرها ، فهو يختص بالخصر ، وكذلك النِّطَاق ، والوشاحُ لا يختص بالخصر ، وإنما يُعَلَّق حتى ينتهى إليه إذا كان الخصر دقيقا والبطن ضامرا ، فاتبعَ أبو تمام منصوراً فى المعنى فأخطأ ، ومن عادة العرب أنها لا تكاد تذكر الهيفَ وطىَّ الـكَشح ودِقة الخصر إلا إذا ذكرت معه من الأعضاء ما يُسْتَحَب [فيه] الامتلاء والرىّ والغلظ ، على ما عرفتك ، كما قال ذو الرمة :

عَجْزَاءُ مَمْـكُورَةٌ خُمْصانَةٌ قَلِقٌ　　مِنها الوِشاحُ، وَتَمَّ الجِسْمُ وَالقَصَبُ[(٣)]

وكما قال أيضاً :

---

(١) من لاميته التى أولها :

ألا انعم صباحا أيها الطلل البالى　　وهل يعمن من كان فى العصر الخالى

وانظر العقد الثمين (١٠٣) وكان فى أصول هذا الـكتاب « طوال المتون والعرانين والقنا » وما أثبتناه عن العقد الثمين .

(٢) ورد فى الصناعتين (٩١) وفيه « ولو قست يوما »

(٣) انظر الجمهرة (١٧٧ بولاق) والعجزاء : العظيمة العجز ، والممكورة : المجدولة ، والخمصانة ـ بضم الخاء وسكون الميم ـ الضامرة البطن ، و « قلق منها الوشاح » معناه أنه يضطرب ويتحرك عن موضعه لدقة ما دار عليه ، والقصب : أصله كل عظم مستدير أجوف ، وأراد عظامها ، وانظر الصناعتين (٩١) وديوان المعانى (١/٢٥٠) وفيهما « قلق عنها الوشاح »

أناةٌ تَلوثُ المِرْطَ مِنها بِدِعْصَةٍ رُكامٍ ، وتَجْتابُ الوِشَاحَ فَيَقْلَقُ(١)

وكما قال :

تَرَى خَلْقَها نِصْفاً قَنَاةً قَوِيمَةً وَنِصْفاً نَقاً يَرْتَجُّ أوْ يَتَمَرْمَرُ(٢)

وكما قال الشَّنْفَرَى :

فَدَقَّتْ وَجَلَّتْ وَاسْبَكَرَّتْ وَأُكْمِلَتْ

فَلَوْ جُنَّ إنسانٌ مِنَ الحُسْنِ جُنَّتِ

أي : دقّ منها ما ينبغي أن يَدِق ، وجلّ منها ما ينبغي أن يجل ؛ فهـذا هو تمام الوصف

وقال تميمُ بن أُبيٍّ بن مُقْبل :

هِيفُ المُرَدَّى رَدَاحٌ فى تَأَوُّدِها مَخْطُوفَةٌ مُنْتَهى الأَحْشاء عُطْبُولُ(٣)

فقال « هيف المرَدَّى » ثم قال « رَدَاح » والرَّدَاحُ : العظيمة العجز ، وهذا

---

(١) أصل اللوث عصب العمامة ، وقد لاثها يلوثها ، وأراد هنا الإدارة مطلقا. والمرط ـ بكسر فسكون ـ كساء من صوف أو خز . والدعص والدعصة ـ بكسر الدال وسكون العين ـ القطعة المستديرة من الرمل ، ويشبه بها عجز المرأة، والركام: المجتمع بعضه إلى بعض . و « تجتاب الوشاح » تلبسه ، ويقلق: يضطرب .

(٢) أراد أن نصفها الأعلى يشبه القناة القويمة فى استوائه ، ونصفها الأسفل يشبه النقا فى عظمه وضخامته ، والنقا : الكثيب من الرمل ، وانظر ديوان المعانى (١ / ٢٥٠)

(٣) هيف : جمع هيفاء ، وهى الضامرة الرقيقة الخاصرة ، وفعله هيف هيفاً كفرح فرحا . والمردى ـ بضم الميم وفتح الراء وتشديد الدال ـ مكان الارتداء وتقول : تردت الجارية ، وارتدت ؛ إذا لبست الوشاح أو الرداء ، وردتها أمها : ألبستها إياه . يقول : إنها ضامرة هذا الموضع من جسمها، والرداح ـ بزنة السحاب ـ المرأة الثقيلة الأوراك . وتأودها : انعطافها وتثنيها ، والمخطوفة الضامرة . تقول : رجل أخطف الحشا ، ومخطوف الحشا ، وامرأة مخطوفة الحشا ، وعطبول : هى المرأة الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق ، كذا فسره المجد فى القاموس .

كقول ذى الرمة « خلفها نصفا قناة قويمة » وقوله « عطبول » قويمة العنق
وقال أيضاً تميم :

مِنَ الْهِيفِ مِبْدَانٌ ترى نُطُقَاتِها بِمَهْلَكَةٍ أَخْرَاصُهُنَّ تَذَبْذَبُ(١)

فجعلها هَيْفاء ، وهى الخميصة البطن ، [ثم] قال « مبدان » ؛ فصار البدَن لا يمنع من الهَيَف ، ولا يضادّه

وقال تميم أيضاً :

وَقَدْ دَقَّ مِنْها الخَصْرُ حَتَّى وِشَاحُهَا يَجُولُ ، وَقَدْ عَمَّ الخلاَخِيلَ وَالقُلْبا(٢)

وقال على بن أبى علقمة الجَرْمِىُّ(٣) :

ترى حِجْلَهَا ملآن ليس بزائد يجول ، ولم تَمْلَأْ وشاحا ولا عقدا(٤)

فإن ذلك من شأن الوشاح ؛ لأن من سبيله أن يكون جائلا إذا انتهى إلى خَصْرها لدقته ، ومن شأن العِقْد أن يجول أيضاً على عنقها وترائبها لقلة اللحم هناك ، وذلك المحمود من الوصف ، وقال امرؤ القيس(٥) :

---

(١) الهيف : جمع هيفاء ،وهى الضامرة البطن ، والمبدان ـ بكسر فسكون ـ العظيمة البدن ، وهو الجسد ، والنطقات : جمع نطق ـ بضم النون والطاء ـ وهو جمع نطاق ، والأخراص : جمع خرص ـ بضم الخاء أو كسرها ـ وهو الحلقة من الذهب أو الفضة ، وتذبذب : أصله تتذبذب : أى تتحرك .

(٢) ورد فى الصناعتين (٩١) وكان فى الأصول « ومن دق منها الخصر » والتصويب عن الصناعتين ، والخلاخيل : جمع خلخال ، وهى حلية تلبسها المرأة فى رجلها ، والقلب ـ بضم فسكون ـ السوار

(٣) فى حماسة ابن الشجرى (١٨٨) « على بن علقمة » ، ووقع فى الأصول « الجرى » تطبيع

(٤) الحجل ـ بكسر فسكون ـ الخلخال ، و « يجول » يتحرك ، وجملتها صفة لزائد. ووقع فى الأصول«ولم تملك وشاحا»وتصويبه عن حماسة ابن الشجرى (١٨٩).

(٥) هذا عجز بيت من لاميته المعلقة ، وصدره قوله :

* هصرت بفودى رأسها فتمايلت *

* عَلَىَّ هَضِيمَ الْكَشْحِ رَيَّا الْمُخَلْخَلِ *

وقال طَرَفةُ بن العبد :

وَمَلْأَى السِّوَارِ مَعَ الدُّمْلُجَيْنِ   وَأَمَّا الْوِشَاحُ عَلَيْهَا فَجَالَا(١)

وقال عَلْقَمَة بن عَبَدة :

صِفْرُ الْوِشَاحَيْنِ مَلْأَى الْمِرْطِ خَرْعَبَةٌ
كَأَنَّهَا رَشَأٌ فِى الْبَيْتِ مَلْزُومُ(٢)

وقال المرار :

بِيضُ الْعَوَارِضِ بُدَّنٌ أَبْدَانُهَا   رُجُحُ الرَّوَادِفِ ضُمَّرُ الأَخْصَارِ(٣)

وقال كثير :

كَسَوْنَ الرَّيْطَ ذَا الْهُدْبِ الْيَمَانِى   خُصُوراً فَوْقَ أَعْجَازٍ ثِقَالِ

= وهصرت : جذبت ، والفودان : جانبا الرأس . وهضيم الكشح : ضامرة البطن . والمخلخل : الموضع الذى يلبس فيه الخلخال ، ورياه : ممتلئه ، أراد بذلك امتلاء ساقها ونضارتها كالغصن الريان .

(١) هذا البيت لا يوجد فى ديوان طرفة ولا فى العقد الثمين ، وأنشده فى الصناعتين (٩١) منسوبا إليه أيضا ، والدملج ـ بضم الدال وسكون الميم واللام مفتوحة أو مضمومة ـ حلية تلبسها المرأة فى المعصم ، وأراد بكونها ملأى السوار والدملجين أن يديها ممتلئتان باللحم .

(٢) ارجع إلى ديوان علقمة (٥١ طبع الجزائر) وديوان المعانى (١ / ٢٥٠) وفيهما « ملء الدرع » وكان فى الأصول « ملأى القرط » ولا معنى له ؛ فأثبتنا أقرب الألفاظ إليه مما يصح معه المعنى ، وصفر الوشاحين : كناية عن كونها ضامرة البطن لطيفته ، والدرع : القميص ، وكنى بكونها ملء الدرع عن عظم عجزها . والخرعبة : الضعيفة العظام لنعمتها ولين عيشها ، والرشأ : الظبى ، وملزوم : تربيه الجوارى فى البيوت فيلزمنه ولا يفارقنه إعجابا به .

(٣) يقولون : امرأة راجح ورجاح ـ بزنة السحاب ـ إذا كانت كبيرة العجز ، وجمعه رجح .

وقال كثير أيضاً :

يَجُولُ الْوِشَاحُ بأقْرَابِهَا وَتأْبَى خَلاخِلُهَا أنْ تَجُولا[١]

وقال آخر :

عُقَيْلِيَّةٌ أمَّا مَلاَثُ إزَارِهَا فَدِعْصٌ وَأمَّا خَصْرُهَا فَبَتِيلُ[٢]

يريد كأنه لدِقَّته مقطوعٌ مما يليه . وهذا كله ضِدٌّ ما قاله أبو تمام .

فإن حَمَل بعضُ مَنْ يريد إقامة العذر له نفسه على أن يقول : إنما ذهب فى قوله « جالت عليها الخلاخل » إلى قولهم : فُلان يدخل فى الخاتم لظَرْفه ولين أخلاقه ، لا لضيق مفاصله

قيل : هــذا من كلام العامة ، وقول أبى تمام : « من الهيفِ » يمنع هذا التأول ، ويحجز عنه ؛ لأن الهيفَ الخميصاتُ البطون، الواحدة هَيْفاء ، و إلى هذا ذهب ، لا إلى وصف الأخلاق والطباع .

فإن قال قائل : إنما قال « لو أن الخلاخيل صيرت لها وشحاً » أى لو ساغ ذلك وجاز ، كما يقال : لو دخل أحد فى سم الخياط لرقته وحسن أخلاقه لدخل زيد وكما قال الشاعر[٣] :

* لَوْ طَارَ ذو حَافرٍ مِنْ سُرْعَةٍ طَارَا *

وكما قال الآخر[٤] :

---

(١) ورد فى الصناعتين (٩١) أيضاً ، والأقراب : جمع قرب ـ بالضم أو بوزان عنق ـ وهو الخاصرة .

(٢) البيت ليزيد بن الطثرية ، انظر ابن خلكان (٣/٣٢٧ النيل)

(٣) هذا عجز بيت فى وصف فرس ، لمعاوية بن مرداس . وصدره قوله :

* يكاد فى شأوه لولا أسكنه *

وانظر معاهد التنصيص (٣٥٢ بولاق) وكان فى الأصول « لو كان ذو حافر» وليس بشىء ، وتصويبه عن المعاهد ، ونظيره قول بعض الأعراب :

فلو طار ذو حافر قبلها لطارت ، ولــكنه لم يطر

(٤) ينسب هذا البيت إلى زهير بن أبى سلمى المزنى (العقد الثمين ٥٦) وبعده :

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم طابوا ،وطاب من الأولاد ما ولدوا =

لَوْ كانَ يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ
قَوْمٌ لِسُؤْدَدِهِمْ أَوْ مَجْـــدِهِمْ قَعَدُوا

قيل : هذا مذهب حَسَن معروف من مذاهبهم ، ولـكن ليس بينه و بين قول أبى تمام شبه ، وإنما كان يشبهه لو قال « لو أن الخلاخيل تكون مكان الوشاح لجال عليها » ولو قال هذا أيضاً لـكان يُعَد مخطئا ؛ لأنه سواء عليه قال هذا أو قال قَصُرَ ظهرُها أوبعضُ خَلْقِها أو ضم بعض أعضائها إلى بعض حتى[لو] يكون خلخالها مكان وشاحها لجال عليها ، ومثل هذا لا يقوله أحد إلا الـكشحى وأبو العير ، ولفظ بيته أقبح من هذا ، وأشنع ؛ لأنه إنما أخرجه مُخْرَجَ الحقيقة أو ما يقارب الحقيقة ، نحو قول القائل : لو تغطّتْ هند بشعرها لغطّاها ، ولو سترت وجهها بذراعها لسترته ، ولو مسستها لتاختِ الإصبع فيها ، أو لأدْمَتْها ، وهـذا ضرب من المبالغة وهو إلى الحقيقة أقرب ، وليس من الأبيات المذكورة فى شىء ولا على سياقة ذلك اللفظ ، والإحالةُ فيما مخرجه مخرج الحقيقة أقبحُ من الإحالة فيما مخرجه مخرج التوسع ؛ وكان ينبغى لأبى تمام لَمَّا وصف النساء فى البيت التالى بالطول والتمام فقال :

* قَنَا الخَطِّ إلاَّ أنَّ تِلكَ ذَوَابل *

أن يصف الوشُحَ بالطول والتمام ؛ لأن الوشاح من المرأة فى موضع حمائل السيف ، فـكيف يجعلها مثلَ الخلاخلِ و يجعلُ الخلاخلَ مثلَها ؟ وقد يبالغ الشاعر فى أشياء حتى يخرج منها إلى المحال ويخرج بعضها مخرج النادر فيستحسن ولا يستقبح ، نحو قول الشاعر(١) :

= وسيذكره المؤلف مرة أخرى فى ٢١٣ طبعة أولى ، وقد أنشد أبو على القالى هذا البيت أول خمسة أبيات فى أماليه ١٠٦/١ وثالثها البيت الذى ذكرنا أنه ورد فى العقد تاليا ، ونسب القالى الأبيات إلى أبى جويرية فى قصة له مع خالد بن عبدالله ، وممن نسبه إلى زهير العكبرى فى شرح ديوان المتنبى(٢/٢٦٢ الحلبى)

(١) نسبهما فى الصناعتين (٢٨٥) وفى ديوان المعانى (١/٢٥١) إلى المؤمل، وروى ثانيهما فى الـكتابين هكذا :

تدخل اليوم ثم تد خل أردافها غدا

مَنْ رَأى مِثْلَ حِبَّتِي ... تُشْبِهُ الْبَدْرَ إِذْ بَدَا
يَدْخُلُ الْيَوْمَ خَصْرُها ... ثُمَّ أَرْدَافُهَا غَـــدَا

ومثلُ هذا كثير ، وقد قال النابغة فى وصف عنق المرأة بالطول ، فقال :

إِذَا ارْتَعَثَتْ خَافَ الْجَبَانُ رِعَاثَهَا ... وَمَنْ يَتَعَلَّقْ حَيْثُ عُلِّقَ يَفْرَقِ (١)

فجعل القُرْطَ يخاف أن يسقط من هناك فيهلك ، وإنما أخرج هذا كالمثل : أى لو كان مما يقع منه الخوف لخاف ، وقال ذو الرمة :

وَالقُرْطُ فِى حُرَّةِ الذِّفْرَى مُعَلَّقُهُ ... تَبَاعَدَ الْحَبْلُ مِنْهُ فَهْوَ يَضْطَرِبُ (٢)

فدل بقوله « تباعد الحبل منــه » على طول عُنُق المرأة ؛ فهذه المبالغة لائقة مستحسنة ؛ لأنه دلَّ على الوصف بالشىء الذى يَخُص الموصوف ، لا بالشىء الذى يخص غيره ؛ ولو كان أبو تمام قال « لو أن الخلاخيل صُيِّرَت لها نطقا » لـكان أتى بالصواب ؛ لأن النطاق هو كل ما يُدار على الخصر مثل المِنطَقة من سير كان أو ثوب أو غيرهما ، أو لو قال « حُقُباً » ؛ لأن الحِقَاب والنِّطاق بمنزلة واحدة ، وأظنه أراد أن يقول هذا فغلط فجعل مكانه الوشاح .

وقد بالغَ أبو العتاهية فى وصف الخصور بالدقة ، فقال :

وَمُخَصَّرَاتٍ زُرْنَنَا ... بَعْدَ الْهُدُوِّ مِنَ الْخُدُورِ
نُفُجٌ رَوَادِفُهُنَّ يَلْـــبَسْنَ الْخَوَاتِمَ فى الْخُصُورِ (٣)

لم يرد أن خواتمهنَّ فى خصورهن ؛ لأن هذا محال ، وإنما ذهب إلى مثل قولهم : « جَفْنَة يقعد فيها خمسة » أى : لو قعدوا فيها لو سعتهم .

---

(١) انظر (ص ٣٥ من هذا الـكتاب)

(٢) الجمهرة (ص ١٧٨ بولاق) . والحر : الحسن من كل شىء ، ومؤنثه حرة ، والذفرى ــ بكسر الذال وسكون الفاء ــ ما خلف الأذنين ، وكنى بتباعد الحبل عن طول العنق .

(٣) يقال : امرأة نفج الحقيبة ــ بضم النون والفاء ــ إذا كانت ضخمة الأرداف.

وقال الآخر :

لَهَا حَافِرٌ مِثْلُ قَعْبِ الْوَلِيــدِ يَتَّخِذُ الفَأْرُ فِيهِ مَغَارَا[١]

أى : لو اتخذ فيه مغاراً لوسعه ، فكذلك قوله : « يلبسن الخواتم فى الخصور » أى : تصلح خُصُورهن أن تَدْخُل فى خواتمهن لدقتها ، وكلُّ ما دنا من المعانى بالحقائق كان ألْوَطَ بالنفس ، وأحْلى فى السمع .

فهذا ما أنكره أبو العباس مما أبو تمام فيه غالط ، وهو ثلاثة أبيات .

* * *

٤ ـ ومما أخطأ فيه الطائى البيتُ الذى بعد قوله[٢] :

مِنَ الهيفِ لَوْ أَنَّ الخَلاَخِلَ صُيِّرَتْ لهَا وُشُحاً جَالَتْ عَلَيْها الخَلاَخِلُ[٣]

وهو قوله :

مَهَا الوَحْشِ إلاَّ أَنَّ هَاتَا أَوَانِسٌ قَنَا الخَطِّ إلاَّ أَنَّ تِلْكَ ذَوَابِلُ

وإنما قيل للقنا « ذَوَابل » للينها وتثنيها ، فنَفَى ذلك عن قُدود النساء التى من أكمل صفاتها التَّثَنِّى واللِّينُ والانعطافُ ، كما قال تميم بن أبىّ بن مُقْبل :

يَهْزُزْنَ لِلْمَشْىِ أَوْصَالاً مُنَعَّمَةً هَزَّ الجَنُوبِ ضُحًى عِيدَانَ يَبْرِينَا

أَوْ كَاهْتِزَازِ رُدَيْنِىٍّ تَدَاوَلَهُ أَيْدِى التِّجَارِ فزَادُوا مَتْنَهُ لِينا

فشبه تميم قدودَهن بالرُّدَينى[٤] للينه وتثنِّيه لا غير، هذا أجود من كل ما قاله الناسُ فى مَشْى النساء وحُسْن قدودهن ، وقوله « مها الوحش » أراد كمَها

---

(١) ذكر صدره فى ديوان المعانى (٢ / ١١٤) ونسبه إلى امرىء القيس وقال قبل إنشاده : « ويشبه الحافر بالقعب ، فمن قديم الشعر فى ذلك قول امرىء القيس » اهـ ، ولم أجده فى شعر امرىء القيس المنشور فى العقد الثمين .

(٢) قد ذكر صاحب الوساطة بعض أخطاء أبى تمام ، واشترك مع المؤلف فى بعض ما ذكره ههنا ، وانفرد بشىء فانظره (٩٧ ـ ٦٩)

(٣) انظر ماسبق من الاعتراض على هذا البيت فى ص ١٢١ وقد أشرنا إلى البيت الذى بعده هناك وذكرنا أن المؤلف سيتحدث عنه .

(٤) الردينى : الرمح .

الوحش إلا أن هاتا أوانس ، فوضع المشبَّه به فى مكان المشبه ، وهذا فى كلامهم شائع مستفيض .

٥ ـ ومما أخطأ فيه الطائىُّ أقبحَ خطإٍ قولُه :

قَسَمَ الزَّمَانُ رُبُوعَهَا بَيْنَ الصَّبَا   وَقَبُولِهَا   وَدَبُورِهَا   أَثْلَاثَا(١)

لأن الصَّبا هى القَبول ، وليس بين أهل اللغة وغيرهم فى ذلك خلافٌ .

فإن قيل : إنما سميت الصبا قَبولا لأنها تُقابل الدَّبُور ؛ فلعله استعار هذا الاسم للدبور فقال « بين الصَّبا وقبولها » يريد الدبور لأنها تقابل الصبا ومقابلتها أى الريح المقابلة لها .

قيل : هذا غلط من وجوه : منها : أنه قد ذكر الدبور فى البيت مرّة ؛ فلا يجوز أن يأتى بها مرة ثانية . ومنها : أنه ما سُمع من العرب « زَيْدٌ قَبُولَكَ » أى : مُقابلك ، ولا « دار زيد قَبول دار عمرو » بمعنى مُقابلتها ؛ فإنما خُصَّت الصَّبا وحدها بهذا الاسم لأنها تأتى من الموضع الذى يُقبل منه النهار ، وهو مطلع الشمس ، وقيل لها دَبُور لأنها ضدُّها ، أخذه من أقبل وأدبر ، ولو جاز هذا فى كلامهم وساغ فى لغتهم أو كان مثلُه مسموعا منهم لساغ أن تُسَمَّى الشَّمَال أيضاً قبولا ؛ لأنها تُقَابل الجنوب ، وأن تسمى الجنوب قَبولا ؛ لأنها تقابل الشمال . وما أظن أحداً يدَّعى هذا ، ولا يستجيز أن يعارض بمثل هذه المعارضة ، ولا أن يُحْدِث لغة غير معروفة ، ويَنْسُب إلى العرب مالم تعلمه ولم تنطق به . ومنها ـ وهى أولاها فى فساد هذا التأويل ـ أنه قال « بين الصبا وقبولها ودبورها أثلاثا » وقوله « أثلاثا » يدلّك أنه أراد ثلاث رياح ، وأنه توهَّم أن القَبول ريحٌ غيرُ الصَّبا ، وهذا واضح . والجيد قول البحترى :

(١) من قصيدة له يمدح فيها مالك بن طوق (الديوان ٦٣) وانظر الاعتراض عليه فى الصناعتين (٩٢) وقبله ـ وهو مطلع القصيدة ـ قوله :

قف بالطلول الدارسات علاثا   أضحت حبال قطينهن رثاثا

و « علاثا » منادى بحرف نداء محذوف ، وقد رخمه ، وأصله : ياعلاثة ، والقطين : المقيم بها ، والرثاث : جمع رث ، وهو البالى .

مَتْرُوكَةٌ لِلرِّيحِ بَيْنَ شَمَالِهَا وَجَنُوبِهَا وَدَبُورِهَا وَقَبُولِهَا[١]

فجاء بالرياح الأربع . وقال البحترى أيضاً :

شَنِئْتُ الصَّبا إذْ قِيلَ وَجَّهْنَ قَصْدَهَا وَعَادَيْتُ مِنْ بَيْنِ الرِّيَاحِ قَبُولَهَا[٢]

فقوله « وجَّهن » يعنى الحُمولَ ، والهاء فى « قبولها » راجعةٌ إلى الرياح . وهذا ما يُوهمك أنه أراد رِيحَيْنِ ، وإنما أراد ريحاً واحدة وسماها باسمَيْها ، فقال : شنئت الصَّبا ، وعاديت القبول : أى أبغضت هذين الاسمين ؛ لأن حُمول الظاعنين توجَّهت نحوها ، ولم يقل إن الحمول توجَّهن إلى وجهين مختلفين .

وحكى ابن الأعرابى ــ أو حُكى عنه ــ أنه قال : القبول كله ريحٌ طيبة المس لينة ، لا أذى فيها ، سُميت قَبولا لأن النفس تقبلها ، وأظن الأخطل ــ إن كانت الرواية صحيحة ــ لهذا قال :

فانْ تَبْخَلْ سَدُوسُ بدِرْهَمَيْها فانَّ الرِّيحَ طَيِّبَـــةٌ قَبُولُ

أى : طيبة لا تمنعنا الانصراف والسير ، وهذه ليست من الريح التى ذكرها أبوتمام فى شىء ؛ لأن هذه على هذا الوصف : قد تكون الشمال ، وتكون الجنوب ، وتكون الصَّبا ، وذلك إنما أراد ريحاً بعينها ؛ لأنه قال : « بين الصبا وقبولها » فجعلها مضافة إليها ، كما لو قال « بين الشمال وجنوبها » لأنهما ريحان معروفتان ، وهما أختان مختلفتان تَمتقِبان ، وكذلك لو قال « بين الصبا ودبورها » وكذلك لو قال « بين القبول ودبورها » أو « بين القبول وشمالها » فإذا ذُكرت القبولُ مع هذه الرياح المعروفة كانت هى الصبا ، وليس هذا موضع القبول التى هى الريح

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها أبا الحسن بن عبدالملك بن صالح بن على الهاشمى (الديوان ٢ / ١٨٤) وقبله ــ وهو مطلع القصيدة ــ قوله :

تلك الديار ودارسات طلولها طوع الخطوب دقيقها وجليلها

وانظر الصناعتين (٩٢)

(٢) من غزل قصيدة له يمدح فيها إسماعيل بن بلبل (الديوان ٢ / ١٩٧) وانظر الصناعتين (٩٢)

اللينة المسِّ الطيبة على ما ذكر ؛ لأنه وصف مجهول ، ويجوز أن يكون لكل ريح ولا يقع فى هذا الموضع ؛ لأنك إذا عَنَيتها بقولك قد نفيت الصبا وقبولها لم يدر أى ريح هى فى معنى إضافتها إلى الريح المعروفة التى هى إذا لأنَ مسُّها جاز أن تسمى بذلك الاسم ، هذا خُلْفٌ من القول إذا قيل . وأيضاً إن أبا تمام إنما أراد أنّ هذه الرياح عَفَتْ هذه الديارَ ، وذهبت بها ؛ فما وجه ذكره لريح طيبة لينة المس مع الدبور ؟ هذا محال أن يكون أراده ، كيف والديار يُدْعَى لها بهبوب الرياح اللينة الضعيفة لئلا تعفوها ؛ ألا ترى قول أبى تمام :

أَرْسَى بِنَادِيكَ النَّدَى وَتَنَفَّسَتْ ... نَفَساً بِعَقْوَتِكَ الرِّيَاحُ ضَعِيفَا(١)

وقال البحترى :

وَإِذَا هَبَّتِ الرِّيَاحُ نَسِيماً ... فَعَلَى رَبْعِ دَارِهَا وَالْجَنَابِ(٢)

فشَرَطَ أن تكون الرياح مريضةً لئلا تعفوها وتمحوها .

فإن قيل : فلعله أراد « بين الصبا وقبولها » أى : بين الصبا سهلها ولينها ، ولا يكون يريد بالقبول اسمها المعروف ، وإنما يريد الاسمَ الذى يَقَع للريح اللينة المس ، فكأنه قال « بين القبول وقبولها » يقال : « جاءنا عباسٌ وعَبَّاسُه » أى : ووجهه العبَّاسُ ، و « أتانا الضحَّاكُ وضحاكه » أى : ووجهه الضَّحَّاك ؛

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف ، ويعرض بوال ولى بعده فهزم (الديوان ٢٠٦) وفيه «أرسى بعرصتك الندى» . والعرصة والنادى والعقوة: ساحة الدار ، وقبل هذا البيت قوله :

أطلالهم سلبت دماها الهيفـا ... واستبدلت وحشا بهن عكوفا

يامنزلا أعطى الحوادث حكمها ... لامطل فى عدة ولا تسويفا

وسيذكره المؤلف مرة أخرى فى سرقات البحترى (ص ٣١٢ طبعة أولى)

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن إسماعيل بن شهاب (الديوان ١ / ٧١) وروايته فيه هكذا :

وإذا هبت الجنوب نسيما ... فعلى رسم دارها والجناب

لأن التعبيس والضَّحِك فى الوجه ، و « قد فَتَنَتْنَا حوراء بحَوَرَانها » أى : بعينها الحوراء

قيل : هذا كله لفظ سائغ مستقيم ، غير أنَّا ما سمعنا مثل هذا فى الريح ، ولا علمناه فى اللغة ، ولا وجدنا فى الشعراء أحداً قال « الصبا وقبولها » ولا « الجنوب وقبولها » ولا « الشمال وقبولها » أى : سَهْلها ولَيِّنها ، ولو أراد الطائى ذلك كان أيضا مخطئا ؛ لأن الريح لينها وشديدَها ريحٌ واحدة ، وقد قال أبو تمام « أثلاثا » فدلَّ على أنه أراد ثلاثَ رياحٍ ، وإن كان أراد ريحاً أخرى غير الصبا فقد قدمتُ القول فى أن ذلك غير سائغ ولا مستقيم ، وقد استقصى أصْحَابُ الأنواء فى كتبهم ذكر الرياح وأوصافها ونُعوتها ، واستشهدوا بأكثر ما سمعوه من أشعار العرب فيها ، وبالغ أبو حنيفة الدِّينَوَرِىُّ فى ذلك ؛ فما منهم أحد ذكر أن القَبول غيرُ الصَّبا ، وإنما قال ابن الأعرابى فى نوادره : إن العربَ تسمِّى كلَّ ريح طيبةٍ لينةِ المسِّ قبولا . قال الأخطل :

فإنْ تَبْخَلْ سَدُوسُ بِدِرْهَمَيْها فإنَّ الرِّيحَ طَيِّبَةٌ قَبُولُ

فإنما أراد الصَّبا ؛ لأنها ريحٌ محبوبة تُنسب إلى الطيب ، وهى دائمة الهبوب لينة المس معتدلة فى أكثر أوقاتها : أى فإن مَنَعَت سَدُوس نائلَها فإن الريح طيبة قبول ، أى : هى صَباً ما تمنعنا من الانصراف والرحيل ؛ فإن كان ما ذكره ابن الأعرابىّ صحيحاً ــ وهو الصحيح إن شاء الله ــ فإنهم إنما قالوه لكل ريح طيبة لينة ، قالوا : هذه الصبا ، وهذه القبول ، أى : كالصبا أو كالقبول ، فأسقطوا حرف التشبيه ، وجعلوا المشبه فى مكان المشبه به ، كما تقول [إذا] شَمِمْتَ رائحة طيبةَ العَرْف : هذه المسك ، وإذا رأيت وجهاً جميلا قلت : هذا هو البدر ، وإن شئت كان المعنى : هذه المسك حقا ، وهذا هو البدر يقينا ، ولو هبت شَمال شديدة مُزْعجة حتى تقول : هــذه هى الدبور بعينها ــ لكان هذا من أسوغ كلام وأفصحه ، وإن كانت العربُ سمّت الشمال والجنوبَ ــ إذا هبَّتا هبوباً سهلا

ليناً ـ قبولا فإنما شبهوها بالصَّبا وأعاروها اسمها . وإنما قيل لها قَبُول لأنها تأتى من مَطْلع الشمس ، وهو الموضع الذى يُقْبل منه النهار ، وقيل للدبور دَبوراً لأنها تَهُبُّ من حيث يُدْبِر ، وقد قيل غير ذلك ، وهذا هو الصحيح . وقد قيل عن النضر بن شميل أنه قال : القَبول ريحٌ تلى الصَّبا ما بينها و بين الجنوب ، وهذا غير معروف ولا مُعَوّل عليه ، إلا أن يكون قاله عَلَى هذا الذى ذكرته . والله أعلم

و بيت أبى تمام لا يحتمل أن يُتأول فيه هذه الريح ؛ لأنه أراد مَحْوَ الديار ، ولا تُذكر فى محو الديار القبول الخفيفة الهبوب الطيبة المس مع الدبور التى لاتكاد تهُب ، فإن هبت لم تأت إلا شديدة مزعجة .

و [لو] قال آخر ممن لا تمييز له : أراد بين الصبا وقبولها ، أى : الريح التى قَبَلَتها ، كأنها قابلتها فَقَبَلَتْهَا فهى قَبُولها ، يعنى ريحاً من الرياح ، كما يقال : فاخرته ففَخَرْتُه ، وخاصمته فخَصَمته .

قيل : هذا خطأ من وجوه : منها : أن الريح التى تقابل الصَّبا مقابلةً صحيحة هى الدبور ، وقد ذُكِرَت فى البيت الأول ؛ فلا يجوز أن يردِّدها ؛ ومنها : أنك لا تقول قابَلْتُ زيداً فقَبَلْته ، مثل فاخرته ففخرته ؛ لأنك إذا قابلته فقد صرت قُبَالته وصار قبالتك ؛ فليس أحدكما فى هـذا بأفضَلَ من الآخر ، وذلك مثل قولك : وَاجَهْتُه ، وآزيته ، وساويته ، وحاذَيْته[1] ؛ لأنك فى هذه الأحوال مثلُه وهو مثلُك ؛ فلا يجوز أن تقول فيه : فَعلته : أى غلبته ؛ ومنها : أنك إذا قلت زيد ضاربٌ عمراً ، وضَرُوبُ عمرٍو ، وقاتلٌ بكراً ، وقَتولُ بكرٍ ، لم تدل على أنه كانت مضاربة بينهما أو مقاتلة ؛ لأنه يجوز أن يكون الضرب وقع من أحدهما ولم يقع من الآخر ، ولذلك أصـل ؛ فلذلك لا يدلّ قوله « قبولها » [على] أنه كانت هناك مقابلة ، كما لا يدل قولك « زيد ضاربُ عمرو » على أنه كانت

---

(١) فى أصول هذا الكتاب « وحادثته » من الحديث ، والسياق يقتضى ما أثبتناه ، وتقول : حاذى فلان فلانا ؛ إذا صار بحذائه وجواره من أحدجوانبه .

مُضارَبة بينهما حتى غَلَبَ زيد عمراً بالضرب ، وإذا لم يكن على الشيء دليل لم تقم به حجة .

٦ — ومن خطائه قوله(١) :

وَصَنِيعَةٍ لكَ ثَيِّبٍ أَهْدَيْتَها وَهِيَ الكَعَابُ لِعَائِذٍ بِكَ مُصْرِمِ(٢)
حَلَّتْ مَحَلَّ البِكْرِ مِنْ مُعْطًى وَقَدْ زُفَّتْ مِنَ المُعْطِي زِفَافَ الأَيِّمِ(٣)

غَلَطُه وقع فى البيتين جميعا ، وقالوا : أراد بقوله « وصنيعة لك » أى : للممدوح « ثيب » أى : قد افترعت « أهديتها وهى الكعاب لعائذ بك مصرم » أى : قليل المال ، وجاء بالكَعَاب على أنها تَقُوم مقامَ البكر ليجعلها فى البيت ضد الثيب فتصحَّ له القِسْمة : أى هذه الصنيعة ثيِّب عندك : أى قد اصْطَنَعْت مثلها مرارا ، وهى الكعاب — يريد البكر — عند هذا العائذ بك ؛ لأنه أول ما اصطنعته إليه أو لأنها أكبرُ صنيعة صنعتها عنده .

قالوا : والكَعَاب التى كَعَبَ ثَدْيُها ، وقد تكون بكرا وتكون ثيباً ، فليست ضدًّا للبكر فى البيت ، ولا تصحّ بها قسمته ؛ لأن اسم الكعاب لايزول عنها إذا افتُرعت حتى يَنْهَدَ ثدْيُها ويرتفع.

قالوا : واعتمد أن يشرح هذا فى البيت الثانى فقال :

حَلَّتْ مَحَلَّ البِكْرِ مِنْ مُعْطًى، وَقَدْ زُفَّتْ مِنَ المُعْطِي زِفَافَ الأَيِّمِ

وذلك معنى قوله : «وهى الكعاب لعائذ بك» ثم قال : «زفت من المعطى زفاف الأيم » ، وهو يريد معنى قوله : « وصنيعة لك ثيب » على أن الأيم هى الثيب .

وقالوا : هذا خطأ ؛ لأن الأيم هى التى لا زوج لها ، بكرا كانت أو ثيبا ،

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان ٣١٣) وانظر ثانيهما والاعتراض عليه فى الوساطة ٧٠ .

(٢) الثيب : غير البكر . والكعاب — بزنة السحاب — البارزة النهد . والعائذ: اللاجىء ، اسم فاعل من عاذ فلان بفلان ، إذا التجأ إليه ، والمصرم : الفقير .

(٣) الأيم فى الاصل : المرأة التى لا زوج لها .

قال الله عز وجل : (وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ(١)) ، أفتراه قال أنكحوا الثيبات من النساء دون الأبكار ؟ إنما أراد تبارك اسمُه أنكحوا النساء اللواتى لا أزواج لهن ؛ فالثيب والبكر والصغيرة والكبيرة ممن لا زوج لها تدخل فى الآية ، قال الشماخ :

يَقَرُّ بِعَيْنِي أَنْ أُحَدَّثَ أَنهَا ... وَإِنْ لَم أَنَلْهَا أَيِّمٌ لَمْ تَزَوَّجِ

وهذا هو المعروف فى كلامهم .

وهذا الذى ذكروه من غلطه فى الأيِّم هو كما ذكروه ، فأما ما ادَّعوه فى البيت الأول من الغلط فى الكَعَاب لمن أقامها مُقَامَ البكر فليس ذلك بغلط ، والمعنى صحيح ، وقد جاء مثلُه فى أشعار العرب ، قال قدامة بن ضرار الحنفى :

غَدَاةَ خَطَبْنَا الْبِيضَ بِالْبِيضِ عَنْوَةً ... وَأُبْنَ إِلَيْنَا ثَيِّبَاتٍ وَكُعَّبَا(٢)

أراد بالكُعَّب الأبكار ، وقال جرير يهجو امرأة :

وقد حملت ثمانية وتمت ... لِتَاسِعَةٍ وَتَحْسَبُهَا كَعَابَا

فأقام الكَعَاب مقام البكر ، وجعلها ضدَّ الثيب ، ومثله فى كلامهم موجود ؛ وإنما فعلوا ذلك — وإن كان الكاعبُ قد تكون بكراً وتكون ثيباً — لأن أول أحوال الكواعب أن يكنَّ قد ناهَزْنَ حدَّ البلوغ ، وبدت ثُدِيُّهُنَّ بالتكعيب ؛ فهن فى هذه الحال أكثر ما يكن أبكارا وغير ذات أزواج ، قال عمرو بن معد يكرب :

تَرَكُوا السَّوَامَ لَنَا وكلَّ خَرِيدَةٍ ... بَيْضَاءَ خَرْعَبَةٍ وأُخْرَى ثَيِّبِ

فأقام الخريدة مقام البكر ، وجعلها ضد الثيب فى البيت ، والخريدة هى الحيِيَّة. حكى اللحيانى قال : سمعت أعرابيا من كلب يقول : الخريدةُ الدرَّة التى لم تُثْقب

---

(١) من الآية ٣٢ من سورة النور

(٢) البيض الأولى : جمع بيضاء ، وأراد بها النساء ، والبيض الثانية : جمع أبيض ، وأراد بها السيوف . وعنوة — بفتح العين وسكون النون — قهرا وغلبة ، وأبن : رجعن .

وهى من النساء البكر ، والخَرْعَبة : اللينة المفاصل الطويلة ، وهذه قد تكون ثيبا ، إلا أنه جعلها بكراً ؛ لأن الحياء أكثر ما يكون فى الأبكار .

فقد صحّ معنى بيت أبى تمام الأول فى الكَعَاب ، و بقى الغَلَط قائماً فى الأيم، وجعلها فى البيت الثانى ضد الثيب .

فإن قيل : فلم لا يكون لأبى تمام إقامة الأيم فى البيت الأول مقام الثيب ؛ إذ كانت الأيم قد تكون ثيبا ، كما أقمت الكَعَاب فى البيت الثانى مقام البكر ؛ إذ كانت الكعاب قد تكون بكراً ، وتتجاوز له فى هذا كما تجاوزت فى تلك ؟

قيل : لفظة كَعَاب تدلّ بصيغتها على صغر السن كما عرفتك ؛ فهى فى الأكثر تكون بكراً غير مُفْتَرَعة ؛ فلذلك استحسنوا أن أقاموا الكعاب مقام البكر ، ولفظة أيم لا تدل على حدّ فى السن: من صغر ، ولا كبر ، ولا بكورة ، ولا افتراع ؛ فلا تجوز إقامتها مقام الثيب بحال ، وقد غلط فى الأيم بعضُ كبار الفقهاء فجعلها مكان الثيب ، وذلك لحديث روى عن النبى صلى الله عليه وسلم[1] فإنه لحقه السهو فى تأويله فحمله على غير معناه ؛ فلعل أبا تمام من هذا الوجه قد لحقه الغلط ، وقد ذكر أبو تمام معنى هذين البيتين فى موضع آخر ، فقال — وقد ذكر صنيعةً أيضاً — :

وَلَيْسَتْ بِالْعَوَانِ الْعَنْسِ عِنْدِى ... وَلاَ هِيَ مِنْكَ بِالْبِكْرِ الكَعَابِ[2]

---

(١) لعله يريد قوله عليه الصلاة والسلام : « الأيم أحق بنفسها » ولعله يريد بعض كبار الفقهاء الشافعى رحمه الله ؛ فإنه يرى أن هذا الحديث فى شأن الثيب من النساء ، وإن كان له فى بيان أحقيتها رأى غير ما يدل عليه الظاهر ، وليس هذا موضع بيان آراء الفقهاء ، وانظر فى الوساطة ٧٠ دفاع مؤلفه عن الشافعى

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أبا الحسن محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان ٥٦) وقبل هذا البيت قوله :

ذكرت صنيعة لك ألبستنى ... أثيث المال والنعم الرغاب
تجدد كلما لبست ، وتبقى ... إذا ابتذلت ، وتخلق فى الحجاب
إذا ما أبرزت زادت ضياء ... وتشحب وجنتاها فى النقاب

والعَوَان : هى التى بين المُسِنَّةِ والصغيرة السن، وهى التى قد عَرَفت الأمور، وجرَت عليها التجربة ؛ فلذلك قيل : العَوَانُ لا تُعلَّم الخِمْرَة(١) ، ومنه قيل : حَرْبٌ عَوَان ، وهى التى قُوتِلَ فيها مرة بعد مرة ، وإنما استعير لها اسم المرأة فى هذه الحال ، كما قال الشاعر :

* الحَرْبُ أوَّلَ ما تكونُ فتِيَّةٌ *(٢)

فاستعار لها أولَ ما تبدأ وتنشأ اسمَ الفتاة ، وأراد أبو تمام أن هذه الصنيعة ليست بالعَوَان عندى : أى ليست صنيعةً قد تقدمتها لك لدىّ صنائع تشبهها لعظمها وجلالها ، ولا هى بالبكر التى ليست مع ذلك لكبر صنائعك ، بل أسْدَيْتَ كثيراً مثلها إلى غيرى ، وهذا هو المعنى الذى قصده فى البيتين المتقدمين ، إلا أنه جعل « العَنْسَ » هنا فى موضع العانس فغلط فقال « العَنْسَ » ، والعانس : هى التى حَبَسها أهلُها عن التزويج حتى تجاوزت حَدّ الفتاة ، والعَنْس : اسم من أسماء الناقة ، وهى التى قد انتهت فى شدتها وقوتها ، فأين وَصْفُ الناقة من وصف المرأة ؟

فإن قيل : إن أبا تمام لم يرد غير العَنْسِ ، ولم يرد العانس ؛ لأنه لو أراد العانس لكان مخطئاً من وجه غير الذى ذكرته ، وهو أن العَوَانَ — فيما ذكر بعضُ أهل اللغة — الثيبُ ، وقيل : إنها التى كان لها زوج ، وجرير قد أفصح أنها ذاتُ الزوجِ فى قوله :

وَأَعْطَوْا كَمَا أَعْطَتْ عَوَانٌ حَلِيلَهَا ... أَقَرَّتْ لِبَعْلٍ بَعْدَ بَعْلٍ تُرَاسِلُهْ

(١) هذا مثل يضرب للمجرب العارف ، والخِمرة — بكسر الخاء وسكون الميم — اسم الهيئة من الخمار — بزنة الكتاب — وهو النصيف وكل ما تستر به المرأة وجهها ، وتقول : اختمرت المرأة ، إذا لبسته .

(٢) هذا صدر بيت لعمرو بن معد يكرب الزبيدى ، وعجزه قوله :

* تسعى ببزتها لكل جهول *

ورواه سيبويه ١/٢٠٠

فكيف يكون العانس وصفاً للعوَان ، والعانس هى التى حُبست عن التزويج ؟ قال عامر بن جُوَيْن الطائى :

وَوَاللهِ ما أَحْبَبْتُ حُبَّكِ عَانِساً　　وَلاَ ثَيِّباً لَوْ أَنَّ ذَاكِ أَتَانِى

فجعلها ضد الثيب ، والعَنْس أولى بأن تكون وصفاً للعوَان من العانس ، ويكونان جميعاً من أوصاف الناقة ، وهى دون المسنة وفوق الفتية ؛ فهى حينئذ الكاملة . والعنس : الناقة التى قد انتهت فى قوتها ؛ فهما صفتان متفقتان استعارهما الشاعر للصنيعة من أوصاف النوق ، كما استعار البكر الكعابَ من أوصاف النساء .

قيل : هذا غلط من الاحتجاج ، وتعسُّف من التأول ، وإنما يُسْتَدَل ببعض الألفاظ على بعض ، كما يستدل على المعنى بما يَقْتَرن ويتصل به ؛ فيكون فى ذلك بيان وإيضاح ، أما العوَان والبكر — وإن كان قد وُصف بهما غير المرأة من البهائم وغير البهائم — فإن البكر فى البيت لا تكون مستعارة إلا من أوصاف النساء ، من أجل ما اقترن بها من لفظ الكعاب التى هى مخصوصة بوصف الجارية التى كَعَبَ ثديُها ؛ فلا تكون العوَان فى صدر البيت من أوصاف النوق ، والبكر فى آخره من أوصاف النساء ؛ فعلمنا أنه لم يرد بالعَنْس إلا العانس فغلط ، كأنه أراد [أن] هذه الصنيعة ليست فى حال ما هى عندى بالعوَان العانس ، ولا فى حال ما هى عندك بالبكر الكعاب ؛ لأن المرأة تكون كاعباً وبكراً فى حال ، وعواناً عانساً فى حال أخرى ؛ فتنتقل فى هذه الأوصاف ، والعنس لا موضع لها ههنا .

وأما قوله « إنه لو أراد العانس كان مخطئاً ؛ لأن العانس هى التى حبست عن التزويج حتى جازت حد الفتاة فلا يكون وصفاً للعوَانِ لأن العوانَ عند أهل اللغة الثيب » فيقال : إنه إنما كان يسوغ لك هذا التأويل لو زَالَ اسم العنوس عن المرأة إذا تزوّجت ، فأما وهو باقٍ عليها بعد التزويج الذى صارت به ثيّباً

فلم لا يكون وصفاً للعوَان التى هى أيضاً ثيب عندك ، ألا ترى إلى قول كُثَير :

فإنّ طِلَابِى عَانِساً أمَّ وِلْدَةٍ   لَمِمَّا تُمَنِّينِى النُّفُوسُ الْكَوَاذِبُ

فقال « عانساً » وجعلها أم ولدة .

فإن قال : فلعلّ أبا تمام لم يرد هذا ، وإنما أراد بالعنس مصدر عَنَسَت المرأة تَعْنُسُ عَنْساً وعُنوساً ، فجعل المصدرَ وهو عَنْس وصفاً للعوَان مكان العانس ، والمصادر قد تجعل أوصافاً فى مكان أسماء الفاعلين .

قيل له : المصدر المعروف فى مصدر عَنَست المرأة هو العُنوس ، ولم يسمع العَنس ، وعلى أن الأصمعى قد أنكر عَنَست مخففاً ، وقال : إنما هو عُنِّست تُعَنَّس تَعْنِيساً ، حكى ذلك عنه يعقوب بن السِّكِّيت ، وهَبْ قد جاء العَنْس مصدر عَنَست فليس فى كل موضع يسوغ أن تكون المصادر أوصافاً ، وإنما تكون أوصافاً على وجه من الوجوه وطريقةٍ من اللفظ ، وهى قولهم : إنما زيد دَهْرَهُ أكلٌ ونومٌ ، وإنما عمرو أبداً قيامٌ وقعودٌ ؛ فتقيم المضاف إليه مقام المضاف ؛ لأنه يدل عليه ، أو تجعل زيداً نفسه الأكل والنوم وعمرا القيام والقعود على المبالغة ؛ لأن ذلك كثير منهما كما قالت الخنساء :

تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّى إذا ادَّكَرَتْ   فَإنَّمَا هِىَ إقْبَالٌ وَإدْبَارُ

فجعلت الناقة هى الإدبار والإقبال لأن ذلك كثر منها ، وإن شئت كان المعنى ذات إقبال وإدبار ؛ فأقمت المضاف إليه مقام المضاف ؛ فهذه طريقة الوصف بالمصادر ، وإذا تأولتَ بالعنْس المصدرَ فى قوله « وليست بالعوَان العَنْس » كان ذلك كقولك : ليست هند بالصبية الصِّغر ، تريد الصغيرة ، ولا دَعْد بالهَرِمة الكِبَر ، تريد الكبيرة ؛ فهذا لا يسوغ فى منطق ، ولا يُعَدّ فى لغة ، ولكن قد تستعمل هذه المصادر وصفاً على نحو ما ذكرته ؛ فيقال : هندٌ الْحُسْنُ كله ، ودعد الجَمال أجْمَعه ، وزيد الهَرَم أقصاه ، وعَبْدُ الله البُغْضُ نَفْسُه ، والتِّيهُ عَيْنه ، وإن شئت كان المعنى هندٌ صاحبةُ الحسْن كله ، ودعد ذات الجمال أجمعه ، وزيد

أخو الهرم ، وعبد الله ذو التيه ؛ فأقمت المضاف إليه مُقام المضاف : كما قال الله عز وجل : (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا)[١] يريد أهل القرية ، وإن شئت جعلت هنداً هى الحسن ، ودعداً هى الجمال ، على المبالغة ، لمّا كانتا متناهيتين فى هذين الوصفين .

ولو كان أبو تمام اقتصر على ذكر العوان والبكر ـ وهما اللفظتان اللتان استعارتهما الشعراء فى هذا المعنى ، ولم يخلط بهما العَنْس والكَعاب والثيب والأيِّم ـ لكان قد سلك الطريقَ المستقيم فأتى باللفظ المألوف المستعمل ، وتخلص من فاحش الخطأ ، وإنما أراد معنى قول الفرزدق[٢] :

وَعِنْدَ زِيَادٍ لَوْ تُرِيد عَطَاءَهُ ... رِجَالٌ كَثِيرٌ قَدْ تَرَى بِهِمُ فَقْرَا

قُعُودٌ لَدَى الأَبْوَابِ طَالِبُ حَاجَةٍ ... عَوَانٍ منَ الحَاجَاتِ أَوحَاجَةً بِكْرَا

أى : منهم طالبُ حاجةٍ عوانٍ : أى حاجة قد عرفها وصارت عادة له ورسما يتطلبه فى كل حين ، ومنهم طالب حاجة بكر : أى أولَ ما يلتمسه منه ويقترحه عنده ، فأحبَّ أبو تمام أن يَزيدَ على هـــذا المعنى ويُغرِب ، فأخرجهُ ذلك إلى الخطأ .

وقد أحسن محمد بن حازم الباهلى[٣] فى قوله :

أَبَا جَعْفَرٍ يَابْنَ الجَحَاجِحَةِ الْغُرِّ ... بَدَتْ حَاجَةٌ وَالْحُرُّ يَأْوِى إِلى الْحُرِّ

وَقَدْ لَبِسَتْنِى مِنْكَ بالأَمْسِ نِعْمَةٌ ... فَهَلْ لَكَ فى أُخْرَى عَوَانٍ إِلى بِكْرِ

عَلَى أَنَّهُ إِنْ أَمْكَنَتْ أَوْ تَعَذَّرَتْ ... فإِنَّكَ بَيْنَ الشُّكْرِ مِنِّى وَالعُذْرِ

فهذه طريقة الشعراء فى العوان والبكر .

---

(١) من الآية ٨٢ من سورة يوسف

(٢) تقدم ذكرها فى هذا الكتاب (انظر ص ٧٨) مع اختلاف يسير

(٣) محمد بن حازم الباهلى ، أبوجعفر ، وهو أحد الشعراء المطبوعين ، كان يهجو الناس كثيراً ، ولم يمدح إلا المأمون العباسى

٧ — ومن خطائه قوله[١] :

أَلْوُدُّ لِلْقُرْبَى ، وَلَكِنْ عُرْفُه   لِلْأَبْعَدِ الأَوْطَانِ دُونَ الأَقْرَبِ[٢]

لأنه نَقَصَ الممدوح مرتبةً من الفضل ، وجعل وُدَّه لذوى قرابته ، ومَنَعهم عُرفه ، وجعله فى الأبعدين دونهم ، ولا أعرف له فى هذا عذرا يتوجه .

وقد عارضنى فى هذا البيتِ غيرُ واحدٍ ممن ينتحل نُصْرَةَ أبى تمام .

فقال بعضهم : إن العُرْف ما يَتَبَرَّع به الإنسان ؛ فلذلك جعله فى الأباعد ، فأما الأقارب فإن بِرَّهم وصِلَتهم من الحقوق الواجبة اللازمة .

قلت : إن كنتَ تريد الحقوقَ التى تلزم فإن ذلك إنما هو للآباء والأجداد والأمهات والأولاد والأعمام والأخوال والإخوة والأخوات إذا كانوا فُقَرَاء محتاجين ؛ فيجب لهم من الإنفاق عليهم بقدر القوت والكفاية ، وهذا لا يخرج أن يسمى معروفاً ، ألا تَرَاهم يقولون : أَنِلْ أَباكَ مِنْ مَعْرُوفك ، أو أَنِلْ أمك من معروفك ؛ فلا يكون هذا قبيحاً ، بل حقاً ، وقال الله عز وجل فيما فَرَضَ عَلَى النساء[٣] : (وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)[٤] فقد صار الفَرْضُ ههنا معروفاً ؛ لأن المعروف هو الحسن الجميل من القول والفعل الذى قد عُرِفَت المصلحةُ فيه فصار معهوداً إذا أورد لم تنفر النفوس منه فتنكره ، وهذا لا يكون الإنسان محموداً به إذا أعطاه هذه الطبقة من أهله حتى يُمْدَح به ويُفْتَخر

---

(١) هو بيت من قصيدة له يمدح فيها عمرو بن طوق التغلبى (الديوان ١٤) وانظر الاعتراض عليه فى الصناعتين أيضا (٩٢) وسيأتى فى سرقات البحترى ٣١٢ طبعة أولى

(٢) العرف ــ بضم العين وسكون الراء ــ العطاء والإحسان ، وقد فسر الصولى هذا البيت بقوله : أى يخص ذوى قرباه بالود دون العطاء ؛ لأنهم غير محتاجين ، وعرفه لمن لا نسب بينه وبينهم . وهذا معنى لا نرى فيه محلا للاعتراض ، إذا نظرت إلى قوله « لأنهم غير محتاجين » وقال أبو هلال : « ولا أعرف لم حرم أقارب هذا الممدوح عرفه ، وصيره للأبعدين ، فنقصه الفضل فى صلة الرحم ؟ وإذا لم يكن مع الود نفع لم يعتد به ؟ » (٣) الجيد الواضح فى التعبير « فيما فرض للنساء على الرجال »

(٤) من الآية ٢٣٣ من سورة البقرة .

له به ، بل يكون مذموماً إذا اُقتصر عليه ولم يتجاوزه من الأقارب ممن ليس له حق من طريق الحكم ، وهم بنو الأعمام الذين هم الأَعْضَادُ والعُدَّة ، وبهم تكون النُّصرة ، وكذلك بنو الأَخَوَات و بنو الأخوال لم يجعل المعروفَ الذى هو يتبرع به فى الأباعد دونهم ويخرجون منه ، وإن أردت الحقوق التى يُلْزِمها الإنسانُ نفسَه تكرُّماً وتفضلا فذلك حقيقة العُرْف الذى يتبرع المرء به ، ويحمد عليه ، ويمدح بفعله إياه ، وإعطائه له ، ويُذم إذا منعه ، والأقاربُ على الاختلاف فى طبقاتهم وأنسابهم أولى من الأباعد ؛ فمن جعله فى الأباعد دونهم فذلك منه غاية اللؤم ، ونهاية العقوق ، وعين الحمق ، وإن وصفه واصفٌ [به] فقد بالَغَ فى ذمه ، وتناهى فى هجائه .

فقال : قوله « الود للقربى » قد جمع لهم الود والعرف وغيره ؛ لأن المودة تشتمل على ذلك كله ، والعُرْفُ الذى خَصَّ به الأَبْعَدِينَ لا يجمع الوداد ؛ إذ ليس كل من أَسْدَيْتَ إليه معروفا فقد وَدِدْتَه ؛ فقد أعطى ذوى القربى أَكْثَرَ مما أعطى الأبعدين .

فقلت له : وليس كل من وددته أيضاً فقد أَسْدَيْتَ إليه نائلا ولا معروفاً ، ولا يتضمن لفظُ الودّ غيرَ المحبة فقط ، وعلى أن قوله « دون الأقرب » توكيد يوجب إخراج الأقارب عن العُرف ، وتخليصَه للأبعدين ، فما معنى هذا التأويل الذى تأوَّلته ؟

فأقام على أن الودَّ يجمع العُرْف والصِّلة ، وهذا غير معروف ، ولا موجود فى كلام الناس ، وقال المقنَّعُ الكِنْدِىُّ(١) :

فإنَّ الَّذِى بَيْنِى وَبَيْنَ بَنِى أَبِى ... وَبَيْنَ بَنِى عَمِّى لَمُخْتَلِفٌ جِدًّا
إذَا جَمَعُوا صَرْمِى مَعًا وَقَطِيعَتِى ... جَمَعْتُ لَهُمْ مِنِّى مَعَ الصِّلَةِ الوُدَّا

فأفصح هذا بأنه يَجْمَع لهم بين الصلة والود ، وقال البحترى(٢) :

(١) روى فى الصناعتين (٩٢) عجز البيت الثانى من هذين البيتين ، وهو محل الاستشهاد منهما على المعنى الذى يريد .

(٢) من قصيدة له يمدح فيها حمد بن عبدالوهاب (الديوان ١ / ١٧٤)

مَوَدَّةٌ وَعَطَاءٌ مِنْكَ نِلْتُهُمَا   وَرُبَّ مُعْطَى نَوَالٍ غَيْرُ مَوْدُودِ

فقال « مودة وعطاء منك نلتهما » فلو كانت المودّة لا تكون إلا ومعها عطاء لم يكن لهذا القول معنى ، وكذلك البيتُ قبله ، وقال « رُبَّ مُعْطَى غير مودود » ورب مودود غير معطى نوال ، ألا ترى إلى قول الأعشى (١) :

بَانَتْ وَقَدْ أَسْأَرَتْ فى النَّفْسِ حَاجَتَهَا
بَعْدَ ائْتِلاَفٍ ، وَخَيْرُ الوُدِّ مَا نَفَعَا

فأراد أن الودَّ قد يكون ولا نفع معه ، وقال أبو تمام (٢) :

قَرَانِى اللُّهَى وَالوُدَّ حَتَّى كَأَنَّمَا   أَفَادَ الغِنَى مِنْ نَائِلِى وَفَوَائِدِى

وعارض آخر بمثل هذه المعارضة سواء ، فأجبته بمثل هذا الجواب ، وقلت له : إن كان الأمر على ما تزعُم وتركناك على شهوتك فى أن الود يجمع المحبة والصلة فقد ناقض إذاً هذا الشاعرُ نفسَه فى البيت ؛ فإنه إن كان أراد بقوله « الود للقربى » المحبةَ والمعروف جميعاً فقد قال فى عجز البيت « ولكن عرفه فى الأبعد الأوطان دون الأقرب » فأخرج الأقرب بقوله « دون » فلو كنتَ تركته على ما يقتضيه ظاهر لفظه من حرمان الأقرب كان ذلك أقلّ قبحاً من المناقضة .

فقال : إنما أراد بقوله « ولكن عرفه فى الأبعدِ الأوطانِ دون الأقرب » إفْرَادَ العُرف للأبعد ، وإلا فجَمْعه له مع الود كما جمعهما للأقرب .

فقلت : قوله « دون » يفسد عليك هذا التأويل ، وما أراك إلا قد أوضحت فيه الإحالة والمناقضة وبينتهما ؛ لأنك فى هذا كقائلٍ قال : الود والمال جميعاً لزيد ، والمال لعمرو مفرداً دون زيد ، فكيف يجمع المال مع الود لزيد أولا ويُفْرد عمرا به دون زيد آخراً ؟ وهذا أقبح ما يكون من المناقضة . وإنما كان يصح

(١) رواه فى الصناعتين (٩٢) وفى الموشح ٥٢

(٢) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان ١١٧) وقرانى : أضافنى ، من قرى الضيف يقريه قريا ، واللهى : العطايا ، وأفاد بمعنى استفاد ، يريد أنه لعظيم ما لقيه به من البشر والحفاوة وغيرهما من دلائل المودة كان كمن أفاده الغنى

هذا الكلام أن لو قال : الود والمال لزيد ، والمال لعمرو دون الود ؛ فيكون قد أخرج عمراً من الود إخراجاً مؤكداً بقوله « دون الود » فأما الكلام الأول فمتناقض كما عرفتك ، وكذلك بيت أبي تمام كان يُتأول على هذا أن لو قال « دون الود » لا دون الأقرب ، وما ظننت أن أحَداً يدَّعى مثل هذه الدعوى ، ولا أن حاجة تدعو إلى مثل هذا الاحتجاج ، ويجب أن يقال لهذا المعارض : هل يجب عندك أن تكون مودة لا معروف معها إذ ليس كل من وددته فقد أنلته معروفاً ؟ فإن قال « لا » كابَرَ وسقط كلامه ، وإن قال « نعم » قيل : قد أخرجت لفظةَ الود عن أن تدلَّ بمجردها على المعروف إلا بشيء يَقْترن بها .

وقال آخر (١) : إنما أخرج أقار به من المعروف لأنهم فى غنى وسعة حالة؛ فلذلك أفردهم بالود .

قلت له : فإن كانوا أغنياء بغناه فقد أوسعهم من معروفه ؛ فما كان ينبغى للشاعر أن يَشرط للأباعد دونهم .

وقلت له : وكيف يُعلم أنهم أغنياء وليس فى داخل البيت دليل عليه ؟ قال : كذا نوى وأراد ، قلت : ليس العملُ على نية المتكلم ، وإنما العمل على توجيه معانى ألفاظه ، ولو حَملتَ قول كُلِّ قائل وفعلَ كل فاعل على نيته لما نسِبَ أحد إلى خطأ فى قول ولا فعل ، ولكان من سَدد سَهمًا وهو يريد غرضاً فأصاب به عينَ رجل فذهبت غير مخطىء ؛ لأنه ماعتمد إلا الغرض ، ولا نوى غيرالقرطاس.

وقال آخر : أراد بقوله « ولكن عرفه فى الأبعد الأوطان دون الأقرب » أى : بَعْدَ الأقرب ، تقول : جاءنى الأمير فمن دونه ، أى : فمن بَعْدَه .

قلت : فإنما معنى« فمن دونه» أى فمن هو أدْوَنُ منه فى الرتبة ، بعده كان مجيئه أو قبله .

وقال آخر : إنما أراد أبو تمام بقوله « دون الأقرب » أى : فضلا عن الأقرب ، أى : فكيف الأقرب ، وإن كان هذا مذهباً للناس أن يضعوا

---

(١) هذا هو الذى رآه أبو هلال فى الصناعتين وأشرنا إليه سابقا فى ص١٤٣هـ

« دون » فى هذا الموضع فيقولوا : أنا أرضَى بالقليل دون الكثير ، أى: فضلا عن الكثير ، وأنا أقنَعُ بقُرْص من شعير دون ماسواه ، أى : فَضْلاً عَمَّا سواه ، وهذا مذهبٌ صحيح معروف .

قلت له : هذا توهُّم منك فاسد ، وتأول لهذا الكلام على غير وجهه المقصود؛ لأن معنى «دون» عند أهل اللغة التقصيرُ عن الغاية؛ فمعنى قوله «أنا أرضى بالقليل دون الكثير » أى أرضى بالقليل ولا أنتهى إلى الكثير : أى لا أطمح إليه ، وأرضى بقُرْص من شعير ولا أنتهى إلى ما سواه ؛ فهذه حقيقة معنى اللفظ ، وأما ما تأولته فإنما هو بمعنى بَلْهَ التى تأتى فى الكلام وموضعُها دَعْ ، كقول كُثَيِّر :

بَسَطْتَ لِباغِي العُرْفِ كَفًّا بَسِيطَةً   تَنَالُ العِدَى بَلْهَ الصَّدِيقَ فُضُولُها

أى : تنال العدى فَدَعِ الصديقَ ، أى : لا تَصِلُ إلى العدى إلا بعد أن تصل إلى الصديق ، و « دون » لا تتضمن هذا المعنى ولا تؤديه .

قال : فقد تأتى « دون » بمعنى فوق ، كما تأتى فوق بمعنى دون ، فى قول الله عز وجل : (إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا[1]) ذُكر أن معناه فما دونها ؛ لأن « فوق » قد تكون دون عند ما هو فوقها ؛ و « دون » قد تكون فوق عندما هو تحتها؛ فيجوز أن يكون أراد الشاعر بقوله « دون الأقرب » أى : فوق الأقرب ، بمعنى زيادة على ما أعطاه الأقرب ، أو تكون « دون » ههنا بمعنى أمام ؛ لأن بعض أهل اللغة جعلها من الأضداد ، وأنها تأتى بمعنى خَلْف وبمعنى أمام ، مثل وَرَاء ، فيكون معنى قوله « دون الأقرب » أى : أمام عُرْفه فى الأقرب ، أى : قبله .

قلت له : أما ما قيل فى قوله عز وجل (فما فوقها) معناه فما دونها فإن أهل العربية على خلاف ذلك ، وليس لهذه اللغة عندهم إلا وجهان : أحدهما : أن

---

(١) صدر الآية ٢٦ من سورة البقرة

يكون فما فوقها فما هو أكبر منها ؛ لأن البعوضة غايةٌ فى الصغر ؛ فيكون المعنى أنه عز وجل لا يستحى أن يضرب مَثَلاً ما بين الشىء الذى هو نهاية الصغر إلى ما هو فوقه ، أى : ما زاد عليه وتجاوز . والوجه الآخر فما فوقها فى الصغر ، وهذا قول أبى العباس محمد بن يزيد المبرد وأبى إسحاق الزجاج ، والكسائى من قبلهما ، وأبى عبيدة ، وما أظن غير هؤلاء يقول إلا مثل ذلك ، وأما ما ذكَرْتَ من أن «دون» تأتى بمعنى خَلْف وأمام فإنها عند أهل العربية من الأضداد نحو « وراء» فقد أخبرتك أن معناها عند أهل العربية التقصير عن الغاية ، وإذا كان الشىء وراء الشىء أو أمامه أو يَمْنة أو شأمة صَلَح فى ذلك كله أن تقول : هو دونه ، ألا ترى أنك إذا قلت « بيوت بنى فلان دون الحَرَّة » صلح أن تكون دونها إلى مَهَبّ الشمال ، أو إلى مَهَبّ الجنوب ، أو إلى غيرهما من الجهات ؛ فلا يعلم المخاطب أىّ الجهات التى تَعْنى ؛ فليس هذا من الأضداد فى شىء ، وإنما جعلها قوم من الأضداد لمّا رأوها تُسْتَعمل فى هذه الوجوه لما فيها من الإبهام ، وكذلك « وراء » إنما هى من المُوَاراة والاستتار ؛ فما اسْتَتَر عنك فهو وَرَاء : خَلْفَك كان أو قُدّامك ، هذا إذا لم تَرَه ولم تُشاهده ، فأما إذا رأيته فلا يكون أمامك ووراءك ، وإنما قال لبيد :

أَلَيْسَ وَرَائى إنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِى ... لُزُومُ العَصى تُحْنَى عَلَيْهَا الأصابعُ[1]

بمعنى أليس أمامى ؛ لأنه قال ذلك قبل أن يَرَى ويُشاهد نفسه وقد لزم العصا ، وقد قال الله عز وجل : (وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا[2]) قالوا : إنه كان أمامهم ، وصَلَح ذلك لأنهم لم يُعاينوه ولم يشاهدوه ، فقد وضح

---

(١) من قصيدة له يرثى فيها أخاه أربد ، وأولها :

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع ... وتبقى الديار بعدنا والمصانع

(٢) من الآية ٧٩ من سورة الكهف .

لك الآن معنى « دون » أنها لا تخرج عن بابها التى وُضعت له ، ألا ترى أنك تقول : نَزَلتُ فى القرية دون النخل ؛ فيجوز أن تكون القريةُ أمام النخل ، وخلفه ، وأن يكونَ المعنى أنك أفردت القرية بنزولك ، ولم تُعَرِّج على النخل ، وكذلك « لقيت زيدا دون عمرو » و « أكلت السمك دون اللبن » أخرجتَ عمراً من لقائك ، واللبنَ من أكلك ، وكذلك قول الطائى « دون الأقرب » قد أخرجهم من العُرْف ، وهذا لا شيء أوضح منه .

وقد حمل بعضهم نفسَه على أن قال : أراد الطائى « لكن عرفه فى الأبعد الأوطان دون عرفه فى الأقرب » وهذا من أفحش الخطأ ؛ لأن قوله « دون الأقرب » مثل قولك : وُدِّى لزيد دون عمرو ؛ فليس معناه كمعنى قولك : ودى لزيد دون [ودِّى] لعمرو ؛ لأنك فى الأول قد أخرجت عمرا من الود وأفردت زيدا به ، وفى الثانى جعلت الود لزيد دون الود لعمرو ، أى : أقلَّ منه ؛ فهذا معنى وذاك معنى آخر . وأيضاً فلو اعتمد أبو تمام هذا المعنى لكان قد أخرج « لكن» التى تدخل للاستدراك من أن يكون استدْرَكَ بها شيئاً ؛ فلا يكون لها فى البيت معنى البتة

وقال آخر ممن يلتمس العذر لأبى تمام : إنما هذا على طريق الإيثار كما يؤثر الإنسان على نفسه ، فكذلك يؤثر على أقاربه

قيل له : الإيثار على النفس حَسَنٌ جداً ، وصاحبه ممدوح ، كما قال الله عز وجل (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ[1]) وكما قال أبو خِراش :

أَرُدُّ شُجَاعَ الجوع قَدْ تَعْلَمِينَهُ ... وَأُوثِرُ غَيْرِى مِنْ عِيَالِكِ بالطُّعْم

وكما قال عُرْوة بن الوَرْدِ :

(١) من الآية ٩ من سورة الحشر ، والخصاصة : الحاجة والفقر .

أُقَسِّمُ جِسْمِى فى جُسُوم كَثِيرَةٍ   وَأَحْسُو قَرَاحَ الماء وَالماء بَارِدُ

والإيثار إنما يكون إيثارا ويَقَعُ الحمدُ به إذا آثر الإنسان غيرَه على نفسه أو على ولده ، وفى بعض الأحوال . فأما إذا آثر بعضَ الطالبين على بعض بغير سبب يُعلم فهو بذلك مذموم غير ممدوح ، فكيف إذا آثر البعيدَ على القريب ؟

وقد جاء فى أشعار العرب من الحثّ على بر الأقارب ومن حَمْد مَنْ وصَلهم وذمٍّ من حرَمهم ما هو أشهر وأكثر من أن يخفى ؛ قال زهير (١) :

وَلَيْسَ مَانِعَ ذى قُرْبَى وَذِى رَحِمٍ   يَوْماً ، وَلا مُعْدِماً مِنْ خَابِطٍ وَرَقَا

وقال أبو دُوَاد الإيادىّ :

إذَا كُنْتَ مُرْتَادَ الرِّجَالِ لِنَفْعِهِمْ

فَرِشْ وَاصْطَنِعْ عِنْدَ الَّذِينَ بِهِمْ تَرْمِى (٢)

وقال حاتم الطائى :

لا تَعْذِلِينِى عَلَى مالٍ وَصَلْتُ بِهِ   رَحْماً قَرِيباً ؛ فَخَيْرُ المَالِ ما وَصَلا (٣)

وقال أوس بن حجر :

أَلَيْسَ بِوَهَّابٍ مُفِيدٍ وَمُتْلِفٍ   وَصُولٍ لِذِى قُرْبَى هَضِيمٍ لِمُهْتَضِمْ

وقال زهير :

---

(١) هو بيت من قصيدة له يمدح فيها هرم بن سنان ، وأولها قوله :

إن الخليط أجد البين فانفرقا   وعلق القلب من أسماء ماعلقا

وانظر العقد الثمين (٣٨)

(٢) أورده صاحب الصناعتين للمعنى الذى أنشده المؤلف من أجله (٩٣) .

(٣) هو بيت له من قصيدة أولها قوله :

مهلا نوار أقلى اللوم والعذلا   ولا تقولى لشىء فات ما فعلا

وانظر ديوانه (٣٨ طبع أوربة عام ١٨٧٢) وفيه فى عجز هذا البيت « رحما وخير سبيل المال ما وصلا »

وَذِى نَسَبٍ ناءٍ بَعِيدٍ وَصَلْتَهُ ... بمَالٍ وَمَا يَدْرِى بأَنَّكَ وَاصِلُهْ[١]

وقال كُثَيِّر :

بَسَطتَ لِبَاغِى العُرْفِ كَفّاً بَسِيطَةً
تَنَالُ العِــــدَى بَلْهَ الصَّدِيقَ فُضُولُها

هذا المعنى أولى بالصواب من قول الطائى ؛ لأنه أراد أن عُرْفَه ينال العدى فضلا عن الصديق ؛ لأن قوله « بله الصديق » أى : فَدَعِ الصديقَ لأنه لا يصل إلى العِدَى إلا بعد أن يصل إلى الصديق ، وقال كُثَيِّر أيضاً :

لأهْـلِ الوُدِّ وَالقُرْبَى عَلَيْهِ ... صنَائِعُ بَثَّها بَرٌّ وَصُولُ

ولِلفُقَرَاء عَائِدَةٌ وَرَحْمٌ ... فَلاَ يُقْصَى الفَقِيرُ وَلاَ يُعِيلُ

ألا تراه بدأ بأهل ودّه وقرابته فجعل منافعه فيهم ، ثم ثَنَّى بالفقراء فجعل لهم عائدة ورُحْمًا : أى رحمة ، وقال كثير أيضاً :

وَلَمْ يَبْلُغِ السَّاعُونَ فِى المَجْدِ سَعْيَهُ ... وَلَمْ يُفْضِلُوا إِفْضَالَهُ فِى الأقَارِبِ

جَزَتْكَ الجَوَازِى عَنْ صَدِيقِكَ نَضْرَةً ... وَقَرَّبْتَ مِنْ مَأْوَى طَرِيدٍ وَرَاغِبِ

وصاحب قـوم معصم بكَ حَقّهُ ... وَجَار ابن ذى قربى وآخر جانب

رَأَيْتُكَ وَالمَعْرُوفُ مِنْكَ سَجِيَّةٌ ... تَعُمُّ بِخَيْرٍ كُلَّ جَادٍ وَغَائِبِ

« جادٍ » يقال : يَجْدُو ويَجْتَدِى[٢] ، أى : تعم بالمعروف من هو بحضرتك

---

(١) هو بيت من قصيدة يمدح فيها حصن بن حذيفة بن بدر ، وأولها قوله :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله ... وعرى أفراس الصبا ورواحله

وقد تقدم هذا المطلع فى هذا الكتاب (ص١٧) وسيأتى مرة أخرى فى الباب الذى يعقده المؤلف للكلام على قبيح استعارات أبى تمام ، وانظر العقد الثمين (٤٦)

(٢) تقول : جدا علينا فلان ، بمعنى أفضل . وتقول : جدوت فلانا أجدوه ، واجتديته ، واستجديته ؛ بمعنى سألته ، وقال الشاعر :

جَدَوْتُ أُنَاساً مُوسِرِينَ فَمَا جَدَوْا ... ألا اللهَ أَجْدُوهُ إذا كُنْتُ جَادِيَا

ومن هو غائب عنك ؛ فجعل كثير كما ترى معروفه عُموماً فى الأقارب وفى الأباعد إلى الحاضر والغائب . وقال ابنُ هَرْمَة :

كَمْ نَائِلٍ وَصِلاَتٍ قَدْ نَفَحْتَ بِهَا ... وَنِعْمَةٍ مِنْكَ لاَ تُحْصَى أَيَادِيهَا
عِنْدَ الأَقَارِبِ وَالأَقْصَيْنَ نَفْعُهُمَا ... بِيضٌ رَوَائِحُهَا تَحْدُو غَوَادِيهَا

وقال كنانة بن عبد ياليل الثقفى :

صَلاَةٌ وَتَسْبِيحٌ وَإِعْطَاءُ نَائِلٍ ... وَذُو رَحِمٍ تَنَالُهُ مِنْكَ إِصْبَعُ

يريد بقوله إصبع رَحْمٌ ونائل

وقال إسماعيل بن يسار النسائى :

وَإِذَا أَصَبْتَ مِنَ النَّوَافِلِ رَغْبَةً ... فَامْنَحْ عَشِيرَتَكَ الأَدَانِيَ فَضْلَهَا

وقال المسيب بن عَلَس فى منع الأقارب :

مِنَ النَّاسِ مَنْ يَصِلُ الأَبْعَدِينَ ... وَيَشْقَى بِهِ الأَقْرَبُ الأَقْرَبُ[1]

وقال الحارث بن كَلَدة الثقفى يذم فاعل ذلك :

مِنَ النَّاسِ مَنْ يَغْشَى الأَبَاعِدَ نَفْعُهُ ... وَيَشْقَى بِهِ حَتَّى المَمَاتِ أَقَارِبُهْ[2]
فَإِنْ يَكُ خَيْرٌ فَالْبَعِيدُ يَنَالُهُ ... وَإِنْ يَكُ شَرٌّ فَابْنُ عَمِّكَ صَاحِبُهْ

فقد تراه كيف ذم على حرمان القريب .

وقال مُسافر بن أبى عمرو بن أمية[3] فى ذلك :

تَمُدُّ إِلَى الأَقْصَى بِثَدْيِكَ كُلِّهِ ... وَأَنْتَ عَلَى الأَدْنَى صَرُورٌ مُجَدَّدُ
وَإِنَّكَ لَوْ أَصْلَحْتَ مَنْ أَنْتَ مُفْسِدٌ ... تَوَدَّدَكَ الأَقْصَى الَّذِى تَتَوَدَّدُ

الصَّرور : الضيق حلمة الثدى ، والمجدَّد : الذى قد أُقطع لبنه .

---

(١) انظره فى الصناعتين (٩٣)

(٢) روى أولهما فى الصناعتين (٩٣) أيضا

(٣) رواهما فى الصناعتين (٩٣) مع تغيير يسير لا يضر بالمعنى

وهذه طريقة القوم فى هذا ، وهو مذهب سائر الأمم .

وأما قول أبى تمام[١] :

وَرُبَّمَا عَدَلَتْ كَفُّ الكَرِيمِ عنِ الْـ ... ـقَوْمِ الحُضُورِ ونَالَتْ مَعْشَراً غُيُبَا

فليس هو من بيته الأول فى شىء ، وقد أدرك فيه الغرض ، كأنه يَعْذر مَنْ فعَلَ هذا : أى ربما اتفق أن يَفعله من غير قصد ، وليس هذا بمحمود .

وقد ذهب البحترى إلى نحو ما ذهب إليه أبو تمام فقال[٢] :

بَلْ كانَ أَقْرَبَهُمْ مِنْ سَيْبِهِ نَسَباً ... مَنْ كانَ أَبْعَدَهُمْ مِنْ جِذْمِهِ رَحِمَا

إلا أنه لم يخرجهم من معروفه ، وإن كان أيضاً قد دخل تحت الإساءة .

ونحو هذا قول البحترى أيضاً[٣] :

غَدَا قَسْمُهُ عَدْلاً : فَفِيكُمْ نَوَالُهُ ، ... وَفِي سِرِّ نَبْهَانَ بْنِ عَمْرٍو مَآثِرُهْ

وَمَا عَجَبٌ أَنْ تَشْهَدُوا الطَّعْنَ دُونَهُ ... وما عَشَرَتُكُمْ فِي نَدَاهُ عَشَائِرُهْ

فأى قسمة عَدْل ههنا : أن يجعل نَداه فى غير قومه ، ويقتصر بهم على أن يَجُرُّوا الفخر لمآثره ؟ وإن كان قد دل بقوله « وما عَشَرَتكم فى نداه عشائره » على أنه لم يحرمهم نواله البتة .

والأحسن فى هذا قوله[٤] :

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم المصعبى ويعاتبه (الديوان ٢٢) « ونالت » ههنا بمعنى أعطت

(٢) من قصيدة له يمدح فيها رافع بن هرثمة (الديوان ٢ / ٢٦٠) والجذم ـ بكسر الجيم وسكون الدال ـ الأصل ، وانظره فى الصناعتين (٩٣) أيضا ، وسيذكره المؤلف مرة أخرى فى ٣١٢ طبعة أولى

(٣) من قصيدة له يمدح فيها يوسف بن محمد (الديوان ٢ / ١٣) وفيه فى صدر الأول منهما « غدا قسمة عدلا » وفى عجزه « وفى سرونبهان » وكان فى الأصل فى الثانى « وما عجب أن يشهد الطعن » .

(٤) من قصيدة له يمدح فيها أبا صالح بن عمار (الديوان ٢ / ١٨٨) وكان فى الأصول « فإن ينفرد عنا يسير » وهو تحريف ما أثبتناه عن الديوان

فإنْ تَنفرِدْ عنّا قُشَيْرٌ بِمَجْدِهِ ... فلَمْ تَنفرِدْ عنّا بِنائِلِهِ الجزْلِ

فأعطاهم المجد والنائل جميعاً :

وشبيه بهذا أو قريب منه قولُه(١) :

عَطاؤُكَ ذا القُرْبى جَزِيلٌ ، وفَوْقَهُ ... عَطاؤُكَ في أهْلِ الشَّناءَةِ والبُعْدِ

فقال « عطاؤك ذا القربى جزيل » ثم قال « وفوقه عطاؤك فى أهل الشناءة والبعد » فقوله « وفوقه » أى : أجْزَلُ منه ، وقد يكون «فوقه» بمعنى زيادة عليه ، والمعنى الأول بالبيت ألْيَقُ .

والجيدُ فى هذا البعيدُ من العيب قولُه :

ظَلَّ فِيها البَعِيدُ مِثْلَ القَرِيبِ الـــمُجْتَبَى والعَدُوُّ مِثْلَ الصَّدِيقِ(٢)

ولا أعرف لأبى تمام فيما قال عذرا يتوجَّهُ ، ولا وجدتُ فيما تصفحته من أشعار العرب ما يجانسه إلا قول عامر بن صعصعة بن ثور القفعسى :

لِمَنْ يَزُورُكَ مِنْ أشْرافِنا لَطَفٌ ... وذِي القَرابَةِ إدْناءٌ وتَقرِيبُ

وأظن أبا تمام عَثَر به واستغر به فأخذ المعنى وزاد عليه زيادةً أخرجته إلى

---

(١) هو ثانى سبعة أبيات يقولها فى مديح أحمد بن محمد الطائى (الديوان ١ – ٢٠٢) وفيه « عطاؤك ذا القربى علو »

(٢) هو بيت من قصيدة له يمدح فيها أبا نهشل (الديوان ٢ / ١٣٦) وقبل هذا البيت – مما يرتبط به معناه – قوله :

وعطاياك فى الفضول عداد الـــرمل من عالج ، فقل فى الحقوق
أخذت بالسماح غصبا ، وقد يؤ ... خـــذ نيل البخيل بالتوفيق
لا أعد المرزوق منها – إذا فكـــرت فيها وفيه – بالمرزوق
ظل فيها البعيد مثل القريب الـــمجتبى ، والعدو مثل الصديق
كحيا الغمام جاد فروى كل واد من البلاد ونيق

والنيق – بكسر النون أوله – أرفع موضع فى الجبل ؛ يريد عم بريه الجبال والوديان. وانظره فى الصناعتين (٩٣) أيضا

ذمٌّ الممدوح ؛ لأن هذا الشاعر قال « لمن يزورُكَ من أشرافنا لَطَف » أى : بِر، «ولذى القرابة إدناء وتقريب» ولم يقل إدناء وتقريب دون البر، كما قال أبو تمام؛ لأن البر واللّطف إذا كانا للغريب الزائر ، وكان الإدناء والتقريب فى تلك الحال لذى القرابة ـ فقد يجوز أن يهيجه البر إليه فى وقت إيصاله إلى الغريب ، وهذا إن كان يقع فى الأكثر فلا عيب على هذا الشاعر فيما قاله .

ولله در أبى عُبادة الوليد بن عبيد الله البحترى إذ يقول[١]

فَإن ذاكَ النَّدَى يُدْنِى إليْهِ يَداً ... مُمْتَاحَةً مِنْ بَعِيدِ الدَّارِ والرَّحِمِ

وقوله[٢] :

وَمَا أضَعْتَ الحَـقَّ فِى أجْنَبِى ... فَـكَيْفَ تَنْسَى وَاجِباً فِى شَقِيقْ؟

٨ — ومن خطائه قوله[٣] :

يَدِى لِمَنْ شاءَ رَهْنٌ لَمْ يَذُقْ جُرَعاً ... مِنْ رَاحتَيْكَ دَرَى ما الصَّابُ والعَسَلُ

لفظ هـذا البيت مبنىٌّ على فساد ؛ لـكثرة ما فيه من الحذف ؛ لأنه أراد بقوله « يدى لمن شاء رهن » أى أسابقه وأبايعه معاقدة أو مراهنة إن كان مَنْ لم يذق جُرَعاً من راحتيك دَرَى ما الصَّابُ والعسلُ ، ومثل هـذا لا يسوغ ؛ لأنه

---

(١) من قصيدة يمدح فيها عبيدالله بن يحيى بن خاقان (الديوان ٢ / ٢٦٥) وفيه « ما إن يزال الندى يدنى » وانظر الصناعتين (٩٣) أيضا ، وقبل هذا البيت ـ مما يتصل به معناه ـ قوله :

الله جار بنى خاقان إنهم الـ ... آثرون من كرم الأخلاق والشيم
بيت تقدم فيه المجد ، واجتمعت ... له عظام المساعى والعلى القدم
النازحون عن الفحشاء يبعدهم ... عن لؤمها شرف الأخلاق والـكرم
ما انفك مجد عبيد الله يكسبهم ... محبة فى صدور العرب والعجم

(٢) من قصيدة يمدح فيها المعتمد على الله (الديوان ٢ / ١٢٦) وفيه « فـكيف تنسى واجبا فى الشقيق »

(٣) هو بيت من قصيدة يمدح فيها المعتصم بالله (الديوان ٢٢٨) وانظر الاعتراض عليه فى الوساطة ٨٠

حذف «إن» التى تدخل للشرط ، ولا يجوز حذفها ؛ لأنها إذا حُذفت سقط معنى الشرط ، وحَذَف « مَنْ » وهى الاسم الذى صلته « لم يذق » فاختلّ البيت ، وأشكل معناه ، والحذفُ لعمرى كثيرٌ فى كلام العرب ، إذا كان المحذوف مما تدلُّ عليه جملةُ الكلام ، قال الله عز وجل: (أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى (١)) أراد عز وجل أو لم يتفكروا ليعلموا ، وأشباه هذا كثير ، ومن باب الحذف والاختصار قوله تعالى: (فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ (٢)) قال أبو عبيدة : العربُ تختصر الكلام لعلم المخاطب بما أريد ، كأنه أراد: فيقال لهم أكفرتم بعد إيمانكم ، وقوله عزوجل : (إِذاً لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ (٣)) يفسر ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات، وفى الشعر مثل هذا موجود، قال الشاعر (٤):

لَوْ قُلْتَ مَا فِي قَوْمِهَا لَمْ تَأْثَمِ … يَفْضُلُهَا فى حَسَبٍ وَمِيسَمِ

يريد أحد يفضلها ، فحذف « أحد » ؛ لأن الكلام يدلّ عليه ، ذكر ذلك

---

(١) من الآية ٨ من سورة الروم

(٢) من الآية ١٠٦ من سورة آل عمران

(٣) من الآية ٧٥ من سورة الإسراء

(٤) هو بيت من الرجز لحكيم بن معية الربعى ، أحد الرجاز الإسلاميين، وبعد البيت قوله :

عفيفة الجيب حرام المحرم … من آل قيس فى النصاب الأكرم

والنحاة يستشهدون بالبيت الذى أنشده المؤلف على جواز حذف الموصوف ؛ إذا كان بعض اسم مجرور بفى ، وكان النعت جملة ، ألا ترى أن « أحدا » – الذى هو الموصوف المحذوف – بعض اسم وهو « قومها » مجرور بفى ؟ ثم ألا ترى أن الوصف جملة وهى قوله «يفضلها» ؟ ومثل هذه الشواهد فى الحذف إلا أن المحذوف هو النعت – قول العباس بن مرداس السلمى :

وقد كنت فى الحرب ذا تدرإ … فلم أعط شيئا ولم أمنع

أراد فلم أعط شيئا كثيرا ولم أمنع بتة ، وإلا يكن هذا هو المراد تناقض الكلام

سيبويه . وأنشدَ فى باب الحذف[1] .

وما الدَّهْرُ إلاَّ تارَتَانِ فَمِنهُمَا ... أَمُوتُ وأُخْرَى أَبتَغِى العَيْشَ أَكْدَحُ

يريد فمنهما تارة أموت .

فإن تأول متأوِّلٌ هذا البيتَ على ألفاظٍ أُخَرَ محذوفة غير اللفظ الذى ذكرته فالاختلال بعدُ قائم ؛ لكثرة ما حذف منه ، وسقوط الدليل عليه .

٩ — ومن خطائه قولُه[2] :

شهِدْتُ لَقَدْ أقوَتْ مَغَانِيكُمْ بَعْدِى ... وَمحَّتْ كَمَا محَّتْ وَشَائعُ مِنْ بُرْدِ

جعل الوشائعَ حواشىَ البردِ أو شيئاً منها ، وليس الأمر كذلك ، إنما الوشائع غَزْلٌ من اللُّحْمَة ملفوف يجرُّه الناسج بين طاقات السَّدَى عند النِّساجة[3] قال ذو الرمة :

بِهِ مَلْعَبٌ مِنْ مُعْصِفَاتٍ نَسَجْنَهُ ... كَنَسْجِ اليَمانِى بُرْدَهُ بِالْوَشَائِعِ

فأما قول كُثَيِّر :

دِيارٌ عَفَتْ مِنْ عَزَّةَ الصَّيْفَ بَعْدَمَا ... تُجِدُّ عَلَيْهِنَّ الْوَشِيعَ الْمُنَمْنَمَا

إنما أراد بالوشيع هنا ما سُدَّ به الخصاصة بين الشيئين ، وهذه وشائع الغزل ؛

---

(١) البيت لابن مقبل (اللسان : ك د ح ـ ت و ر) وهو مما يستشهد به النحاة على حذف المنعوت وبقاء النعت ، أراد الشاعر فمنهما تارة أموتها : أى أموت فيها ، وتارة أخرى أسعى فيها فى طلب العيش وأدأب .

(٢) هو مطلع قصيدة له يمدح فيها موسى بن إبراهيم الرافقى ويعتذر إليه (الديوان ١٢٧) وأقوت : أقفرت وخلت من سكانها ، والمغانى : جمع مغنى ، وهو المنزل يغنى فيه أهله وساكنوه : أى يقيمون ، تقول : غنى فلان بالمكان يغنى ، إذا أقام ، ومحت : بليت ، والبرد ـ بالضم ـ الثوب

(٣) السدى ـ بفتح السين ، بزنة الفتى ـ ما كان من خيوط المنسوج طولا ، واللحمة ـ بضم اللام ـ ما كان منها بين طاقات السدى ، والنساجة ـ بكسر النون ـ حرفة النساج

والمنمنم : مأخوذ من [١] النَّمّام : أى بعد ما كانت هذه الديار تُجَدُّ بالوشيع ، أى : يخصص جنابها ، ومثل أبى تمام لايسوغ [له] الغلط فى مثل هذا ؛ لأنه حَضَرى ، وإنما يُسامَح فى ذلك البدوىُّ الذى يريد الشىء ولم يُعاينه فيذكر غيره لقلة خُبْره بالأشياء التى تكون بالأمصار . وأما أبو تمام فليست هذه حاله ، بل ماجَهِل هذا ، ولكنه سامح نفسه فيه ، ألا ترى إلى قوله فى موضع آخر يصف قصيدةً :

الجِدُّ وَالْهَزْلُ فى تَوْشِيعِ لُحْمَتِها … والنبل والسخف والأشجان والطَّرَبُ [٢]

فقال « فى توشيع لحمتها »

١٠ — ومن خطائه قولُه [٣] :

لَوْ كانَ فى عاجِلٍ مِنْ آجِلٍ بَدَلٌ … لَكانَ فى وَعْدِهِ مِنْ رِفْدِهِ بَدَلُ

ولم لا يكون فى عاجل من آجل بدلٌ ؟ والناسُ كلُّهم على اختيار العاجل و إيثاره وتقديمه على الآجل ، ألا ترى قولَ القائل الذى قد صار مثلا :

* وَالنَّفسُ مُولَعَةٌ بِحُبِّ العاجِلِ [٤] *

والعاجل أبدا هو المطلوبُ المرغوب فيه ، حتى إن قليلَه يُؤْثَر على كثير الآجل ، كما قال الآخر :

---

(١) النمام ـ بفتح النون وتشديد الميم ـ نبت طيب الريح .

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أبا جعفر محمد بن عبد الملك بن أبى مروان الزيات (الديوان ٥١) والتوشيع : ههنا لف اللحمة بعد ندفها ، والنبل : الذكاء ، والسخف : النزاقة والخفة والطيش ، والأشجان : الأحزان ، واحدها شجن ، بفتح الشين والجيم .

(٣) هو بيت من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المعتصم بالله (الديوان ٢٢٧) والآجل كالمؤجل : المتأخر ، والرفد ـ بكسر فسكون ـ العطاء

(٤) هذا عجز بيت لجرير بن عطية ، وصدره قوله :

* إنى لأرجو منك خيرا عاجلا *

وانظر شرح الشريشى ١/٦٤،وفى معناه :

ولا شك أن الخير منك سجية … ولكن خير الخير عندى المعجل

أَعَاذِلَ ، عَاجِلُ مَا أَشْتَهِى أَحَبُّ مِنَ الأَكْثَرِ الرَّائِثِ(١)

كأنه يريد عاجل ما أشتهى مع القلة أحبُّ إلىَّ من الأكثر المبطىء ؛ فمن شأن العاجل أبداً أن يكون أفضلَ الأعواض والأبدال من كل آجل إذا كان فى الخير ، فعاجل الخير خير من آجله ، كما أن عاجلَ الشر شر من آجله ؛ لأن العاجل شىء قد وقع : إن كان خيرا فقد حصل نفعه ، أو شرا فقد تعجَّل شره ، وآجل الخير يُخْشى فَوْتُه ، وربما وقع الإخفاق منه ، كما أن آجل الشر يُرجى زواله ، وربما لم يقع ، فكيف لا يكون العاجلُ بدلاً أو خَلَفاً من الآجل ؟

فإن قال قائل : إن الذى أراده أبو تمام وقاله صحيح ، ومذهبه فيه مستقيم؛لأن العاجل لا يكون أبدا بدلا ولا خَلَفاًمن الآجل ؛ لأن المبدَل لا يكون قبل المبدلِ منه، ولا الخلفَ يتقدم على ما هوخلف له؛لأنه إنما قيل له خلف لإتيانه خَلْفَ الذى هو قُدَّامه ؛ فأبو تمام إنما أنكرأن يكون العاجلُ بدلاً أوخلفامن الآجل على هذه السبيل

قيل : هذا غلط من التأويل أو مغالطة ؛ لأنه ليس على هـذا الوجه مَنَع أبو تمام من أن يكون العاجلُ بدلا من الآجل ؛ فيحتج بأن هذا أولى بالتقديم وهذا أولى بالتأخير من طريق الترتيب ، وإنما أراد أنه لا يقوم مقامه فى الحاجة إليه ، فكيف يكون الأول يقوم مقام الثانى والمتقدم مقام المتأخر ؟ وكان وَجْه الكلام الذى يصحّ به المعنى ويستقيم أن يقول : لو كان فى عاجِلِ قولٍ بدلٌ من آجل فعل لكان فى وعده من رِفْدِهِ بدَل .

فإن قال : فهذا الذى أراد أبو تمام

قيل : ليس الأمر كذلك ؛ لأن طريقة لفظه فى البيت أن يكون معناه لو كان فى شىء عاجل من شىء آجل بدل

وبعد ؛ فلو أراد ما ظننتَه وذهبتَ إليه ـ وذلك ليس بمعلوم ، ولا فى البيت

---

(١) الرائث : اسم الفاعل من راث الأمر يريث ريثا ـ كباع يبيع بيعا ـ إذا أبطأ ، وفى مثل من أمثالهم : رب عجلة تهب ريثا . وفى حديث الاستسقاء « عجلا غير رائث » أى غير بطىء ، ونسبه فى نقد الشعر (١٢٨) إلى عبيدالله ابن عبد الله بن مسعود ، وهى نسبة صحيحة ، وانظره مع أبيات تليه فى مهذب الأغانى ١٠١/٦ وفيه « أحب من الآجل الرائث »

عليه دليل — لم يُلتفت إلى إرادته ؛ لأنك إذا فصلت الإضافة من عاجل قول أو آجل فعلٍ ففرقت بين المضاف والمضاف إليه لم يدلّ أحدهما على الآخر ؛ لأن لفظة « عاجل » لا تدلّ غيرَ مضافةٍ على ما تدلّ عليه لفظة « عاجل قولٍ » كما أن لفظة « آجل » لاتدل على « آجل فعلٍ » ولا يدلان أيضاً على شيء مُضْمَر ، كما أن قولك : زيد أولُ ناطقٍ وآخِرُ ساكتٍ ،وعمرو أولُ خارجٍ وآخر قادمٍ ، و بكر أولُ آخذ وآخر تارك ؛ إذا أفردت « أول » و « آخر » لم يدلاّ على شيء مما أضيف إليه . ألا ترى أن الأصمعى أنكر على ذى الرُّمة قولَه يصف الوتر :

* كأنهُ فى نِياطِ القَوْسِ حُلْقُومُ *

فقال : حُلْقُوم ماذا ؟ إذ كان يجب أن يقول : حلقوم طائر ، أو حلقوم قطاة ، أو غيرهما مما يشبه الوتَر فى الرقة ، وإلا فقد يكون الحلقوم حلقوم فيل ، أو حلقوم بعير ، وهذا من الأصمعى إنكار صحيح ، وإن كان لا يلزم ذا الرمة فيه ما يلزم أبا تمام ؛ لأن العرب لا تُشَبه الوتر إلا بحلقوم الطائر ، وذلك قول الراجز :

* لام بمر مثـــل حلقوم الوتَر *

أخذه أبو تمام فقال(١) :

* لام كَحُلْقُوم القطاةِ تَغترِفُ *

وأبو تمام أراد أن هـذا الممدوح يقيم وَعْدَه لصحته مُقام عطيته ، وأحَبَّ الإغراق على رَسْمه فأخطأ فى تمثيل ما مثل بذكر العاجل والآجل ؛ لأنه أطلق القولَ عموما ؛ فلا يدل على الخصوص .

والجيد النادر فى هذا قول البحترى(٢) :

لَوْ قَلِيلٌ كَفَى امْرَأً مِنْ كَثِيرٍ   لاكْتَفَيْنَا بِقَوْلِهِ مِنْ فِعَالِهْ

وأحْسَنَ الراعى فى قوله :

ضَافِى العَطِيَّةِ : رَاجِيه وَسَائِلُهُ   سِيَّانِ ، أفْلَحَ مَنْ يُعْطِى وَمَنْ يَعِدُ

(١) لا يوجد هذا فى ديوان أبى تمام المطبوع ،ولم أعثر عليه ولا على قول الراجز قبله ، ولم يستقيما لى .

(٢) هو بيت من قصيدة يمدح فيها بعض بنى حميد (الديوان : ٢ / ٢٠١)

١١ — ومن خطائه قوله[١] :

بِيَوْمٍ كَطُولِ الدَّهْرِ فى عَرْضِ مِثْلِهِ ... وَوَجْدِىَ مِنْ هٰذا وَهٰــذاكَ أطْوَلُ

فجَعَلَ للدهر ـ وهو الزمان ـ عرضاً ، وذلك مَحْض المحال ، وعلى أنه ما كانت إليه حاجة ؛ لأنه قد استوفى المعنى بقوله « كطول الدهر » فأتى على العرض فى المبالغة .

فإن قيل : فلم لا يكون سَعَةً ومجازا ؟

قيل : هذه ألفاظ صنعتها صنعة الحقيقة ، وهى بعيدة من المجاز ؛ لأن المجاز فى هذا له صورة معروفة ، وألفاظ مألوفة معتادة ، لا يُتَجاوز فى النظر بها إلى ما سواها ، وهى قول الناس : عِشْنا فى خَفْضٍ ودَعَة زماناً طويلا عريضاً ، وما زلنا فى رَخاء ونعمةٍ الدهرَ الطويلَ العريض . وإنما أرادوا تمامه وكماله وسَعَته ، نحو قولهم : ثوبٌ طويل عريض، أى : تامّ واسع ، وأرض طويلة عريضة ،أى: تامة فى الطول والسَّعة ، وكذلك إذا وصفوا ما ليس له طول ولا عرض على الحقيقة فإنما يريدون التمام والـكمال ، ألا ترى إلى قول الراعى[٢] :

أَنْتَ ابْنُ فَرْعَىْ قُرَيْشٍ لَوْ تُقَايِسُها ... فى المَجْدِ صَارَ إلَيْكَ العَرْضُ وَالطُّولُ

أى : لها سَعَة وتمام وكمال[٣] . والفضائل : المحاسن(؟). وكذلك قوله :

(١) من قصيدة يمدح فيها أبا المستهل محمد بن شقيق الطائى (الديوان ٢٤٤) وقبله ـ وهو مطلع القصيدة ـ قوله :

تحمل عنه الصبر يوم تحملوا ... وعادت صباه فى الصبا وهى شمأل

وانظر الاعتراض على هذا البيت أيضا فى الصناعتين (٩٦)

(٢) أنشده فى الصناعتين (٩٦) منسوبا إلى كثير ،وفيه « لو تقايسها » وأظنه أليق مما هنا ، وكان فى الأصول « أنت ابن فدعى قريش »تطبيع

(٣) كذا ، وليس فى بيت الراعى ما يشرح بهذا الكلام ، ونظن أنه قد سقط بعد البيت قوله « أى صار إليك المجد بتمامه ، وكذلك قول كثير :

بطاحى له نسب مصفى ... وأخلاق لها عرض وطول

أى لها سعة وتمام وكمال » فإن الكلام يستقيم على هذا الوجه .

إذا ٱبْتَدَرَ النَّاسُ المَكَارِمَ بَزَّهُمْ ... عَرَاضَةُ أَخْلَاقِ ٱبْنِ لَيْلَى وطُولُها(١)

أى بَزَّهم منه أخلاقه وتمامُها وكمالُها فى الفضل ؛ لأن الأخلاق تمدح بالسَّعة وتذم بالضيق ، إلا أن أكثر ما يأتى فى كلامهم العرض المراد به السَّعة إذا جاء مفرداً عن الطول ، نحو قولهم : فلان فى نِعْمَةٍ عريضة ، وله جاهٌ عَريض ، وكما قال الله عز وجل : (وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ وَالْأَرْضُ(٢)) أى : سَعَتها ، وكما قال الله عز وجل فى موضع آخر : (وإذا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعاء عَرِيضٍ(٣)) ، وكما قال تميم بن أبيّ بن مُقْبل :

يَقْطَعْنَ عَرْضَ الأَرْضِ غَيْرَ لَوَاغِبٍ ... وكأَنَّ بَحْرَيْهـا لَهُنَّ صَحَارِ(٤)

أى : يقطعن سَعَة الأرض ، وكما قال الآخر :

سَأَجْعَلُ عَرْضَ الأرْضِ بَيْنِي وبَيْنَهُمْ ... وأجْعَـلُ بَيْتِى فى غَنِيٍّ وأَعْصُرِ

وكما قال العجاج :

إذا تَغَشَّوْا بعدَ أرضٍ أرضَا ... حَسِبْتَهم زادوا عليها عرضا

أى : سعة وكثرة ، وكما قال تميم أيضا :

حَتَّى إذا الرِّيحُ خَبَّتْ بِالسَّفَا خَبَباً ... عَرْضَ الْبِلادِ أَشَتَّ الأمْرُ وَاخْتَلَفَا

أى : سعة البلاد ؛ فهذا إذا جرى على هذا اللفظ المستعمل حَسُن ولم يقبح ،

---

(١) نسب ابن منظور فى اللسان (ع ر ض) هذا البيت إلى جرير ، والعراضة — بالفتح — مصدر من مصادر عرض

(٢) من الآية ١٣٣ من سورة آل عمران

(٣) من الآية ٥١ من سورة فصلت

(٤) لواغب : جمع لاغبة ، وهى اسم الفاعل المؤنث من لغب — على مثال منع وسمع وكرم — إذا أعيا أشد الإعياء ، والبحران : مثنى البحر ، والمراد به ههنا الريف ، وهى الأرض فيها زرع وخصب ، يريد كأن الأرض المزروعة صحراء خالية فهن يسرعن الجرى فيها لا يعوقهن شىء .

وإذا عدل به عن هذه الطريقة وهذه الألفاظ المألوفة إلى مايشبه الحقائق أو يقاربها كنت مخطئاً ؛ لأنك إذا قلت : مضى لنا فى الخفض والدّعة دهر طويل كأن طوله كعرضه ــ لم يجز ذلك ؛ لأن هذا الترتيب كان وصفاً لأشياء مجسّمة ، كما قال الطائى :

* بِيَوْمٍ كَطُولِ الدَّهْرِ فى عَرْضِ مِثْلِهِ *

فكانَ هذا اللفظ كأنه يذرع ثوباً أو يمسح أرضاً أو يصف بالاجتماع والتزوير رجلا ، كما قال تميم بن أبىّ بن مُقْبل :

وكُلُّ يَمَانٍ طُولُهُ مِثْلُ عَرْضِهِ فَلَيْسَ لهُ أَصْلٌ ولا طَرَفَانِ

فإن قيل : فإذا جعلت للزمان العرض الذى هو سعة على المجاز لِمَ لا تجعل له العرض الذى هو خلاف الطول على المجاز ؟

قيل له : العرض الذى هو خلاف الطول حقيقة ، والزمان لا عرض له على الحقيقة ، فكيف تكون الحقيقة مجازا ؟

فإن قيل: فإن الزمان لايُوصَفُ بالسعة ، كما لا يوصف بالعرض ؛ فلم استعرت له العرض الذى هو السعة ؟

قيل : العرض ــ وإن جاء وَصْفا وحِلْيَة للزمان فى قولهم : عاش فلان فى نعمة زمناً طويلا عريضاً ــ فإنما صلح لأنك وَصَلته بالطول ، وقرَنته به ، فكأن المعنى عاش فى زمن تمّ له وكمل واتسع ، كما أخبرتك ، والزمان قد يوصف بالسعة فيقال : قد اتّسع لك الوقت والزمان فى مثل كذا ، ولا يقال عَرُضَ لك، والعرض ههنا هو السعة ، ولكن أجرى هذا على حسب ما استعملوه ، وإنما فى الوقت فسْحة لك وامتداد يراد به معنى الطول ، وقال ضِرَارُ بن الخطاب :

* وَمَا لاَقَيْتُ فى الزَّمَنِ العَرِيضِ *

وذكر العرض مفرداً عن الطول : أى الزمن الذى اتّسع لك ، وقد يجوز

ـ إن قلت : عاش فى الخير دهراً عريضاً ـ أن تُرِيدَ بالعرض سعةَ الخير فيه ، لا سعته فى نفسه ، كما قالوا « ليل نائم » أى يُنَام فيه ، و « لَمْحٌ باصر » أى : يُبْصَر فيه . وإنما تُستعار اللفظة لغير ما هى له إذا احْتَمَلت معنى يصلح لذلك الشىء الذى استعيرت له ويليق به ؛ لأن الـكلام إنما هو مبنىٌّ على الفائدة فى حقيقته ومجازه، وإذا لم تتعلق اللفظة بالعرض على الحقيقة ـ وهذا محال ـ لَمَا كان فى بيت أبى تمام معنى؛ لأنه إنما أراد أن يبالغ فى طول وَجْده؛ إذ كل[1] الوجد يُوصَف بالطول ، كما يوصف به الشوق والغرام ونحوهما ، فيقال : طال وَجْـــدِى ، وطال شَوْقى ، وطال غرامى ، وكذلك الزمان إنما يوصف بالطول ؛ فيقال : طال ليلى ، وطال نهارى ، فما كانت حاجة إلى العرض ؛ وإنما فضل وَجْدُه على الدهر وعلى اليوم الذى جعله كالدهر من جهة الطول لا من جهة العرض ، ألا تراه قال :

* وَوَجْدِىَ مِنْ هٰذا وَهٰذاكَ أَطْوَلُ *

وقد ذكر أبو تمام العرض فى بيت آخر فقال[2] :

إنَّ الثَّنَاءَ يَسِيرُ عَرْضاً فِى الْوَرَى ... وَمَحَلُّهُ فى الطُّولِ فَوْقَ الأَنْجُمِ

كيف جعل سَيْر الثناء عَرْضاً فى الورى وهو لم يحدِّد موضعاً بعينه فيحسن فيه ذكر الطول والعرض فيكون كما قال الراعى :

وَجَرَى على حَرْب الصوى فَطَرَدْتُهُ ... طَرْدَ الْوَسِيقَةِ فى السَّمَاوَةِ طُولاَ[3]

فحسن أن يقول «طولا» لأنه ذكر السماوة ، كما قال النابغة ـ ويقال : إنه محمول عليه :

---

(١) كذا ، وأحسب أن كلة « كل » مقحمة

(٢) هو بيت من قصيدة يمدح فيها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان ٣١٤) وكان فى الأصول « إن الثناء يصير » وما أثبتناه عن الديوان ، ويؤيده قول المؤلف بعد « كيف جعل سير الثناء »

(٣) الوسيقة : من الإبل كالرفقة من الناس، فإذا سرقت طردت معا . والسماوة: موضع بين الـكوفة والشام بجوار صحراء تنسب إليه

جُنِبْنَ مع الغُطَاطِ يُقَدْنَ حتَّى قَطَعْنَ الحَزْنَ عَرْضاً والرِّمالا[١]

فصاح لأنه ذكر أنهن قَطَعن أرضَ الحَزْن والرمال ، ومثل قول أبى تمام قول المُرَّار :

فَلَوْ كانتْ تَجُوبُ الأرضَ عَرْضاً ولكِنْ جَوْبُهُنَّ الأرضَ طُولاَ

وله ولبيت أبى تمام معنى غامض يصحان به ، وأنا أذكره مع شرح المعانى الغامضة من شعر أبى تمام .

ومما يشبه قولَ أبى تمام :

* بيوم كطول الدهر فى عرض مثله *

أو يقاربه قولُ الكُمَيْت يصف عِدَّةَ قوم بالكثرة :

كاللَّيْل ، لا ، بَلْ يُضْعِفُو نَ عليْهِ مِنْ بَادٍ وحاضِرْ

وكيف يتحصَّل مقدار الليل حتى يتحصل ضِعْفُه ؟ وهذا أيضاً يصحُّ على التمييز والتفتيش ، إذا حصل معناه ، وذلك أن الليل لا يغشى الأرض كلها بظلمته ، وإنما يغشى بعضها ، فلعل الكميت أراد أنهم يأخذون من الأرض ضعف ما أخذه الليل منها إذا غشيها ، على سبيل المبالغة ، كما قال الأحمر بن شجاع الكلبى :

بِحَاراً تُخَشَّى النَّاظِرِينَ كأنَّهَا
دُجَى اللَّيْلِ ، بل هِيَ مِنْ دُجَى اللَّيْلِ أكْثَرُ

١٢ — وقال أبو تمام :

وَرَحْبَ صَدْرٍ لَوَ انَّ الأرْضَ وَاسِعَةٌ كَوُسْعِهِ لَمْ يَضِقْ عَنْ أهْلِهِ بَلَدُ[٢]

---

(١) الغطاط ـ بضم الغين، وتفتح ـ الصبح ، أو بقية من سواد الليل . والسحر.

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائى (الديوان ٩٧) وانظر الاعتراض على هذا البيت فى الصناعتين أيضا (٩٣) و « رحب » منصوب لأنه معطوف على « نية » المنصوب فى بيت متقدم وهو قوله :

مستصحبا نية قد طال ما ضمنت لك الخطوب فأوفت بالذى تعد

وسيأتى ذكر هذا البيت مرة أخرى فى سرقات البحترى من أبى تمام ٣٣٥ طبعة أولى ، وانظره فى الوساطة ٦٨ .

وهذا أيضاً غلط ؛ من أجل أن كلَّ بلد يضيق بأهله ، وليس ضيقُه من جهة ضيق الأرض ؛ لأن الأرض لو كانت عَشَرَة أضعافها فى المقدار أو ألفَ ضعفِ مثلَها ما كان ذلك بموجبٍ أن يكون الحَزْنُ والصَّمان أو نجد أو المدينة أو مكة أو الكوفة أو البصرة فى قدر مساحة كل ناحية منها أوسع وأزيد مما هى عليه الآن؛ إذ لم يختطّ البصرةَ والكوفةَ مَن اختطها ولا أسَّس مكة والمدينة من أسسهما على قدر سعة الأرض وضيقها ، ولا صار قدرُ الحَزن والصَّمان هذا القدرَ فى ذَرْعِهما ومساحتها على قدر مساحة الأرض وذرعهما بقسطٍ أخَذاه منها ، وإنما ذلك على حسب الأخلاق فى كل سَعة ، وعلى حسب ما أدّى إليه الاجتهاد والاختيار ممن أسَّس كل بلدة ومَصَّر كل مصر ، وكان ينبغى أن يقول : ورَحْبَ صدر لو أن الأرض واسعةً كوسعه لم يسعها الفلك وضاقت عنها السماء،أو أن يقول:لو أن سَعَة كل بلد كسعة صدره لم يضق عن أهله بلد ، وكان حينئذ يكون المعنى لائقا مستقيما.

والجيد الصحيح فى هذا المعنى قولُ البحترى :

مَفازَةُ صَدْرٍ لَوْ تُطَرَّقُ لَمْ تـكن ... لِيَسْلُـكَها فَرْداً سُلَيْكُ الْمَقانِبِ(١)

أى : لم يكن ليسلكه إلا بدليل لسَعته ، وأيضاً فإن الجزء من الأرض هو ما يكون فيه من الحيوان والنبات ، وإنما مقداره على ما يقوله أهل الهندسة الربع من الأرض وأقل من الربع ، والمسكون من جملة ذلك لعله لا يكون جزءا من

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان : ١ / ٧٣) وكان فى أصول الكتاب «مفازة صدر لم تطرق ولم يكن ليسلكها بردا » وهو تصحيف صوابه عن الديوان وعن الصناعتين (٩٤) وسليك : هو سليك بن السلكة ، شاعر لص فتاك عداء خبير بالأرضين ، والمقانب : جمع مقنب ـ بزنة منبر ـ يطلق على جماعة الخيل والفرسان . ويطلق أيضا على الذئاب ، وأحسبهم أضافوا سليكا إليه على المعنى الثانى ؛ لأنهم يطلقون على الشذاذ والصعاليك لقب « الذؤبان » ، وسيذكر المؤلف هذا البيت مرة أخرى فى سرقات البحترى من أبى تمام ٣٣٦ طبعة أولى ، وقد وقع البيت هناك على الصواب .

ألف جزء من ذلك . فما معنى جعله ضيق البلدان الضيقة إنما هو من أجل ضيق الأرض ؟

فإن قيل : لا يدل قوله « الأرض » وهو لفظُ عمومٍ على البلدان التى هى مخصوصة ، ولا يكون[1] اللفظ إلا هكذا : أن يريد القائل لفظة تدل على معنى فيأتى بأخرى ليست فيها على ذلك المعنى دلالة .

١٣ — ومن خطائه قولُه[2] :

وَكُلَّمَا أَمْسَتِ الْأَخْطَارُ بَيْنَهُمُ هَلْـكَى تَبَيَّنَ مَنْ أَمْسَى لَهُ خَطَرُ[3]

لَوْ لَمْ تُصَادِفْ شِيَاتُ الْبَهْمِ أَكْثَرَ مَا
فِى الْخَيْلِ لَمْ تُحْمَدِ الْأَوْضَاحُ وَالْغُرَرُ[4]

فالأوضاح : هى البياض فى الأطراف ، وقد يكون أيضاً فى البَهْم ، وكذلك أيضاً الغُرَر قد توجد فى البَهْم كثيرة ، وهذا فساد فى ترتيب البيت ؛ لأنه ليس إذا وُجدت شيات البَهْم ــ وهى صغار الغنم ــ أكثر ما فى الخيل ، أو وجدت

---

(١) كذا ، ولعل أصله « قيل لا يكون الخطأ إلا هكذا ــ إلخ » حتى يكون هذا جوابا لقوله « فإن قيل ــ إلخ »

(٢) البيتان من قصيدة له يمدح فيها عمر بن عبدالعزيز الطائى (الديوان ١٥٠)

(٣) الأخطار ههنا : عظائم الأمور ومهامها ، وهلكى ههنا : بمعنى عظيمة وسامية يتنافس فيها ويحرص على بلوغها ، يريد أن عظائم الأمور مقياس علو الهمة ، والتطلع إليها فى حرص على بلوغها دليل على عظمة النفس

(٤) الشيات : جمع شية ــ بكسر الشين فيهما ــ وهو لون يخالف لون سائر الجسد . والبهم ــ بفتح فسكون ــ الصغار من أولاد البقر والضأن والمعز . والأوضاح : جمع وضح ، وهو التحجيل . والغرر : جمع غرة ، وهى البياض فى جبهة الفرس ، وإنما بنى أبو تمام البيت على أن التحجيل والغرر إنما مدحت فى الخيل لعدم وجود نظائرها فى البهم ، ولم يمدح غيرهما من الشيات فى الخيل لاشتراك البهم والخيل فيها ، وسينكر عليه المؤلف ذلك

شِيَاتُ الخيلِ أكثرَ ما فى البَهْم كان ذلك موجبا لحمد الأوضاح والغرر ، وإنما كان يصحُّ نظمُ الكلام لو لم توجد الأوضاح والغُرَر فى البهم ، حتى تكون مخصوصة بالخيل ؛ فيقول : لو لم تعدم الأوضاح والغرر فى البهم لما حمدت فى الخيل ، فأما أن توجد شِيات البهم فى الخيل كثيراً أو شيات الخيل فى البهم دائما فليس هذا بموجبِ حَمْدَ الأوضاح والغرر فى الخيل ؛ لأن الأوضاح والغرر موجودة فى الغنم ، وقال طارق بن شهاب :

وَرَاحَتْ أُصَيْلاناً كأَنَّ ضُرُوعَها   دِلاءٌ ، وَفِيها وَاتِدُ القَرْنِ لَبْلَبُ[١]

لَهُ رَعَثَاتٌ كالشُّنُوفِ وَغُرَّةٌ   شَدِيخٌ وَلَوْنٌ كالوَذِيلَةِ مُذْهَبُ[٢]

فذكر أن له غُرَّة ، وقال آخر فى وصف عنز :

سَوْدَاء إلاَّ وَضَحاً فى الشَّوَى   كأنما الجَوْزَاء فى الأكْرُعِ

فذكر بياض أكرعها ، وذلك موضع التحجيل ، بل لو قال « لو لم تقلّ الأوضاحُ والغرَرُ فى البهم لما حُمدت فى الخيل » لكان أقربَ إلى الصواب ؛ لأنى أظنها فى البهم أقلَّ ، وفى الخيل أكثر ، وليس فى هذا البيت دليل على هذا ولا ذاك .

١٤ — ومن خطأ المدح قوله[٣] :

سَأَحْمَدُ نَصْراً مَاحَيِيتُ ، وَإِنَّنِى   لَأَعْلَمُ أَنْ قَدْ جَلَّ نَصْرٌ عَنِ الحَمْدِ

---

(١) واتد القرن : ثابته وقويه ، وذلك عندما يكتمل ، واللبلب ههنا : الحريص على إنائه ، ويقال أيضا : رجل لبلب ، إذا كان بارا بأهله

(١) تقول : رعثت العنز — على مثال فرح — إذا ابيض طرف زنمها ، والشنوف: جمع شنف — بفتح الشين — وهو ما يعلق فى أعلى الأذن ، والوذيلة — بزنة السفينة — المرآة ، أو قطعة من الفضة مجلوة

(٣) من قصيدة له يمدح فيها أبا العباس نصر بن منصور بن بسام (الديوان ١١٦) وانظر الاعتراض على هذا البيت فى الصناعتين (٩٤) أيضا

فإنه رفع الممدوح عن الحمد الذى نَدَبَ الله عباده إليـه بأن يذكروه به ، وينسبوه إليه ، وافتتح فُرقَانَهُ فى أول سورة بذكره ، وحَثَّ عليه ، وللعرب فى ذكر الحمد ما هو كثير فى كلامها وأشعارها ، ما فيهم مَنْ رَفَعَ أحداً عن أن يحمد ، ولا من استقلّ الحمدَ للممدوح ، قال زُهَير بن أبى سُلْمَى :

مُتَصَرِّفٍ لِلْمَجْدِ مُعْتَرِفٍ لِلرُّزْءِ نَهَّاضٍ إلى الذِّكْرِ (١)

أى : حيث ما رأى خلة تكسبه الحمد الْتَمَسَها وطلبها . وقال زهير أيضاً :

أَلَيْسَ بِفَيَّاضٍ يَدَاهُ غَمَامَةٌ ثِمَالِ الْيَتَامَى فى السِّنِينَ مُحَمَّدِ (٢)

فقوله « محمد » أى : يُحمد كثيرا ، وقال الأعشى :

وَلٰكِنْ عَلَى الْحَمْدِ إِنْفَاقُهُ وَقَدْ يَشْتَرِيهِ بِأَغْلَى ثَمَنْ (٣)

وقال أيضاً :

إِلَيْكَ أَبَيْتَ اللَّعْنَ كَانَ كَلالُهَا إِلَى الْمَاجِدِ الْفَرْعِ الْجَوَادِ مُحَمَّدِ (٤)

فوصفه بأن جعله محمدا : أى يُحْمد كثيرا ، وقال الآخر (٥) :

* وَمَنْ يُعْطِ أَثْمَانَ الْمَحَامِدِ يُحْمَدِ *

فهذه هى الطريقة المعروفة فى كلام العرب ، ولو قال الطائى « لو جلّ أحد عن المدح لجللتَ عنه » كان أعذر ، كما قال البحترى (٦) :

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها هرم بن سنان (العقد الثمين ٣٤) وفيه « معترف للنائبات براح للذكر » وقد ورد فى الصناعتين (٩٤) كما هنا ، وقبله قوله :

وإذا برزت به برزت إلى صافى الخليقة طيب الخبر

(٢) العقد الثمين (٣٣)

(٣) ورد فى الصناعتين (٩٤) أيضا

(٤) كذا ، وينبغى أن يكون « المحمد » لأنه ههنا وصف كسابقه وليس بعلم

(٥) نسبه فى الصناعتين (٩٤) إلى الحطيئة

(٦) هو من قصيدة له يمدح فيها أبا الحسن بن عبدالملك (الديوان : ٢ / ٦٠) وفيه « تنثى » وورد فى الصناعتين (٩٤) وفيه « تثنى »

لَوْجَلَّ خَلْقٌ قَطُّ عَنْ أُكْرُومَةٍ تُبْنَى جَلَلْتَ عَنِ النَّدَى وَالْبَاس

أى : كنتَ تَجِلُّ لعلوّ شأنك عن أن يقال : سخىّ ، أو شجاع ؛ إذ كان هذان الوصفان قد يُوصَف بهما من هو دونك . وقال البحترى أيضاً[١] :

وَالحَمْدُ أَنْفَسُ مَا تَعَوَّضَهُ امْرُؤٌ رُزِىءَ التِّلادَ إنِ المُرَزَّأُ عُوِّضَا

فأما قول البحترى[٢] :

كَيْفَ نُثْنِي عَلَى ابْنِ يُوسُفَ؟لاَ كَيْـــفَ ! سَرَى مَجْدُهُ فَعَابَ الثَّنَاء

فعيبه الثناء إنما معناه عظم أن يدركه و يبلغ حده ، ألا تراه قال « كيف نثنى على ابن يوسف لا كيف » أى : لا طريق إلى كيف الثناء الذى يستحقه و يليق به ، ثم قال « سرى مجده فعاب الثناء » قطعا من الكلام الأول .

١٥ — ومن خطائه قولُه :

ظَعَنُوا فَكَانَ بُكَاىَ حَوْلاً بَعْدَهُمْ ثُمَّ ارْعَوَيْتُ ، وَذَاكَ حُكْمُ لَبِيدِ[٣]

أَجْدِرْ بِجَمْرَةِ لَوْعَةٍ إطْفَاؤُهَا بِالدَّمْعِ أَنْ تَزْدَادَ طُولَ وَقُودِ

وهذا خلاف ما عليه العرب ، وضدُّ ما يعرف من معانيها ؛ لأن من شأن الدمع أن يطفئ الغليل، ويُبْرِد حرارة الحزن، ويزيل شدة الوجد، ويُعْقِب الراحةَ ،وهو

(١) من قصيدة له يمدح فيها إسماعيل بن بلبل (الديوان : ٢ / ٧١)

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان : ١ / ١) وفيه « لا كيف سما مجده ففات الثناء » وهى أليق .

(٣) البيتان من قصيدة له يمدح فيها أبا عبدالله أحمد بن أبى دؤاد ، ويعتذر إليه ، ويستشفع بخالد بن يزيد (الديوان ٨٢) وارعويت : انتهيت وكففت عن البكاء ، وأشار بحكم لبيد إلى قوله لابنتيه:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

وجملة « إطفاؤها بالدمع » من المبتدأ والخبر صفة للوعد ، و « أن تزداد » فاعل فعل التعجب الذى هو « أجدر » وقد كان من حقه أن يدخل عليه باء الجر الزائدة فيقال « بأن تزداد » إلا أنه قد كثر حذف هذه الباء قبل « أن» المصدرية وانظر البيتين والاعتراض عليهما فى الصناعتين (٩٥)

فى أشعارهم كثير موجود يُنحى بهذا النحو من المعنى ؛ فمن ذلك قول امرىء القيس :

وَإِنَّ شِفائى عَـــبْرَةٌ مُهَرَاقَةٌ ... فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ (١)

وقول ذى الرمة :

لَعَلَّ انْحِدارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ راحَةً ... مِنَ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِى نَجِىَّ الْبَلابِلِ (٢)

وقال الفرزدق :

فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْبُكاءَ لَراحَةٌ ... بِهِ يَشْتَفِى مَنْ ظَنَّ أَنْ لا تَلاقِيا (٣)

وهو كثير فى أشعارهم ، ما عَدَل به أحد منهم عن هـذا المعنى ، وكذلك المتأخرون ، هذا السبيلَ سلكوا ، وأبو تمامٍ من بينهم ركب هذا المعنى ، وكرره فى شعره متبعا لمذاهب الناس ؛ فمن ذلك قوله :

نَثَرَتْ فَرِيدَ مَدامِعٍ لم تُنْظَمِ ... والدَّمْعُ يَحْمِلُ بَعْضَ ثِقْلِ الْمُغْرَمِ (٤)

وقال فى موضع آخر :

واقِعاً بِالْخُدودِ والْحَرُّ مِنْهُ ... واقِعٌ بِالْقُلُوبِ والأَكْبادِ (٥)

---

(١) من طويلته المعلقة (وانظر الصناعتين ٩٥ والجمهرة ٤٠ بولاق)، ورواه سيبويه ٤٨٤/١ ، وصدره فيه : * وإن شفاء عبرة مهراقة *

(٢) من قصيدة له أولها :

خليلى ، عوجا من صدور الرواحل ... بجمهور حزوى فابكيا فى المنازل

وانظره أيضا فى الصناعتين (٩٥)

(٣) انظره أيضا فى الصناعتين (٩٥)

(٤) هو مطلع قصيدة يمدح فيها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان ٣١٢) وفيه « يحمل بعض شجو المغرم » وانظره أيضا فى الصناعتين (٩٥) وسيأتى مرة أخرى فى ٢٥٨ طبعة أولى

(٥) هو رابع بيت من قصيدة له يمدح فيها أبا عبدالله أحمد بن أبى دؤاد ، وقبله قوله :

سعدت غربة النوى بسعاد ... فهى طوع الإتهام والإنجاد

فارقتنا فللمدامع أنوا ... ء سوار على الخدود غواد

كل يوم يسفحن دمعا طريفا ... يمترى مزنه بشوق تلاد

وانظر الديوان (٧٥) وكان فى الأصول « والبرد منه واقع بالقلوب » وكذلك هو فى الصناعتين (٩٥) وهو مخالف لما يراد إثباته من المعنى ، وتصويبه عن الديوان

وقال أيضاً :

فَلَعَلَّ عَيْنَكَ أَنْ تَجُودَ بِمَائِهَا   والدَّمْعُ مِنهُ خاذِلٌ ومُوَاسِي [١]

وقال أيضاً :

فَلَعَلَّ عَــبْرَةَ ساعَةٍ أَذْرَيْتَهَا   تَشْفِيكَ مِنْ إِرْبابِ وجْدٍ مُحْوِلِ [٢]

فلو كان اقتصر على هذا المعنى الذى جرَت به العادة فى وصف الدمع لكان المذهبَ المستقيم ، ولـكنه أحبَّ الإغراب فخرج إلى مالا يُعْرَف فى كلام العرب ، ولا مذاهب سائر الأمم .

وقد تبعه على الخطأ البحترىُّ فقال :

فَعَلامَ فَيْضُ مَدامعٍ تَدِقُ الْجَوَى   وعَذابُ قَلْبٍ فى الِحْسانِ مُعَذَّبِ [٣]

قوله « تَدِقُ الجوى » من قولهم « لم يَدِقِ الأرضَ منــه شىء » أى : لم يصل ، وفى شعر امرىء القيس * ما فيه مودقى [٤] * أى : على أثرِى ، وأصله

---

(١) هو ثانى بيت من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن المعتصم بالله (الديوان ١٧٢) وفيه « فلعل عينك أن تعين بمائها » والمطلع قوله :

مافى وقوفك ساعة من باس   تقضى ذمام الأربع الأدراس

(٢) هو ثانى بيت من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ٢٣٣) والمطلع قوله :

ليس الوقوف يكف شوقك فانزل   تبلل غليلا بالدموع فيبلل

والإرباب : الإقامة ، والوجد : الغرام ، والمحول : الذى أتى عليه حول

(٣) من غزل قصيدة يمدح فيها أبا صالح بن يزدان (الديوان : ١ — ٦٠) وفيه « بالحسان » ومثل ما أثبتناه فى الصناعتين (٩٥) وكان فى الأصول « وعذاب قلب فى اجتناب معذب »

(٤) كذا ، والبيت الذى فيه هذه الكلمة من شعر امرىء القيس هو قوله :

دخلت على بيضاء جم عظامها   تعفى بذيل المرط إذ جئت مودقى

و ظره فى العقد الثمين (٩٠) وفى اللسان (و د ق)

من الدنو ، فكأنه قال « تدق الجوى » أى : تُدْنِى الجوى ، يقال : أتان وديق ، أى : تدنو من الفحل ، ومنه الوَدِيقة الهاجرة ؛ لدنو الحر ، وقيل لقَطر المطر وَدْقٌ لانحلابه من السحاب ودُنُوِّه من الأرض .

١٦ — ومن خطائه قولُه :

رَضِيتُ وَهلْ أَرْضَى إذا كانَ مُسْخِطِى
مِنَ الأَمْرِ ما فيهِ رِضَى مَنْ لَهُ الأَمْرُ (١)

فمعنى هذا البيت التقرير ، والتقرير على ضربين : تقرير للمخاطب على فعل قد مَضَى ووَقَع ، أو على فعل هو فى الحال ليوجب المقرر بذلك ويحققه، ويقتضى من المخاطب فى الجواب الاعتراف به ، نحو قوله : هل أكرمتك ؟ هل أحسنت إليك ؟ هل أودك وأوثرك وأقضى حاجتك ؟ وتقرير على فعل يدفعه المقرر وينبغى أن يكون قد وقع ، نحو قوله : هل كان قَطُّ إليك شيء كرهته ؟ هل عرفت منى غير الجميل ؟ فقوله فى البيت « وهل أرضى » تقرير لفعل ينفيه عن نفسه ، وهو الرضى ، كما يقول القائل : وهل يمكننى المقام على هذه الحال ؟ أى : لا يمكننى ، وهل يصبر الحر على الذلّ ؟ وهل يَرْوَى زيد ويشبع عمرو ؟ وهذه أفعال معناها النفى ، فقوله « وهل أرضى » إنما هو نفى للرضى ، فصار المعنى ولست أرضى؛ إذ كان الذى يُسْخطنى ما فيه رضى من له الأمر : أى رضى اللهِ تعالى ، وهذا خطأ منه فاحش .

فإن قال قائل : فلم لا يكون قوله « وهل أرضى » تقريراً على فعل هو فى الحال ليؤكده من نفسه نحو قوله : هل أودك ؟ ونحو قول الشاعر :

هَلْ أُكرِمُ مَثْوَى الضَّيْفِ إنْ جاءَ طارِقاً
وَأَبْذُلُ مَعْـــرُوفى لَهُ دُونَ مُنْكَرِى

---

(١) هو من قصيدة له فى الفخر (الديوان ٤٧٥) وانظره مع الاعتراض عليه فى الصناعتين أيضا (٩٦)

قيل له : ليس قول القائل لمن يخاطبه « هل أودُّك » « هل أوثرك » وقوله « سل عنى هل أصلح للخير » أو « هل أكتم السر » أو « هل أقنع بالمَيْسُور » مثل قول أبى تمام «هل رضيت، وهل أرضى» فإن صيغة هذا الكلام دالة على أنه قد نفى الرضى عن نفسه ؛ بإدخاله الواو على « هل » وإنما يشبه هذا قولَ القائل « وهل [أرضى] إذا كانت أفعالك كذا » « وهل أصلح للخير عندك إذا كنت تعتقد غير ذلك » « وهل ينفع فى زيدٍ العتابُ » كقول الشاعر :

* وَهَلْ يُصْلِحُ الْعَطَّار ما أَفْسَدَ الدَّهْرُ *

وقول ذى الرمة :

وَهَلْ يَرْجِعُ التَّسْلِيمَ أَوْ يَكْشِفُ العَمَى
ثَلَاثُ الأَثَافِى وَالرُّسُومُ البَلَاقِعُ

لأن الواو ههنا كأنها عطفتْ جواباً على قول قائل: إن فلاناً سيصْلُح ويرجع إلى الجميل ، فقال آخر :

* وَهَلْ يُصْلِحُ الْعَطَّار ما أَفْسَدَ الدَّهْرُ *

وكقول ذى الرمة :

أَمَنْزِلَتَىْ مَىٍّ سَلَامٌ عَلَيْكُمَا ... هَلِ الأَزْمُنُ اللَّائِى مَضَيْنَ رَوَاجِعُ؟

لمَّا علم أن التسليمَ غيرُ نافعٍ عاد على نفسه فقال « وهل يرجع التسليم » وكما قال امرؤ القيس :

* وَإِنَّ شِفَائِى عَبْرَةٌ مُهَرَاقَةٌ *

ثم قال :

* وَهَلْ عِنْدَ رَبْعٍ دَارِسٍ مِن مُعَوَّلِ ؟ *

وكذلك قولُ أبى تمام «رضيت» ثم قال « وهل أرضى إذا كان مُسخطى» إنما معناه ولست أرضى ، فكان وجه الكلام أن يقول : رضيت وكيف

لا أرضى إذا كان مسخطى ما فيه رضى الله تعالى ، وكذا أراد فأخطأ فى اللفظ ، وأحال المعنى عن جهته إلى ضده .

فإن قيل : إن «هل» هنا بمعنى قد ، وإنما أراد الطائى رضيت وقد أرضى ، كما قال الله تعالى : (هَلْ أَتَى عَلَى الإنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ)[١] أى : قد أتى

قيل : هذا إنما قاله قوم من أهل التفسير ، وتبعهم قوم من النحويين. وأهلُ اللغة جميعاً على خلاف ذلك ؛ إذ لم يأت فى كلام العرب وأشعارها «هل قام زيد» بمعنى قد قام زيد ، وإذا كان ذلك معدوماً فى كلام العرب ولغاتها فكيف يجوز أن يؤخذ به أو يُعوَّل عليه ؟ وقد قال أبو إسحاق الزجاج وجماعةٌ من أهل العربية فى قوله عز وجل (هَلْ أَتَى عَلى الإِنْسَانِ[١]) معناه ألم يأت ، على سبيل التقرير. وهب الأمر فى هذا كما ذكروا ، والخلاف ساقط فيه ، فإن بيت أبى تمام لا يحتمل من التأويل ما احتملته الآية ؛ لأن «هل» إنما شبَّهها من شبهها بقد إذا وليت[٢] لفظ الماضى خاصة ، وأبو تمام إنما أوقعها على الفعل المستقبل ، فسقط عنها أن تضارع قد ؛ لأن قد حينئذ قد تكون بمعنى ربما ، و «هل» ليس فيها ذلك .

وبعد ؛ فإن كان الرجل إنما أراد بهل معنى قد فلم لم يقل رضيت وقد أرضى فيأتى بلفظة «قد» نفسها إذا كان يريد الخبر ، ولا يأتى بهل فيلتبس الخبر الذى إياه قصد بالاستفهام ؟ فإن البيت كان يستقيم بقد[٣] ويغنينا عن الاحتجاج الطويل وقد استقصيت القولَ فى هذا البيت وما ذكره النحويون وسيبويه وغيره فى معنى قد وهل ولخصته فى جزء مفرد ، وإنما فعلت ذلك لكثرة من عارَضَنِى فيه ، وادَّعى الدعاوى الباطلة فى الاحتجاج لصحته .

---

(١) من الآية ١ من سورة الدهر

(٢) من حق العبارة أن يقول « إذا وليها لفظ الماضى خاصة »

(٣) فى الأصل « فإن البيت يستقيم بهل » والذى يقتضيه الكلام ما أثبتناه

١٧ ــ ومن خطائه قولُه فى البُكاء على الدار :

دارٌ أُجِلُّ الْهَوَى عَنْ أَنْ أُلِمَّ بِهَا فى الرَّكْبِ إلاَّ وَعَيْنِي مِنْ مَنَائِحِها[١]

وهذا لفظ مُحال عن وجهه ؛ لأن «إلا» ههنا تحقيق و إيجاب ، فكيف يجوز أن تكون عينه من منائحها إذا لم يُلِم بها ؟ و إنما وَجْه الكلام « دار أجل الهوى عن أن ألم بها وليس عينى من منائحها » وقد كنت أظن أن أبا تمام على هذا نظم الشعر ، وأن غلطاً وقع عليه فى نقل البيت ، حتى رجعت إلى النسخة العتيقة التى لم تقع فى يد الصولى وأضرابه ، فوجدت البيتَ فى غير نسخة مثبتاً على هذا الخطأ .

١٨ ــ ومن خطائه أيضاً فى وصف الربع وساكنه قولُه :

قَدْ كُنْتَ مَعْهُوداً بِأَحْسَنِ ساكِنٍ ثَاوٍ وَأَحْسَنِ دِمْنَةٍ وَرُسُومِ[٢]

والربع لا يكون رسماً إلا إذا فارقه ساكنوه ؛ لأن الرسم هو الأثر الباقى بعد سكانه ، والصواب قولُ البحترى :

يا مَغَانِي الأَحْبَابِ صِرْتِ رُسُوماً وَغَدَا الدَّهْرُ فِيكِ عِنْدِي مَلُوماً[٣]

وقال امرؤ القيس :

* وَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ[٤] *

فقال ذلك لأن الرسم يكون دارساً وغير دارس ، وقال :

---

(١) هو خامس بيت من قصيدة يمدح فيها الفضل بن صالح الهاشمى (الديوان ٧٢)

(٢) هو ثانى بيت من قصيدة يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم المصعبى (الديوان ٣٠٥) والبيت الذى قبله هو قوله :

يا ربع لو ربعوا على ابن هموم مستسلم لجوى الفراق سقيم

(٣) هو مطلع قصيدة له يمدح فيها إبراهيم بن الحسن بن سهل (الديوان ٢ ــ ١٣٦)

(٤) انظر (ص ١٧١ و ١٧٤ من هذا الكتاب)

قِفَا نَبكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَعِرْفَانِ
وَرَسْمٍ عَفَتْ آيَاتُهُ مُنْذُ أَزْمَانِ

١٩ — ومن خطائه أيضا قوله :

طَلَلَ الْجَمِيعِ لَقَدْ عَفَوْتَ حَمِيدَا وَكَفَى عَلَى رُزْئِى بِذَاكَ شَهِيدَا[1]

أراد وكفى بأنه مضى حميداً شاهداً على أنى رُزِئت ، وكان وَجه الكلام أن يقول : وكفى برزئى شاهداً على أن مضى حميدا ؛ لأن حَمد أمر الطلل قد مضى ، وليس بشاهد ولا معلوم ، ورزؤه بما ظهر من تفجُّعه شاهد معلوم ؛ فَلأَنْ يكون الحاضر شاهداً على الغائب أولى من أن يكون الغائب شاهداً على الحاضر .

فإن قيل : إنما أراد أن يستشهد على عظيم رُزْئه عند من لم يعلمه .

قيل : فمن لا يعلم قَدْر مرزئته التى بعضُها ظاهر عليه كيف يعلم ما مضى من حميد أمر الطلل حتى يكون ذلك شاهداً على هذا ؟

فإن قال : هذا إنما جاء به على القلب .

قيل له : المتأخر لا يُرَخَّص له فى القلب ؛ لأن القلب إنما جاء فى كلام العرب على السهو ، والمتأخرُ إنما يَحْتَذِى على أمثلتهم ، و يقتدى بهم ، وليس ينبغى له أن يَتْبعهم فيما سَهَوْا فيه .

فإن قيل : فقد جاء القلب فى القرآن ، ولا يجوز أن يكون ذلك على سبيل السهو والضرورة ؛ لأن كلام الله عز وجل يتَعالَى عن ذلك ، وهو قوله : (ما إنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوء بِالْعُصْبَةِ أُولِى الْقُوَّةِ[2]) وإنما العصبة تنوء بالمفاتيح : أى تنهض

---

(١) هو مطلع قصيدة يمدح فيها خالد بن يزيد الشيبانى (الديوان ٨٧) والطلل : ما بقى شاخصا من آثار الديار ، وعفوت : درست وامحيت ، والرزء — بضم فسكون — المصيبة .

(٢) من الآية ٧٦ من سورة القصص.

بثقلها ، وقال عز وجل : (ثُمَّ دَنَى فَتَدَلَّى[١]) وإنما هو تدلَّى فدنا ، وقال : (وإنه لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ[٢]) أى : وإن حبه للخير لشديد . ولهذا أشباه كثيرة فى القرآن .

قيل : هذا ليس بقلب ، وإنما هو صحيح مستقيم ، إنما أراد الله تعالى اسمه : ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة ، أى : تميلها من ثقلها ، ذكر ذلك الفرّاء وغيره ، وقالوا : إنما المعنى لَتُنِىءُ العصبةَ ، وقوله (وإنه لحب الخير لشديد) قيل : المعنى إنه لحبِّ المال لشديد ، والشدة : البخل ، يقال « رجل شديدٌ » أى : بخيل ، يريد إنه لحب المال لبَخِيل متشدد ، يريد إنه لحب المال : أى لأجل حبه المال يبخل ، وقالوا فى قوله عز وجل : (ثُمَّ دَنَى فَتَدَلَّى) : إنما كان تدلّيه عند دُنُوِّه واقترابه ، وكما قال أبو النجم :

* قَبْلَ دُنُوِّ الْأُفْقِ مِنْ جَوْزَائِهِ *

والجوزاء إذا دَنَتْ من الأفق فقد دنا الأفقُ منها ، وليس هذا من القلب المستكره ، ومثلُه فى الشعر كثير ، قال الشاعر :

وَمَهْمَهٍ مُغْبَرَّةٍ أَرْجَاؤُهُ   كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاؤُهُ

قوله « كأن لون أرضه سماؤه » أى : كأنّ لون سمائه من غبرتها لونُ أرضه ، وليس الأمر فى ذلك بواجب ؛ لأن أرضه وسماءه مضافان جميعا إلى الهاء ، وهى كناية عن المهمه ، فأيهما يشبَّه بصاحبه كانا فيه سواء ، وإنمـا تَغْبَرُّ آفاق السماء من الجدْب واحتباس القطر ، وقال الحطيئة :

فَلَمَّا خَشِيتُ الْهُونَ وَالْعِيرُ مُمْسِكٌ   عَلَى رَغْمِهِ مَا أَمْسَكَ الْحَبْلَ حَافِرُهْ

قال : وكان الوجه أن يقول : ما أمسك الحافر حبله ، وكلاهما متقاربان ؛ لأن الحبل إذا أمسك الحافر فإن الحافر أيضا قد شغل الحبل

---

(١) الآية ٨ من سورة النجم

(٢) الآية ٨ من سورة العاديات

فهذا كله سائغ حسن ، ولكن القلب القبيح لا يجوز فى الشعر ، ولا فى القرآن ، وهو ما جاء فى كلامهم على سبيل الغلط ، نحو قول خِدَاش بن زُهَير :

وَتَرْكَبُ خَيْلاً لا هَوَادَةَ بَيْنَها ... وَتَشْقَى الرِّمَاحُ بالضَّيَاطِرَةِ الحُمْرِ (١)

وإنما الضياطرة هى التى تشقى بالرماح ، وكقول الآخر :

كانت فريضة ما تقول كما ... كان الزناء فَرِيضَةَ الرَّجْم (٢)

وإنما الرجم فريضة الزناء ، وكقول الفرزدق يصف ذئباً :

وَأَطْلَسَ عَسَّالٍ وَمَا كَانَ صَاحِباً ... رَفَعْتُ لِنَارِى مَوْهِناً فَأَتَانِى

وإنما أراد رفعها للذئب ، وأنشده المبرد ، وقال : القلب جائز للاختصار ، إذا لم يدخل الكلامَ لَبْسٌ ، كأنه يجيز ذلك للمتقدمين دون المتأخرين ، وما علمت أحداً قال « للاختصار » غيره ، فلو قال لإصلاح الوزن أو للضرورة كما قال غيره كان ذلك أشبه . ويجوز أن يكون الفرزدق فى البيت سها أو اضطر لإصلاح الوزن ، وأبو تمام وغيره من المتأخرين لا يُسَوِّغون مثل هذا ؛ لأنه القلب المستكره فإن قيل : إنه لم يُرِد القلب، وإنما أراد وكفى على رزئى بمحمود أمر الطلل شهيدا قيل : وأىّ شىء اُستشهدَ ؟ وأين شهيدُه ؟

٢٠ — ومن خطائه قولُه فى باب الفراق :

دَعَا شَوْقَهُ يَا نَاصِرَ الشوقِ دَعْوَةً ... فَلَبَّاهُ طَلُّ الدَّمْعِ يَجْرِى وَوَابِلُه (٣)

---

(١) أنشده الجوهرى (ض ط ر) منسوبا لخداش أيضا ، عن الأخفش ، وقال : « أراد وتشقى الضياطرة بالرماح ، فقلبه » والضياطرة : جمع ضيطر ، وهو الرجل الضخم الذى لا غناء عنده ، وكان فى الأصول « وتعصى الرماح » والتصويب عن الجوهرى .

(٢) نسبه فى اللسان (ز ن ا) للجعدى .

(٣) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المعتصم (الديوان ٢٣٠) وسيذكر المؤلف هذا البيت مرة أخرى فى سرقات البحترى من أبى تمام خاصة ص ٣١٨ طبعة أولى .

أراد أن الشوقَ دعا ناصراً ينصره فلبّاه الدمع ، بمعنى أنه يخفّف لاعِجَ الشوق، ويطفىء حرارته . وهذا إنما هو نُصْرَة للمشتاق على الشوق ، والدمع إنما هو حَرْبٌ للشوق ؛ لأنه يَثْلِمه ويتخوّنه[١] ويكسر منه حدّه[٢] ، كما قال البحترى :

وبُكاء الدِّيارِ مِمَّا يَرُدُّ الشَّـــوْقَ ذِكْراً والحُبَّ نِضْواً ضَئِيلا[٣]

قوله « يرد الشوق ذكرا » أى : يخففه ويثلمه حتى يصير ذكرا لا يُقلق ولا يزعج كاقلاق الشوق ، وقـوله « والحب نضوا » أى يصغره ويمحقه ، كما قال جرير :

فَلَمَّا الْتَقَى الْحُبَّانِ أُلْقِيَتِ الْعَصَى ... وَمَاتَ الْهَوَى لَمَّا أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهْ

فلو كان الدمع ناصرا للشوق لكان يُقوّيه ويزيد فيه ، ألا ترى أنك تقول : قد ذبحنى الشوقُ إليك ، فالشوق عدُوُّ المشتاق وحَرْبه ، والدمع سلم لتخفيفه عنه وهو حرب للشوق ، وليس بهذا الخطأ خفاء

وقد تَبِعه البحترىُّ فى هذا الخطأ فقال يعنى الديار التى وقف عليها :

نَصَرْتُ لَهَا الشَّوْقَ اللَّجُوجَ بِأَدْمُعٍ ... تَلاَحَقْنَ فِى أَعْقَابِ وَصْلٍ تَصَرَّمَا[٤]

٢١ — ومن خطائه فى معنى الشوق قولُه :

---

(١) يتخونه : يتنقصه . تقول : فلان يتخوننى حقى ، إذا أردت أنه يتنقصه ، وقال ذو الرمة :

لا ، بل هو الشوق من دار تخونها ... مرا سحاب ومرا بارح ترب

(٢) كذا ، وأحسب أن الأصل « ويكسر من حدته »

(٣) من غزل قصيدة له يمدح فيها محمد بن على بن عيسى القمى (الديوان : ٢ / ٢١١) وقبله :

على ماء الدموع يخمد نارا ... من جوى الحب أو يبل غليلا

(٤) من غزل قصيدة له يمدح فيها سليمان بن عبد الله بن طاهر (الديوان :

يَكْفِيكَ شَوْقٌ قَدْ يُطِيلُ ظَمَاءَهُ   فَإِذا سَقاهُ سَقاهُ سُمَّ الأَسْوَدِ (١)

فقوله « شوق يطيل ظماءه » غلط ؛ لأن الشوق هو الظمأ نفسه ، ألا ترى أنك تقول : أنا عطشان إلى رؤيتك ، وظمآن ، ومشتاق ، بمعنى واحد ، فكيف يكون الشوق هو المطيل للظمأ ؟ وكيف يكون هو الساقى والمحبوب هو الذى يظمىء ويسقى ، أو البعد أو الهجر ! لا الشوق ، فكيف يكون الشوق يطيل شوقه ؟

٢٢ — ومن خطائه قولُه :

أَمَرَ التَّجلُّدَ بِالتَّلَدُّدِ حُرْقَةٌ   أَمَرَتْ جُمُودَ دُمُوعِهِ بِسُجُومِ (٢)

جعل الحرقَةَ آمرةَ التجلد بالتلدُّد ، والحرقة التى يكون معناها التلدد تُسقط التجلد البتة وتذهب به ، فأما أن يجعله متلددا فإن هذا من أحمق المعانى وأوْلاها بالاستحالة ، وأيضا فأىُّ لفظ أسخف من أن يجعل الحرقة آمرة ، وإنما العادة فى مثل هذا أن تكون باعثةً أو جالبة أو نحو هذا ، وأما الأمر فليس هذا موضعه ، ولو قال « بعثت » أو « جلبت » لكان له وجه

٢٣ ـ ومن خطائه قوله :

---

(١) هو ثانى بيت من قصيدة يمدح فيها المأمون ، أو المعتصم (انظر الديوان ١١١) وفيه « يكفيكه شوق يطيل » والبيت الذى قبله هو قوله :

كشف الغطاء فأوقدى أو أخمدى   لم تكمدى فظننت إن لم تكمدى

و « كشف الغطاء » معناه ظهر ما كان مستورا وبدا عليه ما كان خافيا ، وأوقدى : أصل معناه أشعلى النار وأججيها ، وأراد اعذليه إن شئت فيلتاع فؤاده وتذكو نار حبه . وأخمدى : أصل معناه أطفئى النار ، وأراد هنا كفى عن العذل ولا تلوميه على هواه . و « لم تكمدى » لم تحزنى ، يقول : إنه لا فائدة بعد أن ظهر هواه ، فسواء لديه أعذلته أم كففت ، والأسود : الحية

(٢) هو بيت غزل من قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم المصعبى (الديوان ٣٠٥) وفيه « أغرى التجلد بالبلد » وسجوم الدمع : سيلانه وانسكابه

مِنْ حُرْقَةٍ أَطْلَقَتْها فُرْقَةٌ أَسَرَتْ ... قَلْباً وَمِنْ عَذَلٍ فى نَحْرِهِ غَزَلُ[(١)]

قوله « أطلقتها فرقة » أى ثوّرتها وأظهرتها ، وإنما قال «أطلقتها» من أجل قوله «أسرت» ليطابق بين الإطلاق والأسر ، وقوله «أسرت قلباً» يعنى الفرقة ، وهو معنى ردىء ؛ لأن القلب إنما يأسره ويملكه شدةُ الحب ، لا الفراق ، فإن لم يكن مأسوراً قبل الفراق فما كان هناك حب ، فلم حَضَر للتوديع ؟ وما كان وجه البكاء والاستهلاكِ والوَجَل الذى ذكره قبل البيت ، والقصةِ الفظيعةِ التى وصف الحال فيها عند مفارقتهم ؟ وما علم أن للفراق لوعةً صعبة عند وروده وفجأته فلا يسمى ذلك أسرا ولا علاقة ! وإنما يسمى محنة تطرأ على أسير الحب[(٢)]، وربما قتلته كما يقتل الأسير ، والفراقُ إنما له لَوْعَةٌ ثم تبرد نارهُ ، وتخمد وقتاً وقتاً ، حتى يَدْرس الحب ؛ فالفراق يفكّ أسر الحب ، ويُنْسى الخليلَ خليلَه إذا امتدبه زمان ، ألا ترى إلى قول زُهَير الكَلْبى :

إذا ما شِئْتَ أنْ تَسْلَى حَبيباً ... فأكْثِرْ دُونَه عَـــدَدَ الليالى
فَمَا أنْسَى خَليلَكَ مِثْلُ نأيٍ ... وما أبْلَى جَديدَكَ كابْتِذالِ

وقول الآخر :

يُنْسِى الخَليلَيْنِ طُولُ النَّأْىِ بَيْنَهُمَا ... وَتَلْتَقِى طُرُقٌ شَـــتَّى فَيأتَلِفُ

هذا هو المعنى الصحيح المعروف ، وإن كان قد تقدم أبا تمام فى هذا المعنى من تبعه ، وحذا على حذوه ، والردىء لا يُؤْتَمُّ به . ولعله سمع معنى سائغا حسنا فأفسده لسوء عبارته ، وكثيرا ما يفعل هذا ، وكان ينبغى أن يقول : من حرقة بعثتها فرقة ، أو أظهرتها فرقة جرحت قلبا، حتى يكون أسير الهوى قتيل الفراق

فإن قيل: فلم لا يكون أسرت قلبه الحرقة للفراق ؟

---

(١) هو بيت من غزل قصيدة له فى مدح أمير المؤمنين المعتصم بالله (الديوان ٢٢) وفيه «ومن غزل فى نحره عذل»

(٢) فى الأصول «وإنما يسمى محنة نظر على أسير الحب »وأحسب أن الصواب ماأثبته

قيل : لا يكون ذلك ؛ لأن الأمر إذا قَبُح أن يكون فعلا للفرقة قبح أيضا أن يكون فعلا للحرقة ؛ لأن الفرقة هى التى جلبت الحرقة ، فشأنها كشأنها

٢٤ ـ ومن خطائه قولُه :

ما لِامْرِئٍ خاضَ فِي بَحْرِ الْهَوَى عُمُرٌ
إلاَّ وَلِلْبَيْنِ فِيـــهِ السهل والجلَدُ(١)

وهذا عندى خطأ إن كان أراد بالعمر مدةَ الحياة ؛ لأنه اسم واحد للمدة بأسرها ؛ فهو لا يتبعَّض فيقال : لكل جزء منه عمر ، كما لا يقال : ما لزيد رأس إلاّ وفيه شَجَّة أو ضربة ، وما له لسان إلا وهو ذَرِب(٢) أو فصيح ، وكذلك لا يقال : ما له عمر إلا وهو قصير ، وإنما يسوغ هذا فيما فوق الواحد ، مثل أن تقول : ماله ضلع إلا مكسورة ، وما له يد إلا وفيها أثر ، ولا رِجْل إلا وفيها حَنَف(٣) ، وليس قولهم « ما له عيش إلا مُنَغَّص ولا حياة إلا كَدِرة » مثل قولك : ماله عمر إلا قصير ، ولو قلته ؛ لأن عيش الإنسان ليس له مدة حياته بأسْرِها ؛ لأنك قد تقول : كان عيشى بالعراق طيباً ، وكانت حياتى بمكة لذيذة ، وكان عيشى بالحجاز أطيب من عيشى باليمن ، ولا تقول : كان عمرى ؛ لأن العمر هو المدة بأسرها ، والعيش والحياة ليسا كذلك ؛ لأنهما يتبعَّضان .

فإن قيل : فأنت تقول : مالزيد رأس حسن ، ولا أنف أشمّ ، ولا لسان ذَرِب

---

(١) هو بيت من غزل قصيدة فى مدح أبى سعيد محمد بن يوسف الطائى (الديوان ٩٧) وفيه «خاض من بحر الهوى» و«للبين منه» والبين : الفراق والبعد

(٢) الذرب ـ بفتح الذال وكسر الراء ـ الحاد من كل شىء . تقول : سيف ذرب ، ولسان ذرب ، وفيه ذرابة : أى حدة .

(٣) الحنف ـ بفتح الحاء والنون جميعا ـ اعوجاج فى الرجل ، وهو أن تقبل إحدى إبهامى رجلى الإنسان على الأخرى . وقال ابن الأعرابى : الحنف أن يمشى الإنسان على ظهر قدمه من شقها الذى يلى خنصرها .

قيل: يصلح هذا من أجل النفي ؛ لأنك إنما تريد ليس له رأس من الرؤوس الحسنة ، ولا لسان من الألسُن الذَّرِبة ، وإذا دخَلت « إلا » ههنا فقد جعلت المنفي موجَباً ، وحقيقة ، وإذا قلت « ليس لزيد رأس إلا حسن » فقد أوجبت له عدَّةَ رؤوس ، وهذا خطأ ، وكذلك سبيل العُمْر ، وإن كان أراد بالعمر منزله الذي يتوَطنه ويعمره ، فذلك هو المعمر ، وما علمت أن أحداً سماه عمرا إلا أن يكون دَيْر النَّصارى فإنهم يسمونه عمرا ، وما كان يمنعه أن يقول « وطن » مكان عمر؛ لأن لفظهما ومعناهما واحد ، وقد يكون للانسان عدة أوطانٍ توَطّنها. وقد ذكر العمر في موضع آخر من شعره وهو يريد مدة الحياة ؛ فقال :

إذا مارِقٌ بِالْغَدْرِ جاوَرَ عُمْرُهُ فَذَاكَ حَرِيٌّ أَنْ تَئِيمَ حَلاَئِلُهُ[1]

أراد أنه إن جاور عمره ـ أي قاربه ـ بالغدر فقد عرَّضه للزوال والنفاد ، وهذا من عَويص ألفاظه ، وما أراد بالبيت الأول إلا مدة الحياة ؛ لأن ما قَبْلَ البيت وما بعده عليه يدل .

٢٥ — وقال في علي بن الجهم[2] :

هِيَ فُرْقَةٌ مِنْ صاحِبٍ لَكَ ماجِدِ فَغَدًا إِذَابَةُ كُلِّ دَمْعٍ جَامِدِ[3]

---

(١) هو بيت من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المعتصم بالله (الديوان ٢٣١) وفيه « إذا مارق بالغدر حاول غدرة » والمارق : الخارج على الجماعة ، وحري : خليق وجدير ولائق ، وتئيم حلائله : تبقى بلا أزواج ، والحلائل: جمع حليلة ،وهي الزوجة ، وكنى بذلك عن موته .

(٢) كان علي بن الجهم صديقا لأبي تمام ، وقد أراد سفرا ؛ فقال أبو تمام كلمة في توديعه أولها هذه الأبيات (الديوان ٨٦)

(٣) ماجد : شريف ، والإذابة : مصدر أذاب ، وأصله في الجامدات ، ويقال من المجاز : ذاب دمع فلان ، وله دموع ذوائب ، والمعنى جرى دمعه ، ويقال : نحن لانجمد في الحق ولا نذوب في الباطل ، ويقال أيضا : ذابت الشمس ، إذا اشتد حرها .

فَافْزَعْ إِلَى ذُخْرِ الشُّؤُونِ وَعُذْ بِهِ   فَالدَّمْعُ يُذْهِبُ بَعْضَ جَهْدِ الْجَاهِدِ (١)
وَإِذَا فَقَدْتَ أَخاً فَلَمْ تَفْقِدْ لَهُ   دَمْعاً وَلا صَــبْرًا فَلَسْتَ بِفَاقِدِ

قوله « يذهب بعض جهد الجاهد » أى : بعض جهد الحزن الجاهد ، أى : الحزن الذى جَهَدَكَ فهو الجاهد لك ، ولو كان استقام له « بعض جهد المجهود » لكان أحسن وأليق ، وهذا أغرب وأظرف ، وقد جاء أيضاً فاعل بمعنى مفعول ؛ قالوا « عِيشَةٌ راضية » بمعنى مَرْضِيَّة ، و « لمح باصر » وإنما هو مُبْصَر فيـه ، وأشباه هذا كثيرة معروفة ، ولـكن ليس فى كل حال يقال ، وإنمـا ينبغى أن يُنْتَهى فى اللغة إلى حيث انْتَهَوْا ولا يتعدى إلى غيره ؛ فإن اللغة لا يقاس عليها.

وقوله « فلم تفقد له دمعاً ولا صبراً » من أفحش الخطأ ؛ لأن الصابر لا يكون باكياً ، والباكى لا يكون صابراً ، فقد نَسَقَ (٢) بلفظة على لفظة وهما نعتان متضادان، ولا يجوز أن يكونا مجتمعين، ومعناه أنك إذا فقدت أخاً فأدام البكاء عليك فلست بفاقد ودّه ولا أُخُوَّته ، وهو محصّل لك غير مفقود وإن كان غائبا عنك ، وإلى هذا ذهب ، إلا أنه أفسده بذكر الصبر مع البكاء ، وذلك خطأ ظاهر ، ولو كان قال «فلم تفقد له دمعاً ولا جزعا» أو «دمعا ولا شوقا ولا قلقا» لكان المعنى مستقيما، وظننته قال غير هذا وأن غَلَطاً وقع فى كتابة البيت عند النقل حتى رجعت إلى أصل أبى سعيد السكرى وغيره من الأصول القديمة فلم أجد إلا « دمعًا ولا صبرا » وذلك غفلة منه عجيبة . وقد لاح لى معنًى أظنه ـ والله أعلم ـ إليه قصد ، وهو أن يكون أراد إذا فقدت أخا فلم تفقد له دمعا ـ أى يواصل البكاء عليك ـ فلستَ

---

(١) افزع : الجأ ، والشؤون فى الأصل : مجارى الدموع ، وأراد ههنا الدموع نفسها ، وذخرها : ماادخرته منها لوقت الحاجة، وعذبه : أمر من عاذ يعوذ . ووقع فى الأصول « وغربة » وهو تحريف شنيع . وفى الديوان « فالدمع يذهب بعد جهد الجاهد » وهو خلاف ما يتكلم عنه المؤلف

(٢) نسق : أراد عطف بالواو عطف النسق ، وهو من اصطلاح النحاة

بفاقده ، على ما ذكره : أى فقد حصل لك وصار ذخرا من ذخائرك وإن غاب عنك وغبت عنه ، وإن لم تفقد له صبرا ـ أى وإن صَبَرَ عنك ـ فلست بفاقد ؛ لأنه إن صَبَرَ وسَلاكَ فليس ذاك بأخ يُعَوَّل عليه ، فلست أيضًا بفاقده ؛ لأنك لاتعتدُّ به موجوداً ولا مفقوداً ، ولكن ذهب على أبى تمام أن هذا غير جائز ؛ لأنه وصف رجلا واحداً بالوصفين جميعاً ، وهما متضادان ، ولو كان جعلهما وصفين لرجلين فقال :

وَإذا فَقَدْتَ أخًا لِفَقْدِكَ بَاكِيًا أَوْ صَابِراً جَلْداً فَلَسْتَ بِفَاقِدِ

أى : لست بفاقد هذا لأنه محصل لك ، أو لست بفاقد هذا لأنه غيرُ ناسٍ مودّتك ـ لكان المعنى سائغا حسناً واضحاً ، أو لو جعله شخصاً واحداً وجعل له أحد الوصفين فقال :

وَإذا فَقَدْتَ أخًا فَأسْبَلَ دَمْعَهُ أَوْ ظَلَّ مُصْطَبِرًا فَلَسْتَ بِفَاقِدِ

لكان أيضاً سائغاً على هذا المذهب ، أو كان استوى له فى ذلك اللفظ بعينه أن يقول « فلم تفقد له دمعا أو صبرا » حتى لايجعل له إلا أحدهما لساغ ذلك ، لكنه نسق بالصبر على الدمع فجعلهما جميعا له ففسد المعنى ؛ فهذا وأشباهه الذى قاله الشيوخ فيه : إنه يريد البديع فيخرج إلى المحال .

٢٦ — وقال أبو تمام(١) :

لَمَّا اسْتَحَرَّ الْوَدَاعُ الْمَحْضُ وَانْصَرَمَتْ
أَوَاخِرُ الصَّبْرِ إلاَّ كَاظِمًا وَجِمَا(٢)

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم المصعبى (الديوان ٣٠٢)

(٢) استحر : اشتد ، والمحض: الخالص ، وانصرمت: تقطعت، والكاظم : الذى يكتم الغيظ ، والوجم : الذى يسكت حزنا .

رَأَيْتُ أَحْسَنَ مَرْئِيٍّ وَأَقْبَحَهُ ... مُسْتَجْمَعَيْنِ لِيَ التَّوْدِيعَ وَالْعَنَمَا[١]

العنم : شجر له أغصان لطيفة غضّة كأنها بنان جارية ، الواحدة عَنَمَة ، كأنه استحسن أصبعها واستقبح إشارتها إليه بالوداع،وهذا خطأ فى المعنى ، أتراه ما سمع قولَ جرير :

أَتَنْسَى إِذْ تُوَدِّعُنَا سُلَيْمَى ... بِفَرْعِ بَشَامَةٍ ؟سُقِيَ الْبَشَامُ![٢]

فدعا للبَشَام بالسُّقْيا لأنها ودَّعته به فسرَّ بتوديعها ، وأبو تمام استحسن أصبعها واستقبح إشارتها ، ولعمرى إن منظَر الفراق منظر قبيح ، ولكن إشارة المحبوبة بالوداع لا يستقبحه إلا أجهل الناس بالحب ، وأقلهم معرفةً بالغزل ، وأغلظهم طبعاً ، وأبعدهم فهماً .

٢٧ — وقال[٣] :

فَلَوَيْتَ بِالْمَعْرُوفِ أَعْنَاقَ الْمُنَى ... وَحَطَمْتَ بِالإِنْجَازِ ظَهْرَ الْمَوْعِدِ[٤]

حَطْم ظهر الوعدِ بالإنجاز : استعارةٌ قبيحة جدا ، والمعنى أيضاً فى غاية الرداءة؛ لأن إنجاز الموعد هو تصحيحه وتحقيقه ، وبذلك جرت العادة أن يقال : قد صَحَّ وعدُ فلانٍ ، وتَحقَّق ما قال ، وذلك إذا أنجز ، فجعل أبو تمام فى موضع صحة الوعد حَطْم ظهره ، وهذا إنما يكون إذا أخلف الوعد وكذب ، ألا تراهم يقولون : قد مَرَّض فلانٌ وعْدَه ، وعلَّله ، ووعَدَ وَعْدًا مريضا ، وإذا أخلف وعده فقد أماته، فالإخلاف هو الذى يَحْطم ظهرَ الموعد ، لا الإنجاز ، ولا خَفَاء بفساد ما ذهب إليه،

---

(١) « رأيت » هو جواب « لما » فى البيت السابق ، و « التوديع والعنما » بدل من قوله « أحسن مرئى وأقبحه » وأراد بأحسن مرئى التوديع ، وبأقبح مرئى العنم . وهو الذى اعترض عليه المؤلف . (٢) يروى هذا البيت :

أتذكر يوم تصقل عارضيها ... بعود بشامة ؟سقى البشام!

(٣) من قصيدة له يمدح فيها المعتصم ، ويقال : المأمون (الديوان ١١٣)

(٤) وقع فى الأصول « أعناق الورى » وتصويبه الذى ذكرناه عن الديوان . وحطمت : كسرت ، والإنجاز : الوفاء بالوعد ، ومنه قولهم : أنجز حر ما وعد .

وكان ينبغى أن يقول : وحطمت بالإنجاز ظهر المال ، لا الموعد ، وحينئذ فالموعد كان يصح و يسلم ، و يتلف المالُ .

٢٨ — وقال :

إذَا وَعَدَ انْهَلَّتْ يَدَاهُ فَأَهْدَتَا ... لَكَ النُّجْحَ مَحْمُولاً عَلَى كاهِلِ الوَعْدِ(١)

كاهلُ الوعد إذا حَمَلَ النُّجْحَ من سبيله أن يكون صحيحاً مسلما ، لا أن يكون محطوما كما قال فى البيت الأول ؛ فهذه استعارة صحيحة على هذا البيت ، و إن كان « كاهل الوعد » قبيحا .

٢٩ — ومثلُ هذا البيت الأول فى الفساد أو قريب منه قولُه :

إذا ما رَحَى دارَتْ أَدَرْتَ سَماحَةً ... رَحَى كُلِّ إنجازٍ عَلَى كُلِّ مَوْعِدِ(٢)

وهذا إتلافُ الموعد ، و إبطاله ؛ لأنه جعله مطحونا بالرحَى ، و إنما ذهب إلى أن الإنجاز إذا وقع بطل الوعد ، وليس الأمر كذلك ؛ لأن الموعد ليس بضد للانجاز ؛ فإذا صحّ هذا بطل ذلك ، بل الوعدُ الصادقُ طرفٌ من الإنجاز ، وسبب من أسبابه ؛ فإذا وقع الإنجاز فهو تمام الوعد ، وتصحيح له وتحقيق وتصديق ، فهو فى هذه الاستعارة غالط ، والمعنى الصحيح قوله :

أَبَلُّهُمُ رِيقاً وَكَفّاً لِسائِلٍ ... وَأَنْضَرُهُمْ وَعْداً إذا صَوَّحَ الوَعْدُ(٣)

فتصويح الوعد هو أن يُخْلفه الواعد فيبطل ، ولا يصح ؛ لأنه من صَوَّحَ النبت إذا جف ، ومثله فى الصحة قولُه :

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها موسى بن إبراهيم الرافقى (الديوان ١٢٨) وانهلت يداه : انسكبتا بالماء ، والنجح : الظفر والفوز ، والكاهل : ما بين الكتفين ، جعل للوعد يدين وكاهلا ، وجعل يديه تنهمران بالعطاء كما تنهمر السحائب بالمطر .

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد (الديوان ١٠٤) والرحى : طاحون معروفة ، وأدرت : أصله أنزلت الدر ، وهو اللبن .

(٣) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان ١٢٢) وأنضرهم: أحسنهم وأرطبهم ، وصوح : جف ويبس.

تَزْكُو مَوَاعِدُه إذا وَعَدَ امْرَأً أنساكَ أحْلامَ الكَرَى الأضْغَاثَا[1]

فهذا هو المعنى الصحيح : أن يكون الوعد يزكو ، لا أن يبطل ويذهب .

ولله در أبى إسحاق إبراهيم بن هَرْمَةَ إذ يقول :

يَسْبِقُ بِالْفِعْلِ ظَنَّ سَائِلِهِ وَيَقْتُلُ الرَّيْثَ عِنْدَهُ الْعَجَلُ

فهذه الاستعارة الصحيحة أن يَقتلَ العجلُ الإبطاء ، لا أن يقتل الإنجاز الوَعْدَ ، فأما قولُه :

نَوِّمْ أبَا الْحُسَيْنِ ، وَكانَ قِدْماً فَتًى أعْمَارُ مَوْعِدِهِ قِصَارُ[2]

وقولُ البحترى :

وَجَعَلْتَ فِعْلَكَ تِلْوَ قَوْلِكَ قَاصِرًا عُمْرَ الْعَدُوِّ بِهِ وَعُمْرَ الْمَوْعِدِ[3]

فإن عمر الموعد مدةُ وقته ، فإذا أُنجز صار مالا ؛ فنفاد وقته ليس بمبطل له ، بل ذلك نَقْله من حال إلى حال أخرى ، ألا ترى إلى البحترى كيف كشف عن هذا المعنى ، وجاء بالأمر من فَصِّه ؟ فقال :

يُولِيكَ صَدْرَ الْيَوْمِ ما فِيهِ الْغِنَى بِمَوَاهِبٍ قَدْ كُنَّ أمْسِ مَوَاعِدَا[4]

فبطلانُ الموعد هو بطلان الشىء الذى الموعِدُ واقعٌ به ، وصحته هو صحة ذلك الشىء ، ثم أتبع البحترى هذا البيت بأن قال :

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها مالك بن طوق (الديوان ٦٥) والكرى: النوم ، وأضغاث الأحلام : ما التبس منها واختلط .

(٢) هو بيت من قصيدة له يمدح فيها محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان ١٤١) وقبله قوله :

يقول الحاسدون إذا انصرفنا لقد قطعوا طريقا أو أغاروا

(٣) من قصيدة له يمدح فيها الخضر بن أحمد الثعلبى (الديوان : ١ / ١٧١) وكان فى الأصل « ناصرا عمر العدو » وهو تحريف تصويبه عن الديوان .

(٤) هذا البيت والذى بعده من قصيدة له يمدح فيها إسماعيل بن بلبل (الديوان : ١ / ١٦٤) وفيه فى هذا «قاصية الغنى بعوائد » وفيه فى أول الثانى «سوم السحائب»

شِيمُ السَّحائِبِ مَا بدَأْنَ بَوَارِقاً   فى عارِضٍ إلاَّ انثَنَيْنَ رَوَاعِدَا

فجعل البوارق مثالا للمواعد ، وجعل الرواعد هى البوارق على الحقيقة وحالها واحدة مثالا للغيث الذى هو العطايا ؛ فالرواعد ليست بمبطلة للبوارق ، بل هى هى ؛ لأن تلك نور يحدثه ازدحام السحاب ، والرعد صوت ذلك الازدحام ؛ فالبرق يرى أولا ، والرعد يسمع آخرا ، وهو هو ، وذلك أن العين أسبق إلى الإبصار من الأذن للاستماع ؛ لأن العين ترى الشىء فى موضعه ، والأذن لا تسمع الصوت إلا إذا وصل إليها ، فشبهها بالمواعد التى تجر المواهب ، وهـذا أحسن ما يكون من التمثيل وأصحه ، وإنما أقام الرواعد مُقَام المواهب لأنه قد يكون بَرْقٌ ولا مطر فيه ، ولا يكاد يكون رعد إلا ومعه مطر ، ثم إن التشبيه صح بأن صار الرعد بعد البرق ، وما أحسن ما قال خلف بن خليفة الأقطع :

مَوَاعِدُهمْ فِعلٌ إذا ما تَكَلَّموا   فَتِلْكَ التِى إنْ سُمِّيَتْ وَجَبَ الفِعلُ

يعنى قول « نعم » فجعل الوعد هو الفعل نفسه لصحته وصدقه ، وقد مثل البحترى أيضاً الموعد وكيف تحول عطاء تمثيلا آخر حَسَناً فقال[1] :

وَشَكَرْتُ مِنْكَ مَوَاهباً مشكُورَةً   لَوْ سِرْنَ فى فَلَكٍ لَكُنَّ نُجُومَا
وَموَاعِداً لَوْ كُنَّ شيئًا ظاهراً   تُفضِى إلَيْهِ العَيْنُ كُنَّ غيومَا

وذلك لأن الغَيم يصير مَطَرا ، كما أن الموعد يصير عطاء ، وأبو تمام — فيما يذهب إليه — غالط ؛ لأنه وضع الاستعارات فى غير موضعها .

٣٠ — ومن خطائه قولُه :

---

(١) البيتان من قصيدة له يمدح فيها إبراهيم بن الحسن بن سهل (الديوان : ٢ / ٢٤٤) وفيه فى أولهما « مواهبا مشهورة » ووقع صدر ثانيهما فى الأصول « ومواعدا لو أن شيئا ظاهرا » وما أثرناه عن الديوان .

فَلَوْ ذَهبَتْ سِنَاتُ الدَّهرِ عَنهُ ... وَأُلقِيَ عَنْ مَنَاكِبِهِ الدِّثَارُ[١]

لَعَدَّلَ قِسْمَةَ الأَرْزَاقِ فِينَا ... وَلَـكِنْ دَهْرُنا هَـذا حِمَارُ

قوله « وألقى عن مناكبه الدثار » لفظ ردىء ، وليس من المعنى الذى قَصَده فى شىء ، وصَدْر البيت لائق بالمعنى ؛ فلو كان أتبعه بما يكون مثله فى معناه بأن يقول : فلو ذهبت سناتُ الدهر عنه لاستيقظ من رقدته وانتبه من نومته وانكشف الغطاء عن وجهه ؛ لـكان المعنى معنى مستقيما ؛ لأن مَنْ كان فى سِنَةٍ أو نَوْم أومغطًّى على وجهه أو عينيه فإنه لايبصر الرشد، ولا يكاد يهتدى لصواب ، وإنما هذه كلها استعارات ، والمراد بها هداية القلب وإبصاره وفَهْمه ، وقد جرَت العادة باستعارتها فى هذا المعنى ، فأما دِثَار المناكب فليس من هذا الباب فى شىء ؛ إذ قد يُبْصر الإنسان رُشْدَه ويهتدى لصواب أمره وعلى مناكبه دِثَارٌ وعلى ظهره أيضا حِمْل ، ولا يكون ذلك مع النوم والرقاد والغطاء على العين ؛ لأنه إنما يراد نوم القلب والتغطية عليه ؛ لأن الإنسان إنما يقال له « قد عمى قلبك » و « قد عميَتْ عن الصواب عَيْنَاك » و « قد غُطِّىَ على فهمك » ولا يقال : قد غُطِّيت بالدثار عن الصواب مناكبك ولا ظهرك ، ولفظة الدِّثار أيضا إنما تستعمل لمنع الهواء والبرد ، لا لمنع الفهم والرشد

٣١ — ومن خطائه قوله[٢] :

وَأَرَى الأُمُورَ المُشْكِلاَتِ تمزَّقَتْ ... ظُلُمَاتُهَا عَنْ رَأْيكَ المُتَـوَقِّد

---

(١) من قصيدة يمدح فيها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان ١٤١) وفيه فى صدر الثانى « لعدل قسمة الأيام » وما هنا أنسب ، والسنات — بكسر السين — جمع سنة ، وهى النوم ، أو أوائله ، وأراد هنا الغفلات ، والمناكب : جمع منكب ، وهو مجتمع العضد والكتف ، والدثار — بزنة الكتاب — مايلبس فوق الشعار

(٢) ثلاثة الأبيات من قصيدة له يمدح فيها المعتصم بالله ، ويقال : المأمون (الديوان ١١٣)

عَنْ مِثْلِ نَصْلِ السَّيْفِ إلاَّ أنَّهُ   مُذْ سُلَّ أوَّلَ سَلَّةٍ لَمْ يُغْمَدِ (١)
فَبَسَطْتَ أزْهَرَهَا بِوَجْهٍ أزْهَرٍ   وَقَبَضْتَ أرْبَدَهَا بِوَجْهٍ أرْبَدِ (٢)

فقال « الأمور المشكلات » وجعل لها ظلمات ، فكيف يقول : فبسطت أزهرَها ، والزُّهْر هي النَّيرات ، والمشكلات لا يكون شيء منها نَيِّراً ، وكأنه يريد أن الأمور المشكلة منها جيد قد أشكل الطريقُ إليه ، ومنها رديء قد جُهلت أيضاً حاله ؛ فهي كلها مظلمة ، فيمزق ظلماتها برأيه ، ويكشف عن الجيد منها ويبسطه : أي يستعمله ، ويكشف عن رديئها ويَقْبضه : أي يكفّه ويطرحه ، ولكن ما كان ينبغي له أن يقول « بوجه أزهر » و « بوجه أربد » ؛ لأنه لاصُنْع ههنا للوجه ولا تأثير ؛ لأن الصنع إنما هو للرأي وللعقل ؛ فإذا رأى ذو الرأي أمرا اسْتَبان منه الأشياء المظلمة ، وانفتحت المُغْلَقَةُ ، أو رأى أن يُغْلق أمرا مفتوحا إذا كان الصواب موجبا ذلك عنده ؛ فالرأى على الأحوال كلها أزهرُ مُسْفِر ، والوجه على الأحوال كلها أبيض ، وليس يريد أبيض في لونه . والعاجز إذا ورد عليه الأمر يَبْهظه تَبَيَّنت الكآبة في وجهه ؛ ولله در منصور النمري حيث يقول :

تَرَى سَاكِنَ الأوْصَالِ بَاسِطَ وَجْهِهِ   يُرِيكَ الْهُوَيْنَا وَالأمُورُ تَطِيرُ

فقال « ساكن الأوصال باسط وجهه » فدلّ على قلة اكتراثه بالأمور التي تَرِدُ عليه ، وقول أبي تمام « بوجه أرْبَدِ » لامعنى له ؛ لأنه من صفات الغضبان أو المكتئب من أمر ورد عليه ، وهو عندي في ذلك غالط ، وفي ذلك مسيء .

٣٢ — ومن خطائه قولُه :

كالأرْحَبِيِّ المذكِّي سَيْرُهُ الْمَرَطَى   وَالْوَخْدُ وَالْمَلْعُ وَالتَّقْرِيبُ وَالْخَبَبُ (٣)

فالأرحَبيُّ من الإبل : منسوب إلى أرْحَب ، حيّ من هَمْدان تنسب إليهم

---

(١) سل : أخرج من غمده ، ولم يغمد : أي لم يرجع إلى الغمد .
(٢) الأزهر في الأصل : الأبيض ، والأربد في الأصل أيضا : المغبر .
(٣) من قصيدة له يمدح فيها أبا جعفر محمد بن عبد الملك بن أبي مروان الزيات (الديوان ٤٨) وقد فسر المؤلف غريب هذا البيت .

النجائب ، والمذكى : الذى قد انتهى فى سنه وقوّته ، والمَرَطَى : من عَدْو الخيل فوق التَّقْريب ودون الإهذاب ، والوَخْد : الاهتزاز فى السير مثل وَخْد النعام ، والمَلْع : من سير الإبل السريع ، والتقريب : من عَدْو الخيل معروف ، والخَبَبُ : دونه ، وليس التقريب من عَدْو الإبل ، وهو فى هـذا الوصف مخطىء ، وقد يكون التقريب لأجْنَاسٍ من الحيوان ، ولا يكون للابل ، و إنّا ما رأينا بعيراً قطُّ يقرب تقريب الفرس ، والمَرَطى أيضاً : من عَدْو الخيل لم أره فى أوصاف الإبل ولا سيرها .

٣٣ — ومن خطائه قوله(١) :

وَمَشْهَدٍ بَيْنَ حُكْمِ الذُّلِّ مُنْقَطِعٌ ... صَالِيهِ ، أَوْ بِحِبَالِ الْمَوْتِ مُتَّصِلُ(٢)

جَلَّيْتَ وَالْمَوْتُ مُبْدٍ حُرَّ صَفْحَتِهِ ... وَقَدْ تَفَرْعَنَ فِي أَفْعَالِهِ الْأَجَلُ(٣)

وقوله « بين حكم الذلّ » لو كان حكم الذلّ أشياء متفرقة لصحت فيها « بين » غير أن حكم الذل والذل بمنزلة واحدة ، وكذلك حكم العز والعز ، فـكما لا يقال بين العز فـكذلك لا يقال بين حكم العز حتى يقال هذا ؛ لأن « بين » إنما هى وَسط بين شيئين .

فإن قال : إن حكم الذل مشتمل على مشهد الحرب ومَنْ يَصْلاها ؛ فـكأنه ذهب بقوله « بين » إلى معنى وسط : أى ومشهد وسط حكم الذل .

قيل : وَسط لا يحلّ محل بَيْن ، و بين لا يحل محل وسط ؛ لأنك تقول :

---

(١) البيتان من قصيدة له يمدح فيها المعتصم بالله (الديوان ٢٢٨) وبين البيتين بيتان آخران فى وصف المشهد وبيان مافيه من الهول .

(٢) صاليه : اسم الفاعل من قولك : صلى النار يصلاها ، كرضى يرضى ، إذا وقع فيها ، أو تدفأ بها .

(٣) صفحة الوجه : جانبه ، وحر الوجه : ماظهر منه ، وتفرعن : طغى ، وأصله أشبه فرعون فى طغيانه ،

البئر وسط الدار ، ولا تقول : البئر بين الدار ، وتقول : المال بيننا نصفين ، ولا تقول : المال وسطنا ، والمعنى الذى بنى أبو تمام البيتَ عليه سياقَةُ لفظهِ أن يقول : ومشهدٍ بين حكمِ الذل وحكم العز : أى ومشهد بين الذل والعز ، محجمٌ من يصلاه — وهو الذليل — أو مُقْدِم — وهو العزيز — جليته وكشفته ، يعنى الممدوح ؛ فحذف أحد القسمين الذى لا يصلح « بين » إلا به مع القسم الآخر ، وجعل قوله « منقطع » فى موضع مُحْجِم ، و « متصل » فى موضع مُقْدم ، وليس هذا من مواضع متصل ولا منقطع ، وقد أغراه الله بوضع الألفاظ فى غير مواضعها مِن أجل الطِّباق والتجنيس اللذيْن بهما فسد شعره وشعر كل من اقتدى به ، وقوله « وقد تفرعن فى أفعاله الأجل » معنى فى غاية الركاكة والسخافة ، وهو من ألفاظ العامة ، وما زال الناس يعيبونه به ، ويقولون : اشتقَّ للأجَلِ الذى هو مُطِلٌّ على كل النفوس فعلاً من اسم فِرْعَوْن ، وقد أتى الأجل على نفس فِرْعَوْنَ وعلى نفس كل فرعونٍ كان فى الدنيا .

٣٤ — ومن خطائه قوله :

سَعَى فَاسْتَنْزَلَ الشَّرَفَ اقْتِساراً وَلَوْلا السَّعْىُ لَمْ تَكُنِ الْمَساعِى[1]

قوله « سعى فاستنزل الشرف اقتسارا » ليس بالمعنى الجيد ، بل هو عندى هجاء مصرح ؛ لأنه إذا استنزل الشرفَ فقد صار غير شريف ، وذلك أنك إذا ذَمَمْتَ رجلا شريفا شريف الآباء كان أبلغَ ما تذمُّه به أن تقول : قد حَطَطْتَ شرفَكَ ، ووضَعْتَ من شرفك ، وقد وكَّده بقوله «اقتسارا» وقوله «ولولا السعى لم تكن المساعى » فبئس السعى والله سَعَى ؛ لأن الشرفَ لا يُحَطّ إلا بألأم ما يكون من الأفعال ، وكأنه إنما أراد سعى فحوَى الشرف نفسه ، فأفسد المعنى بذكر استنزاله إياه ، كأنه لو لم يستنزله ما كان يكون حاويًا له ، فهلا قال :

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها ابن أصرم (الديوان ١٩٤) والاقتسار : القهر والغلبة

تَرَقّى إلى الشرف الأعلى فحواه ، أو بلغ النجم ، أو علا على الشمس ، كما قال الآخر[١] :

لَوْ كَانَ يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ
قَوْمٌ بِسُؤْدَدِهِمْ أَوْ مَجْدِهِمْ قَعَدُوا

٣٥ — ومن خطائه قوله :

يَقِظٌ وَهْوَ أَكْثَرُ النَّاسِ إغضاً ، عَلَى نَائِلٍ لَهُ مَسْرُوقِ[٢]

قوله «على نائل له مسروق» خطأ ؛ لأن نائله هو ما يُنيله ، فكيف يكون مسروقا منه ؟ وهل يكون الهجو إلا هكذا : أن يُجْعَل نائله مأخوذا منه على طريق السرقة ، وإنما اعتمد المطابقة : لما وصفه بالتيقظ جعله ممن يسرق منه ؛ إذ كان من شأن المتيقظ أن لا يغفل حتى يستتم عليه السرق ، وقد كان يصح هذا المعنى لو قال : على مال له مسروق ، حتى يكون يعطى ماله اختيارا بجوده ويُغْضى إذا سرق منه لكرمه .

٣٦ — ومن خطائه قولُه :

لَوْ يَعْلَمُ الْعافُونَ كَمْ لَكَ فِي النَّدَى مِنْ لَذَّةٍ وَقَرِيحَةٍ لَمْ تُحْمَدِ[٣]

ويروى «من لذة» و «من فرجة» أى : من لذة واقتراح : أى ابتداع واستخراج ، وهذا عندى غلط ؛ لأن هذا الوصف الذى وصفه داعيةٌ أن يَتَناهى الحامدُ له فى الحمد ، ويجتهد فى الثناء بأن لايدعَ حَمْده ، وإنما ذهب إلى أن الإنسان إنما يحمد على الشىء الذى يتكلّفه ويتجشّمه ويتحمل المشقة فيه ، لاعلى الشىء الذى له بواعث شهوة من نفسه وشدة صبابة إليه ومحبة لفعله ، ومَنْ كان

(١) ينسب إلى زهير بن أبى سلمى المزنى ، وقدسبق ذكره فى ١٢٨ ، وينسب إلى أبى جويرية من مدحة له رواها أبوعلى القالى فى أماليه ١٠٦/١

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد (الديوان ٢٢٠) والنائل : العطاء

(٣) من قصيدة له يمدح فيها المعتصم بالله — ويقال : المأمون — (الديوان ١١٣) وفيه «لم تحمد» وقد تقدم ذكر هذا البيت (انظر ص ١٠٦ من هذا الكتاب)

غرامُه بالجود هذا الغرام فعلى ذلك يجب أن يحمد و يمدح ؛ فأما قول البحترى[١] :

وَلَقَدْ أَبَدْتَ الْحَمْدَ حَتَّى لَوْ بَنَتْ كَفَّاكَ مَجْدًا ثَانِيًا لَمْ تُحْمَدِ

فمذهب صحيح ، يريد أنك قد أفنيت الأوصاف والمحامد ؛ فإن جئت بنوع من المكارم تَبْنِي به مجداً آخر لم يَقْدِر مَن يحمدك ويثنى عليك على أكثر مما تقدم .

٣٧ — ومن خطائه قولُه :

تَنَاوَلُ الْفَوْتَ أَيْدِى الْمَوْتِ قَادِرَةً إِذَا تَنَاوَلَ سَيْفاً مِنْهُمُ بَطَلُ[٢]

قوله « تناول الفوت أيدى الموت » عويص من عويصاته ، وهذا أيضاً محال ، وإنما سمع قول سَعْد بن مالك :

هَيْهَاتَ حالَ الْمَوْتُ دُو نَ الْفَوْتِ وَانْتُضِىَ السِّلَاحُ

والْفَوْت : هو النجاة ، أى : حال الموت دون النجاة ، وهذا صحيح مستقيم ، فقال هو « تناول الفوت أيدى الموت » وهذا محال ؛ لأن النجاة لا تتناولها يدُ الموت ولا تصل إليها ، وإلاَّ لم تكن نجاة ، وهذا من تعقيده الذى يخرجه إلى الخطأ ، وإنما قَصَد إلى ازْدِوَاج الكلام فى الفوت والموت ، ولم يتأمل المعنى ، والوَجْهُ الصحيح قولُ البحترى :

تَتَدَانَى الْآجَالُ ضَرْباً وَطَعْناً حِينَ يَدْنُو فَيَشْهَدُ الْهَيْجَاء[٣]

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها الخضر بن أحمد الثعلبى (الديوان : ١ / ١٧١) وفيه « فلقد بنيت المجد حتى لو بنت » وأظنه تحريف ماهنا .

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المعتصم بالله (الديوان ٢٢٩) وتناول : مضارع حذفت منه إحدى التاءين ، وأصله تتناول ، وفاعله « أيدى الموت » يريد إذا تناول بطل من أتباع الممدوح سيفا فإن أيدى الموت تتناول النجاة والهرب ، وهذا كناية عن أنهم يقتلون أعداءهم ولا يمكنونهم من الهرب .

(٣) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان : ١ / ٢)

٣٨ — ومن خطائه قوله[١] :

وَاكْتَسَتْ ضُمَّرُ الْجِيَادِ الْمَذَاكِى   مِنْ لِبَاسِ الْهَيْجَا دَمًا وَحَمِيمًا[٢]
فِى مَكَرٍّ تَلُوكُهَا الْحَرْبُ فِيهِ   وَهْيَ مُقْوَرَّةٌ تَلُوكُ الشَّكِيمَا[٣]

فهذا معنى قبيح جداً : أنْ جَعَلَ الحربَ تلوكُ الخيل من أجل قوله « تلوك الشكيما » . و « تلوك الشكيما » أيضاً ههنا خطأ ؛ لأن الخيل لا تلوك الشكيم فى المكرّ وحَوْمَة الحرب ، وإنما تفعل ذلك واقفةً لا مكرَّ لها .

فإن قيل : إنما أراد أن الحرب تلوكها كما تلوك هى الشكيم .

قيل : هذا تشبيه ، وليس فى لفظ البيت عليه دليل ، وألفاظ التشبيه معروفة ، وإنما طرح أبا تمام فى هذا قلةُ خبرِهِ بأمر الخيل ، ألا ترى إلى قول النابغة :

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ   تَحْتَ الْعَجَاجِ وَخَيْلٌ تَعْلُكُ اللُّجُمَا

والصيام ههنا القيام: أى خيل واقفة مستغنى عنها لكثرة خيلهم فهى واقفة، وخيـــل تحت العجاج فى الحرب ، وخيل تعلك اللجما قد أسرجت وألجمت وأُعِدَّتْ للحرب . والشاعر الحصينى[٤] كان أحـذق من أبى تمام وأعلم بأمر الخيل، قال :

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد وكان قد قدم من مكة (الديوان ٢٩٣)

(٢) الضمر : جمع ضامر ، وهو الخفيف اللحم ، والمذاكى : الخيل المسنة ، والهيجا — بالقصر هنا ، ويمد — الحرب ، والحميم : الماء الحار ، وأراد به العرق .

(٣) المكر : المكان الذى يكر الأبطال فيه بعضهم على بعض ، والمقورة : الضامرة ، ووقع فى الأصول « فهى بكر » مكان « فى مكر » وهو تحريف تصويبه عن الديوان ، ويؤيد ما أثبتناه اعتراض المؤلف الآتى .

(٤) نسبه العباسى فى معاهد التنصيص (٢٤٠ بولاق) إلى يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان ، وذكر قبله قوله :

عـــودته فيما أزور حبائبى   إهماله ، وكذاك كل مخاطر

وَإِذا اخْتَبَى قَرَبُوسَهُ بِعِنانِهِ عَلَكَ الشَّكِيمَ إلى انصِرافِ الزَّائِرِ (١)

وإلا فتى رأى فرساً يجرى وهو يلوك شكيمه؟ فأما قول أنس بن الريان (٢)

أَقُودُ الجِيادَ إلى عامِرٍ عَوالِكَ لُجْمٍ تَمُجُّ الدِّماءْ

فإن القود قد يكون فى خلاله تلبُّثٌ وتوقّف تلوك فيه الخيلُ لجمها ، وللكَرّ لا يستقيم ذلك فيه ، فأما قول أبى حزابة التميمى (٣)

خاض الردى فى المدى قد ما عنصله وَالخَيْلُ تَعْلُكُ ثِنَّ المَوْتِ بِاللُّجُمِ

فإنما جعل ثن الموت مثلا ، والثن : حطام النبات اليابس ، ولم يرد أن الخيل تعلك اللجم على الحقيقة .

٣٩ — ومن خطائه قوله (٤) :

وَالحَرْبُ تَرْكَبُ رَأْسَها فى مَشْهَدٍ عُدِلَ السَّفِيهُ بِهِ بِأَلْفِ حَلِيمِ
فى ساعَةٍ لَوْ أَنَّ لُقْمانًا بِها وَهُوَ الحَكِيمُ لَكانَ غَيْرَ حَكِيمِ
جَثَمَتْ طُيُورُ المَوْتِ فى أَوْكارِها فَتَرَكْنَ طَيْرَ العَقْلِ غَيْرَ جُثُومِ

فالبيتان الأولان جيدان ، وقوله « جثمت طيور الموت فى أوكارها » بيت

---

(١) القربوس — بفتح القاف والراء جميعا — حنو السرج ، وللسرج قربوسان، والعنان — بكسر العين — سير اللجام الذى تمسك به الدابة ، والشكيم : الحديدة المعترضة فى فم الفرس ، ويقال لها شكيمة أيضا .

(٢) لم أقف على صحة هذا الاسم ، وذكر فى المؤتلف والمختلف (٥٥) شاعرين اسم كل منهما أنس ، أما أحدهما فأنس بن أبى أناس الكنانى ، أحد بكر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة ، وأما الآخر فأنس بن نواس المحاربى .

(٣) وقع فى أصول هذا الكتاب «أبى حزانة التميمى» بالنون ، وهو تصحيف صوابه ما أثبتناه بالباء . وأبو حزابة هو الوليد بن حنيفة ، أحد بنى حنظلة بن مالك ابن زيد مناة بن تميم ، وهو شاعر من شعراء الدولة الأموية ، ولم يستقم لنا صدر بيته

(٤) من قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم المصعبى (الديوان ٣٠٧و٣٠٨) وفيه فى أول الثالث « جثمت طيور الهلك »

ردىء فى القسمة ، ردىء فى المعنى ؛ لأنه جعل طير الموت فى أوكارها جاثمة : أى ساكنة لا ينفرها شىء ، وطيرَ العقل غير جُثومِ ، يعنى أنها نفرت فطارت ، يريد طيران عقولهم من شدة الرّوْع ، وما كان ينبغى أن يجعل طير الموت جثوما فى أوكارها ، وإنما كان الوجه أن يجعلها جاثمة على رؤسهم ، أو واقعة عليهم ، فأما أن تكون جاثمة فى أوكارها فإنها فى السلم أو فى الأمن جاثمة فى أوكارها أيضا ، وطير العقل ليست بضدّ لطير الموت ، وإنما هى ضد لطير الجهل ، وطير الحياة هى الضد لطير الموت ، ولو كان قال :

جَثَمَتْ طُيورُ المَوْتِ فى أوْكارِهَا ... فتَرَكْنَ أطْيارَ الحَياةِ تَحُومُ

لكان أشْبَهَ وألْيَقَ ، أو لو قال :

سَقَطَتْ طُيورُ المَوْتِ فَوْقَ رُؤُسِهِمْ ... فتَرَكْنَ أطْيارَ العُقولِ تَحُومُ

لكان أيضا قريبا من الصواب ؛ لأنهم يقولون : طار عقله من الرّوْع ، فإذا ثاب إليه عقله وسكن قيل : قد أفْرَخَ رَوْعُه ، وهذا مَثَل ، وذلك أن الطائر إذا أفرخ لزم عُشّه وفراخَه ، وقد يجوز أن يكون « أفرخ رَوْعُه » أى : ذهب ؛ لأن الطائر إذا أفرخ فطارت فراخه انتقل عن ذلك العش ، وقولهم « جثم الطائر » إنما هو أن يلصق جُثْمانه بالأرض ، يذهبُ إلى أن طيور الموت ساكنة ، وطيور العقل منزعجة طائرة ، وقوله « غير جُثوم » لا ينوب مناب طائرة ولا منزعجة ؛ لأن الطائر قد يكون جاثما وقد يكون قائما على رجليه ساكنا مطمئنا ، وهذه حاله فى أكثر أوقاته ؛ فقد حمل المعنى على لفظ لا يليق به ولا يؤدى التأدية الصحيحة عنه

٤٠ — ومن خطائه قولُه فى وصف الفرس(١) :

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب ويصف فرسا حمله عليه (الديوان ٢١١) وكان فى الأصول « وتلهوف » بالفاء ، وهو تصحيف صوابه عن الديوان

مَا مُقْرِبٌ يَخْتَالُ فى أَشْطَانِهِ ... مَلآنَ مِنْ صَلَفٍ بِهِ وَتَلَهْوُقِ[1]

قوله « ملآن من صَلف » يريد التِّيهَ والكبر ، وهذا مذهب العامة فى هذه اللفظة ؛ فأما العرب فإنها لا تستعملها على هذا المعنى ، وإنما تقول : قد صَلِفَتِ المرأة عند زوجها ، إذا لم تَحْظَ عنده ، وصَلِفَ الرجلُ كذلك ؛ إذا كانت زوجته تكرهه ، وقال جرير :

إِنِّى أُوَاصِلُ مَنْ أَرَدْتُ وِصَالَهُ ... بِحِبَالِ لا صَلِفٍ وَلا لُوَّامِ

والصَّلِف : الذى لا خير عنده ، ومَثَل يضرب «رُبَّ صَلَفٍ تَحْتَ الرَّاعِدَة» يعنون الرعد بغير مطر : فهذا معنى الصلف فى كلامهم ، وعلى هذا قد ذم أبو تمام الفرسَ من حيث أراد أن يمدحه ، والتلهوق : هو لطف المداراة والحيلة بالقول وغيره حتى يبلغ الحاجة ، ومنه قولُ الأغلب العِجْلى يصف مداراة رجل له امرأةً نال منها :

فَلَمْ يَزَلْ بِالْخَلِفِ النَّجِىِّ ... لَهَا وَبِالتَّلَهْوُقِ الْخَفِىِّ

أَنْ قَدْ خَلَوْنَا بِفَضَاءٍ قِىِّ ... وَغَابَ كُلُّ نَفَسٍ مَخْشِىِّ[2]

وقد ذكر أبو عبيدة القاسمُ فى الغريب المصنَّف فى أول نوادر الأسماء التلهوقَ ، وقال : وهو مثل التملُّق ، وما أرى أبا تمام فى وَضْع هاتين اللفظتين إلا غالطاً .

---

(١) المقرب : أراد به الفرس ، ويختال : يمشى الخيلاء ، يريد يتبختر ، والأشطان : جمع شطن — بفتح الشين والطاء — وهو الحبل ، والصلف : الكبر ، والتلهوق : التحسن بما ليس فيه ، وهو أيضا أن تظهر شيئا وباطنك على خلافه ، وقال الكميت يمدح مخلد بن يزيد بن المهلب :

أجزيهم يد مخلد ، وجزاؤها ... عندى بلا صلف ولا بتهلوق

(٢) القى — بكسر القاف وتشديد الياء — القفر .

٤١ — وقال أبو تمام[1] :

عَطَفُوا الْخُدُورَ عَلَى الْبُدُورِ وَوَكَّلُوا ظُلَمَ الشُّعُورِ بِنُورِ حُورٍ خُرَّدِ[2]
وَثَنَوْا عَلَى وَشْيِ الْخُدُودِ صِيَانَةً وَشْيَ الْبُرُودِ بِمُسْجَفٍ وَمُمَهَّدِ[3]

البيت الأول حَسَن حُلْو ، وأخذ قوله « وثنوا على وشى الخدود صيانة وشى البرود » من قول الـكُمَيْت :

وَأَرْخَيْنَ الْبُرُودَ عَلَى خُدُودٍ يُزَيِّنَّ الْفَدَاغِمَ بِالْأَسِيلِ[4]

وقوله « بِمُسْجَفٍ وممهد » فالمسجَّفُ يريد سِترباب الْحَجَلَةِ ، وكلُّ باب مشقوق فـكلُّ سترٍ منها سِجفٌ ، وكذلك سجف الخباء ، والمسجّف : المرخى ، والتسجيف : إرخاء السجفين ، وقوله « بمسجف» أى من مسجف وممهد؛ فجعل الباء فى موضع « من » كما قال عنترة :

شَرِبَتْ بِمَاءِ الدُّحْرُضَيْنِ فَأَصْبَحَتْ زَوْرَاءَ تَنْفِرُ عَنْ حِيَاضِ الدَّيْلَمِ[5]

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها المعتصم بالله . ويقال : مدح بها المأمون (الديوان ١١١) وفيه « بنور حور نهد » وقد تقدم ذكر ثانى البيتين فى سرقات أبى تمام (ص ٩٤ من هذا الـكتاب)

(٢) عطفوا : أراد به غطوا . والخدور : جمع خدر ـ بكسر فسكون ـ وهى حجلة العروس ، وتطلق على البيت مادام فيه نساء ، والظلم ـ بضم ففتح ـ جمع ظلمة ، والحور ـ بضم الحاء ـ جمع حوراء ، وهى المرأة الشديدة بياض بياض العين مع شدة سواد سوادها ، والخرد : جمع خريدة ، وأصلها الدرة التى لم تثقب ، تشبه بها المرأة ، والنهد ـ فى الرواية الأخرى ـ جمع ناهد ، وهى البارزة النهدين.

(٣) سبق مشروحا (ص ٩٤ من هذا الـكتاب)

(٤) قد مضى مشروحا (ص ٩٣ من هذا الـكتاب أيضا) وقد روى فى صحاح الجوهرى (ف د غ م) وفيه « وأدنين البرود »

(٥) الدحرضان : ماءان من مياه العرب ، واسم أحدهما دحرض ، وهو لآل الزبرقان بن بدر ، واسم الآخر وسيع ، وهو لبنى أنف الناقة ؛ فغلب فى التثنية أحدهما على الآخر ، والزوراء : المائلة ، والديلم : يقال هو اسم ماء من مياه بنى سعد، ويقال : اسم رجل من ضبة ، وهو الديلم بن ناسك بن ضبة ، وهذا هو الصحيح، ذكره صاحب اللسان وصححه .

أي : من ماء الدحرضين ، والممهَّد : الوِطَاء الذي يُوَطَّأ تحت المرأة ، فكيف يكون ذلك مُشْرِفاً على السَّجْفِ الذي ذكر أنهم ثنوْه على وشي الخدود ؟ والممهَّد ليس هذه حاله فيعطفه عليه .

فإن قيل : كيف لا يكون محمولا على قول الشاعر :

وَرَأَيْتِ زَوْجَكِ فِي الْوَغَى مُتَقَلِّدًا سَيْفاً وَرُمْحاً[1]

والرُّمح لا يُتقلد ، وقول الآخر :

*وَزَجَّجْنَ الْحَوَاجِبَ وَالْعُيُونَا[2] *

والعيون لا تُزَجَّج ، وإنما أراد ذلك متقلدا سيفا وحاملا رمحا ، وأراد هذا وزجَّجن الحواجب وكحّلن العيونا .

قيل : متقلّد السيفِ هو حامله أيضاً فحَسُن أن يعطف على السيف ؛ لأنهما جميعاً محمولان ، وكذلك زججن وكحلن هما جميعاً زِينةٌ فحَسُن أن يعطف أحدهما على الآخر ، والممهَّد لا يشرك الستر في شيء من تغطية الوجه ولا صيانته ، ولا بنيت ألفاظ البيت إلا على ستر الخدود بالستور ، ولا يتعلق الممهد بالمعنى بإضمار لفظ ولا غيره .

٤٢ — ومن خطائه قوله[3] :

بِقَاعِيَّةٌ تَجْرِي عَلَيْنَا كُؤُوسُهَا
فَتُبْدِي الَّذِي نُخْفِي وَتُخْفِي الذِي نُبْدِي[4]

---

(١) يروى النحاة صدر هذا البيت :

* ياليت زوجك قد غدا *

(٢) هذا عجز بيت للراعي النميري ، وصدره قوله :

* إذا ما الغانيات برزن يوما *

(٣) من قصيدة له يمدح فيها أبا العباس نصر بن منصور بن بسام (الديوان ١١٥)

(٤) بقاعية : منسوبة إلى البقاع ، وهو مكان تعصر فيه الخمر ، وأراد بكونها تبدى مايخفيه أنها تجرى لسانه وتحل عقدته فيبوح بأسراره ويفشى ما كان يتكتمه ، وأراد بأنها تخفى مايبديه أنها تذهب عنه آثار الحزن والاهتمام بشواغله والتفكير فيما يحيط به من كرب الحياة وبأسائها . هذا مايظهر لنا فى توجيه هذا البيت .

ذهب فى هذا إلى أن الخمر تُخفى الذى نُبديه فى حال الصَّحو من الحِلم والوقار والكف عن الهزل واللعب ، و « تبدى الذى نخفى » أى : الذى نعتقده ونكتمه من ضد ذلك كله ؛ لأنه فى الطبيعة والغريزة ، والذى كنا نُظهره إنما هو تصنُّع وتكلف ، ويدخل فى هـذا ما يبوح به المحب من الحب الذى كان يكتمه فى صَحْوه ويُظهر ضدَّه ، أو ما يبوح به من بُغض زيد وكان يظهر فى صَحْوه مودَّته ومنافعه . وكذلك ما يظهر السكر من بُخْل البخيل ومَنْع ما كان يتحمله ببذله فى الصَّحو ، أو ما يظهر من السماحة التى كان لا يسمح بمثلها فى صحوه خوفَ العاقبة ، ونحو هذا ، وما سقط من قول الحكماء « إن الشراب يثير كل ما وجد » أى : يظهر كل ما فى النفس من خير وشر وحَسَن وقبيح ؛ فكلُّ شىء يظهره الإنسان وليس فى اعتقاده ولا نيته فإن الذى يضمره ويكتمه فى نفسه فهو ضده ، فإذا أظهر السكرُ اعتقاد المعتقد الذى هو الصحيح فإن ضدَّه مما كان يتجمل بإظهاره يَبْطل ويتلاشى ؛ لأن الشراب يخفيه ويطويه فى الضمير حتى يكون مكتوماً كما كانت الحقيقة مكتومة ، هذا محال ؛ لأن القلبَ هو مَحَلُّ المعتقدات ؛ فلا يجوز أن يجتمع فيها الشىء وضده ، والاعتقادات لا تكون باللسان ؛ لأن اللسان يكذب ، والقلب لا يتضمن إلا الحقيقة ، وقول أبى تمام « فتبدى الذى نخفى » قول صحيح ، وقوله « وتخفى الذى نبدى » اللفظُ فاسد ؛ لأن تخفى معناه تكتم وتستر ، والذى قد أبطلته وأزلته لا يجوز أن يعبر عنه بأنك أخفيته ولا كتمته

فإن قيل : ولم لا يكون هذا توسعاً ومجازاً ؟

قيل : المجاز فى مثل هذا لا يكون ؛ لأن الشىء الذى تكتمه وتطويه إنما أنت خازنٌ له وحافظٌ ؛ فهو ضد للشىء الذى تزيله وتُبْطِله ، والأضداد لا يستعمل أحدها فى موضع الآخر إلا على سبيل المجاز .

٤٣ — ومن خطائه قوله فى وَصْف فَرَس [1] :

(١) من قصيدة يمدح فيها الحسن بن وهب ويصف فرساً حمله عليه (الديوان ٢١٢) وفيه « كأن فلولها »

وَبِشُعْلَةٍ نَبْذٍ كَأَنَّ فَلِيلَهَا فِي صَهْوَتَيْهِ بَدْءُ شَيْبِ الْمَفْرِقِ (١)

قوله « فليلها » يريد ما تفرق منها فى صهوتيه ، والصَّهْوة : موضع اللبد، وهو مقعد الفارس من الفرس ، وذلك الموضع أبداً ينحت شعره لغَمْز السرج إياه فينبت أبيض ؛ لأن الجلد ههنا يرق ، وأنت تراه فى الخيل كلها على اختلاف شِيَاتِها ، وليس بالبياض المحمود ولا الحسن ولا الجميل ؛ فهذا خطأ من هذا الوجه ، وهو خطأ من وجه آخر ، وهو أن جعله شُعْلة ، والشعلة لا تكون إلا فى الناصية أو الذنب ، وهو أن يبيضّ عرضها وناحية منها ، فيقال : فرس أشعل وشعلاء ؛ وذلك عيب من عيوب الخيل ؛ فإن كان ظهر الفرس أبيضَ خلقةً فهو أرحل ، ولا يقال أشعل .

وقد أخذ البحترى قوله « بَدْء شَيْبِ المفرق » فجاء به حسناً جداً ، ثم سلم من العيب ، فقال (٢) :

وَبِشُعْلَةٍ كالشَّيْبِ مَرَّ بِمَفْرِقَيْ غَزِلٍ لَهَا عَنْ شَيْبِهِ بِغَرَامِهِ

فقال « بشعلة » ولم ينصّ على موضعها ، ومعلوم أنه أراد بياضاً فى الناصية ، وقال « مر بمفرقَيْ غَزِلٍ » فأوضح أنه ذلك الموضِعَ أراد ، وقال « لها عن شيبه بغرامه » فأتى بشىء يفوق كل حُسْن ، إلا أن البياض فى الناصية من عيوب

---

(١) الشعلة : بياض فى الفرس ، ونبذ ــ بفتح النون وسكون الباء ــ أراد به مطروحة ، من قولهم : نبذ الشىء ينبذه ــ من باب ضرب ــ إذا طرحه ، والفلول : جمع فل ــ بفتح الفاء وتشديد اللام ــ وأراد به متفرقها ، والفليل ــ فى الرواية الأخرى ــ بمعنى الفل ، فعيل بمعنى مفعول ، والصهوة : مقعد الفارس من الفرس ، والمفرق : الموضع الذى يفترق فيه الشعر من الرأس .

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن عبد الرحمن الحرانى ويصف فرسا (الديوان : ٢ / ٢٥٢) وفيه « فى شعله كالشيب » ، وقبل هذا البيت قوله :

وكأن فارسه وراء قذاله ردف ؛ فلست تراه من قدامه
لانت معاطفه فخيل أنه للخيزران مناسب بعظامه

الخيل ، وكذلك البياض فى الذَّنَب ، ليس بين الناس فى ذلك اختلاف ، ويقال لبياض الناصية أيضاً السعف .

وأيضاً فإن البحترى وصف فرساً أدهم فقال[١] :

جَذْلانُ تَلْطِمُهُ جَوَانِبُ غُرَّةٍ   جاءَتْ مَجِيءَ الْبَدْرِ عِنْدَ تَمَامِهِ

فأى حُسْن يكون لبياض ناصية على بياض غرة ؟

ومن قبيح وَصْف شِيَاتِ الخيل قولُ أبى تمام فى هذا الفرس أيضاً :

مُسْوَدَّ شَطْرٍ مِثْلَ ما اسْوَدَّ الدُّجَى   مُبْيَضُّ شَطْرٍ كابْيِضَاضِ الْمُهْرَقِ[٢]

شَطْر الشيء : جانبه وناحيته ، قال الله عز وجل : (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)[٣] أى ناحيته ، وقد يُراد بالشَّطر نصفُ الشيء ، يقال : قد شاطرتك مالى ، أى : ناصفتك ، فهذا هو الأكثر الأعمُّ فيما يستعملون ، وذلك من أقبح شِيات الأبلق على ظاهر هذا المعنى ، ولم يُرده أبو تمام ، وإنما أراد بالشطر ههنا البعض أو الجزء : أى مسودّ جزء مبيض جزء ؛ فجاء بالشطر لأنها لفظة أحسن من الجزء ومن البعض فى هذا الموضع .

والجيدُ النادر قولُ البحترىّ :

أَوْ أَبْلَقٍ يَلْقَى الْعُيُونَ إذا بَدَا   مِنْ كُلِّ لَوْنٍ مُعْجِبٍ بِنَمُوذَجِ[٤]

---

(١) من نفس القصيدة التى منها البيت السابق (الديوان : ٢ / ٢٥١)

(٢) المهرق : الصحيفة .

(٣) من الآية ١٥٠ من سورة البقرة .

(٤) هذا بيت من قصيدة له يمدح فيها أبا نهشل ويصف فرسا وبغلا (الديوان : ١ / ١٠٢) وجملة « يلقى العيون » صفة لأبلق ، و « بنموذج » يتعلق بيلقى ، و « من كل لون معجب » أصله صفة لنموذج ، وأصل نظام البيت : من كل فرس أبلق يلقى العيون وقت ظهوره بنموذج من كل لون معجب . وقبل هذا البيت قوله:

فأعن على غزو العدو بمنطو   أحشاؤه طى الكتاب المدرج =

وقد جعله أبو تمام فى أول الأبيات أشْعَلَ بقوله « بشعلة » ثم جعله هنا أبلق؛ فهذا الفرس هو الأشعل الأبلق على مذهبه فى هذا التشبيه ، ولا يُنْكر مثلُ هذا من ابتداعاته .

***

= إما بأشقر ساطع أغشى الوغى … منه بمثل الكوكب المتأجج
متسربل شية طلت أعطافه … بدم ؛ فما تلقاه غير مضرج
أو أدهم صافى السواد كأنه … تحت الكمى مظهر بيرندج
ضرم يهيج السوط من شؤبوبه … هيج الجنائب من حريق العرفج
خفت مواقع وطئه ؛ فلوانه … يجرى ببرمة عالج لم يرهج
أو أشهب يقق يضىء وراءه … متن كمتن اللجة المترجرج
تخفى الحجول ولو بلغن لبانه … فى أبيض متألق كالدملج
أوفى بعرف أسود متغربب … فيما يليه وحافر فيروزجى

قال أبو القاسم الحسنُ بن بشرِ بن يَحْيى الآمِدىّ :

قد ذكرتُ فى الجزء الثانى الموازنَةَ بين شعر أبى تمام حبيب بن أوس الطائى وشعر أبى عبادة الوليد بن عبيد الله البحترى ، وخَطَأ أبى تمام فى الألفاظ والمعانى ، وبَيَّضْتُ آخرَ الجزء لألحِقَ به ما يمر من ذلك فى شعره ، وأستدركه من بعدُ فى قصائده .

وأنا أذكر فى هذا الجزء الرَّذْلَ من ألفاظه ، والساقطَ من معانيه ، والقبيحَ من استعاراته ، والمستكْرَهَ المتعقِّدَ من نَسْجه ونَظمه ، على ما رأيت المتأخرين يتذاكرونه ، وينعَوْنَه عليه ويعيبونه ، وعلى أنى وجدتُ لبعض ذلك نظائر فى أشعار المتقدمين فعلمتُ أنه بذلك اغترّ ، وعليه فى العذر اعتمد ؛ طَلَباً منه للاغراق والإبداع ، ومَيْلا إلى وَحْشِىّ المعانى والألفاظ ، وإنما كان يندر من هذه الأنواع المستكرهة على لسان الشاعر المحسن البيتُ أو البيتان يُتَجاوز له عن ذلك ؛ لأن الأعرابى لا يقول إلا على قريحته ، ولا يعتصم إلا بخاطره ، ولا يستقى إلا من قلبه ، وأما المتأخِّر الذى يَطْبع على قوَالِبَ ، ويَحْذو على أمثلة ، ويتعلم الشعر تعلماً ، ويأخذه تلقناً ؛ فمن شأنه أن يتجنَّب المذموم ، ولا يتبع من تقدَّمه إلا فيما استُحْسِن منهم ، واستُجيد لهم ، واختِير من كلامهم ، أو فى المتوسط السالم إذا لم يقدر على الجيد البارع ، ولا يوقع الاحتطابَ والاستكثار مما جاء عنهم نادراً ومن معانيهم شاذاً ، ويجعله حجة له وعذراً ؛ فإن الشاعر قد يُعاب أشدَّ العيب إذا قصد بالصنعة سائرَ شعره ، وبالإبداع جميعَ فنونه ، فإنَّ مُجاهَدة الطبع ومغالبة القريحة مخرِجةٌ سهلَ التأليف إلى سوء التكلفِ وشِدَّةِ التعمُّل ، كما عيب صالحُ بن عبد القدوس وغيرُه ممن سلك هذه الطريقة حتى سقط شعره ؛ لأن لكل شىء حدًّا إذا تجاوزه المتجاوزُ سمى مُفْرِطاً ، وما وقع الإفراط فى شىء إلا شانَه وأعاد إلى الفساد صحتَه ، وإلى القبح حسنَه وبهاءَهُ ، فكيف إذا تتبَّع الشاعرُ ما لا طائل فيه : من

لفظة شنيعة لمتقدم ، أو معنًى وَحْشِيّ فجعله إماماً ، واستكثر من أشباهه ، ووشّح شعره بنظائره ، إنّ هذا لعينُ الخطأ ، وغايةٌ في سوء الاختيار .

***

باب

ما في شعر أبي تمام من قبيح الاستعارات[1]

١ — فمن مَرْذول ألفاظه وقبيح استعاراته قولُه :

يا دَهْــرُ قَوِّمْ مِنْ أَخْدَعَيْكَ فَقَدْ   أَضْجَجْتَ هٰذا الأَنامَ مِنْ خُرُقِكْ[2]

٢ — وقال :

سَأَشْكُرُ فُرْجَةَ اللَّيتِ الرَّخِيِّ   وَلِينَ أَخادِعِ الدَّهْرِ الأَبِيِّ[3]

٣ — وقال :

---

(١) قد ذكر أبو هلال العسكرى في الصناعتين (٢٣٥) جملة من شعر أبي تمام الذى أبعد فيه الاستعارة ، وقد اشترك مع المؤلف في بعض ما ذكره هنا ، وانفرد كل منهما بشيء ، وقال أبو هلال قبل أن يذكر ما ذكره من شعر أبي تمام : « وقد أكثر أبو تمام من هذا الجنس ، اغترارا بما سبق منه في كلام القدماء فأسرف ، فنعى عليه ذلك ، وعيب به ، وتلك عاقبة الإسراف » اهـ . وقال بعد أن أنشد ماجاء به من الأبيات : « وقد جنى أبو تمام على نفسه بالإكثار من هذه الاستعارات، وأطلق لسان عائبه ، وأكد له الحجة على نفسه . واختيارات الناس مختلفة بحسب اختلاف صورهم وألوانهم » اهـ .

(٢) هذا البيت من أبيات يمدح فيها محمد بن الهيثم ويهنئه ببرئه (الديوان ١١٠) وهو أول ماذكره أبو هلال أيضا في الصناعتين (٢٣٥) وأنشده صاحب الوساطة ٦٣ مع أبيات أخرى ذكر أبو تمام فيها لفظ الأخدع ، وقال القاضى الجرجانى قبل إنشادها « وقد أولع بذكر الأخدع فردده في عدة أبيات لم يوفق إلا في واحد منها» وسيأتى للمؤلف الكلام عليه في ص٢١٩ من هذه المطبوعة

(٣) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ٣٤٤) وفيه « أخادع الزمن الأبى» وكان في الأصول «فرجة اللبب» وما أثبتناه عن الديوان ،والفرجة : السعة ، والليت : صفحة العنق ، والأخادع : جمع أخدع ، وهو عرق في العنق ، والأبى : المتكبر ، وانظر الصناعتين (٢٣٦) والوساطة ٦٣

فَضَرَبْتُ الشِّتَاءَ فى أَخْدَعَيْــهِ ضَرْبَةً غَادَرَتْهُ عَوْداً رَكُوبَا[1]

٤ — وقال :

تَرُوحُ عَلَيْنَا كُلَّ يَوْمٍ وتَغْتَدِى خُطُوبٌ كَأَنَّ الدَّهْرَ مِنْهُنَّ يُصْرَعُ[2]

٥ — وقال :

أَلاَ لاَ يَمُدُّ الدَّهْرُ كَفًّا بَسَيِّءٍ إلى مُجْتَدِى نَصْرٍ فَيُقْطَعَ لِلزَّنْدِ[3]

٦ — وقال :

وَالدَّهْرُ أَلأَمُ مَنْ شَرِقْتَ بِلُؤْمِهِ إلاَّ إذا أَشْرَقْتَهُ بِكَرِيمِ[4]

٧ — وقال :

تَحَمَّلْتُ ما لَوْ حُمِّلَ الدَّهْرُ شَطْرَهُ لَفَكَّرَ دَهْراً أَىُّ عِبْأَيْهِ أَثْقَلُ[5]

٨ — وقوله يَصِفُ قصيدة[6] :

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان ٢٧) وفيه « قودار كوبا » وفى الصناعتين (٢٣٦) كما هنا . والقود ـ ومثله العود ـ البعير المسن ، وأراد طيعا منقادا، وتقول: ضربت فلانا فى أخدعيه ، تريد أنك أذهبت كبره وقد رواه فى الوساطة ٦٣ ، وسيأتى مرة أخرى فى ٢٤١ طبعة أولى

(٢) من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان ١٩٠) والصناعتين (٢٣٦) والخطوب : جمع خطب ـ بفتح فسكون ـ وهو النازلة من نوازل الدهر

(٣) من قصيدة له يمدح فيها أبا العباس نصر بن منصور بن بسام (الديوان ١١٥) وكان فى الأصول « كفالىء » و «فتقطع من الزند » وتصويبهما عن الديوان ، وفى الصناعتين (٢٣٦) « تقطع من الزند» وليس بشىء أيضاً؛ إذ من شرط جزم المضارع بعد النهى أن يصح أن تضع قبله أداة شرط مقترنة بلا النافية ويصح المعنى ، وأنت لو قلت « إلا يمد كفه تقطع من الزند » لم يكن الكلام صحيح المعنى .

(٤) من قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم المصعبي (الديوان ٣٠٨) والصناعتين (٢٣٦) والشرق : الغصص بالماء

(٥) من قصيدة له يمدح فيها أبا المستهل محمد بن شقيق الطائى (الديوان ٢٤٥) والصناعتين (٢٣٦) والشطر : النصف. والعبء : الحمل، وسيأتى ذكره مرة أخرى فى ص ٢٤١ طبعة أولى

(٦) من أبيات له يمدح فيها جعفرا الخياط (الديوان ١٦٠) والصناعتين (٢٣٦) وفيهما « تحل بقاع المجد » والمغفر : زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة

تَحُلُّ يَفَاعَ الْمَجْدِ حَتَّى كَأَنَّهَا ... عَلَى كُلِّ رَأْسٍ مِنْ يَدِ الْمَجْدِ مِغْفَرُ
لَهَا بَيْنَ أَبْوَابِ الْمُلُوكِ مَزَامِرٌ ... مِنَ الذِّكْرِ لَمْ تَنْفُخْ وَلَا هِيَ تَزْمُرُ

٩ — وقوله[1] :

بِهِ أَسْلَمَ الْمَعْرُوفُ بِالشَّامِ بَعْدَمَا ... ثَوَى مُنْذُ أَوْدَى خَالِدٌ وَهْوَ مُرْتَدُّ
أَمَا وَأَبِي أَحْدَاثِهِ إِنَّ حَادِثًا ... حَدَا بِي عَنْكَ الْعِيسَ لَلْحَادِثُ الْوَغْدُ

١٠ — وقوله[2] :

جَذَبْتُ نَدَاهُ غَدْوَةَ السَّبْتِ جَذْبَةً ... فَخَرَّ صَرِيعًا بَيْنَ أَيْدِي الْقَصَائِدِ

١١ — وقوله[3] :

لَوْ لَمْ تُفِتْ مُسِنَّ الْمَجْدِ مُذْ زَمَنٍ ... بِالْجُودِ وَالْبَأْسِ كَانَ الْجُودُ قَدْ خَرِفَا

١٢ — وقوله[4] :

لَدَى مَلِكٍ مِنْ أَيْكَةِ الْجُودِ لَمْ يَزَلْ ... عَلَى كَبِدِ الْمَعْرُوفِ مِنْ فِعْلِهِ بَرْدُ

---

(١) من قصيدة يمدح فيها محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان ١٢١) وثانيهما فيه قبل أولها بأربعة عشر بيتا، وأنشد أولها فى الصناعتين(٢٣٦)وأسلم : انقاد وخضع ، أو صار مسلما ، وثانيهما أتم مقابلة لقوله « وهو مرتد » فى آخر البيت ، وثوى : أقام فى مكانه ولم يبرحه ، وأودى : هلك ، وأراد بخالد خالد بن يحيى البرمكى ، والمرتد : الخارج عن دينه ، وحدا : من الحداء ـ بضم الحاء ـ وهو الغناء للابل ، وأراد صرفنى عنك ، والوغد : اللئيم .

(٢) من قصيدة يمدح فيها خالد بن يزيد الشيبانى (الديوان ٩٥) والندى : المعروف والكرم ، والصريع : الطريح .

(٣) من قصيدة له يمدح فيها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلى (الديوان ٢٠٤) وأنشد آخره فى الصناعتين (٢٣٦) وفيهما « كان المجد قد خرفا » وتفت : تصيره، فتى بعد أن فات سن الفتاء والشباب ، والمسن : اسم الفاعل من « أسن الرجل » إذا طعن فى السن ،والبأس : الشدة.

(٤) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن الهيثم بن شبابة(الديوان ١٢١)والصناعتين (٢٣٧) وفيه « إلى ملك » و « من نيله برد » وأصل الأيكة : الشجرة .

١٣ ـ وقوله[1] :

فِي غُلَّةٍ أَوْقَدَتْ عَلَى كَبِدِ الـ ... ـنَّائِلِ نَاراً أَخْنَتْ عَلَى كَبِدِهِ

١٤ ـ وقوله[2] :

حَتَّى إذا اسْوَدَّ الزَّمَانُ تَوَضَّحُوا ... فِيهِ فَغُودِرَ وَهْوَ مِنْهُمْ أَبْلَقُ

١٥ ـ وقوله[3] :

إِيثَارَ شَزْرِ الْقُوَى رَأَى جَسَدَ الْـ ... ـمَعْرُوفِ أَوْلَى بِالطِّبِّ مِنْ جَسَدِهْ

١٦ ـ وقوله[4] :

وَمَا ذُكِرَ الدَّهْرُ الْعَبُوسُ بِأَنَّهُ
لَهُ ابْنٌ كَيَوْمِ السَّبْتِ إِلاَّ تَبَسَّمَا

١٧ ـ وقوله[5] :

وَكَمْ أَحْرَزَتْ مِنْكُمْ عَلَى قُبْحِ قَدِّهَا
صُرُوفُ النَّوَى مِنْ مُرْهَفٍ حَسَنِ الْقَدِّ

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها خالد بن يزيد الشيبانى (الديوان ٩٥) والصناعتين (٢٣٧) وكان فى الأصول «فى علة» بالعين المهمله، وإعجامها عنهما وهو الصواب. والغلة ـ بضم الغين المعجمة ـ حرارة الجوف ، وأخنت : أهلكت

(٢) من قصيدة له يهجو فيها عتبة بن أبى عاصم (الديوان ٥٠٠) وفيه « بيض إذا اسود الزمان » وورد فى الصناعتين (٢٣٧) كما هنا

(٣) من مدحته فى خالد بن يزيد الشيبانى (الديوان ٩٥) والإيثار : التفضيل، والشزر : الشديد ، والقوى : جمع قوة ، والطب : العلاج

(٤) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد (الديوان ٢٩٧) وفيه « فما ذكر الدهر »

(٥) من قصيدة له يمدح فيها موسى بن إبراهيم الرافقى ويعتذر إليه (الديوان ١٢٧) والصناعتين (٢٣٧) وفيه « وكم ملكت منا على قبح قدها » و «صروف الردى » وأحرزت وملكت بمعنى ، والقد : القوام ، وصروف النوى : تصرفات البعد ، والمرهف : الرقيق .

١٨ — وقوله يصف الأرض [١] :

إِذَا الْغَيْثُ غَادَى نَسْجَهَا خِلْتُ أَنَّهُ   مَضَتْ حِقْبَةٌ حَرْسٌ لَهُ وَهْوَ حَائِكُ

١٩ — وقوله [٢] :

وَلاَ جُتُذِبَتْ فُرُشٌ مِنَ الأَمْنِ تَحْتَكُمْ

هِيَ المُثْـــلُ فِي لِينٍ بِهَا وَالأَرَائِكُ

٢٠ — وقوله [٣] :

إِذاً لِلمُبْتَسِمْ عارَ دَهْرٍ كَأَنَّمَا   لَيَالِيهِ مِنْ بَيْنِ اللَّيَالِي عَوَارِكُ

٢١ — وقوله يرثى غالباً [٤] :

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان ٢٢٤) والصناعتين (٢٣٧) وفيهما « إذا الغيث غادى نسجه » والغيث : المطر ، وغادى : أتاه غدوة ، وخلت : ظننت ، والضمير فى «أنه» يعود إلى الغيث، والحقبة : المدة . وتقول : مضى على فلان حرس من الدهر ، ومضت عليه أحراس منه ، وأراد هنا حقبة مديدة كامتداد الدهر

(٢) من مدحته فى أبى سعيد (الديوان ٢٢٥) وفيه « ولا ستلبت فرش من الأمن » وقبل هذا البيت قوله :

ولولا تقاه عاد بيضا مفلقا   بأدحية بيض الخدور الترائك
ولاصطفيت شول فظلت شواردا   قروم عشار ما لهن مبارك
إذا للمبتسم عار دهر كأنما   لياليه من بين الليالى عوارك

والأدحية : المكان تبيض فيه النعام فى الرمل ، وبيض الخدور : أراد به النساء الحسان ، والترائك : التى تركت بغير أزواج ، واصطفيت : اختيرت وانتجبت ، والشول : الخفيفة اللبن المرتفعة الثدى ، والقروم : الفحول ، والعوارك : الحائضات

(٣) هذا هو البيت الذى قبل البيت السابق فى المدحة ، وانظر الهامشة السابقة

(٤) من قصيدة له يرثى فيها محمد بن الفضل الحميرى ، وليس — كما قال المؤلف — يرثى فيها غالبا ، وله قصيدة تقع فى ترتيب الديوان قبل هذه يرثى فيها غالبا الصفدى (الديوان ٣٥٤) والصناعتين (٢٣٧)

أَنْزَلَتْهُ الأَيَّامُ عَنْ ظَهْرِهَا مِنْ بَعْدِ إِثْبَاتِ رِجْلِهِ فِى الرِّكَابِ

٢٢ — وقوله(٢) :

كَأَنَّنِي حِينَ جَرَّدْتُ الرَّجَاءَ لَهُ غَضًّا صَبَبْتُ لَهَا مَاءً عَلَى الزَّمَنِ

٢٣ — وقوله يصف فرساً(٣) :

فَكَأَنَّ فَارِسَهُ يُصَرِّفُ إِذْ بَدَا فِي مَتْنِهِ ابْنًا لِلصَّبَاحِ الأَبْلَقِ

وأشباه هذا مما إذا تتبّعته فى شعره [وجدته] ؛ فجعل كما ترى ـ مع غثاثة هذه الألفاظ ـ للدهر أخدَعا ، ويدًا تُقطع من الزند ، وكأنه يُصْرَع ، ويحل ، ويشرق بالكرام ، ويتبسم ، وأن الأيام تنزله ، والزمان أبلق ، وجعل للمدح يدا ، ولقصائده مزامر إلا أنها لا تنفخ ولا تزمر ، وجعل المعروف مُسْلماً تارةً ومرتداً أخرى ، والحادثَ وَغْداً ، وجَذَب ندى الممدوح بزعمه جذبةً حتى خر صريعاً بين يدى قصائده ، وجعل المجد مما يحقد عليه الخوف ، وأن له جسداً وكبدا ، وجعل لصروف النوى قدًّا ، وللأمن فُرُشاً ، وظن أن الغيث كان دهراً حائكا ، وجعل للأيام ظهرا يركب ، والليالى كأنها عوارك ، والزمان كأنه صُبَّ عليه ماء ، والفرس كأنه ابن الزمان الأبلق ، وهذه استعارات فى غاية القَبَاحة والهَجَانة والبعد من الصواب

وإنما استعارت العربُ المعنى لما ليس له إذكان يقاربه : أو يدانيه ، أو يشبهه فى بعض أحواله ، أوكان سبباً من أسبابه ؛ فتكون اللفظة المستعارة

(١) من قصيدة له يمدح فيها أبا الحسن على بن مرة (الديوان ٣٣٤) وقد ورد فيه البيت هكذا :

كَأَنَّنِي حِينَ جَرَّدْتُ الرَّجَاءَ لَهُ غَضًّا أَخَذْتُ بِهِ سَيْفاً مِنَ الزَّمَنِ

وما أرى مافى الأصل إلا محرفا عن هذا

(٢) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب ويصف فرسا حمله عليه (الديوان ٢١٢) وفى الصناعتين (٢٣٧) :

* وكأن فارسه يصرف إذ غدا *

حينئذ لائقة بالشيء الذى استعيرت له، وملائمة لمعناه، نحو قول امرئ القيس (١) :

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِجَوْزِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءَ بِكَلْكَلِ

وقد عاب امرأ القيس بهذا المعنى مَنْ لم يعرف موضوعات المعانى ولا المجازات، وهو فى غاية الحسن والجودة والصحة، وهو إنما قَصَدَ وَصْفَ أجزاء الليل الطويل فذكر امتداد وَسَطه، وتثاقُلَ صدره للذهاب والانبعاث، وترادُفَ أعجازه وأواخره شيئاً فشيئاً، وهذا عندى منتظم لجميع نعوت الليل الطويل على هيئته، وذلك أشد ما يكون على مَنْ يُراعيه ويترقَّب تَصَرُّمه، فلما جعل له وَسَطا يمتد وأعجازا رادفة للوسط وصَدْرا متثاقلا فى نهوضه حَسُن أن يستعير للوسط اسم الصُّلب، وجعله متمطِّياً من أجل امتداده؛ لأن تمطَّى وتمدَّد بمنزلة واحدة، وصلح أن يستعير للصدر اسم الكَلْكَل من أجل نهوضه، وهذه أقرب الاستعارات من الحقيقة، وأشَدُّ ملاءَمَةً لمعناها لما استعيرت له

وكذلك قول زهير (٢) :

* وَعُرِّىَ أَفْرَاسُ الصِّبَا وَرَوَاحِلُهْ *

لما كان من شأن ذى الصِّبا أن يوصف أبدا بأن يقال : رَكِب هَوَاه، وجَرَى فى مَيْدَانه، وجَمَحَ فى عِنانه، ونحو هذا، حسُن أن يُسْتعار للصبا اسم الأفراس، وأن يجعل النزوع أن تُعَرَّى أفراسُه ورواحله، وكانت هذه الاستعارة أيضا من أليَقِ شيء بما استعيرت له

---

(١) سبق هذا البيت (انظر ص ١٧ من هذا الكتاب) والصناعتين (٢١٧) وذكره قدامة فى نقد الشعر، عند الكلام على المعاظلة على أنه من الاستعارة التى لا شناعة فيها ص ٦٧ الآستانة ١٣٠٢، وارجع إلى ما ذكرناه من المراجع فى ١٧

(٢) هذا عجز بيت، وصدره قوله :

* صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله *

وقد سبق ذكره كاملا (انظر ص ١٧ من هذا الكتاب) والصناعتين (٢١٧) وانظره فى نقد الشعر ٦٧ الآستانة ثم ارجع إلى ما سبق ذكره فى ص ١٧ من المراجع

ونحو ذلك قول طُفَيل الغَنَوى[1] :

وَجَعَلْتُ كُورِى فَوْقَ نَاجِيَةٍ ... يَقْتَاتُ شَحْمَ سَنَامِهَا الرَّحْلُ

لما كان شَحْمُ السنام من الأشياء التى تُقْتات، وكان الرَّحْلُ أبداً يتخوفه[2]، وينتقص منه، ويذيبه — كان جعلُه إياه قوتاً للرحل من أحسن الاستعارات وأليقها بالمعنى

وكذلك قول عمرو بن كلثوم[3] :

ألاَ أَبْلِغِ النُّعْمَانَ عَنِّى رِسَالَةً ... فَمَجْدُكَ حَوْلِىٌّ وَلُؤْمُكَ قَارِحُ

لما جعل مجدَه حديثاً غيرَ قديم حَسُن أن يقول « حَوْلى » لأن العرب إذا نسبت الشىء إلى الصغر وقِصَر المدة قالوا: حَوْلِىٌّ ؛ لأن أقل عدد الأحوال — وهى السنون — حَول واحد ، ولهذا قال حسان :

لَوْ يَدِبُّ الْحَوْلِىُّ مِنْ وَلَدِ الْـ ... ـذَرِّ عَلَيْهَا لَأَنْدَبَتْهَا الْكُلُومُ[4]

لم يرد بالحولىّ من ولد الذّرّ ما أتى عليه الحول ، ولكنه أراد بالحولى أصْغَرَ ما يكون من الذر ، وإنما أخذ ذلك من قول امرىء القيس :

مِنَ الْقَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَوْ دَبَّ مُحْوِلٌ ... مِنَ الذَّرِّ فَوْقَ الإِتْبِ مِنْهَا لأَثَّرَا[5]

---

(١) أنشده قدامة فى نقد الشعر (٦٧) وفيه « وحملت كورى » وأبو هلال فى الصناعتين (٢١٨) والشريشى ١/٤١٥ والكور : الرحل ، ويقال : هو الرحل بأداته ، والناجية : السريعة ، وأراد بها الناقة (٢) يتخوفه : ينتقصه ، ومثله قول الشاعر : تخوف الرحل منها تامكا قردا ... كما تخوف عود النبعة السن

(٣) أنشده فى الصناعتين (٢١٩) وفى نقد الشعر (٦٧) والقارح من ذى الحافر : بمنزلة البازل من البعير ، وأراد أن مجده حديث ولؤمه قديم مسن

(٤) أندبتها : جرحتها ، والكلوم : جمع كلم — بفتح الكاف وسكون اللام — وهو الجرح ، وانظره مع كلمة هو منها فى سيرة ابن هشام (٣ — ١٢١ بتحقيقنا) وانظره وحده فى حيوان الجاحظ ٤/١٦ وفى معناه يقول عمر بن أبى ربيعة المخزومى:

لو دب ذر فوق ضاحى جلدها ... لأبان من آثارهن حدور

وأبان: فعل ماض لازم معناه ظهر، وفاعله قوله « حدور » ومثله فى المعنى قول حميد بن ثور:

منعمة لو يصبح الذر ساريا ... على جلدها بضت مدارجه دما

(٥) أنشده الجوهرى فى الصحاح (ح و ل) وأبو هلال فى الصناعتين (٢٨٣) والإتب — بكسر الهمزة وسكون التاء — ثوب يشق من وسطه فتلقيه المرأة فى عنقها من غير كم ولا جيب ، وائتتبت الجارية : لبست الإتب ، قال الكميت :

وقد لقيت ظباء الإنس غادية ... من كل أحور بالمكى مؤتتب

ومما يدل على صحة هذا المعنى وأنَّ الحولىَّ إنما يراد به الصِّغَر دون معنى الحول قولُ الراجز[١]

* واستَبَقَتْ تَخْذِف حَوْلِىَّ الحَصَى *

فأراد بحولىّ الحصى أصْغَره ، وقولُ الآخر أنشده ثعلب :

تلقَّط حَوْلِىَّ الحَصَى فى مَنازِلٍ مِنَ الحَىِّ أضْحَتْ بِاللَّحَيَّيْنِ بَلْقَعا[٢]

ولما جعل لؤمه قديما حسن أن يقول « قارح »

ونحو ذلك قول أبى ذؤيب :

وَإذا الْمَنِيَّةُ أنْشَبَتْ أظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لا تَنْفَعُ[٣]

لما كانت المنية – إذا نزلت بالإنسان خالطته – صحَّ أن يقال : نشبت فيه ، وصح أن يستعار لهسا اسمُ الأظفارِ ؛ لأن النشوب قد يكون بالظفر . وعلى هذا جاءت الاستعارات فى كتاب الله تعالى اسمه ، نحو قوله عز وجل : (وَاشْتَعَلَ الرأسُ شَيْباً)[٤] لما كان الشيب يأخذ فى الرأس ويسعى فيه شيئاً فشيئاً حتى يُحيله إلى غير حالهِ الأولى كالنار التى تشتعل فى الجسم من الأجسام فتُحيله إلى النقصان والاحتراق ، وكذلك قوله تعالى : (وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ)[٥] لما كان انسلاخ الشيء من الشيء وهو أن يتبرأ منه ويتزيَّلَ منه حالا

(١) فى أصول الكتاب «واستبقت تخذب» وهو تحريف : وتقول ، هذه دابة سريعة تخذف بالحصى ، وهذه كناية عن شدة سيرها

(٢) حولى الحصى : صغاره ، كما قال المؤلف . واللحيين : موضع ، والبلقع : الخالى الذى لا أنيس به

(٣) من مرثيته فى بنيه . وانظره فى الجمهرة (١٢٨ بولاق) وفى المفضليات (٢ / ٢٢٢) وأنشبت أظفارها : أعلقتها ، والتميمة : التعويذة ، وانظر الصناعتين (٢١٩) فقد أورد صدره ، ونقد الشعر ٦٧ الآستانة

(٤) من الآية ٤ من سورة مريم ، وانظر (ص ١٧ من هذا الكتاب)

(٥) من الآية ٣٧ من سورة يس ، وانظر (ص ١٧ من هذا الكتاب) أيضا

فحالا كالجلد من اللحم وما شاكلها جعل انفصال النهار عن الليل شيئاً فشيئاً حتى يتكامل الظلام انسلاخا ، وكذلك قوله عز وجل : (فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ)[١] لما كان الضرب بالسَّوْط من العذاب استعير للعذاب سوط .

فهذا مَجْرَى الاستعارات فى كلام العرب

وأما قول أبى تمام « ولين أخادع الزمن الأبى » فأى حاجة إلى الأخادع حتى يستعيرها للزمن ؟ وكان يمكنه أن يقول : ولين معاطف الدهر الأبى ، أو لين جوانب الدهر ، أو خلائق الدهر ، كما تقول : فلان سَهْــلُ الخلائق، ولين الجوانب ، ومُوَطَّأ الأكناف ، ولأن الدهر قد يكون سَهْلا وحَزْناً ولينا وصعبا على قدر تَصَرُّف الأحوال فيه ؛ لأن هذه الألفاظ كانت أولى بالاستعمال فى هذا الموضع ، وكانت تنوب عن المعنى الذى قَصَدَه ويتخلص من قبح الأخادع ؛ فإن فى الكلام مُتَّسعاً ، ألا ترى إلى قوله ما أحسنه وما أوْضَحَهُ[٢] :

لَيَالِىَ نَحْنُ فى وَسَنَاتِ عَيْشٍ كأَنَّ الدَّهْرَ عَنَّا فى وَثَاقِ
وَأَيَّاماً لَنَا وَلَهُ لِدَاناً غَنِينَا فى حَوَاشِيهَا الرِّقَاقِ

فاستعار للأيام الحواشِىَ ، وقوله[٣] :

أَيَّامُنا مَصْقُولَةٌ أَطْرَافُهَا بِكَ ، وَاللَّيَالِى كُلُّهَا أَسْحَارُ

وأبلغ من هذا وأبعد من التكلف وأشبه بكلام العرب قوله[٤] :

---

(١) من الآية ١٣ من سورة الفجر

(٢) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ٢١٥) والصناعتين (٢٢٢) وصدر الأول فيهما « سنبكى بعده غفلات عيش » وكان صدر الثانى فى الأصول « وأيام لنا وله لدان » وتصويبه عن الديوان .

(٣) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد (الديوان ١٤٨) ، وفيه « مصقولة إسرافها » ومصقولة : مجلوة .

(٤) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المعتصم بالله (الديوان ١٥٨) والسوام: جمع السائمة ، وهى المواشى الراعية ، وتذعر ـ بالبناء للمجهول ـ تخوف .

سَكَنَ الزَّمَانُ فَلاَ يَدٌ مَذْمُومَةٌ   لِلْحَادِثَاتِ وَلاَ سَوَامٌ تُذْعَرُ

فقد تراه كيف يَخْلِطُ الحسنَ بالقبيح، والجيدَ بالردى، وإنما قبح الأخادع[(١)] لمَّا جاء به مستعارا للدهر، ولو جاء فى غير هذا الموضع أو أتى به حقيقة ووضعه فى موضعه ما قبح، نحو قول البحترى :

* وَأَعْتَقْتَ مِنْ ذُلِّ الْمَطَامِعِ أَخْدَعِى[(٢)] *

ونحو قوله :

* وَلاَ مَالَتْ بِأَخْدَعِكَ الضِّيَاعُ[(٣)] *

وممَّا يزيد على [كل] جَيِّد قولُ الفرزدق :

وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ   ضَرَبْنَاهُ حَتَّى تَسْتَقِيمَ الأَخَادِعُ

فأما قوله « فضربت الشتاء فى أخدعيه[(٤)] » فإن ذكر الأخدعين — على قبحهما — أسْوَغُ ؛ لأنه قال « ضربةً غادرته عَوْداً رَكوباً » وذلك أن العَوْدَ المسِنُّ من الإبل يُضْرَب على صفحتى عنقه فيذل ؛ فقربت الاستعارة ههنا من

---

(١) فى الأصول « وإنما قرب الأخادع » والمقام يقتضى ما أثبتناه

(٢) هذا عجز بيت ، وصدره قوله :

* وإنى — وإن أبلغتنى شرف العلى *

وهذا بيت من قصيدة له يمدح فيها الفتح بن خاقان (الديوان : ٢ / ٨٠) وفيه « رق المطامع » وبعد هذا البيت قوله :

فما أنا بالمغضوض عما أتيته   إلى ، ولا الموضوع فى غير موضعى

(٣) هذا عجز بيت ، وصدره قوله :

* فما رفع التصفح منك طرفا *

وهذا آخر بيت من كلمة يمدح فيها إبراهيم بن المدبر (الديوان : ٢ / ٨٣)

(٤) ارجع إلى ص ٢٠٨ من هذا الكتاب .

الصواب قليلا ، ومن القبيح فى هذا قوله[(١)] :

يَا دَهْرُ قَوِّمْ مِنْ أَخْدَعَيْكَ فَقَدْ   أَضْجَجْتَ هٰذَا الأَنَامَ مِنْ خُرُقِكْ

أىُّ ضرورةٍ دعته إلى الأخدعين ؟ وكان يمكنه أن يقول «من اعوجاجك» أو « قوم ما تعوج من صنعك » أى : يا دهر أَحْسِنْ بنا الصنيع ؛ لأن الأَخْرَقَ هو الذى لا يُحْسِن العملَ ، وضده الصَّنَعُ ، وكذلك قوله[(٢)] :

تَحَمَّلْتُ مَا لَوْ حُمِّلَ الدَّهْرُ شَطْرَهُ   لَفَكَّرَ دَهْراً أىُّ عِبْأَيْهِ أَثْقَلُ

فجعل للدهر عقلا ، وجعله مفكراً فى أى العبأين أثقل ، وما معنًى أبعد من الصواب من هذه الاستعارة ، وكان الأشبهُ والأليقُ بهذا المعنى لما قال «تحملت مالو حمل الدهر شطره » أن يقول: لتضعضع ، أو لانهدّ ، أو لأمن الناس صروفه ونوازله ، ونحو هذا مما يعتمده أهلُ المعانى فى البلاغة والإفراط ، وإنما رأى أبو تمام أشياء يسيرةً من بعيد الاستعارات متفرقةً فى أشعار القدماء كما عرفتك لا تنتهى فى البعد إلى هذه المنزلة ، فاحتذاها ، وأحبَّ الإبداع ، وأغرق فى إيراد أمثالها ، واحتطب ، واستكثر منها ، فمن ذلك قولُ ذى الرمة :

تَيَمَّمْنَ يَافُوخَ الدُّجَى فَصَدَعْنَهُ   وَجَوْزَ الفَلَا صَدْعَ السُّيُوفِ القَوَاطِعِ

فجعل للدجى يا فوخا ، وقولُ تأبط شراً :

نَحُزُّ رِقَابَهُمْ حَتَّى نَزَعْنَا   وَأَنْفُ المَوْتِ مَنْخِرُهُ رَثِيمُ

فجعل للموت أنفاً ، وقولُ ذى الرمة :

يُعِزُّ ضِعَافَ القَوْمِ عِزَّةَ نَفْسِهِ   وَيَقْطَعُ أَنْفَ الكِبْرِيَاءِ عَنِ الكِبْرِ

فجعل للكبرياء أنفاً ، وقال معقل بن خويلد الهذلى[(٣)] ، أو غيرُه :

تُخَاصِمُ قَوْماً لا تَلَقَّى جَوَابَهُمْ   وَقَدْ أَخَذَتْ مِنْ أَنْفِ لِحْيَتِكَ اليَدُ

---

(١) ارجع إلى ص ٢٠٨ من هذا الكتاب .

(٢) ارجع إلى ص ٢٠٩ من هذا الكتاب .

(٣) نسبة فى اللسان (أن ف) عن ابن سيده ، إلى أبى خراش الهذلى .

فجعل للحية أنفاً: أى قبضتَ يدكَ على طرف لحيتك كما يفعل النادمُ أو المهمومُ، وما أظن ذا الرمة أراد بالأنف إلا أولَ الشىء والمتقدمَ منه ، كما قال يصف الحمار:

إذَا شَمَّ أنفَ الضَّيْفِ أَلْحَقَ بَطْنَهُ مِرَاسُ الأَوَاسِى وَامْتِحَانُ الكَرَائِم

وقال أبو العباس عبد الله بن المعتز فى كتاب سرقات الشعراء : وهذا البيت غرَّ الطائىَّ حتى أتى بما أتى به ، وإنما أراد ذو الرمة بقوله « أنف الضيف » كقولهم « أنف النهار » : أى أوله ، قال امرؤ القيس :

قَدْ غَدَا يَحْمِلُنِى فى أنْفِهِ لاحِقُ الإطْلَيْنِ مَحْبُوكٌ مُمَرّ[1]

وقوله « فى أنفه » أى فى أول جريه وأشده ، ويقال « فى أنفه » فى أنف الغَيْثِ الذى ذكره فى أوله ، يقول : لم يطأ هذا الغيث أحد قبلى ، ولم يذهب هذا الشاعر حيث ذهب أبو العباس ، وكذلك قول أعرابى يصف البرق :

إذا شَمَّ أنفَ اللَّيْلِ أوْمَضَ وَسْطَهُ سَنًا كابْتِسَامِ العَامِرِيَّةِ شَاغِفُ

إنما أراد إذا اشتمَّ أول الليل، وقال آخر أنشدَناه الأخفش عن ثعلب يذم رجلا :

مَا زَالَ مَذْمُوماً عَلَى اسْتِ الدَّهْرِ ذَا حَسَدٍ يَنْمِى وَعَقْلٍ يَجْرِى

فجعل للدهر استا ، وقول شاتم الدهر وهو أحد شعراء عبد القيس :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الدَّهْرَ وَعْراً سَبِيلُهُ وَأَبْدَى لَنَا ظَهْراً أجَبَّ مُسَلَّعَا

وَمَعْرَفَةً حَصَّاءَ غَيْرَ مُفَاضَةٍ عَلَيْهِ وَلَوْناً ذَا عَثَانِينَ أجْمَعَا

وَجَبْهَةَ قِرْدٍ كالشِّرَاكِ ضَئِيلَةً وَصَعَّرَ خَدَّيْهِ وَأَنْفاً مُجَدَّعَا

فجعل للدهر ظهراً أجبَّ ، ومعرَفَةً حصَّاء ، ولوناً ذا عثانين ، وشبه جبهته بجبهة قرد ، وجعل أنفه أنفاً مجدعاً ، وهذا الأعرابى إنما ملّح بهذه الاستعارات فى هجائه للدهر ، وجاء بها هازئاً ، ومثل هذا فى كلامهم قليل جداً ، ليس مما يعتمد ويجعل أصلا يُحْتَذَى عليه ويستكثر منه .

---

(١) انظره فى العقد الثمين (٧٥) وكان فى الأصول « لاحق الأصلين »

(٢) المعرفة — بفتح الميم وفتح الراء — موضع العرف من الفرس ، وحصاء : قد ذهب شعرها .

٢٤ — ومن ردىء استعاراته وقبيحها وفاسدها قوله :

لَمْ تُسْقَ بَعْدَ الْهَوَى ماء أقلَّ قَذًى مِنْ ماء قافِيَةٍ يَسْقِيكَهُ فَهِمُ[١]

فجعل للقافية ماء على الاستعارة ؛ فلو أراد الرونَقَ لصلح ، ولكنه قال « يسقيكه » فبئس معنى الرونق ؛ لأنك إذا قلت « هذا ثوب له ماء » لم تجعل الماء مشروبا فتقول : ما شربت ماء أعذب من ماء ثوب شربته عند فلان ، ورأيته على فلان الملك ، وكذلك لا تقول : ما شربت ماء أعذب من ماء « قِفَا نَبْك » ، أو أعذب من ماء كذا ؛ لأن للاستعارة حدا تصلح فيه ، فإذا جاوزته فسدت وقبحت ، فأما قولهم «فلان حلو الكلام» و «عذب المنطق» أو « كأن ألفاظه فُتَاتَ السكَّر » فهذا كلام الناس على هذه السياقة ، وليس يريدون حلاوة على اللسان ، ولا عذوبة فى الفم ، وإنما يريدون عذبا فى النفوس ، وحُلْواً فى القلوب ، كما قال :

يَسْتَنْبِطُ الرُّوحَ اللَّطِيفَ نَسِيمُهَا أرَجاً ، وتُؤكَلُ بالضَّمِيرِ وتُشْرَبُ[٢]

وكذلك قولهم « حلو المنظر » إنما يريدون حلاوة فى العين ، ولا تقول : ما ذقت أحلى من كلام فلان ، ولا شربت أعذب من ألفاظ عمرو ؛ لأن هذا القول صيغة الحقيقة ، لا الاستعارة ، ولكن يقال : هذا كلام يصلح أن يُتَنَقَّل به ، وزيد يُشْرَب مع الماء لحسن أخلاقه وحلاوته ، وعمرو يؤكل ويشرب لرقة

---

(١) لا يوجد هذا البيت فى ديوان أبى تمام المطبوع .

(٢) هذا رابع بيت من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب ويصف غلاما أهداه له (الديوان ٣٩) والأبيات التى قبله هى قوله :

لمكاسر الحسن بن وهب أطيب وأمر فى حنك الحسود وأعذب
وله — إذا خلق التخلق أونبا — خلق كروض الحزن أو هو أخصب
ضربت به أفق الثناء ضرائب كالمسك يفتق بالندى ويطيب

وسيتكلم المؤلف على البيت الأول من هذه الأبيات قريبا فى ص ٢٢٢ .

طبعه ، ولا تقول : ما شربت أعذب من عمرو ، ولا ما أكلت أحلى من عبد الله ، فاعلم هذا ؛ فإن حدود الاستعارة معلومة .

فأما قوله :

لَمَكاسِرُ الْحَسَنِ بْنِ وَهْبٍ أَطْيَبُ وَأَمَرُّ فِي حَنَكِ الْحَسُودِ وَأَعْذَبُ[١]

فالمكاسر : الأخلاق ، وإنما أراد أمرّ فى حنك العدو إذا نطق بها ، أو أمر فى حنكه أن يذكرها ، أو يخبر بها ، وأعذب فى حنك وليه ووَدِيدِه إذا سترها ، وكما قال زُهَير[٢] :

تُلَجْلِجُ مُضْغَةً فِيهــا أَنِيضٌ أَصَلَّتْ فهْىَ تَحْتَ الْكَشْحِ داءُ

لأنه أراد كلمة فصلح أن يقول أنيض : أى لم تنضج ، وأصلَّت : تغيرت وأنتنَتْ ، ذلك لما جعلها مضغة أى لقمة فى فيه ؛ فهذا طريق الاستعارة فيما يصلح ويفسد ؛ فتفهمه فإنه واضح .

وأما قوله :

لا تَسقِنِى ماءَ الْمَلامِ فَإِنَّنِى صَبٌّ قدِ اسْتَعْذَبْتُ ماءَ بُكائى[٣]

فقد عِيبَ ، وليس بعيب عندى ؛ لأنه لما أراد أن يقول « قد استعذبت ماء بكائى » جعل للملام ماء ؛ ليقابل ما أراد وإن لم يكن للملام ماء على الحقيقة ، كما قال الله عز وجل : (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها[٤]) ومعلوم أن الثانية ليست بسيئة ، وإنما هى جزاء عن السيئة ، وكذلك : (إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ

---

(١) هذا هو أول الأبيات الأربعة التى منها البيت السابق فى ص ٢٢١

(٢) من قصيدة طويلة يقولها فى شأن رجل من بنى عبد الله بن غطفان (انظر العقد الثمين ٣٠) وقد مر ذكره (ص ٧٦ من هذا الكتاب)

(٣) هذا ثانى بيت من قصيدة له يمدح فيها يحيى بن ثابت (الديوان ٢) والبيت الذى قبله قوله :

قدك اتئب أربيت فى الغلواء كم تعذلون وأنتم سجرائى

(٤) من الآية ٤٠ من سورة الشورى .

مِنْـكُمْ[1]) والفعل الثانى ليس بسُخْرِية ، ومثلُ هذا فى الشعر والـكلامِ كثير مستعمل ، فلما كان مجرى العادة أن يقول قائل : أغلظت لفلان القول ، وجرّعته منه كأساً مرة ، وسقيته منه أمرّ من العلقم ، وكان الملامُ مما يُستعمل فيه التجرع على الاستعارة ــ جعل له ماء على الاستعارة ، ومثل هذا كثير موجود

وقد احتج محتج لأبى تمام فى هذا بقول ذى الرمة :

أَدَاراً بِحُزْوَى هِجْتِ لِلْعَيْنِ عَبْرَةً   فَمَاءُ الهَوَى يَرْفَضُّ أَوْ يَتَرَقْرَقُ

وقول الآخر :

وكأسٍ سَبَاهَا التَّجْرُ مِنْ أَرْضِ بابِلٍ

كَرِقَّةِ ماءِ العَيْنِ فى الأَعْيُنِ النُّجْلِ

وهذا لا يشبه ماء الملام ؛ لأن ماء الملام استعارة ،وماء الهوى ليس باستعارة؛ لأن الهوى يُبكى ؛ فتلك الدموع هى ماء الهوى على الحقيقة ، وكذلك البين يبكى ؛ فتلك الدموع هى ماء البين على الحقيقة

فإن قيل : فإن أبا تمام أبكاه الملام ، والملام قد يبكى على الحقيقة ؛ فتلك الدموع هى ماء الملام على الحقيقة

قيل : لو أراد أبو تمام ذلك لما قال « قد استعذبت ماء بكائى » لأنه لو بكى من الملام لـكان ماء الملام هو ماء بكاء أيضاً ، ولو يكن يَسْتَغْنِى منه

٢٥ ــ ومن ردىء استعاراتِه ، وقبيحها قولُه :

مُقَصَّرٌ خُطُوَاتِ البَثِّ فِى بَدَنِى   عِلْماً بِأَنِّىَ مَا قَصَّرْتُ فِى الطَّلَبِ[2]

فجعل للبث ــ وهو أشد الحزن ــ خطواتٍ فى بدنه ، وأنه قد قصرها ؛ لأنه ما قصر فى الطلب ، وهذا من وساوسه المحـكمة ، وإنما أراد به قد سَهَّـلَ أمرَ

---

(١) من الآية ٣٨ من سورة هود .

(٢) من قصيدة له فى الفخر (الديوان ٤٧١) وفيه « مقصر خطرات الهم » وكان فى الأصول « مقصرا خطوات » بالنصب ، وتصويبه عن الديوان .

الحزنِ عليه أنه ما قصَّر فى الطلب ؛ لأنه لو قصر كان يأسف ويشتد جَزَعه ، فجعل للحُزن خُطًى فى بدنه قصيرةً لما جعله سهلا خفيفاً ، وهذا ضد المعنى الذى أراد ؛ لأن الخطَى إذا طالت يجوز أن يقع قلبه وكبده بين تلك الخطى الطويلة فلا يمسها من البث — وهو الحزن — قليلٌ ولا كثير .

فإن قيل : إنما أراد أن الحزن هو فى قلبه خاصة ، وأن قوله « فى بدنى » أى فى قلبى ؛ لأن قلبه فى بدنه .

قيل: الأمر واحد فى أن الخطى إذا طالت على الشىء — قلبِه كان أوماسواه — أخذت منه أقلَّ مما تأخذ إذا قصرت .

فإن قيل : أراد بطول الخطَى الكثرةَ وبقصرها القلة .

قيل : هذا غلط من التأويل ، وليس العملُ على إرادته ، وإنما العمل على توجيه معانى ألفاظه .

وبعد ؛ فإن من أعجب العجب خطوات البث فى البدن .

٣٦ — ومن ردىء استعاراته وقبيحها قولُه :

جَارَى إليهِ الْبَينُ وَصْلَ خَرِيدَةٍ ۝ مَاشَتْ إليه الْمَطْلَ مَشْىَ الأكْبَدِ

الهاء فى « إليه » راجعةٌ إلى المحب ، يريد أن البين ووَصْلَ الخريدة تجاريا إليه ، فكأنه أراد أن يقول : إن البين حالَ بينه وبين وصلها ، واقتطعها عن أن تصله ، وأشباه هذا من اللفظ المستعمل الجارى ؛ فعدل إلى أن جعل البين والوصل تجارَياَ إليه ، وأن الوصل فى تقديره جرى إليه يريده فجرى البين ليمنعه ، فجعلهما متجاريين ، ثم أتى بالمصراع الثانى بنحو من هذا التخليط ، فقال : ماشت إليه

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها المعتصم — وقيل : يمدح فيها المأمون — وقبله قوله :

عذلت غروب دموعه عذاله ۝ بسواكب فندن كل مفند

أتت النوى دون الهوى فأتى الأسى ۝ دون الأسى بحرارة لم تبرد

الديوان (١١١)

المطلَ مشى الأكبَدِ ، فالهاء هنا راجعة إلى الوصل : أى لما عزمَتْ على أن تصله عزمَتْ عزم متثاقل مُماطل فجعل عزمها مشياً ، وجعل المطل مماشياً لها ، فيا معشر الشعراء والبلغاء ويا أهل اللغة العربية : خَبِّرُونا كَيفَ يجارِى البينُ وصلَها ؟ وكيف تماشى هى مطلها ؟ ألا تسمعون ؟ ألا تضحكون ؟

وأنشد أبو العباس بن المعتز فى كتاب سرقات الشعراء لسَلْم الخاسر يَعيبه بردىء الاستعارة فى قوله يرثى موسى الهادى :

لَوْلاَ المَقَابِرُ مَا حَطَّ الزَّمَانُ بِهِ لا، بَلْ تَوَلَّى بِأَنْفٍ كُلُّهُ دَامِى

وقال : هذا ردىء كأنه من شعر أبى تمام الطائى، ولو[1] لم يكن لأبى تمام من ردىء الاستعارة إلا مثل استعارة سَلْمٍ هذه أو نحوها، ونعوذ بالله من حرمان التوفيق.

* * *

ما جاء فى شعر أبى تمام من قبيح التجنيس

ورأى أبو تمام أيضاً المجانس من الألفاظ شرفاً فى أشعار الأوائل ، وهو ما اشتق بعضهُ من بعض ، نحو قول امرىء القيس :

لَقَدْ طَمَحَ الطَّمَّاحُ مِنْ بُعْدِ أَرْضِهِ لِيُلْبِسَنِى مِنْ دَائِهِ مَا تَلَبَّسَا[2]

وقوله أيضاً :

وَلَكِنَّنِى أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤَثَّلٍ وَقَدْ يُدْرِكُ المَجْدَ المُؤَثَّلَ أَمْثَالِى[3]

وقول القُطَامىّ :

---

(١) لعل كلمة «لو» هذه مقحمة ، فإن لم يكن فجوابها محذوف ، أى لو لم يكن له إلا مثل استعارة سلم أو نحوها لكفاه

(٢) سبق ذكره (١٨ من هذا الكتاب) وانظر العقد الثمين (٨٤) والصناعتين (٢٥٣) .

(٣) من قصيدة له طويلة أولها قوله :

ألا عم صباحا أيها الطلل البالى وهل يعمن من كان فى العصر الخالى

وانظر العقد الثمين (١٠٤) وفيه ــ وهو المحفوظ ــ فى صدره «ولكنما أسعى»

وَلَمَّا رَدَّهَا فِي الشَّوْلِ شَالَتْ ... بِذَيَّالٍ يَكُونُ لَهَا لِفَاعَا[1]

وقول ذى الرمة :

كَأَنَّ الْبُرَى وَالْعَاجَ عِيجَتْ مُتُونُهُ ... عَلَى عُشَرٍ يَرْمِى بِهِ السَّيْلُ أَبْطَحِ[2]

وقول رجل من عبس :

وَذَلِكُمُ أَنَّ ذُلَّ الْجَارِ حَالَفَكُمْ ... وَأَنَّ أَنْفَكُمُ لا يَعْرِفُ الأَنَفَا[3]

وقول مسكين الدارمى :

وَأَقْطَعُ الْخَرْقَ بِالْخَرْقَاءِ لاَهِيَةً

إِذَا الْكَوَاكِبُ كَانَتْ فِي الدُّجَى سُرُجَا[4]

وقول حَيَّان بن ربيعة الطائى :

لَقَدْ عَلِمَ الْقَبَائِلُ أَنَّ قَوْمِى ... لَهُمْ حَدٌّ إِذَا لُبِسَ الْحَدِيدُ[5]

وقول النعمان بن بشير لمعاوية :

أَلَمْ تَبْتَدِرْكُمْ يَوْمَ بَدْرٍ سُيُوفُنَا ... وَلَيْلُكَ عَمَّا نَابَ قَوْمَكَ نَائِمُ[6]

وقول جرير :

---

(١) سبق ذكره (ص ١٨ من هذا الكتاب) وانظر الصناعتين (٢٥٦)

(٢) سبق ذكره أيضا (ص ١٨ من هذا الكتاب) وانظر الصناعتين (٢٥٥) ونقد الشعر (٦١) وما ذكرناه من المراجع فى الموضع السابق من الكتاب

(٣) ذكره مع بيت سابق عليه فى الصناعتين (٢٥٥) وفيه « وذا كم أن ذل » وفيه « وأن آنفكم لا تعرف » ورواه فى نقد الشعر (٦١) « إن ذل جاركم بالكره حالفكم » والأنف ـ بفتح الهمزة والنون جميعا ـ الأنفة

(٤) الخرق ـ بفتح فسكون ـ الأرض البعيدة ، والفلاة الواسعة ، والخرقاء : الناقة التى لا تتعهد مواضع قوائمها ، وأنشده فى نقد الشعر (٦١) وأنشد صدره فى الصناعتين (٢٥٣)

(٥) أنشده فى الصناعتين (٢٥٦) وفى نقد الشعر (٦١)

(٦) أنشده فى الصناعتين (٢٥٥) وفى نقد الشعر (٦١)

فَمَا زَالَ مَعْقُولاً عِقَالٌ عَنِ النَّدَى ... وَمَا زَالَ مَحْبُوساً عَنِ الخَيْرِ حَابِسُ(١)

وقول الفرزدق :

خُفَافُ أَخَفَّ اللهُ عَنْهُ سَحَابَهُ ... وَأَوْسَعَهُ مِنْ كُلِّ سافٍ وَحَاصِبِ(٢)

وكأن هذين الشاعرين فى تجنيس ما جنّسا من هذه الألفاظ وحاجهما إليه يشبه قول النبى صلى الله عليه وسلم « عُصَيَّةُ عَصَتِ اللهَ ، وغِفَارٍ غَفَرَ اللهُ لَهَا ، وأَسْلَمُ سَالمها الله » .

ونحو هذا مما تعمّد الشعراء لتجنيسه قول جَنْدَل بن الراعى :

فَمَا عَمَرَتْ عَمْرٌو وَقَدْ جَدَّ سَعْيُهَا ... وَمَا سَعِدَتْ يَوْمَ الْتَقَيْنَا بَنُو سَعْدِ(٣)

ومن ألطف ما جاء من التجنيس وأحْسَنِه فى كلام العرب قولُ القُطامى :

كنية الحى من ذى القَيْظِ فاحتملوا ... مستحقبين فؤاداً ماله فادى(٤)

ومثل هذا فى أشعار الأوائل موجود ، لكن إنما يأتى منه فى القصيدة البيتُ الواحد والبيتان ، على حسب ما يتفق للشاعر ، ويحضر فى خاطره ، وفى الأكثر

---

(١) سبق ذكر هذا البيت (ص١٨ من هذا الكتاب) وانظر الصناعتين (٢٥٦) وأخبار أبى تمام ٢٦٤ وسر الفصاحة ١٨٤

(٢) سبق ذكر هذا البيت أيضا (ص ١٨ من هذا الكتاب) وانظره فى الصناعتين (٢٥٣) ونقد الشعر (٦١)

(٣) تقول : عمر الرجل يعمر عمرا ـ كفرح يفرح فرحا ـ وعمارة ـ كصداقة ـ وعمر يعمر ـ كنصر ينصر ـ وعمر يعمر ـ كضرب يضرب ، ومعناه عاش زمانا طويلا ، قال جرير :

لئن عمرت تيم زمانا بغرة ... لقد حديت تيم حداء عصبصبا

(٤) سبق ذكر هذا البيت (ص ١٨ من هذا الكتاب) ووقع فى الأصل هنا « كنية الحى من ذى الغبطة احتملوا » وورد هذا البيت فى ديوان القطامى (٨طبع ليدن) هكذا :

كنية الحى من ذى الغضية احتملوا ... مستحقبين أسيراً ماله فاد

وذكر فى رواياته أنه روى « من ذى الغطبة » وروى « من ذى اليقظة » وروى « من ذى الغيظ » وروى « من ذى الغبطة » ونحسب كل ذلك من تصحيفات النساخ ، وورد فى الشعراء ٤٥٤ « من ذى القيظة احتملوا »

لا يعتمده ، وربما خلا ديوان الشاعر المكثر منه ؛ فلا تُرى فيه لفظة واحدة .

فاعتمده الطائى ، وجعله غرَضَه ، و بنى أكثر شعره عليه، فلو كان قلَّل منه واقتصر على مثل قوله :

* يا رَبْعُ لَوْ رَبَعُوا عَلَى ابْنِ هُمُومِ[(١)] *

وقوله :

* أرَامَةُ كُنْتِ مَأْلَفَ كُلِّ رِيمِ[(٢)] *

وقوله :

* يا بُعْدَ غايَةِ دَمْعِ الْعَيْنِ إنْ بَعُدُوا[(٣)] *

وأشباه هذا من الألفاظ المتجانسة المستعذبة اللائقة بالمعنى ـ لكان قد أتى بالغَرَض ، وتخلص من الهُجْنة والعيب ، فأما أن يقول :

---

(١) هذا صدر بيت ، وعجزه قوله :

* مستسلم لجوى الفراق سقيم *

وهذا مطلع قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم المصعبى (الديوان ٣٠٥) وربعوا : وقفوا ، والهموم : جمع هم ، والجوى ـ بفتح الجيم والواو ، بزنة الفتى ـ الحزن

(٢) هذا صدر بيت ، وعجزه قوله :

* لو استمتعت بالأنس المقيم *

وهذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها بعض بنى عبدالكريم الطائيين (الديوان ٢٨٧) ورامة : اسم موضع ، والريم : مخفف الرئم ، وهو ولد الغزال ، والأنس ـ بفتح الهمزة والنون جميعا ـ الحى

(٣) هذا صدر مطلع قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائى (الديوان ٩٦) وعجزه قوله :

* هى الصبابة طول الدهر والسهد *

وانظره فى الصناعتين (٢٦٢)

قَرَّتْ بِقُرَّانَ عَيْنُ الدِّينِ وَانْشَتَرَتْ   بالأَشْتَرَيْنِ عُيُونُ الشِّرْكِ فَاصْطُلِمَا(١)

فانشتار عيون الشرك فى غاية الْغَثاثة والقباحة ، وأيضاً فإن انشتار العين ليس بموجب للاصطلام ، وقوله :

إنَّ مَنْ عَقَّ وَالِدَيْهِ لَمَلْعُو   نٌ ، وَمَنْ عَقَّ مَنْزِلاً بِالْعَقِيقِ(٢)

وقوله :

ذَهَبَتْ بِمَذْهَبِهِ السَّمَاحَةُ فَالْتَوَتْ   فِيهِ الظُّنُونُ أَمَذْهَبٌ أَمْ مُذْهَبُ(٣)

وقوله :

* خَشُنْتِ عَلَيْهِ أُخْتَ بَنِى خُشَيْنٍ(٤) *

فهذا كله تجنيسٌ فى غاية الشناعة والركاكة والهجانة ، ولا يزيد زيادة على قبح قوله :

(١) هذا بيت من قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم المصعبى (الديوان ٣٠٢) وقرت عينه : نعمت وهدأت ، وقران : اسم موضع ، وانشترت : انشقت ، ووقع فى الديوان « واشترت » وهو أقرب فى الاشتقاق من « الأشترين » الذى قصد إلى المجانسة معه ، واصطلم ـ بالبناء للمجهول ـ قطع من أصله ، وانظره فيما عيب من التجنيس فى الصناعتين (٢٦٢) وانظره أيضا فى أسرار البلاغة ١١ فقد ذكره الشيخ عبد القاهر مثالا لتكلف أبى تمام وأنه لا يمر على اسم موضع يحتاج إلى ذكره دون أن يشتق منه تجنيسا أو يعمل فيه بديعا .

(٢) هذا رابع بيت من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد (الديوان٢١٥) والعقيق : موضع ، وانظره فى الصناعتين (٢٦٢) أيضا

(٣) هذا بيت من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب ويصف غلاما أهداه إليه (الديوان ٣٩) والمذهب ـ بفتح الميم ـ الطريقة ، والمذهب ـ بضم الميم ـ فسره الصولى بالجنون . يقول : لقد غلبت عليه السماحة وامتلكت كل شمائله فصار يسرف فى البذل ويغرق فى العطاء ، حتى لقد احتارت الظنون فى تفسير ذلك وتعليله وقالت على سبيل الشك : أهذه طريقة له يسلكها دون الناس أم هو جنون بالبذل ، وقد أنشده الشيخ عبدالقاهر فى مطلع أسرار البلاغة ٤ على أنه من قبيح التجنيس ، وأنشده فى الوساطة ٦٤

(٤) هذا صدر بيت هو مطلع قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم (الديوان ٣٢١) وعجز البيت قوله :   * وأنجح فيك قول العاذلين *

فَاسْلَمْ سَلِمْتَ مِنَ الآفاتِ ماسَلِمَتْ
سِلامُ سَلْمَى وَمَهْما أَوْرَقَ السَّلَمُ(١)

فإن هذا من كلام المُبَرْسَمِين ، وقد عابه أبو العباس عبدُ الله بن المعتز ببعض هذه الأبيات فى كتاب البديع ، جاء بها فى قبح التجنيس .

وفى أشعار العرب ما يُستكره ، نحو قول امرىء القيس :

* وَسِنًّا كَسُنَّيْقٍ سَناءً وَسُنَّمَا(٢) *

ولم يعرف الأصمعى هذا ، وقال أبو عمرو : وهو بيت مَسْجِدِيّ : أى من عمل أهل المسجد ، وقال الأصمعى : السن : الثور ، ولم يعرف سنيقا ، ولا سنما ، ويقال : سنيق جبل ، ويقال : أَكَمَةٌ ، وسنم ههنا : البقرة الوحشية ، سناء : أى ارتفاعا ، ويروى « سناما » أى ارتفاعا أيضا ، من « سَنَمْتُ الجَبَلَ » علوته

وقول الأعشى :

* شَاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ(٣) *

---

(١) لا يوجد هذا البيت فى ديوانه المطبوع ، والسلام بكسر السين ـ الحجارة وسلمى : أحد جبلى طيىء ، والآخر أجأ ، والسلم ـ بفتح السين واللام ـ شجر

(٢) هذا صدر بيت ، وانظره فى الصناعتين (٢٦٢) وهو مع عجزه فى رواية العقد الثمين (٨٨) هكذا :

وسن كسنيق سناء وسنم   ذعرت بمدلاج الهجير نهوض

ورواه فى اللسان (س ن ق) بجر « سن » ونصب « سنما » والسن : الثور الوحشى ، والسنيق : جبل ، ولم يفسره أبو عمرو ، ويروى «سناما وسنما» والسنم: البقرة ، وهذا التفسير يقتضى عطفه على « سن »

(٣) هذا عجز بيت ، وصدره قوله :

* وقد غدوت إلى الحانوت يتبعنى *

وقد مضى ذكر هذا البيت فى مآخذ العلماء على الشعراء (ص ٣٨ من هذا الكتاب) وانظره فى الصناعتين (٢٦٢)

وهذا عند أهل العلم من جنون الشعر ، وقرأ هذه القصيدة على أبى الحسن على بن سليمان النحوى قارىء ، فلما بلغ إلى هذا البيت قال أبو الحسن : صُرِعَ والله الرجلُ .

وما زلت أراهم يستكرهون قول ذى الرمة :

* عَصَا قَسٍّ قَوْسٍ لِينُها وَاعْتِدَالُهَا[1] *

ويروى « [عصا] عَسَطُوسٍ » وقد قيل : إنه الخيزران .

وهذا إنما جاء من هؤلاء مُقَلَّلًا نادرا ؛ لأنك لو اجتهدت أن ترى لواحدٍ منهم حرفا واحدا ما وجدته ، والطائىُّ استفرَغ وُسْعه فى هذا الباب ، وجَدَّ فى طلبه ، واستكثر منه ، وجعله غَرَضَه ؛ فكانت إساءته فيه أكثرَ من إحسانه ، وصوابُه أقلَّ من خطائه .

---

(١) هذا عجز بيت ، وصدره قوله :

* عَلَى أَمْرِ مُنْقَدِّ العِفَاءِ كَأَنَّهُ *

ورواه فى اللسان (ع س ط س) كما ذكره المؤلف ثانية منسوبا إلى ذى الرمة وقال فى شرحه : « أى وردت الحمر على أمر حمار منقد عفاؤه : أى متطاير ، والعفاء جمع عفو (بكسر فسكون) وهو الوبر الذى على الحمار ، قال ابن برى : والمشهور فى شعره : عصاقس قوس ، والقس : القسيس ، والقوس: صومعته ، قال ابن الأعرابى: هو الخيزران » اهـ وقال فى تفسير العسطوس قبل ذلك : « هو رأس النصارى : رومية ، وقيل : هو شجر يشبه الخيزران ، وقيل : هو الخيزران ، وقيل : شجرة تكون بالجزيرة لينة الأغصان » اهـ . والعسطوس بفتح العين ، وسينه مفتوحة مخففة أو مشددة .

ما يستكره للطائى من المطابق

ورأى الطائى الطِّبَاقَ فى أشعار العرب ، وهو أكثر وأوجد فى كلامها من التجنيس ، وهو : مقابلة الحرف بضدِّه أو ما يقارب الضد ، وإنما قيل «مطابق» لمساواة أحد القسمين صاحبه ، وإن تضادَّا أو اختلفا فى المعنى ، ألا ترى إلى قولهم فى أحد المعنيين ـ إذا لم يشا كل صاحبه ـ ليس هذا طبق هذا(١) ، وقولهم فى المثل « وَافَقَ شَنٌّ طَبَقَه(٢) » والطبق للشىء إنما قيل له طَبَقٌ لمساواته إياه فى المقدار ، إذا جُعِل عليه ، أو غُطِّى به ، وإن اختلف الجنسان ، قال الله عز وجل(٣) (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَق) أى : حالا بعد حال ، ولم يرد تساويهما فى تمثيل المعنى ، وإنما أراد جلّ وعز ـ وهو أعلم ـ تساوِيَهما فيكم ، وتغييرهما إياكم ؛ بمرورهما عليكم ، ومنه قول العباس بن عبد المطلب : *إذا انقضى عَالَمٌ بَدَا طَبَق(٤)* أى :

---

(١) طبق كل شىء ـ بفتح الطاء والباء جميعا ـ ماساواه ، ويجمع على أطباق ، وقول الراجز : * وليلة ذات جهام أطباق *

معناه أن بعضه مساو لبعض ، وجمع أطباقا مع أن الجهام مفرد لأنه عنى الجنس

(٢) يروى هذا المثل على وجهين « وافق شن طبقه » بهاء الضمير أضيف إليها طبق ، وهذه رواية الأصمعى ، وأصلها أن قوما كان لهم وعاء من أدم (جلد) فتشنن (تخرق) فجعلوا له طبقا فوافقه ، فقالوا ذلك ، وهذه الرواية هى التى يتم عليها استدلال المؤلف . والأخرى « وافق شن طبقة » بتاء التأنيث،وشن فى هذه الرواية اسم رجل ، واختلفوا فى طبقة ، فقيل : اسم امرأة ، وقيل : قبيلة من إياد (انظر مجمع الأمثال للميدانى أول حرف الواو : ٢ / ٢١١ الخيرية)

(٣) الآية ١٩ من سورة الانشقاق .

(١) هذا من كلام للعباس بن عبدالمطلب رضى الله عنه يقوله فى ابن أخيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأراد إذا مضى قرن ظهر قرن آخر ، وإنما قيل للقرن طبق لأنهم طبق للأرض ثم ينقرضون ويأتى طبق آخر للأرض ، وكذلك طبقات الناس : كل طبقة طبقت زمانها وساوته،وانظر الأبيات التى منها هذا الشطر فى شرح مختار الخالديين من شعر بشار ١٣٩

جاءت حال أخرى تتلو الحالَ الأولى ، ومنه طِباق الخيل ، يقال : طابَقَ الفرسُ ، إذا وقَعَت قوائمُ رجليه فى موضع قوائم يديه فى المشى أو العَدو ، وكذلك مشى الكلاب ، قال الجَعْدىُّ :

* طِباقَ الـكِلابِ يَطأْنَ الْهَرَاسا[1] *

فهذا حقيقة الطباق ، إنما هو مقابلة الشىء لمثله الذى هو على قَدْرِه ، فسَمَّوْا المتضادين — إذا تقابلا — مطابقين ، ومنه قول زهير[2] :

لَيْثٌ بِعَثَّرَ يَصْطَادُ الرِّجَالَ إذا ... مَا اللَّيْثُ كَذَّبَ عَنْ أقْرَانِه صَدَقَا

فطابق بين قوله « كذب » و بين قوله « صدقا » ، وقول طُفَيْلٍ الغَنَوِىِّ يصف فرسا[3] :

* يُصَانُ وَهْوَ لِيَوْمِ الرَّوْعِ مَبْذُولُ *

فطابق بين قوله «يُصَانُ» و بين قوله «مبذول» ، وقول طرفة بن العبد[4] :

* بَطِىءٍ عَنِ الْجُلَّى سَرِيعٍ إِلَى الْخَنا *

فطابق بين « بطىء » و« سريع » : فلو اقتصر الطائى على ما اتفق له فى هذا الفن من حلو الألفاظ وصحيح المعنى نحو قوله :

---

(١) هذا عجز بيت ، وصدره قوله :

* وَخَيْلٍ تُطَابِقُ بِالدَّارِعِينَ *

وانظره فى اللسان (ط ب ق) وفى الصناعتين (٢٣٨)

(٢) قد مضى ذكر هذا البيت فانظره (ص ١٩ من هذا الكتاب) وانظر العقد الثمين (٣٨) والصناعتين (٢٤١) والشريشى ٤١٧/١

(٣) هذا عجز بيت ، وصدره قوله :

* بساهم الوجه لم تقطع أباجله *

وقد مضى ذكره (ص ١٩ من هذا الكتاب) وانظره فى الصناعتين (٢٤٢) والبديع ٣٩

(٤) هذا صدر بيت من طويلته المعلقة ، وعجزه قوله :

* ذليل بأجماع الرجال ملهد *

وانظر العقد الثمين (٨) وشرح القصائد العشر (٩٦)

* نَثَرَتْ فَرِيدَ مَدَامِعٍ لَمْ تُنْظَمِ (١) *

ونحو قوله :

* جُفُوفُ الْبِلَى أَسْرَعْتَ فِي الْغُصْنِ الرَّطْبِ (٢) *

ونحو قوله :

قَدْ يُنْعِمُ اللهُ بِالْبَلْوَى وَإِنْ عَظُمَتْ وَيَبْتَلِي اللهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنِّعَمِ (٣)

وأشباه هذا من جيد أبياته ، وتجنَّبَ مثلَ قوله :

قَدْ لَانَ أَكْثَرُ مَا تُرِيدُ، وَبَعْضُهُ خَشِنٌ ، وَإِنِّي بِالنَّجَاحِ لَوَاثِقُ (٤)

وقوله :

لَعَمْرِي لَقَدْ حُرِّرْتَ يَوْمَ لَقِيتَهُ لَوَ انَّ الْقَضَاءَ وَحْدَهُ لَمْ يُبَرَّدِ (٥)

وقوله :

وَإِنْ خَفَرَتْ أَمْوَالَ قَوْمٍ أَكُفُّهُمْ مِنَ النَّيْلِ وَالْجَدْوَى فَكَفَّاهُ مِقْطَعُ (٦)

---

(١) هذا صدر مطلع قصيدة لأبى تمام يمدح فيها أبا الحسن محمد بن الهيثم ابن شبابة (الديوان ٣١٢) وانظر مع ذلك (ص ١٧١ من هذا الكتاب)

(٢) هذا صدر مطلع قصيدة له يرثى فيها امرأة محمد بن سهل ، وهى أخت مروان بن محمد (الديوان ٣٥٦) وعجزه قوله :

* وخطب الردى والموت أبرحت من خطب *

(٣) سبق ذكر هذا البيت فيما عده المؤلف من سرقات أبى تمام (ص ٧٦ من هذا الكتاب) وانظر الصناعتين (١٧١) أيضا

(٤) هذا البيت ثالث أبيات كلمة له يمدح فيها أبا زيد كاتب عبد الله بن طاهر ويشكر له سعيه (الديوان ٢٢٢)

(٥) هذا بيت من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد الطائى (الديوان ١٠١) و « لم يبرد » من قولهم : برد فلان ، إذا مات أو وقع أسيرا أو ضعف أو نحو ذلك ، وطابق به قوله « حررت » بمعنى صرت حارا من شدة الغيظ

(٦) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائى (الديوان ١٩١) وخفرت هنا بمعنى حرست ، والنيل : العطاء ، ومثله الجدوى ، والمقطع — بكسر الميم — آلة القطع ، يريد أنه يجود ويفنى ماله ويذهبه فى العطاء فى حين أن كثيرا من الناس يقبضون أيديهم ويجعلون أنفسهم حراسا على أموالهم وخزانا لها .

ونحو هذا مما يكثر ، إن ذكرته ذهب عظيم شعره وسَقَطَ ، وأكثر ما عيب عليه منه .

وهذا باب ـ أعنى المطابق ـ لقبه أبو الفرج قُدَامة بن جعفر فى كتابه المؤلف فى نقد الشعر «المتكافئ» ، وسمى ضربا من المجانس المطابق ،وهو:أن تأتى الكلمة مثل الكلمة سواء فى تأليفها واتفاق حروفها ، ويكون معناها مخالفاً، نحو قول الأفوه الأودى :

وَأَقْطَعُ الْهَوْجَلَ مُسْتَأْنِسًا　　　بِهَوْجَلٍ عَيْرَانَةٍ عَنْتَرِيسْ[1]

والهوجل الأول : الأرض البعيدة ، والهوجل الثانى : الناقة العظيمة الخلق الموثقة ، وقول أبى دُوَاد الإيادىّ :

عَهِدْتُ لَهَا مَنْزِلاً دَارِساً　　　وَآلا عَلَى الْمَاءِ يَحْمِلْنَ آلاَ[2]

فالآل الأول : أعمِدةُ الخيامِ ، والآل الثانى : مايرفع الشُّخُوصَ .

وقال زياد الأعجم :

نُبِّئْتُهُمْ يَسْتَنْصِرُونَ بِكَاهِلٍ　　　وَاللُّؤْمُ فِيــــهِ كَاهِلٌ وَسَنَامُ[3]

وما علمت أن أحدا فَعَلَ هذا غير أبى الفرج ؛ فإنه وإن كان هـذا اللقب يصح لموافقته معنى الملقَّبَات وكانت الألفاظ غيرمحظورة فإنى لم أكن أحبُّ له أن يخالف مَنْ تقدَّمه ، مثل أبى العباس عبد الله بن المعتز وغيره ممن تكلم فى هـذه الأنواع وألَّف فيها ؛ إذ قد سبقوه إلى اللقب ، وكَفَوْه المؤونة .

وقد رأيت قوماً من البغداديين يسمُّون هذا النوع المجانس المماثل ، ويلحقون به الكلمة إذا تكررت وتردَّدت ، نحو قول جرير :

---

(١) انظره فى نقد الشعر لقدامة بن جعفر(٦٠)

(٢) ورد فى نقد الشعر (٦٠) أيضا

(٣) ورد فى نقد الشعر (٦٠) أيضا ، وفى الصناعتين (٢٣٨) وأشارأبوهلال إلى مخالفة قدامة لإجماع الناس قاطبة فى هذا الموضوع

تَزَوَّدْ مِثْلَ زَادِ أَبِيكَ فِينَا فَنِعْمَ الزَّادُ زَادُ أَبِيكَ زَادَا[١]

وبابه قليل

وهذا باب

فى سوء نظمه، وتعقيد ألفاظ نَسْجه، ووحشىِّ ألفاظه

وأكثر ما تراه من ذلك فى شعره، وتجده — أظنه — سمع ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى زهير بن أبى سُلْمَى لما قال: «كان لا يُعاظِلُ بين الكلام، ولا يتتبع حُوشِيَّه، ولا يمدح رجلا إلا بما فى الرجال» فلم يَرْتَضِ هذا لشعره، وأَحَبَّ أن يستكثر مما ذمَّه وعابه.

وقد فسر أهْلُ العلم هذا من قول عمر، وذكروا معنى المعاظلة، وهى: مُداخلة الكلام بعضه فى بعض، وركوب بعضه لبعض، كقولك: تعاظَلَ الجراد، وتعاظلت الكلاب، ونحوهما يتعلق بعضه ببعض عند السِّفاد، وأكثر ما يستعمل فى هذين النوعين، وكذلك فَسَّرُوا حُوشِيَّ الكلام، وهو الذى لا يتكرر فى كلام العرب كثيراً؛ فإذا ورد ورد مُسْتَهْجَناً، وقالوا فى معنى قوله «وكان لا يمدح الرجل إلا بما يكون فى الرجال» أراد أنه لا يمدح السوقة بما يمدح به الملوك،

---

(١) هذا بيت من قصيدة لجرير بن عطية يمدح فيها أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الأموى، وأولها قوله:

أبت عيناك بالحسن الرقادا وأنكرت الأصادق والبلادا

والحسن: نقا فى بلاد ضبة، سمى بذلك لحسن شجره.

والبيت مما يستشهد به النحاة على جواز الجمع فى كلام واحد بين فاعل «نعم» والتمييز، ولهم فيه تخريجات لا محل لذكرها ههنا

ولا يمدح التجار وأصحابَ الصناعات بما يمدح به الصعاليك والأبطال وحملة السلاح ؛ فإن الشاعر إذا فعل ذلك فقد وصف كل فريق بما ليس فيه ، فذكروا هذه الجمل ، ثم مثلوا لها أمثلة تزيد ما قاله عمر رضى الله عنه وضوحاً و بياناً ، إلا أبو الفرج قدامة بن جعفر فإنه ذكر ذلك فى كتابه المؤلف فى نقد الشعر ومثل له أمثلة فغلط فى أمثلة المعاظلة غلطاً قبيحاً ، وقد ذكرت ذلك فى كتاب بَيَّنْتُ فيه جميع ما وقفت عليه من سهوه وغلطه .

* * *

وأنا أذكر ههنا ما إليه قصدت من سائر ما فى شعر أبى تمام من هذه الأنواع فإنها كثيرة ، وأورد من كل نوع قليلا ، فيستدل به على الكثير ؛ فأقول :

إن من المعاظلة التى قد لخصت معناها فى الكتاب على قدامة شدة تعليق الشاعر ألفاظَ البيتِ بعضَها ببعضٍ ، وأن يداخل اللفظة من أجل لفظة تشبهها أو تجانسها ، و إن اختلّ المعنى بعضَ الاختلال .

١ — وذلك كقول أبى تمام:

خَانَ الصَّفَاءَ أخٌ خانَ الزَّمَانُ أخاً ... عَنْهُ فَلَمْ يَتَخَوَّنْ جِسْمَهُ الْكَمَدُ[1]

فانظر إلى أكثر ألفاظ هذا البيت ، وهى سبع كلمات آخرها قوله « عنه » ما أشد تشبثَ بعضها ببعض ، وما أقبح ما اعتمده من إدخال ألفاظٍ فى البيت من أجل ما يشبهها ، وهو «خان» و «خان» و « يتخون » وقوله « أخ » و « أخا » فإذا تأملت المعنى — مع ما أفسده من اللفظ — لم تجد له حلاوة ، ولا فيه كبير

(١) البيت ثانى أبيات قصيدة له يرثى فيها بنى حميد (الديوان ٣٦٦) وفيه « خان الزمان له * أخا فلم » والذى قبله قوله :

لو صحح الدمع لى أو ناصح الكمد ... لقل ما صحبانى الروح والجسد

ويتخون : يتنقص ، وانظره فى الصناعتين (٢١)

فائدة ؛ لأنه يريد خان الصفاء أخٌ خان الزمان أخًا من أجله إذ لم يتخوّن جسمَه الكمد .

٢ — وكذلك قوله :

يا يَوْمَ شَرَّدَ يَوْمَ لَهْوِى لَهْوُهُ   بِصَبَابَتِي وَأَذَلَّ عِزَّ تَجَلُّدِي (١)

فهذه الألفاظ إلى قوله « بصبابتى » كأنها سلسلة فى شدة تعلق بعضها ببعض، وقد كان أيضا استغنى عن ذكر اليوم فى قوله « يوم لهوى » ؛ لأن التشريد إنما هو واقع بلهوه ، فلو قال « يا يوم شرد لهوى » لكان أصحَّ فى المعنى من قوله : « يا يوم شرد يوم لهوى » وأقربَ فى اللفظ ؛ فجاء باليوم الثانى من أجل اليوم الأول، وباللهو الثانى من أجل اللهو الذى قبله، ولهوُ اليوم أيضا بصبابته هو أيضاً من وَساوسه وخطائه ، ولا لفظ أولى بالمعاظلة من هذه الألفاظ .

٣ — ونحو قوله أيضاً :

يَوْمٌ أَفَاضَ جَوًى أَغَاضَ تَعَزِّيًا   خَاضَ الْهَوَى بَحْرَيْ حِجَاهُ الْمُزْبِدِ (٢)

فجعل اليوم أفاض جوًى ، والجوى أغاض تعزّيا ، والتعزّى موصولا به « خاض الهوى » إلى آخر البيت ؛ وهذا غاية ما يكون من التعقيد والاستكراه ، مع أن « أفاض » و «أغاض» و « خاض » ألفاظ أوقعها فى غير موضعها ، وأفعال غير لائقة بفاعلها ، وإن كانت مستعارة ؛ لأن المستعمل فى هذا أن يقال : قد عُلم ما بفلان من جوًى ، وظَهَر ما يكتمه من هوًى ، وبانَ عنه العزاء ، وذهب عنه

---

(١) من غزل قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المعتصم بالله ، ويقال : المأمون (الديوان ١١١)

(٢) هو من أبيات القصيدة التى منها البيت السابق (الديوان ١١١) والجوى الحزن ، وأغاض : نقص ، والتعزى : التصبر والتجلد والتسلى ، والحجى : العقل، والمزبد : الذى يقذف بالزبد ، وذلك لكثرة هيجه واضطرابه ، وقد جعل للحجى بحرين ، وجعله — مع ذلك — مزبدا ، وانظره فى الصناعتين (٢١)

العزاء والتعزى ، فأما أن يقال : فاض الجوى ، أو أفيض ، أو غاض ، أو غِيضَ ؛ فإنه ـ وإن احتمل ذلك على سبيل الاستعارة ـ قبيحٌ جداً ، وكذلك خَوْضُ الهوى بحرَ التعزِّى معنًى فى غاية البعد والهَجانة ، ثم اضطر إلى أن قال « بَحْرَىْ حجاه المزبد » فوحَّد المزبد ، وخفضه ، وكان وجهه أن يقول « المزبدين » صفة للبحرين ، فجعله صفة للحجى ، ويقال : إنه أراد بِبَحْرَىْ حِجاه المزبد قلبه ودماغه لأنهما موطنان للعقل ، وذلك محتمل ، إلا أنه جعل المزبد وصفا للحجى ، ولا يوصف العقل بالإزباد ، وإنما يوصف به البحر ، وهذا وإن كان يُتَجَاوز فى مثله فإنه إلى الوجه الأردأ عدَلَ به ، وجنب الطريق عن الوجه الأوضح.

فإذا تأملت شعره وجدت أكثره مبنياً على مثل هذا وأشباهه ، وقد ذكرت من هذه الأمثلة من شعره ما دلَّ على سواها .

فإن قال قائل : إن هذا الذى أنكرته وذَممته فى الأبيات المتقدمة وفى هذا البيت : من تَشَبُّث الكلام بعضِه ببعض ، وتعلُّق كل لفظةٍ بما يليها ، وإدخال كلمة من أجل أخرى تشبهها وتجانسها ـ هو المحمود من الكلام ، وليس من المعاظلة فى شىء ، ألا ترى أن البلغاء والفصحاء لمَّا وَصفوا ما يستجاد ويستحب من النثر والنظم قالوا : هذا كلام يدل بعضهُ على بعض ، وآخذ بعضهُ برقاب بعض.

قيل : هذا صحيح من قولهم ، ولم يريدوا هذا الجنس من النثر والنظم ، ولا قصدوا هذا النوع من التأليف ، وإنما أرادوا المعانى إذا وقعت ألفاظها فى مواقعها ، وجاءت الكلمة مع أختها المشاكِلة لها التى تقتضى أن تجاورها لمعناها : إما على الاتفاق ، أو التضاد ، حسبما تُوجِبُه قسمة الكلام ، وأكثر الشعر الجيد هذه سبيلُه ، ونحوُ ذلك قولُ زهير بن أبى سُلْمَى :

سَئِمْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ ، وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ حَوْلاً لا أَبَا لَكَ يَسْأَمِ[1]

(١) هو بيت من طويلته المعلقة (انظر شرح القصائد العشر للتبريزى ١٢٢) ولا يوجد فى العقد الثمين ، وتكاليف الحياة : مشقاتها ، يريد سئمت ما يعاودنى =

لما قال « ومن يعش ثمانين حولا » وقدم فى أول البيت « سئمت » اقتضى أن يكون فى آخره « يسأم » وكذلك قوله أيضاً :

السِّتْرُ دُونَ الْفاحِشات وَمَا ... يَلْقاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِتْرِ (١)

الستر الأول اقتضى الستر الثانى ، وكذلك قوله :

وَمَنْ لا يُقَدِّمْ رِجْلَهُ مُطْمَئِنَّةً ... فيُثْبِتَهافى مُسْتَوَى الأرْضِ تَزْلَقِ (٢)

لما قال « ومن لا يقدم رجله مطمئنة » اقتضى أن يأتى فى آخر البيت « يزلق » وكذلك قولُ امرىء القيس :

ألاَ إنَّ بَعْدَ الْعُدْمِ لِلْمَرْء قَنْوَةً ... وَبَعْدَ الْمَشِيبِ طُولَ عُمْرٍ وَمَلْبَسا (٣)

اقتضى « العدم » فى البيت أن يأتى بعده « قنوة » وكذلك اقتضى قوله « و بعد المشيب طول عمر وملبسا » وكذلك قوله :

فَإنْ تَكْتُمُوا الدَّاءَ لا نُخْفِهِ ... وإنْ تَقْصِدُوا لِدَمٍ نَقْصِدِ (٤)

كل لفظة تقتضى ما بعدها .

= فى هذه الحياة من الجهد والمشقة ، واللام فى قوله «لاأبالك» زائدة بين المضاف والمضاف إليه ، ولذلك ثبتت الألف فى « أبا » ولولا الزيادة لقال : لا أب لك

(١) من قصيدة له يمدح فيها هرم بن سنان (العقد الثمين ٣٥) وفيه « والستر دون الفاحشات »

(٢) لا يوجد هذا البيت فيما روى من شعره فى العقد الثمين ، وقد أنشده سيبويه ١ / ٤٤٧ منسوبا إليه

(٣) آخر أبيات كلمة له أولها قوله :

تأوبنى دائى القديم فغلسا ... أحاذر أن يرتد دائى فأنكسا

والعدم ـ بضم فسكون ـ الفقر ، وأراد من القنوة الغنى ، وهى أن يقتنى الإنسان مايعد للاقتناء ، وفى القرآن الكريم : (وأنه أغنى وأقنى) ، وانظر العقد الثمين (٨٣ و ٨٤)

(٤) هذا البيت ملفق من بيتين ، وهما برواية العقد الثمين (٧٢) هكذا :

فإن تدفنوا الداء لا نخفه ... وإن تبعثوا الحرب لا نقعد

وإن تقتلونا نقتلكم ... وإن تقصدوا لدم نقصد

فهذا هو الكلام الذى يدلُّ بعضهُ على بعضٍ ، ويأخذ بعضهُ برقاب بعض؛ إذا أنشدت صدر البيت علمت ما يأتى فى عَجُزه ؛ فالشعر الجيد ـ أو أكثره ـ على هذا مبنىّ ، وليست بنا حاجة إلى الزيادة فى التمثيل على هذه الأبيات .

وأما قول عمر رضى الله فى زهير « إنه كان لا يَتَتَبَّعُ حُوشِيَّ الكلام » فإن أبا تمـام كان لعَمْرِى يتتبعه ، ويتطلبه ، ويتعمد إدخاله فى شعره ؛ فمِنْ ذلك قوله :

أَهْلَسُ أَلْيَسُ لَجَّاءٌ إلَى هِمَمٍ   تُغَرِّقُ الأُسْدَ فى آذِيِّهَا اللِّيسَا[(١)]

ويروى « أهيس أليس » والأهيس : الجادّ ، وهذه الرواية أجـود وهى مثل :

* إحْدَى لَيَالِيكِ فَهِيسِى هِيسِى[(٢)] *

والهُلاَسُ : السُّلاَلُ من الهزال ؛ فكأن قوله « أهلس » يريد خفيف اللحم ، والأَلْيَسُ : الشجاع البطل الغاية فى الشجاعة ، وهو الذى لا يكاد يبرح موضعه فى الحرب حتى يظفر أو يهلك ؛ فهاتان لفظتان مستكرهتان إذا اجتمعتا ، لم يقنع

(١) من قصيدة له يمدح فيها عياش بن لهيعة (الديوان ١٧٢) ورواه فى الوساطة ٢٦ ، وأراد بالأهيس وبالأليس الشجاع ، وقد بينهما المؤلف ، والهمم : جمع همة ، وهى العزيمة ، وجملة « تغرق الأسد فى آذيها » صفة للهمم ، والآذى : الموج ، والليس : جمع أليس ،وهو ـ على ما عرفت ـ الشجاع ، والليسا : صفة للأسد ، وقد وقع فى أصول الكتاب « تعرف الغيس » وهو تحريف غاية فى الشناعة ، وصوابه عن نسخ الديوان

(٢) رواه فى اللسان (ه ى س) وروى معه بيتا آخر ، وهو قوله :

* لا تنعمى الليلة بالتعريس *

ووقع فى الأصول « فهيسى ميسى » والتصويب عن اللسان ، وتقول : هاس يهيس هيسا ، إذا سار أى سير كان ، والتعريس : النزول ليلا ، يريد أديمى السير ولا تنزلى رحالك للراحة

بأهلس أليس ثم قال فى آخر البيت « الليسا » يريد جميع أليس ، وقوله :

وَإِنْ بُجَيْرِيَةٌ نابَتْ جَأَرْتُ لَهَا إِلَى ذُرَى جَلَدِي فَاسْتُوْهِلَ الْجَلَدُ(١)

فقال « بجيرية » و « جأرت لها » وهـذه الألفاظ وإن كانت معروفة مستعملة فإنها إذا اجتمعت اسْتُقْبحت وثقلت ، وكذلك قوله :

* هُنَّ الْبَحَارِيُّ يابُجَيْرُ(٢) *

والبحارى : جمع بُجْرِيَّة ، وهى الداهية ، وقوله :

بِنَدَاكَ يُوسَى كلُّ جرْحٍ يَعْتَلِي رَأْبَ الأُساةِ بِدَرْدَبِيسٍ قَنْطَرِ(٣)

الدرديس والقنطر : من أسماء الدواهى ، وقوله :

* قَدْكَ اتَّئِبْ أَرْبَيْتَ فِي الْغُلَوَاءِ(٤) *

ومثل هذه الألفاظ هجنة [لا يكون] فى ابتداء القصيدة ، وقوله :

لَقَدْ طَلَعَتْ فِي وَجْهِ مِصْرَ بِوَجْهِهِ بلا طائِرٍ سَعْدٍ وَلاَ طائِرٍ كَهْلِ(٥)

---

(١) من قصيدة له يرثى فيها بنى حميد (الديوان ٣٦٧) والبجيرية : الداهية ، ونابت : أصابت ، وجأرت : رفعت صوتى ، والذرى : الأعالى ، واحدها ذروة ، واستؤهل : استحق واستوجب ، وحرفيته وجد أهلا لأن يعاذبه ويلجأ إليه ، والجلد : الصبر ، وورد فى الصناعتين (٢٢) وفيه « فاستوهك الجلد » تطبيع

(٢) سبق ذكر هذه الجملة شطر بيت فى (ص ٢٤ من هذا الكتاب)

(٣) من قصيدة له فى عتاب عياش بن لهيعة (الديوان ٣٩٦) والندى : الكرم والعطاء ، ويؤسى : يداوى ، والرأب : الإصلاح ، والأساة : جمع آس ، وهو الطبيب ، والدردبيس والقنطر : من أسماء الداهية كما قال المصنف ، وجملة « يعتلى رأب الأساة » صفة لجرح ، وقوله « بدربيس » يتعلق بيعتلى ، يريد أن كرمك يداوى به الجرح الذى يشق على الأساة علاجه ، وسينشده المؤلف مرة أخرى فى ص ٢٤٦

(٤) قد مضى ذكر هذا الشطر مشروحا فى (ص ٢٥ من هذا الكتاب)

(٥) هو بيت من قصيدة له يصف تقتير الرزق عليه فى مصر (الديوان ٤٢١) وفيه « ولا طائر سهل » وفاعل « طلعت » فى البيت الذى بعده ، وهو قوله :

وساوس آمال ومذهب همة مخيمة بين المطية والرحل

وإنما سمع قول بعض الهذليين (١) :

فَلَوْ كانَ سَلْمَى جارَهُ أَوْ أَجارَهُ رِياحُ بْنُ سَعْدٍ رَدَّهُ طائِرٌ كَهْلُ (٢)

ووجدت فى تفسير أشعار هذيل أن الأصمعى لم يعرف قوله « طائر كهل » وقال بعضهم : كهل ضخم ، وما أظن أحداً قال « طائر كهل » غير هذا الهذلى ، فاستغرب أبو تمام معنى الكلمة فأتى بها ، وأحَبَّ أن لاتفوته ؛ فمثل هذه الألفاظ لايستعملها شاعر إلا أن يأتى فى جملة شعره منهـا اللفظة واللفظتان ، وهى فى شعر أبى تمام كثيرةٌ فاشية ، وقد أنـكر الرواةُ على زهير ـ مع ماقاله عمر رضى الله عنه « إنه كان لايتتبع حوشى الكلام » ـ قولَه :

تَقِيٌّ نَقِيٌّ لَمْ يُكَثِّرْ غَنِيمَةً بِنَهْكَةِ ذِي قُرْبَى وَلاَ بِحَقَلَّدِ (٣)

---

(١) نسبه فى اللسان (ك ه ل) إلى أبى خراش الهذلى ،وفيه «رماح ابن سعد» وهو فى ديوان أبى خراش (٧٢) ثامن تسعة أبيات

(٢) وقعت رواية هذا البيت فى أصول هذا الـكتاب هكذا :

فلو كان سلمى حازه وأحازه رياح بن سعد رده طائر كهل

وهو تصحيف شنيع فى عدة مواضع ، وما أثبتناه عن اللسان وعن ديوان أبى خراش الهذلى (٧٢) قال فى اللسان : « قال ابن سيده : لم يفسره أحد ، قال : وقد يمكن أن يكون جعله كهلا مبالغة به فى الشدة ، الأزهرى : يقال طار لفلان طائر كهل ، إذا كان له جد وحظ فى الدنيا » اهـ . وأراد الشاعر بسلمى سلمى بن معقل أحد بنى صاهلة ، وأراد برياح رياح بن سعد أحد بنى زليفة ، قال السكرى : « وقوله طائر كهل أراد رجلا عظيم الشأن » وكان قد أقبل غلام من بنى تميم ثم أحد بنى حنظلة بن مالك بن زيد مناة ، حتى نزل فى بنى حريث بن سعد بن هذيل ، على رجل يقال له عاسل بن قميئة ، فقتله ؛ فنى ذلك يقول أبو خراش الأبيات التى منها هذا البيت .

(٣)هو بيت من قصيدة له يمدح فيها هرم بن سنان المرى (العقد الثمين ٣٣) وانظره فى الصناعتين (٢٢)

واستشنعوا « بحقلد » وهى السيء الخلق ، ولا يُعْرف فى شعره لفظة هى أنكر منها ، وليس مجيئه بهذه اللفظة الواحدة قادحا فيما وصفه به عمر رضى الله عنه ، وأكثر ما ترى هذه الألفاظ الوَحْشِية فى أراجيز الأعراب ، نحو قول بعضهم(١) :

* فَشَجَا جَحَافِلَهُ جُرَافٌ هِبْلَعُ(٢) *

أنشده أبو تمام ، وقول آخر :

* عربا حروراً وجلالا حرر(٣) *

وأنشد الأصمعى :

وأجد طعم للسقاء سامط ... وحائر عُجَالِطٌ عُكَالِطُ(٤)

إذا ذهب عن اللبن حلاوةُ الحليب ولم يتغير فهو سامط ، وإذا خثُرَ اللبن جدًّا حتى ثخن فهو عُكالط ، وقال آخر أنشده الأصمعى(٥) :

---

(١) نسبه فى اللسان (هـ ب ل ع — ج ر ف) إلى جرير

(٢) هذا عجز بيت ، وصدره قوله :

* وُضِعَ الخَزِيرُ فَقِيلَ : أَيْنَ مُجاشعٌ ؟ *

ووقع فى الأصول « حراب هبلع » وهو تحريف ، وتصويبه عن اللسان ، والجراف — بزنة الغراب — الأكول الذى لا يبقى على شىء ، والهبلع — بزنة الدرهم — الأكول العظيم اللقم الواسع الحنجور .

(٣) مع طول البحث فيما بين يدى من كتب اللغة ومجاميع الشعر لم يتيسر لى العثور على تحقيق هذا الشاهد فأثبته كما هو فى أصول الكتاب غير متحمل تبعته .

(٤) ولم يكن حظى فى تحقيق صدر هذا البيت خيرا من حظى فى تحقيق الشاهد السابق ، ولا كان بحثى عن هذا دون البحث عن ذاك

(٥) أنشده فى اللسان (ح م ص — ق ر ص) وذكر معه فى الثانية عدة أبيات

وَرَبْرَبٍ خِمَاصِ يَأْكُلْنَ مِنْ قُرَّاصِ (١)

* وَحَمَصِيصٍ وَاصِ (٢) *

واص : نبتٌ متصل بعضه ببعض

وإذا كان هـذا [لا] يُسْتَحْسن من الأعرابى القُحّ الذى لا يتعمَّل له ولا يطلبه ، وإنما يأتى به على عادته وطبعه ؛ فهو من المحدَثِ الذى ليس هو من لغته ولا من ألفاظه ولا من كلامه الذى تجرى عادتُه به أحْرَى أن يُسْتَهجن ، ولهذا أنـكر الناسُ على رؤْبة استعمالَه الغريب الوَحْشِىّ ، وذلك لتأخره وقرب عهده ، حتى زهد كثير من الرواة شعره ، إلا أصحاب اللغة .

وقد ذكر أبو العباس عبدُ الله بن المعتز فى كتابه المؤلف فى سرقات الشعراء ومعانيهم ، عن العنزى ، قال : حدثنى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الصمد السلمى الزراع ، قال : حدثنى ابن أبى عائشة ، قال : قال أبو العتاهية لابن مُنَاذر : إن كنت أردتَ بشعرك شعر العجاج ورؤبة فما صنعت شيئاً ؛ وإن كنت أردت شعر أهل زمانك فما أخذت مأخذنا ، أرأيت قولك :

* وَمَنْ عَادَاكَ يَلْقَى المَرْمَرِيسَا *

أىُّ شىء فى المرمريس أعجبك ؟

ووجدت أبا عبيدة ذكر فى كتاب الخيل فى باب ما يُسْتدل به على جَوْدة

---

(١) الربرب : القطيع من بقر الوحش ، هذا أصله ، وقد يطلقونه على جماعة النساء ، والخماص ـ بكسر الخاء المعجمة ـ جمع خمصانة ، وهى الضامرة البطن ، والقراص : جمع قارص ، وهو الحامض من ألبان الإبل خاصة ، ووقع فى الأصول « حماص » بالمهملة ـ محرفا

(٢) الحمصيص ـ بفتح الحاء والميم جميعا ـ بقلة طيبة الطعم من أحرار البقول تنبت فى الرمل ، وقال أبو حنيفة الدينورى : بقلة الحمصيص حامضة تجعل فى الأقط تأكله الناس والإبل والغنم

الفرس وهو يُحْضِرُ «و بيضة مرمريس ، وهى الضخمة» وأراد ابنُ مناذر الداهيةَ ، وقد جاء أبو تمام بالدَّرْدَبيس ، وهى أخت المرمريس ، فقال :

بِنَدَاكَ يُوسَى كُلُّ جَرْحٍ يَعْتَلِي رَأبَ الأُسَاةِ بِدَرْدَبِيسٍ قَنْطَرِ (١)

وهى : الداهية أيضاً ، وكذا القِنْطر .

***

باب

ما كثر فى شعره من الزِّحاف واضطراب الوزن

وذلك هو ما قاله دِعْبِلُ بن على الخُزاعى وغيره من المطبوعين : إن شعر أبى تمام بالخُطَبِ و بالكلام المنثور أشْبَهُ منه بالكلام المنظوم .

فمن ذلك قوله :

وَأَنْتَ بِمِصْرٍ غَايَتِي وَقَرَابَتِي بِهَا ، وَبَنُو أَبِيكَ فِيهَا بَنُو أَبِي (٢)

وهذا من أبيات النوع الثانى من الطويل ، ووزنه « فَعُولُنْ مَفَاعِيلُن » وعروضه وضَرْبه مَفَاعِلُنْ ؛ فحذف نونَ فَعُولُنْ من الأجزاء الثلاثة الأوَل،وحذف الياء من مفاعيلن التى هى المصراع الثانى ، وذلك كله يسمى مقبوضا ؛ لأنه حذف خامسه .

وكذلك قوله من هذا النوع :

كَسَاكَ مِنَ الأَنْوَارِ أَبْيَضُ نَاصِعُ وَأَصْفَرُ فَاقِعٌ وَأَحْمَرُ سَاطِعُ (٣)

---

(١) انظر (ص ٢٤٢ من هذا الكتاب)

(٢) من قصيدة له يمدح فيها عياش بن لهيعة الحضرمى (الديوان ٢٥)

(٣) من قصيدة له فى الفخر بقومه (الديوان ٤٧٨) والأنوار : جمع نور ـ بفتح النون وسكون الواو ـ والناصع : الخالص البياض ، والفاقع : الشديد الصفرة، وأراد بالساطع الشديد الحمرة ، وسيذكره المؤلف مرة أخرى فى سرقات البحترى من أبى تمام (ص ٣٤٣ طبعة أولى بتحقيقنا) برواية غير مستقيمة الوزن

فحذف النون من آخر « فعولن » كلها ، وهى أربعة ، وحذف الياء من « مفاعيلن » التى فى المصراع الثانى أيضاً ، كما فعل فى البيت قبله .

ومن ذلك قوله من هذا النوع أيضاً :

يَقُولُ فَيَسْمَعُ وَيَمْشِى فَيُسْرِعُ ... وَيَضْرِبُ فى ذَاتِ الإِلَهِ فَيُوجِعُ[(١)]

فحذف النون من « فعولن » الأول ، والياء من « مفاعيلن » التى تليها ، ومن « فعولن » التى هى أول المصراع الثانى ، وذلك كله يسمى مقبوضا ، وهى من الزحاف الحسن الجائز ، إلا أنه إذا جاء على التوالى والكثرة قبح جدا .

وقال :

لَمْ تَنْتَقِضْ عُرْوَةٌ مِنْهُ وَلا قُوَّةٌ ... لَـكِنَّ أَمْرَ بَنِى الآمَالِ يَنْتَقِضُ[(٢)]

وهـذا من النوع الأول من البسيط ، ووزنه مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ ، وعروضه وضربه فَعِلن ، فزاد فى عروضه حرفا فصار فاعلن ؛ لأنه قال « قُوَّة » فشدد ، وذلك إنما يُحسب له فى أصل الدائرة لا فى هـذا الموضع ، فإن خَفَّفها حتى تصير على وزن فَعِلن فيتَّزن البيت كان مخطئا من ثم حين نقص فاعلن الأول من المصراع الألف فصار فعلن ، وهذا يسمى مخبونا لأنه حذف ثانيه .

وقال :

إلى المُفَدَّى أَبِى يَزِيدَ الَّذِى ... يَضِلُّ غَمْرُ المُلُوكِ فى ثَمَدِهِ[(٣)]

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائى (الديوان ١٩١)

(٢) من قصيدة له يمدح فيها خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى ، ويهجو رجلا فاخره فى المجلس (الديوان ١٨١) وفيه « عروة منه ولا سبب » ولا اعتراض على هذه الرواية .

(٣) من قصيدة له يمدح فيها خالد بن يزيد الشيبانى (الديوان ٩٢) والغمر — بفتح الغين وسكون الميم — الماء الكثير ، والثمد — بفتح الثاء والميم جميعا — الماء القليل .

وهذا من النوع الأول من المنسرح ، ووزنه مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعُولاتُ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعُولاتُ مُسْتَفْعِلُن ، فحذف السين من مستفعلن التى هى المصراع فبقى متفعلن ، وهـذا يُنْقَلُ إلى مفاعلن ، ويسمى مخبونا ؛ لأنه حذف ثانِيَهُ وحذف الفاء من مستفعلن الأخيرة فبقى مستعلن فينقل إلى مُفْتعلن ، ويقال له مَطْوِىّ ؛ لأنه ذهب رابعه ، وحذف الواو من مَفْعُولات الأولى والثانية ، فصار فاعلات ، ويقال له أيضاً مَطْوِى ؛ فأفسد البيت بكثرة الزحاف ، وتقطيعُهُ :

إِلَلْمَفَدْ * دَاأَبِى يَ * زِيدَ الَّذِى * بِضَلْلِغَمْ * رِلْمُلوكِ * فِيشَمَدِهِ

مَفَاعِلُنْ * فَاعِلاتُ * مُسْتَفْعِلُنْ * مَفاعِلُنْ * فَاعِلاتُ * مُفْتَعِلُنْ

ثم قال فى هذه القصيدة :

جِلَّةُ أَنمَارِهِ وَهَمْدَانِهِ وَالشُّمُّ مِنْ أَزْدِهِ وَمِنْ أُدَدِهْ[1]

فحذف الفاء من مستفعلن الأولى ، فعادت إلى مفتعلن ، وحذف الواو من مفعولات الأولى فصارت فَاعِلات ، وحذف الفاء من مستفعلن الأخيرة فصارت مفتعلن ، وتقطيعه :

جِلْلَتُأَنْ * مَارِهِيوَ * هَمْدَانِهِى * وَشْشُمْمُمِنْ * أَزْدِهِى وَ * مِنْأُدَدِهْ

مُفْتَعِلُنْ * فَاعِلاتُ * مُسْتَفْعِلُنْ * مُسْتَفْعِلُنْ * فَاعِلات * مُفْتَعِلُنْ

وهذه الزحافات جائزة فى الشعر غـير منـكرة إذا قَلَّت ، وإذا جاءت فى بيت واحد فى أكثر أجزائه فإن هذا فى نهاية القبح ، ويكون بالـكلام المنثور أشبه منه بالشعر الموزون .

ومن هذا النوع من المنسرح قوله :

---

(١) الجلة : العظماء ، واحدهم جليل ، والشم : جمع أشم ، وأصله وصف من الشمم ، وهو ارتفاع قصبة الأنف ، وذلك عندهم من ملامح العظماء ، ثم أطلقوه على العلية والسادة ، وأنمار ، وهمدان ، والأزد ، وأدد : كلهن أسماء قبائل

وَلَم يُغَيِّرْ وَجْهى عَنِ الصِّبْغَةِ الْ أُوْلى بِمَسْفُوعِ اللَّوْنِ مُلْتَمِعِه[1]

وتقطيعه :

وَلَمْ يُغَيْ * يِرْ وَجْهِيَ * نِصْصِبْغَتِلْ * أُوْلى بِمَسْ * فُوعِلْلَوْنِ * مُلْتَمِعِهْ

مَفَاعِلُنْ * مَفْعُولاتُ * مُسْتَفْعِلُنْ * مُسْتَفْعِلُنْ * مَفْعُولاتُ * مُفْتَعِلُنْ

فحذف السين من مستفعلن الأولى فصارت مفاعلن ، وحذف الفاء من مستفعلن الأخيرة فصارت مفتعلن .

ومثل هذه الأبيات فى شعره كثير إذا أنت تَتَبَّعته ، ولا تكاد ترى فى أشعار الفصحاء والمطبوعين على الشعر من هذا الجنس شيئاً .

* * *

تم السفر الثانى من الموازنة على ماجزأه مؤلفه رحمه الله تعالى

والحمد لله رب العالمين

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب ، وأنفذ إليه حلة وهو بالموصل (الديوان ١٩٦) وفيه « ولم تغير وجهى » وكان فى الأصول «عن الصنيعة الأولى» وهو تحريف أثبتنا تصحيحه عن الديوان ، ويؤيده تقطيع المؤلف البيت على الوجه الذى يأتى .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

قال أبو القاسم الحسنُ بن بشرٍ الآمدِيُّ :

لما كنت خَرَّجت مساوىَ أبي تمام وابتدأت بسرقاته وجب أن أبتدىء من مساوى البحترى بسرقاته ؛ فإنه أخذ من معانى مَنْ تَقَدَّم من الشعراء ، وممن تأخر أخْذاً كثيرا ، وحكى أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح فى كتابه أن ابن أبى طاهر أعلمه أنه أخرج للبحترى ستَّمائةِ بيتٍ مسروق ، ومنها ما أخذه من أبى تمام خاصة مائة بيت ؛ فكان ينبغى أن لا أذكر السرقات فيما أخرَّجه من مساوى هذين الشاعرين ؛ لأننى قَدَّمت القولَ فى أن مَنْ أدركته من أهل العلم بالشعر لم يكونوا يَرَوْنَ سرقات المعانى من كبير مساوى الشعراء ، وخاصة المتأخرين إذ كان هذا بابا ما تعرى منه متقدم ولا متأخر ، ولكن أصحاب أبى تمام ادعوا أنه أول سابق ، وأنه أصل فى الابتداع والاختراع ؛ فوجب إخراج ما استعاره من معانى الناس ؛ فوجب من أجل ذلك إخراج ما أخذه البحترى أيضا من معانى الشعراء ، ولم أستقص بابَ البحترى ، ولا قصدت الاهتمام إلى تتبعه ؛ لأن أصحاب البحترى ما ادعوا ما ادعاه أصحابُ أبى تمام ، بل استقصيت ما أخذه من أبى تمام خاصة ؛ إذ كان من أقبح المساوى أن يتعمد الشاعر ديوان رجل واحد من الشعراء فيأخذ من معانيه ما أخذه البحترى من أبى تمام ، ولو كان عشرة أبيات ، فكيف والذى أخذه منه يزيد على مائة بيت ؟ فأما مساوى

البحترى ـ من غير السرقات ـ فقد دققت واجتهدت أن أظفر له بسيء يكون بإزاء ما أخرجتُه من مساوى أبى تمام فى سائر الأنواع التى ذكرتها ، فلم أجد فى شعره ـ لشدّة تحرزه ، وجوْدة طبعه ، وتهذيب ألفاظه ـ من ذلك إلا أبياتا يسيرة أنا أذكرها عند الفراغ من سرقاته ، فإن مر بى شىء منها ألحقته به ، إن شاء الله تعالى

سرقات البحترى

١ ـ قال :

يُخْفِي الزُّجاجَةَ لَوْنُها فَكَأَنَّها فِي الكَأْسِ قائِمَةٌ بِغَيْرِ إناءِ (١)

أخذه من قول على بن جَبَلَةَ حيث يقول :

كَأَنَّ يَدَ النَّدِيمِ تُدِيرُ مِنْها شُعاعاً لا يُحِيطُ عَلَيْهِ كاسُ (٢)

٢ ـ وقال البحترى :

كالرُّمْحِ فِيهِ بِضْعَ عَشْرَةَ فِقْرَةً مُنْقادَةً تَحْتَ السِّنانِ الأَصْيَدِ (٣)

---

(١) قد تقدم ذكر هذا البيت ، وللمؤلف احتجاج طويل فى تصحيح معناه (انظر ص ٢٦و ٣٠ وما بعدها من هذا الكتاب) . ثم انظر ص ٣٥٦ طبعة أولى

(٢) ارجع إلى (ص ٣١ من هذا الكتاب)

(٣) البيت من قصيدة له يمدح فيها الخضر بن أحمد الثعلبى (الديوان : ١ / ١٧١) وفيه « خلف السنان الأصيد » وقبل هذا البيت مما يوضح معناه ـ قوله :

مزقت أنفسهم بقلب واحد جمعت قواصيه وسيف أوحد
فى فتية طلبوا غبارك ؛ إنه كرم ترفع من طريق السؤدد

والفقرة ـ بكسر فسكون ـ فى الأصل : حلية تصاغ على شكل فقار الظهر ، شبه كعوب قناة الرمح بها ، ويقال : هـذا الرمح كعب واحد ، إذا كان مستوى الكعوب ، وسنان الرمح ـ بزنة الكتاب ـ طرفه ، يريد أن هؤلاء الفتية ينقادون لأمره ويخضعون لإرادته ؛ فهو منهم بمنزلة السنان من الكعوب ،

أخذه من قول بَشَّار[1] :

خَلَفُوا قَادَةً فَكَانُوا سَوَاءً … كَكُعُوبِ الْقَنَاةِ تَحْتَ السِّنَانِ

[و] أخذه أبو تمام فقال :

جَمَعْتَ عُرَى أَعْمَالِهِ بَعْدَ فُرْقَةٍ … إِلَيْكَ كَمَا ضَمَّ الأَنَابِيبَ عَامِلُ[2]

٣ ـ وقال البحترى :

أَعْطَيْتَنِي حَتَّى حَسِبْتُ جَزِيلَ مَا … أَعْطَيْتَنِيهِ وَدِيعَةً لَمْ تُوهَبِ[3]

أخذه من قول الفرزدق :

أَعْطَانِيَ الْمَالَ حَتَّى قُلْتُ يُودِعُنِي … أَوْ قُلْتُ أُعْطِيتُ مالا قَدْ رَآهُ لَنَا

وبيت البحترى أجود

٤ ـ وقال البحترى[4] :

أَرُدُّ دُونَكِ يَقْظَانًا وَيَأْذَنُ لِي
عَلَيْكِ سُكْرُ الْكَرَى إِنْ جِئْتُ وَسْنَانَا

أخذه من قول قَيْس بن الْخَطِيم :

مَا تَمْنَعِي يَقْظَى فَقَدْ تُؤْتِينَهُ … فِى النَّوْمِ غَيْرَ مُصَرَّدٍ مَحْسُوبِ[5]

---

(١) ذكر فى الصناعتين (١٤٨) أن أبا تمام أخذ بيته من قول الحبال الربعى:
أولئك إخوان الصفاء رزئتهم … فما الكف إلا إصبع ثم إصبع

(٢) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن عبد الملك الزيات (الديوان ٢٥٧) وفيه « جمعت عرى آماله » والأنابيب : جمع أنبوبة ، وهى الكعب من كعوب القناة والعامل من الرمح : مايلى السنان ، وهو دون الثعلب . وانظره فى الصناعتين (١٤٨)

(٣) من قصيدة له يمدح فيها مالك بن طوق (الديوان : ١ / ٢٠)

(٤) لا يوجد هذا البيت فى ديوانه المطبوع بمصر ، يريد أنه يرى حبيبته ويتمتع بها فى الأحلام والرؤى ، وسيذكره المؤلف فى أثناء الكلام على ما أخطأ فيه البحترى من المعانى (ص ٣٥٠ طبعة أولى)

(٥) من قصيدة لقيس أولها قوله :

=

٥ ــ وقال البحترى :

مُلُوكٌ يَعُدُّونَ الرِّماحَ مَخاصِراً إذا زَعْزَعُوها وَالدُّرُوعَ غَلائِلا[١]

وهذا مثل قول محمد بن عبد الملك الفَقْعَسى ، ولعله منه أخذه :

وَلا لاقيا كَعْبَ بْنَ عَمْرٍو يَقُودُهُمْ أبُو دهشم نسجَ الحَدِيدَ ثِيابَا[٢]

٦ ــ وقال البحترى :

كوعول الهِضابِ رُحْنَ وَمَا تَمْـ ـلِكْنَ إلاَّ صُمَّ الرِّمَاحِ قُرُونا[٣]

وهذا من نوادر المعانى ، وما عُرف مثله إلا قول نصر بن حجاج بن علاط السلمى ، ولعله منه أخذه :

تَرَى غَايَةَ الْخَطِّىِّ فَوْقَ بُيُوتِهِمْ كما أشْرَفَتْ فَوْقَ الصِّوَارِ قُرُونُها[٤]

٧ ــ وقال البحترى :

= أنى سربت وكنت غير سروب وتقرب الأحلام غير قريب

وانظر ديوانه (ص ٥ المطبوع فى ليبزج ١٩١٤ م) والمصرد : القليل ، وسينشده المؤلف مع البيت الذى أنشدناه فى أخطاء البحترى (ص ٣٥١ طبعة أولى بتحقيقنا)

(١) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان : ٢ / ٢١٢) وكان فى الأصول « محاصرا » بالحاء مهملة ، وهو تحريف . والمخاصر : جمع مخصرة ـ بكسر الميم وسكون الخاء — وهى السوط وكل ما أمسكه الإنسان بيده من عصا ونحوها ، وزعزعوها : حركوها ، والغلائل : جمع غلالة ، وهى شعار يلبس تحت الثوب ، والمراد أنهم لا يتركون الحرب ؛ فكأن أداة الحرب ولبوسها من كثرة ما اعتادوها أشياء من مألوف اللباس والحلى . (٢) لم يستقم لى عجز هذا البيت تماما

(٣) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان : ٢ / ٢٨٣) وهو فى وصف الفرسان والخيل ، والوعول : جمع وعل ، وهو تيس الجبل

(٤) الغاية : الراية ، قال أبو عبيد : تقول : غييت غاية ، وأغييت ؛ إذا نصبتها ؛ والخطى : المنسوب إلى الخط ، والمراد به الرمح ، وأشرفت : أراد به ظهرت ونجمت ، والصوار ـ بكسر الصاد ، بزنة الكتاب — القطيع من بقر الوحش ، وقال الشاعر :

إذا لاح الصوار ذكرت ليلى وأذكرها إذا نفح الصوار

يَنال الْفَتَى مالَمْ يُؤَمِّلْ وَرُبَّمَا أَتاحَتْ لَهُ الأَقْدارُ مالَمْ يُحاذِرِ (١)

أخذه من قول الآخر ، وأنشده ثعلبٌ :

وَحَذِرْتُ مِنْ أَمْرٍ فَمَرَّ بِجَانِبِي لَمْ يَلْقَنِي ، وَلَقِيتُ مالَمْ أَحْذَرِ

٨ ـ وقال البحترى :

وَ إذا الأَنْفُسُ اخْتَلَفْنَ فَمَا يُغْــنِي اتِّفَاقُ الأَسْماء وَالأَلْقابِ (٢)

أخذه من قول الفرزدق :

وَقَدْ تَلْتَقِي الأَسْماء فى النَّاسِ وَالْـكُنَى

كَثِيرًا وَلٰـكِنْ فُرِّقُوا فِي الْخَلائِقِ

٩ ـ وقال البحترى :

لَمْ تَخْطُ بَابَ الدِّهْلِيزِ مُنْصَرِفًا إلاَّ وَخَلْخَالُها مَعَ الشَّنَفِ (٣)

أخذه من قول أبى نُوَاس :

* قَدْ جَمَعُوا آذانَهُ وَعَقِبَهُ *

١٠ ـ وقال البحترى :

وَلَسْتُ أَعْجَبُ مِنْ عِصْيانِ قَلْبِكِ لِي عَمْداً، إذا كانَ قَلْبِي فيكِ يَعْصِينِي (٤)

---

(١) هو من قصيدة له يمدح فيها محمد بن عبد الله بن طاهر ، ويرثى طاهر بن عبد الله بن طاهر والحسين بن طاهر عم محمد بن عبد الله بن طاهر الممدوح (الديوان : ٢ / ١٧) وأتاحت : هيأت ، والأقدار : جمع قدر ، يعنى يأتيه الحوف من حيث لا يرتقب ، وهو كقولهم : الحين قد يسبق جهد الحريص

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن إسماعيل بن شهاب (الديوان : ١ / ٧٢) وفيه « وإن الأنفس »

(٣) من قصيدة له يهجو فيها ابن أبى قماش (الديوان : ٢ / ١١٨) والشنف القرط إذا كان فى أعلى الأذن ، وأصله بفتح الشين وسكون النون ، فحرك نونه لإقامة الوزن ، وأراد أن رجليها تصير إلى جانب أذنيها ، وهى كناية .

(٤) من غزل قصيدة له يمدح فيها أبا عبد الله بن حمدون ويعاتبه (الديوان ٢ / ٢٩٥) وكان فى أصول الكتاب « عصيان قلبك لى عمرا » وهو تحريف صوابه عن الديوان

أخذه من قول حُسَين بن الضحاك الخليع :

وتطمعُ أنْ يُطِيعَكَ قَلْبُ سُعْدَى ... وَتزْعُمُ أنَّ قَلْبَكَ قَدْ عَصَا كا ؟

و بيت البحترى أجود

١١ ـ وقال محمد بن وهيب :

هل الدَّهْرُ إلاَّ غَمْرَةٌ ثُمَّ تَنجَلِى ... وَشِيكا ، وَإلاَّ ضِيقَةٌ تَتفَرَّجُ (١)

أخذه البحترى فقال :

هَلِ الدَّهْرِ إلاَّ غَمْرَةٌ وَانجِلاؤُهَا ... وَشِيكاً ، وَإلاَّ ضِيقَةٌ وَانفِرَاجُهَا (٢)

١٢ ـ وقال فى وصف الذئب :

فَأَتْبَعْتُهَا أُخرَى وَأَضْلَلْتُ نَصْلَهَا ... بِحَيْثُ يَكُونُ اللُّبُّ وَالرُّعبُ وَالحِقْدُ (٣)

وقال فى هذا المعنى :

قَوْمٌ تَرَى أرْمَاحَهُمْ يَوْمَ الْوَغَى ... مَشْغُوفَةً بِمَوَاطِنِ الْكِتْمَانِ (٤)

أخذه من قول عمرو بن معد يكرب الزبيدى :

والضَّارِبِينَ بِكُلِّ أبْيَضَ مُرْهَفٍ ... وَالطَّاعِنِينَ مَجَامِعَ الأضْغَانِ (٥)

إلا أن قول عمرو « والطاعنين مجامع الأضغان » فى غاية الجودة والإصابة ؛ لأنهم إنما يطاعنون الأعداء من أجل أضغانهم ، فإذا وقع الطعن موضع الضغن فذلك غاية كل مطلوب

١٣ ـ وقال البحترى :

---

(١) انظر الوساطة ١٥٥ وسمى قائله محمد بن وهب

(٢) من قصيدة له يمدح فيها إبراهيم بن المدبر (الديوان : ١ / ١٠٣)

(٣) الديوان (١ / ١٨٦) وفيه «فأضللت» وقبله ـ مما يتضح به المعنى ـ قوله :

عوى ثم أقعى فارتجزت فهجته ... فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد

فأوجرته خرقاء تحسب ريشها ... على كوكب ينقض والليل مسود

فما ازداد إلا جرأة وصرامة ... وأيقنت أن الأمر منه هو الجد

(٤) لا يوجد هذا البيت فى ديوانه المطبوع

(٥) انظره فى معاهد التنصيص (٢٦٠ بولاق) ، وفيه « أبيض مخذم »

إِلَى فَتًى يُتْبِعُ النُّعْمَى نَظَائِرَهَا ... كَالْبَحْرِ يُتْبِعُ أَمْوَاجًا بِأَمْوَاجِ (١)

أخذه من قول أبي دَهْبَل الجمحى :

وَلَيْلَةٍ ذاتِ أَجْرَاسٍ وَأَرْوِقَةٍ ... كَالبَحْرِ يُتْبِعُ أَمْوَاجًا بِأَمْوَاجِ

وهذا إنما أراد قول امرىء القيس :

وَلَيلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ ... عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلِي

١٤ ــ وقال البحترى :

مُحَرِّكًا رَأْسَــــه تَوَهُّمُهُ ... مِنْ عَطْسَةٍ قائِمًا عَلَى شَرَفِ (٢)

يشبه قول الآخر :

كَأَنَّ أبا الشمىّ إذا تَغَنَّى ... يُحاكِى عاطِسًا فِى عَيْنِ شَمْسِ

١٥ ــ وقال البحترى :

سَقَمٌ دُونَ أَعْيُنٍ ذاتِ سُقْمٍ ... وَعَذابٌ دُونَ الثَّنايَا الْعِذَابِ (٣)

أخذه من قول بشار :

ذات الثَّنايا الْعِذابِ ... مِنْ دُونِهِنَّ عَذَابُ

١٦ ــ وقال البحترى :

وَكَأَنَّ فِى جِسْمِى الَّذِى ... فى ناظِرَيْكَ مِنَ السَّقَمْ (٤)

أخذه من قول منصور بن الفرج :

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن كنداج (الديوان : ١ / ١٠٤)

(٢) من قصيدته فى هجاء ابن أبى قماش التى مضى قريبا بعض أبياتها (٢٥٤) ورواية البيت فى الديوان (٢ / ١١٩) هكذا :

محرك رأسه توهمه ... قد قام من عطسة على شرف

(٣) هو ثالث بيت من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن إسماعيل بن شهاب (الديوان ١ ــ ٧٠) واللذان قبله قوله :

ما على الركب من وقوف الركاب ... فى مغانى الصبا ورسم التصابى

أين أهل القباب بالأجرع الفر ... د ؟ تولوا ! لا، أين أهل القباب ؟

(٤) من غزل قصيدة له يمدح فيها المتوكل على الله (الديوان ٢ / ٢٢٤) وأولها قوله :

=

حَلَّ فى جِسْمِى مَا كَا نَ بِعَيْنَيْكِ مُقِيما(١)

١٧ ـ وقال البحترى :

تَجِدُ بَدْرَ الدُّجَى يَدْنُو بِشَمْسٍ إِلَىَّ مِنَ الرَّحِيقِ الْخُسْرُوَانِى(٢)

أخذه من قول الخليع :

قَمَرٌ يَحْمِلُ شَمْساً مِنْ رَحِيقِ الْخُسْرُوَانِى

١٨ ـ وقال البحترى :

كَأَنَّ سُهَيْلاً شَخْصُ ظَمْآنَ جَانِحٍ

مَعَ الْأُفْقِ فى نِهْىٍ مِنَ الأَرْضِ يَكْرَعُ(٣)

أخذه من قول محمد بن يزيد الحصنى السلمى يصف النجوم :

حَتَّى إِذَا مَا الْحُوتُ فِى حَوْضٍ مِنَ الدَّلْوِ كَرَعْ

١٩ ـ وقال البحترى :

قَوْمٌ إِذَا شَهِدُوا الْكَرِيهَةَ صَيَّرُوا كُمَمَ الرِّمَاحِ جَمَاجِمَ الأَقْرَانِ(٤)

أخذه من مسلم بن الوليد حيث يقول :

يَكْسُو السُّيُوفَ رُؤُوسَ النَّاكِثِينَ بِهِ وَيَجْعَلُ الْهَامَ تِيجَانَ الْقَنَا الذُّبُلِ(٥)

عن أى ثغر تبتسم وبأى طرف تحتكم

(١) انظره فى الوساطة ١٧٦ .

(٢) من قصيدة له يمدح فيها الهيثم الغنوى (الديوان : ٢ / ٢٧٨) وقبله ـ مما يوضح المعنى ـ قوله :

أغادى أرجوان الراح صرفا على تفاح خد أرجوانى
إذا مالت يدى بالكأس ردت بكف خضيب أطراف البنان
تأمل من خلال الشك فانظر بعينك ما شربت ومن سقانى

(٣) من قصيدة له يمدح فيها أبا عيسى بن صاعد (الديوان : ٢ / ٨٩) وكان فى الأصول « شخص ظمآن جامع » وما أثبتناه عن الديوان

(٤) لا يوجد هذا البيت فى ديوانه المطبوع بمصر ، والكمم : جمع كمة ـ بضم الكاف ـ وهى قلنسوة لاطئة بالرأس على مقداره ، و « كمم الرماح » مفعول ثان لصيروا ، و « جماجم الأقران » مفعوله الأول تأخر عن ثانى المفعولين

(٥) تقدم ذكر هذا البيت فى سرقات أبى تمام (ص ٦٨ من هذا الكتاب)

وأخذه مسلم من قول جرير :

كأنَّ رُؤُوسَ القَوْمِ فَوْقَ رِماحِنا
غَداةَ الوَغَى تِيجانُ كِسْرَى وَقَيْصَرا(١)

٢٠ ـ وقال البحترى(٢) :

وَلِمْ لا أُغالِى بالضِّيَاعِ وَقَدْ دَنَا ... عَلَىَّ مَدَاهَا وَاسْتَقامَ اعْوِجاجُها(٣)
إذَا كانَ لِى تَرْبِيعُها وَاغْتِلالُها ... وَكانَ عَلَيْكُمْ عُشْرُها وَخَراجُها(٤)

أظنه ـ والله أعلم ـ حذا على قول شَبيب بن البَرْصاء :

تَرَى إبِلَ الجارِ الغَرِيبِ كأنَّما ... بِمَكَّةَ بَيْنَ الأَخْشَبَيْنِ مَرَادُها(٥)
يَكُونُ عَلَيْهِ نَقْصُهَا وَضَمانُها ... وللجارِ، إنْ كانَتْ تَزِيدُ، ازْدِيادُها

٢١ ـ وقال أبو صَخْر الهذلى :

أغَرُّ أسِيدِىٌّ تَرَاهُ كَأَنَّهُ ... إذاجَدَّ يُعْطِى مالَهُ وَهْوَ لاعِبُ

أخذه البحترى فقال :

وادِعٌ يَلْعَبُ بالدَّهْرِ إذا ... جَدَّ فى أُكْرُومَةٍ قُلْتَ هَزَلْ(٦)

---

(١) انظر هذا البيت فى (ص ٦٨ من هذا الكتاب) أيضا

(٢) البيتان آخر قصيدة له يمدح فيها إبراهيم بن المدبر (الديوان : ١ / ١٠٣)

(٣) الضياع : جمع ضيعة — على مثال جفنة وجفان — والضيعة : الأرض التى لها غلة

(٤) تربيعها : تصييرها ذات ريع، أو أخذ ريعها،وكان فى الأصول «توسيعها» وهو تحريف صوابه ما أثبتناه عن الديوان، واغتلالها : أخذ غلتها،والعشر والخراج: ضريبة الأرض فى الاصطلاح الحديث

(٥) الأخشبان : جبلان يكتنفان مكة ، والمراد ـ بفتح الميم والراء ـ المصدر الميمى لقولك : راد يرود ، إذا جاء وذهب ، وأراد ترددها للرعى

(٦) من قصيدة له يمدح فيها أبا جعفر الطائى (الديوان : ٢ / ١٨٢) وقبله ـ مما يتصل به معناه ـ قوله :

أتصدى للتفاريق ، ولو ... أبت قومى لتصدت لى الجمل
كبنى مخلد الغر الألى ... رد معروفهم الناس خول
أو أبى جعفر الطائى إذ ... يتمادى معطيا حتى يمل

٢٢ ـ وقال عبد الصمد بن المعذّل :

ظَبْيٌ كأنَّ بِخَصْرِهِ ... مِنْ رِقَّةٍ ظَمأً وَجُوعا[١]
إنّي عَلِقْتُ لِشِقْوَتِي ... يا قَوْمِ مَمْنُوعاً مَنِيعا

أخذه البحترى فقال :

مِنْ غادَةٍ مُنِعَتْ وَتَمْنَعُ نَيْلَها ... وَلَوَ انَّهَا بُذِلَتْ لَنا لَمْ تُبْذَلِ[٢]

فزاد على عبدالصمد بقوله « [لو] بذلت لنا لم تبذل » .

٢٣ ـ وقال البحترى :

سُلِبُوا وَأَشْرَقَتِ الدِّماءُ عَلَيْهِمُ ... مُحْمَرَّةً فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُسْلَبُوا[٣]

وهذا مثل قول[٤] الحسف بن السجف الضبى (؟) ويجوز أن يكون أخذه منه :

وَفَرَّقْتُ بين ابْنَيْ هُمَيْمٍ بِطَعْنَةٍ ... لَها عانِدٌ يَكْسُو السَّلِيبَ إزارا

قوله « لها عاند » يريد الدم .

٢٤ ـ وقال عبد الملك بن عبد الرحمن الحارثى :

---

(١) روى أولها فى ديوان المعانى (١ / ٢٥١) ولم ينسبه إلى قائل .

(٢) لا يوجد هذا البيت فى ديوانه المطبوع بمصر

(٣) من قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم بن مصعب (الديوان : ١ / ٦٣) والبيت من أبيات يصف فيهـا الخرمية والإيقاع بهم ، وقبله ـ مما يوضح معناه ـ قوله :

ناهضتهم والبارقات كأنها ... شعل على أيديهم تتلهب
ووقفت مشهور المقام كريمه ... والبيض تطفو فى الغبار وترسب
ما إن ترى إلا توقد كوكب ... فى قونس قد غار فيه كوكب
فمجدل ومرمل وموسد ... ومضرج ومضمخ ومخضب

(٤) لم يتم لنا ـ مع كثير المراجعة ـ تحقيق هذا الاسم ، والبيت موجود فى الوساطة ١٩٧ منسوبا إلى بعض العرب من غير تعيين، وفى شرح البكرى على ديوان المتنبى ١/٣٣٨ الحلبى غير منسوب أيضا .

وَإنِّى لَيَدْعُونِى لِأَنْ أَسْتَزِيدَهَا　　نُؤَادِى،وَأَخْشَى سُخْطَهَا وَأَهَابُهَا

ونحوه قول البحترى ، ويجوز أن يكون أخذه منه :

وَعَتَبْتِ مِنْ حُبِّيكِ حَتَّى إِنَّنِى　　أَخْشَى مَلَامَكِ أَنْ أَبُثَّكِ مَابِى (١)

٢٥ ـ وقال أبو نُوَاس :

بُحَّ صَوْتُ الْمَالِ مِمَّا　　مِنْكَ يَشْكُو وَيَصِيحُ

أخذه البحترى فقال :

فَكَمْ لَكَ فِى الْأَمْوَالِ مِنْ يَوْمِ وَقْعَةٍ
طَوِيلٍ مِنَ الْأَهْوَالِ فِيهِ عَوِيلُهَا (٢)

٢٦ ـ وقال جابر بن السليك الهمدانى :

أَرْمِى بِهَا اللَّيْلَ قُدَّامِى فَيَهْشِمُ بِى　　إِذِ الْكَوَاكِبُ مِثْلُ الْأَعْيُنِ الْحُولِ

أخذه البحترى فقال :

وَخَدَانُ الْقِلَاصِ حُولاً إِذَا قَا　　بَلْنَ حُولاً مِنْ أَنْجُمِ الْأَسْحَارِ (٣)

٢٧ ـ وقال عُرْوَة بن الْوَرْد :

مُطِلاًّ عَلَى أَعْدَائِهِ يَزْجُرُونَهُ　　بِسَاحَاتِهِمْ زَجْرَ الْمَنِيحِ الْمُشَهَّرِ (٤)
فَإِنْ بَعُدُوا لَا يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ　　تَشَوُّفَ أَهْلِ الْغَائِبِ الْمُتَنَظَّرِ

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها أبا الخطاب الطائى (الديوان : ١ / ١٦)

(٢) لا يوجد هذا البيت فى ديوانه المطبوع بمصر

(٣) من قصيدة له يمدح فيها أباجعفر بن حميد، ويستوهبه غلاما (الديوان: ٢/ ٢٤).

(٤) انظر ديوان عروة (ص ٧٨ وما بعدها ، طبع الجزائر) والمطل : المشرف ، يريد أنه يغزوهم أبدا ، ويزجرونه : يصيحون به ، والمنيح : قدح من قداح الميسر ، يستعار فيضرب به ثم يرد إلى صاحبه ، وقد تقدم ذكر ثانى هذين البيتين (انظر ص ٧٢ من هذا الكتاب)

ألمّ به البحترى فقال :

فَتَرَى الأعَادِيَ ما لَهُمْ شُغُلٌ ‏ ‏ إلاّ تَوَهُّمُ مَوْقِــعِ بَقْعَهْ[١]

٢٨ ـ وقال البحترى :

عَلَيَّ نَحْتُ القَوَافِي مِنْ مَقَاطِعِها ‏ ‏ وَما عَلَيَّ إذا لَمْ تَفْهَمِ البَقَرُ[٢]

ذكر على بن يحيى المنجّم أن البيت للجثم الراسبي ، وكان شاعراً اتصل بمحمد ابن منصور بن زياد فكسب معه ألف درهم ، فلما مات اتصل بمحمد بن يحيى بن خالد البرمكى فأساء صحبته ، فهجاه ، فقال :

شَتَّانَ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدٍ ‏ ‏ حَيٌّ أَمَاتَ وَمَيِّتٌ أَحْيَانِي

فَصَحِبْتُ حَيًّا فِي عَطَايَا مَيِّتٍ ‏ ‏ وَبَقِيتُ مُشْتَمِلاً عَلَى الْخُسْرَانِ

* * *

فهذا ما مر بى من سرقة البحترى من أشعار الناس على غير تَتَبُّع لمخرّجتها .

ولعلى لو استقصيتها لكانت نحو ما خرجته من سرقات أبى تمام وتزيد عليها ، وعلى أننى قد بيضت فى آخر الكتاب ، فمهما مر بى شىء ألحقته به ، إن شاء الله تعالى .

* * *

وهذا ما أخذه البحترى من معانى أبى تمام خاصة[٣]

مما نقلته من صحيح ما خرّجه [أبو] الضياء بشر بن تميم[٤] الكاتب ؛ لأنه

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها أبا عامر الخضر بن أحمد (الديوان : ٢ / ٨٣)

(٢) من قصيدة له يمدح فيها على بن مر الأرمنى (الديوان : ٢ / ٤٣) وروايته فيه هكذا :

على نحت القوافى عن مقاطعها ‏ ‏ وما على لهم أن تفهم البقر

وسيذكره المؤلف مرة أخرى فى سرقات البحترى من أبى تمام خاصة ٣٤١ طبعة أولى بتحقيقنا ، وانظره فى أخبار أبى تمام ٥٠ .

(٣) فى أخبار أبى تمام (٧٦ وما بعدها) جملة من سرقات البحترى من أبى تمام

(٤) وقع فى الأصول هنا «الضياء بشر بن تمام» وقد مر ذكره فى ص ٤٧ كما أثبتناه

استقصى ذلك استقصاء بالَغَ فيه حتى تجاوز إلى ما ليس بمسروق . فكفانا مؤونة الطلب .

١ ـ قال أبو تمام :

فَسَوَاءٌ إجابَتِي غَيْرَ داعٍ ... وَدُعائِي بِالقَفْرِ غَيْرَ مُجِيبِ (١)

فقال البحترى :

وَسَأَلْتَ ما لا يَسْتَجِيبُ وَكُنْتَ فِي اسْتِخْبارِهِ كَمُجِيبِ مَنْ لا يَسْأَلُ (٢)

٢ ـ وقال أبو تمام :

فكادَ بأَنْ يُرَى لِلشَّرْقِ شَرْقاً ... وَكادَ بأَنْ يُرَى لِلْغَرْبِ غَرْباً (٣)

فقال البحترى :

فأكُونُ طَوْراً مَشْرِقاً لِلْمَشْرِقِ الْأَقْصَى وَطَوْراً مَغْرِباً لِلْمَغْرِبِ (٤)

٣ ـ وقال أبو تمام :

وإذَا أرادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ ... طُوِيَتْ أتاحَ لَها لِسانَ حَسُودِ (٥)

فقال البحترى :

وَلَنْ تَسْتَبِينَ الدَّهْرَ مَوْضِعَ نِعْمَةٍ ... إذا أنْتَ لَمْ تُدْلَلْ عَلَيْها بِحاسِدِ (٦)

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها سليمان بن وهب (الديوان ٣٦)

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله (الديوان : ٢ / ١٥٨) وفيه « وسألت من لا يستجيب » وما هنا أدق ، وقبله ـ مما يؤيد ذلك ـ قوله :

أصبابة برسوم رامة بعد ما ... عرفت معالمها الصبا والشمأل

(٣) لا يوجد هذا البيت فى ديوانه المطبوع .

(٤) من قصيدة له يمدح فيها مالك بن طوق (الديوان : ١ / ٢٠) وقبله ـ مما يتضح به المعنى ـ قوله :

مالى وللأيام ؟ صرف صرفها ... حالى ، وأكثر فى البلاد تقلبى

أمسى زميلا للظلام ، وأغتدى ... ردفا على كفل الصباح الأشهب

(٥) سبق ذكر هذا البيت (انظر ص ١١٥ من هذا الكتاب)

(٦) من قصيدة له يمدح فيها الفتح بن خاقان وابنه (الديوان : ١ / ١٣٦)

٤ — وقال أبو تمام(١) :

فإنْ تَكُنْ وَقْعَةٌ قاسَيْتَ سَوْرَتَها ... فالوِرْدُ حِلْفٌ لِلَيْثِ الغابَةِ الأضَمِ(٢)

إنَّ الرِّياحَ إذا ما أعْصَفَتْ قَصَفَتْ ... عِيدانَ نَجْدٍ وَلَمْ يَعْبَأْنَ بالرَّتَمِ(٣)

فقال البحترى(٤) :

فَلَسْتَ تَرَى شَوْكَ القَتادَةِ خائِفاً ... سَمُومَ الرِّياحِ الآخِذاتِ مِنَ الرُّنْدِ(٥)

وَلاَ الكَلْبَ مَحْمُوماً وَإنْ طالَ عُمْرُهُ

ألاَ إنَّما الحُمَّى عَلَى الأسَدِ الوَرْدِ(٦)

٥ — وقال أبو تمام :

رَأَيْتُ رَجائِى فِيكَ وَحْدَكَ هِمَّةً ... وَلكِنَّهُ فى سائِرِ النّاسِ مَطْمَعُ(٧)

---

(١) من أبيات يقولها فى مرض إلياس بن أسد (الديوان ٣١٥) وفيه « فإن يكن وصب عانيت سورته »

(٢) الوصب : المرض ، وسورته : شدته ، والورد — بكسر الواو وسكون الراء — الحمى ؛ وحلف — بكسر فسكون — حليف ، والليث : الأسد ، والأضم الغضبان ، ووقع فى الأصول محرفا « الأجم » يريد أن الحمى ملازمة للأسد

(٣) أعصفت : اشتدت ، ونجد : شجر ، والرتم : نبات

(٤) أول البيتين لا يوجد فى ديوانه المطبوع بمصر ، ويوجد ثانيهما خامس خمسة أبيات (الديوان : ١ / ٢٠٨) وفيه « وما الكلب محموما » وقبله فى الديوان قوله :

ظللنا نعود المجد من وعكك الذى ... وجدت ، وقلنا : اعتل عضو من المجد

ولم ننصف الليث اقتسمنا نواله ... ولم نقتسم حماه إذ أقبلت تردى

(٥) الرند — بضم فسكون — شجر طيب الرائحة من شجر البادية ، ووقع فى الأصول « الزند » وهو تحريف

(٦) الورد — بفتح فسكون — الأسد الذى لونه لون الورد الذى يشم

(٧) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان ١٩٢)

فقال البحترى :

ثنى أمــلِى فاحْتَازَهُ عَنْ مَعاشِرٍ ... يَبِيتُونَ وَالآمالُ فِيهِمْ مَطَامِعُ(١)

٦ — وقال أبو تمام :

بمُحَمَّدٍ وَمُسَوَّدٍ وَمُحَسَّدٍ ... وَمُــكَفرٍ ومُمَدَّحٍ وَمُعَذَّلِ(٢)

فقال البحترى:

ذاكَ المُحَمَّدُ وَالمُسَوَّ ... دُ وَالمُـكَرَّمُ وَالمُحَسَّدْ(٣)

٧ — وقال أبو تمام :

وَقَدْ قَرَّبَ المَرْمَى البَعِيدَ رَجَاؤُهُ ... وَسَهَّلَتِ الأرْضَ العَزَازَ رَكَائِبُه(٤)

فقال البحترى :

أدَارَ رَجاهُ فاغْتَدَى جَنْدَلُ الفَلا ... تُرَاباً، وَقَدْ كانَ التُّرَابُ جَنادِلا(٥)

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها الفتح بن خاقان (الديوان : ٢ / ٧٦)

(٢) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ٢٣٦) وهو بروايته مع بيت سابق عليه هكذا :

حتى تقر عيوننا وقلوبنا ... بالماجد المستقبل المتقبل
بمحمد ومكفر ومحسد ... ومسود وممدح ومعذل

(٣) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن مخلد (الديوان : ١ / ١٤٣) وروايته فيه هكذا :

ذاك المرجى والمبجـل ... والمؤمل والمحسد

(٤) من قصيدة له يمدح فيها أبا العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب (الديوان ٤٥) ، وفيه « وسهلت الأرض العرار كتائبه » بتصحيف « العرار » والعزاز — بفتح العين المهملة والزاى ، بزنة السحاب — الأرض الصلبة

(٥) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان : ٢ / ٢١٣) والجندل ههنا : الصخر .

٨ — وقال أبو تمام :

رَافِعٌ كَفَّهُ لِسَبْرِى فَمَا أَحْـسِبُهُ جاءَنِى لِغَيْرِ اللِّطَامِ (١)

فقال البحترى :

وَوَعْدٌ لَيْسَ يُعْرَفُ مِنْ عُبُوسِ انْـقِبَاضِهِمُ أَوَعْدٌ أَمْ وَعِيدُ (٢)

٩ — وقال أبو تمام :

وَنَغْمَةُ مُعْتَفٍ جَدْوَاهُ أَحْلَى عَلَى أُذُنَيْهِ مِنْ نَغَمِ السَّمَاعِ (٣)

فقال البحترى :

نَشْوَانَ مِنْ طَرَبِ السُّؤالِ كَأَنَّمَا غَنَّاهُ مَالِكُ طَيِّءٍ أَوْ مَعْبَدُ (٤)

١٠ — وقال أبو تمام :

وَمُجَرَّبُونَ سَقَاهُمُ مِنْ بَأْسِهِ فَإِذَا لَقُوا فَكَأَنَّهُمْ أَغْمَارُ (٥)

فقال البحترى :

مَلِكٌ لَهُ فِى كُلِّ يَوْمِ كَرِيهَةٍ إِقْدَامُ غِرٍّ واعْتِزَامُ مُجَرِّبِ (٦)

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها سليمان بن نصر (الديوان ٢٨٣) وفيه « رافعا كفه » والسبر — بفتح السين وسكون الباء — الاختبار ، واللطام — بكسر اللام — المضاربة على الخد .

(٢) من كلمة يقولها لرجل من أهل نصيبين (الديوان : ١ / ١٧٢)

(٣) من قصيدة له يمدح فيها بن أصرم (الديوان ١٩٤) وفيه « ونغمة معتف يرجوه » وأنشده فى الوساطة ١٦١ كما هنا ، والمعتفى : السائل

(٤) من قصيدة له يمدح فيها أبا أيوب (الديوان : ١ / ١٧٦) وفيه « نشوان يطرب للسؤال » وكذلك ورد فى الوساطة ١٦١

(٥) من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد (الديوان ١٤٨) وقد تقدم ذكر هذا البيت (انظر ص ٦٥ من هذا الكتاب)

(٦) من قصيدة يمدح فيها مالك بن طوق (الديوان : ١ / ٢٠) وفيه « إقدام ليث » وليس بشىء

١١ ـ وقال أبو تمام :

لا المَنطِقُ اللَّغوُ يَزْكُو فى مَقاوِمِهِ   يَوْماً، ولا حُجَّةُ المَلْهُوفِ تُسْتَلَبُ (١)

فقال البحترى :

إنْ أغفَلوا حُجَّةً لم يُلفَ مُسْتَرِقاً   لها، وإنْ يَهِمُوا فى القَوْلِ لَمْ يَهِمِ (٢)

١٢ ـ وقال أبو تمام :

مَجْدٌ رَعَى تَلَعاتِ الدَّهْرِ وَهْوَ فَتًى   حَتَّى غَدا الدَّهْرُ يَمْشِى مِشْيَةَ الْهَرِمِ (٣)

فقال البحترى :

صَحِبُوا الزَّمَانَ الفَرْطَ، إلا أنَّهُ   هَرِمَ الزَّمَانُ وعِزُّهُمْ لَمْ يَهْرَمِ (٤)

١٣ ـ وقال أبو تمام :

كَرِيمٌ مَتَى أمْدَحْهُ أمْدَحْهُ وَالْوَرَى   مَعِى، وإذا ما لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحْدِى (٥)

فقال البحترى :

أأشْكُو نَداهُ بَعْدَ أنْ وَسِعَ الْوَرَى   وَمَنْ ذَا يَذُمُّ الغَيْثَ إلاَّ مُذَمَّمُ (٦)

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن عبد الملك بن أبى مروان الزيات (الديوان ٤٩) وفيه « ولا حجة الملهوب » ويزكو : يروج ، والمقاوم : جمع مقام ، والملهوب : المتهيج .

(٢) من قصيدة يمدح فيها عبد الله بن يحى بن خاقان (الديوان : ٢ / ٢٦٥) ويهموا : مضارع وهم ، إذا اعتراه الوهم ، وأراد به ههنا الخطأ

(٣) من قصيدة يمدح فيها مالك بن طوق (الديوان ٢٦٩) والتلعات : جمع تلعة ، وهى المجرى من أعلى الأرض إلى بطن الوادى ، ويقال : هى ما ارتفع من الأرض وما انخفض أيضا ؛ فهى من الأضداد .

(٤) من قصيدة يمدح فيها الهيثم الغنوى (الديوان ٢ / ٢٣٢)

(٥) من قصيدة له يمدح فيها موسى بن إبراهيم الرافقى ويعتذر إليه (الديوان ١٢٩) وانظره أيضا فى معاهد التنصيص فى شواهد المقدمة

(٦) آخر قصيدة له يمدح فيها الفتح بن خاقان ويعاتبه (الديوان : ٢ / ٢٢٧)

١٤ — وقا أبو تمام :

الْبِيدُ وَالعِيسُ واللَّيْلُ التَّمامُ مَعاً ثَلاثَةٌ أَبَدًا يُقْرَنَّ فِي قَرَنِ (١)

فقال البحترى :

أُطْلُبا ثالِثاً سِـــواىَ فإِنِّي رَابِعُ العِيسِ وَالدُّجى وَالبِيدِ (٢)

١٥ — وقال أبو تمام :

وما نَفعُ مَنْ قَدْ باتَ بالأمْسِ صادِياً إذا ما السَّماءُ اليَوْمَ طالَ انهِمارُها (٣)

فقال البحترى :

واعْلَمْ بأن الغَيْثَ لَيْسَ بِنافِعٍ لِلنّاسِ ما لَمْ يَأْتِ فى إبّانِهِ (٤)

١٦ — وقال أبو تمام :

تَكادُ مَغانِيهِ تَهَشُّ عِراصُها فَتَرْكَبُ مِنْ شَوْقٍ إلى كُلِّ راكِبِ (٥)

فقال البحترى :

وَلَوَ انَّ مُشْتاقًا تَــكَلَّفَ غَيْرَ ما فِي وُسْعِهِ لَمَشَى إلَيْكَ الْمِنْبَرُ (٦)

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها أبا الحسن على بن مرة (الديوان ٣٣٤) وقد تقدم ذكر هذا البيت (ص ٦٩ من هذا الكتاب)

(٢) من قصيدة يمدح فيها محمد بن عبد الملك الزيات (الديوان : ١ / ٢٠٥) وقد تقدم ذكرهذا البيت مع بيت سابق عليه (انظر ص ٧٠ من هذا الكتاب)

(٣) من كلمة له يعاتب فيها ابن أبى دؤد (الديوان ٣٩٩) ووقع فى أصول الكتاب « وما نفع من قد مات بالأمس » وتصويبه عن الديوان ، وفيه « إذا ماسماء اليوم »

(٤) من قصيدة له يعاتب فيها الحسن بن وهب (الديوان : ٢ / ٣١٥)

(٥) من قصيدة له يمدح فيها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلى (الديوان ٤١) والمغانى : جمع مغنى ، وهو المنزل ، وتهش : تظهر السرور ، والعراص — بكسر العين — جمع عرصة ، وهى فناء الدار

(٦) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله ويذكر خروجه يوم الفطر (الديوان : ١ / ٢١٢)

١٧ — وقال أبو تمام :

وَكَيْفَ احْتِمالِي لِلسَّحابِ صَنِيعَةً　　بِإسْقائِها قَبْراً وفى لَحْدِهِ البَحْرُ (١)

فقال البحترى :

مَلآنُ مِنْ كَرَمٍ ؛ فَلَيْسَ يَضُرُّهُ　　مَرُّ السَّحابِ عَلَيْهِ وَهْوَ جَهامُ (٢)

١٨ — وقال أبو تمام :

فَلْيَشْكُرُوا جنحَ الظَّلامِ وَدروزاً　　فَهُمْ لدروزَ والظَّلامِ مَوالِي (٣)

فقال البحترى :

نَجاوَهْوَ مَوْلَى الرِّيحِ يَشْكُرُ فَضْلَها　　عَلَيْهِ، وَمَنْ يُولَ الصَّنِيعَةَ يَشْكُرِ (٤)

١٩ — وقال أبو تمام :

---

(١) من قصيدة له يرثى فيها بنى حميد (الديوان ٣٧٠) وقد تقدم ذكر البيت فى سرقات أبى تمام (٧٧)

(٢) من قصيدة له يرثى فيها أبا سعيد (الديوان : ٢ / ٢٥٧) وقبله — مما يتصل به المعنى — قوله :

يا صاحب الجدث المقيم بمنزل　　ما للأنيس بحجرتيه مقـام
قبر تكسر فوقه سمر القنا　　من لوعة وتشقق الأعلام

(٣) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المعتصم ويذكر أخذه لبابك الحرمى (الديوان ٢٦٢) وقبله — مما يتصل بالمعنى — قوله :

لولا الظلام وقلة علقوا بها　　باتت رقابهم بغـير قلال

والقلة : أعلى الجبل كالقنة ، والقلال : جمع قلة ، وأراد بها رءوسهم ، ودروز : اسم رجل ، وموال : عبيد

(٤) من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن دينار بن عبد الله، ويصف مركبا كان اتخذه وهو والى البحر وغزا فيه بلاد الروم (الديوان : ٢ / ٢٤) وفيه : « مضى وهو مولى » وقبله — مما يتصل بمعناه — قوله :

وكنت ابن كسرى قبل ذاك ، وبعده　　مليا بأن توهى صفاة ابن قيصر
جدحت له الموت الذعاف فعافه　　وطار على ألواح شطب مسمر

أنتَ المُقيمُ فما تَغدُو رَواحِلُهُ ... وَعَزْمُهُ أبداً مِنه عَلَى سَفَرِ (١)

فقال البحترى :

مُسافِرٌ وَمَطاياهُ مُحلَّلَةٌ ... عُرُوضُها وَمُقيمٌ وَهْوَ مُرتَحِلُ (٢)

٢٠ ـــ وقال أبو تمام :

وَتُشَرِّفُ العَلْيا، وَهَلْ بِكَ مَذهَبٌ ... عَنْها وَأَنْتَ عَلَى المَكارِمِ قَيِّمُ ؟ (٣)

فقال البحترى :

مُتَقَلْقِل العَزَماتِ فى طَلَبِ العُلا ... حَتّى يَكُونَ عَلَى المَكارِمِ قَيِّمَا (٤)

٢١ ـــ وقال أبو تمام :

فَلَمْ يَجْتَمِعْ شَرْقٌ وَغَرْبٌ لِقاصِدٍ

وَلا المَجْدُ فى كَفِّ امْرِئٍ وَالدَّراهِمُ (٥)

فقال البحترى :

لِيَفِرْ وَفْرُكَ المُوَفَّى وَإنْ أعْـــوَزَ أنْ يُجْمَعَ النَّدَى وَوُفُورُهْ (٦)

---

(١) آخر كلة له يعاتب فيها الحسن بن وهب بسبب غلامه (الديوان ٤٠٠) وفيه « فما تغدو رواحله » و « وفعله أبدا »

(٢) من قصيدة له يمدح فيها محمد يوسف (الديوان : ٢ / ٢١٦)

(٣) من قصيدة له يمدح فيها مالك بن طوق حين عزل من الجزيرة (الديوان ٢٧٥) والقيم على الشيء : الذى يتولى شئونه

(٤) من قصيدة له يمدح فيها أحمد وإبراهيم ابنى المدبر (الديوان : ٢/٢٤٠) وقبله ـ مما يتصل به معناه ـ قوله :

إنى وجدت لأحمد بن محمد ... خلقا إذا خنس الجبان تقدما

(٥) من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن أبى دؤاد (الديوان ٢٨٦) وقبله قوله

جزى الله كفا ملئها من سعاده ... سعت فى هلاك المال والمال نائم

(٦) من قصيدة له يمدح فيها إسماعيل بن بلبل (الديوان : ٢ / ٣١) وفيه « ليفر وفرك الملقى »

٢٢ — وقال أبو تمام :

فَوَقَرْتَ يَا فُوخَ الْجَبَانِ عَلَى الرَّدَى
وَزِدْتَ غَدَاةَ الرَّوْعِ فِي نَجْدَةِ النَّجْدِ[١]

فقال البحترى :

وَيَغْدُو وَنَجْدَتُهُ فى الْوَغَى   تُدَرِّبُ نَجْدَاتِ فُرْسَانِهِ[٢]

٢٣ — وقال أبو تمام :

ما زالَ وَسْوَاسِى لِعَقْلِى خادِعاً   حَتَّى رَجا مَطَراً وَلَيْسَ سَحَابُ[٣]

فقال البحترى :

وَعَجِيبٌ أَنَّ الغُيُومَ يُرَجِّيـهِنَّ مَنْ لا يَرَى مَكَانَ الْغُيُومِ[٤]

٢٤ — وقال أبو تمام :

بكلِّ صَعْبِ الذُّرَى مِنْ مُصْعَبٍ يَقِظٍ
أَقَامَ مُتَّئِداً أَمْ سَارَ مُعْتَزِمَا[٥]

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها حفص بن عمر الأزدى (الديوان ١٣٢) وكان فى الأصول « ووفرت يافوخ الجبال » وهو تحريف تصويبه عن نسخ الديوان ، ووقرت : ثبت ، واليافوخ : مابين عظم الجبهة والجدارين من الرأس ، والمراد بهذه العبارة أنه شجع الجبان على اقتحام الأهوال ، والردى : الهلاك ، والنجد : الشجاع ، يعنى أنه كان مثيرا للجبان حتى شجع ومعينا للشجاع ليزداد فى إقدامه

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن سليمان بن أخت أبى الصقر (الديوان ٢ / ٣٠٥) والوغى : الحرب

(٣) من قصيدة له يهجو فيها أبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقى (الديوان ٤٨٨)

(٤) من قصيدة له يمدح فيها يونس الكاتب ، كاتب أحمد بن إبراهيم (الديوان ٢ / ٢٦٩)

(٥) من قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم المصعبى (الديوان / ٣٠٢) وفيه « إن حل متئدا » وقبله — مما يتصل بالمعنى — قوله : =

فقال البحترى :

لا يَبْرَحُ الْحَزْمُ يَسْتَوْفِي صَرِيمَتَهُ أَقَامَ مُتَّئِدًا أَمْ سَارَ مُعْتَزِمَا[1]

٢٥ — وقال أبو تمام :

لَرَدَدْتُ تُحْفَتَهُ عَلَيْهِ وَإِنْ عَلَتْ عَنْ ذاكَ وَاسْتَهْدَيْتُ بَعْضَ خِصَالِهِ[2]

وقال أبو تمام أيضاً :

وَانفَحْ لَنَا مِنْ طِيبِ خِيمِكَ نَفْحَةً إِنْ كَانَتِ الأَخْلَاقُ مِمَّا تُوهَبُ[3]

فقال البحترى :

لا تَسَلْ رَبَّكَ الكَثِيرَ وَسَلْهُ خَصْلَةً تَسْتَفِيدُهَا مِنْ خِصَالِهْ[4]

= ويوم خيزج والألباب طائرة لو لم تكن حامى الإسلام ماسلما
أضحكت منهم ضباع القاع ضاحية بعد العبوس وأبكيت السيوف دما

والألباب : جمع لب ، وهو العقل ، والقاع : الأرض السهلة اللينة ، وضاحية: بارزة للشمس ، والذرى : جمع ذروة ، وهى أعلى الشىء ، ومتئدا : متمهلا متأنيا ، والمعتزم : الذى صحت عزيمته

(١) من قصيدة له يمدح فيها رافع بن هرثمة (الديوان : ٢ / ٢٥٩) وفيه « يستوفى عزيمته » و « أوسار »

(٢) من كلمة له يمدح فيها عبد الحميد بن غالب (الديوان ٢٣٩) وروايته مع بيت سابق عليه هكذا :

لو كان يهدى لامرىء مالا يرى يهدى لعظم فراقه وزياله
لرددت تحفته عليه معجلا إذ ذاك واستهديت بعض خصاله

(٣) البيت آخر بيت من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ٤٠) وانفح — بالحاء المهملة ، ووقع فى الأصول بالخاء المعجمة محرفا — أى أعط ، والنفحة : العطية ، والخيم — بكسر الخاء — الطبيعة والسجية ، وأرادبها هنا الأخلاق

(٤) من قصيدة له يمدح فيها بعض بنى حميد (الديوان : ٢ / ٢٠١) وفيه « لاتسل ربك الخطير »

٢٦ — وقال أبو تمام :

غَرِيبَةٌ تُؤْنِسُ الآدابَ وَحْشَتُهَا فَمَا تَحُلُّ على قَوْمٍ وتَرْتَحِلُ (١)

فقال البحترى :

ضَوَارِبَ فى الآفاقِ لَيْسَ بِنَازِحٍ بِهَا مِنْ محل أَوْ طَنَتْهُ ارْتِحَالها (٢)

٢٧ — وقال أبو تمام :

كأنما خامَرَهُ أوْلَقٌ أوْ غازَلَتْ هامَتَهُ الْخَنْدَرِيسْ (٣)

فقال البحترى :

وَتَخَالُ رَيْعَانَ الشَّبابِ يَرُوعُهُ مِنْ جِنَّةٍ أَوْ نَشْوَةٍ أَوْ أَفْكَلِ (٤)

٢٨ — وقال أبو تمام :

---

(١) البيت آخر بيت فى قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المعتصم بالله (الديوان ٢٢٩) وفيه « فترتحل » وهو فى وصف قصيدته وشعره ، وقبله — مما يتضح به معناه — قوله :

قد جاء من وصفك التفسير معتذرا بالعجز إن لم يغثنى الله والجمل

لقد لبست أمير المؤمنين بها حليا نظاماه بيت سار أو مثل

(٢) من قصيدة له يمدح فيها إبراهيم بن المدبر (الديوان : ٢ / ١٧٥) وهو فى وصف شعره ، وقبله — مما يوضح معناه — قوله :

ونبئتك استبطأت شكرى لأنعم تتابع عندى سيبها ونوالها

فكيف وقد سارت غرائب لم يزل يفوت فعال المنعمين مقالها

ورواية البيت فى الديوان « ضوارب فى الآفاق ليس ببارح »

(٣) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن رجاء ويطلب منه فرسا (الديوان ١٧٩) وخامره : خالطه ، والأولق : شبه الجنون ، وهامته : رأسه ، والخندريس : الخمر

(٤) لم أجد هذا البيت فى ديوانه المطبوع بمصر

حَمْدٌ حُبِيتَ بِهِ وَأَجْرٌ حَلقَتْ   مِنْ دُونِهِ عَنْقَاءُ لَيْلٍ مُغْرِبِ(١)

فقال البحترى :

فَأَنْتَ تُصِيبُ الْحَمْدَ حَيْثُ تَلَألأَتْ
كَوَاكِبُهُ إِنْ أَنْتَ لَمْ تُصِبِ الأَجْرا(٢)

٢٩ ـ وقال أبو تمام :

تُدْعَى عَطاياهُ وَفْرًا وَهْىَ إِنْ شُهِرَتْ   كانَتْ فَخَاراً لِمَنْ يَعْفُوهُ مُؤْتَنِفَا(٣)

فقال البحترى :

وإذا اجْتَدَاهُ الْمُجْتَدُونَ فإِنَّهُ   يَهَبُ الْعُلَى فى سَيْبِهِ الْمَوْهُوبِ(٤)

٣٠ ـ وقال أبو تمام :

وَتلبَسُ أَخْلاقاً كِرَاماً كأَنَّها
عَلَى الْعِرْضِ مِنْ فَرْطِ الْحَصَانَةِ أَدْرُعُ(٥)

فقال البحترى :

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب ويصف غلاما أهداه إليه (الديوان ٤٢) وحبيت : أعطيته ، والعنقاء : حيوان لا وجود له

(٢) من كلمة له كتبها إلى محمد بن على القمى (الديوان ٢ / ٣٥) وكان محمد قد كتب إلى البحترى ببيت ، وهو :

هجرت كأن الوصل أعقب هجرة   وما خلت وصلا قبلها يعقب الهجرا

(٣) من قصيدة له يمدح فيها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلى (الديوان ٢٠١) والوفر : الكثير ، ويعفوه : يسأله ويطلب رفده ،ومؤتنفا : معيدا، يريدأن السائل ليست هذه أولى استمناحاته منه .

(٤) من قصيدة له يمدح فيها يعقوب بن إسحاق النوبختى (الديوان ١ / ٥٧) وفيه « يهب العلى فى نيله » وسيبه : عطاؤه ، ومثله فى المعنى « نيله » واجتداه : طلب جدواه ، وهى العطاء

(٥) من قصيدة له يرثى فيها بنى حميد (الديوان ٣٧٣) وقبله — مما يتصل بعناه ـ قوله :

ألم تك ترعانا من الدهر إن وسطا   وتحفظ من أموالنا ما يضيع

قَوْمٌ إذا لَبِسُوا الدُّرُوعَ لِمَوْقِفٍ   لَبِسُوا مِنَ الأَحْسَابِ فِيهِ دُرُوعَا[١]

٣١ ـ وقال أبو تمام :

لَمَّا أَظَلَّتْنِي غَمَامُكَ أَصْبَحَتْ   تِلْكَ الشُّهُودُ عَلَيَّ وَهْيَ شُهُودِي[٢]

فقال البحترى :

وَمُعْتَرِضُونَ إِنْ حاوَلْتُ أَمْراً   بِهِمْ شَهِدُوا عَلَيَّ وهُمْ شُهُودِي[٣]

٣٢ ـ وقال أبو تمام :

أَنْضَرَتْ أَيْكَتِي عَطاياكَ حَتَّى   صارَ ساقاً عُودِى وكانَ قَضِيبا[٤]

فقال البحترى :

حَتَّى يَعُودَ الذِّئْبُ لَيْثاً ضَيْغَماً   والغُصْنُ ساقاً والقَرَارَةُ نِيقا[٥]

---

(١) من قصيدة يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان ٢ / ٨٥) وروايته فى الديوان هكذا :

قوم إذا لبسوا الدروع لموقف   لبستهم الأعراض فيه دروعا

وأحسبه أدل على الأخذ من معنى أبى تمام مما حكاه المؤلف

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أبا عبد الله أحمد بن أبى دؤاد (الديوان ٨٤) وبعده ـ ما يتصل بالمعنى ـ قوله :

من بعد ماظنوا بأن سيكون لى   يوم ببغيهم كيوم عبيد

أمنية ماصادفوا شيطانها   فيها بعفريت ولا بمريد

نزعوا بسهم قطيعة يهفو به   ريش العقوق فكان غير سديد

وإذا أراد الله نشر فضيلة   طويت أتاح لها لسان حسود

(٣) من قصيدة له يعاتب فيها إبراهيم بن الحسن بن سهل (الديوان ١ / ١٩٨) وفيه « ومعترضين إن عظمت أمرا »

(٤) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان ٢٨) والأيكة : الشجرة ، وأنضرتها : جعلتها ناضرة شديدة الخضرة ، والساق : جذع الشجرة الخضراء ، والقضيب : الغصن الذى قطع فيبس

(٥) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان ٢ / ١٤٧) والليث : الأسد ، وأراد بالضيغم المفترس ، والساق والغصن : تقدم شرحهما فى بيت أبى تمام الذى هو أصل هذا البيت ، والقرارة : القاع المستدير ، وهو المستوى من الأرض ، والنيق : أعلى مكان فى الجبل .

٣٣ ــ وقال أبو تمام :

* فمَا تَصْطادُ غَيْرَ الصيد[١] *

فقال البحترى :

* وتصطاد الفوارس صيدها[٢] *

٣٤ ــ وقال أبو تمام :

أَلآنَ حِينَ غَرَسْتُ فِى كَرْمِ النَّدَى ... تِلْكَ الْمُنَى وَبَنَيْتُ فَوْقَ أَسَاسِ[٣]

فقال البحترى :

غُفْلُ الرِّجَالِ بَنَوْا عَلَى جَدَدِ الثَّرَى ... لَمَّا بَنَوْا ، وبَنَيْتُ فَوْقَ أَسَاسِ[٤]

٣٥ ــ وقال أبو تمام :

فَعَلَامَ الصُّدُودُ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ ... والصُّدُودُ الْفِرَاقُ قَبْلَ الْفِرَاقِ[٥]

فقال البحترى :

عَلَى أَنَّ هِجْرَانَ الْحَبِيبِ هُوَ النَّوَى ... لَدَىَّ، وَعِرْفَانَ الْمَشِيبِ هُوَ الْعَذْلُ[٦]

(١) كذا فى الأصول بغير تمام البيت ، ولأبى تمام فى هذا المعنى قوله من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان ١٠٩) :

ربما صيدا فردته المنايا ... إلى أنياب مقتنص الأسود

(٢) كذا وقع فى أصول الكتاب بغير تكملة

(٣) من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن المعتصم أمير المؤمنين (الديوان ١٧٥) وفيه « غرست فى كرم الثرى »

(٤) من قصيدة له يمدح فيها أبا الحسن بن عبد الملك(الديوان٢/٦٠) وروايته فيه هكذا :

فإذا بنى غفل الرجال بنى على ... جدد بنيت على ذرى وأساس

(٥) هو رابع أربعة أبيات له فى الغزل (الديوان ٤٥٣) والصدود : الهجر، وقد ذكر صاحب الوساطة ١٨١ مأخذ البحترى لهذا المعنى من بيتين لأبى تمام غير هذا البيت

(٦) من قصيدة له يمدح فيها المتوكل على الله أمير المؤمنين ويذكر فيها حرب ربيعة وعفو المتوكل عنهم بواسطته (الديوان ٢ / ١٦٣) وفيه «هو النوى المشت وعرفان ـ إلخ » ورواه فى الوساطة ١٧١ كما هنا

٣٦ ـ وقال أبو تمام :

وَفَتًى إذا جَنَفَ الزَّمانُ فَمَا يُرَى إلاَّ إلى عَزَمَاتِهِ يَتَظَلَّمُ(١)

فقال البحترى :

وَلَوْ أنْصَفَتْنِي سُرَّ مَرَّاهُ لَمْ أكُنْ إلى العِيسِ مِنْ قُطَّانِهَا أتَظَلَّمُ(٢)

٣٧ ـ وقال أبو تمام :

مِنْ دَوْحَةِ الكَلِمِ الَّذِى لَمْ يَنْفَكِكْ وَقْفًا عَلَيْكَ رَصِينُهُ مَحْبُوسَا(٣)

فقال البحترى :

وَلَكَ السَّلامَةُ والسَّلامُ فإنَّنِي غادٍ وَهُنَّ عَلى عُلاكَ حَبائِسُ(٤)

٣٨ ـ وقال أبو تمام :

وكَذَاكَ لَمْ تُفْرِطْ كَآبَةُ عاطِلٍ حَتَّى يُجَاوِرَهَا الزَّمَانُ بِحَالِ(٥)

---

(١) من قصيدة يمدح فيها محمد بن حسان الضبى (الديوان ٢٨٤) وفيه « وفتى إذا ظلم الزمان » وجنف : ظلم ومال

(٢) هو ثانى بيت من قصيدة له يمدح فيها الفتح بن خاقان ويعاتبه (الديوان ٢٢٦/٢) ووقع فى الأصول محرفا « إلى العيش من أوطانها » والعيس ـ بكسر العين وآخره سين مهملة — جمع أعيس ، وهو الكريم من الإبل ، وأراد بها الرجال الكرام .

(٣) من قصيدة له يمدح فيها أبا الغيث موسى بن إبراهيم الرافقى (الديوان ١٧٨) وفيه « الكلم التى » و « رصينها » والدوحة : الشجرة العظيمة ، ورصين الكلام : محكمه

(٤) من كلمة له يقولها لعلى بن يحيى المنجم (الديوان ٥٩/٢)

(٥) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المعتصم بالله ، ويذكر أخذه بابكا الخرمى (الديوان ٢٦٠) وقبله — مما يتضح به المعنى — قوله :

فلأذربيجان اختيال بعد ما كانت معرس عبرة ونكال
سمجت ، ونبهنا على استسماجها ماحولها من نضرة وجمال

والاختيال : الكبر ، والمعرس : المنزل ، والعبرة : الاعتبار ، والنكال : العذاب ، وسمجت : قبحت ، والنضرة : الحسن ، وتفرط : تزيد وتكثر ، والكآبة : الحزن ، والعاطل : الخالى من المحاسن : والحالى ، المتحلى ، وهو مقابل العاطل .

فقال البحترى :

وَقَدْ زادَها إفْرَاطَ حُسْنٍ جِوارُهَا   خَلائِقَ أصْفارٍ مِنَ المَجْدِ خُيَّبِ(١)

٣٩ ـ وقال أبو تمام :

وما العُرْفُ بالتَّسْويفِ إلاَّ كَخُلَّةٍ   تَسَلَّيْتَ عَنْها حِينَ شَطَّ مَزارُها(٢)

فقال البحترى :

وكُنْتُ وَقَدْ أمَّلْتُ مُرًّا لِحَاجَتِى   كَطالِبِ جَدْوَى خُلَّةٍ لا تُواصِلُ(٣)

٤٠ ـ وقال أبو تمام :

آسادُ مَوْتٍ مُخْدِراتٌ مالَها   إلا الصَّوارِمَ والقَنا آجامُ(٤)

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها الفتح بن خاقان (الديوان ١ / ٥٠) ووقع فى الأصول « من المجد خلب » وما أثبتناه عن الديوان ، وقبل البيت — ما يتضح به المعنى ـ قوله :

فماذا يغر الحائنين وقد رأوا   ضرائب ذاك المشرفى المجرب
غرائب أخلاق هى الروض جاده   ملث العزالى ذو رباب وهيدب
فكم عجبت من ناظر متأمل   وكم حيرت من سامع متعجب

والأصفار : جمع صفر ، وهو الخالى ، والخيب : جمع خائب ، يريد أن أخلاق هذا الممدوح قد زادت وضوحا وتبين حسنها لمجاورتها لأخلاق قوم لاصلة بينهم وبين المجد ، والضد كما قيل يظهر حسنه الضد .

(٢) من كلة له يعاتب فيها ابن أبى دؤاد (الديوان ٣٩٩) وفيه « وما النفع بالتسويف » والتسويف : المطل ، والخلة ههنا : الصديقة ، ويقال بلفظ واحد للرجل والمرأة .

(٣) من كلة له يهجو فيها مر بن على بن مر (الديوان ٢ / ٢٠٩)

(٤) من قصيدة له يمدح فيها المأمون (الديوان ٢٨١) والمخدرات : الداخلات الخدور ، وأصل الخدر المسكن الذى تحبس فيه النساء ، واستعير هنا للأسد ، ويقال : ليث خادر ، ومخدر ، والآجام : جمع أجمة ، وهى الحظيرة من القصب ، وأراد هنا الغابات .

فقال البحترى :

حُشِدَتْ حَوْلَهَا سِبَاعُ الْمَوَالِي ۞ وَالعَوَالِي غَابٌ لِتِلْكَ السِّبَاعِ[١]

٤١ ـ وقال أبو تمام :

ولاذَتْ بِحِقْوَيْهِ الخِلَافَةُ والتَقَتْ ۞ عَلَى خِدْرِهَا أَرْمَاحُهُ ومَنَاصِلُهْ[٢]

فقال البحترى :

لاذَتْ بِحِقْوَيْهِ الخِلَافَةُ ؛ إِنَّهَا ۞ قسمٌ لأفضَلِ هاشِمٍ فالأفضَلِ[٣]

٤٢ ـ وقال أبو تمام :

قَدْ جاءنا الرَّشَأُ الَّذِي أهْدَيْتَهُ ۞ خِرْقاً ، وَلَوْ شِئْنا لَقُلْنا المَرْكَبُ[٤]

فقال البحترى :

حَمَلْتُ عَلَيْهِ فى سَبِيلِ فُتُوَّةٍ ۞ هىَ الثَّغْرُ خَلْفَ المَجْدِ بَلْ تَفْضُلُ الثَّغْرَا[٥]

٤٣ ـ وقال أبو تمام :

وَقَدْ تَأْلَفُ العَيْنُ الدُّجَى وَهْوَ قَيْدُهَا ۞ وَيُرْجَى شِفَاءُ السُّمِّ وَالسُّمُّ قَاتِلُ[٦]

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المعتز بالله (الديوان ٢ / ٨١)

(٢) من قصيدة له يمدح فيها المعتصم بالله (الديوان ٢٣١) وفيه « فالتفت » والحقو — بكسر فسكون — الإزار

(٣) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل (الديوان ٢ / ١٤٦) وفيه « عاذت بحقويك »

(٤) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب ويصف غلاما أهداه إليه (الديوان ٤٠) والرشأ : الغزال ، والخرق ـ بكسر فسكون ـ الفتى الحسن الكريم الخلقة، وقال الصولى : هو الذى دهش وتحير

(٥) من كلمة أرسل بها إلى محمد بن على القمى جوابا على بيت من الشعر أرسله إليه (الديوان ٢ / ٣٥) .

(٦) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن عبد الملك الزيات (الديوان ٢٥٩) والدجى : الليل

فقال البحترى :

وَيَحْسُنُ دَلُّها والمَوْتُ فيـهِ   وَقَدْ يُسْتَحْسَنُ السَّيْفُ الصَّقِيلُ(١)

٤٤ ـ وقال أبو تمام :

أَوْرَقَتْ لِي وَعْداً وَتَقَتْ بِنُجْحِهِ   بِالأَمْسِ ، إلاّ أنَّهُ لَمْ يُثْمِرِ(٢)

فقال البحترى :

والوَعْدُ كالوَرَقِ الجَنِيّ تَأَوَّدَتْ   مِنْهُ الغُصُونُ وَنُجْحُهُ أَنْ يُثْمِرَا(٣)

٤٥ ـ وقال أبو تمام :

إنَّ الهِلالَ إذا رَأَيْتَ نُمُوَّهُ   أَيْقَنْتَ أَنْ سَيَكُونُ بَدْراً كامِلاً(٤)

فقال البحترى :

مِثْلُ الهِلالِ بَدَا فَلَمْ يَبْرَحْ بِهِ   صَوْغُ اللّيالِي فيه حَتَّى أَقْمَرَا(٥)

٤٦ ـ وقال أبو تمام :

نَرْمِي بِأَشْباحِنا إلى مَلِكٍ   نَأْخُذُ مِنْ مالِهِ ومِنْ أَدَبِهْ(٦)

---

(١) لم أجد هذا البيت فى ديوانه المطبوع بمصر

(٢) لا يوجد هذا البيت فى ديوانه بهذه الصيغة ، وله فى هـذا المعنى بيت من قصيدة له يعاتب فيها عياش بن لهيعة (الديوان ٣٩٧) وهو قوله :

أفديك مورق موعد لم يفدنى   من قول باغ إنه لم يثمر

وبيت آخر من قصيدة يقولها فيه أيضا (الديوان ٣٩٩) وهو قوله :

وأعوذ باسمك أن تـكون كعارض   لا يرتجى وكنابت لم يثمر

(٣) من قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن كنداج عند ماتوج وقلد السيفين (الديوان ٢١/٢) وفيه « كالورق النضر » و « نجحها أن يثمرا »

(٤) من قصيدة له يرثى فيها ابنين لعبد الله بن طاهر ماتا صغيرين (الديوان ٣٨٠) وقد تقدم ذكر هذا البيت فى سرقات أبى تمام (انظر ص ٧٢ من هذا الـكتاب)

(٥) من مدحته فى إسحاق بن كنداج التى منها البيت السابق (الديوان ٢ / ٢٢)

(٦) من قصيدة له يمدح فيها أبا الحسن محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمى (الديوان ٥٢)

فقال البحترى :

نَغْدُو فَإِمَّا اسْتَمَحْنا مِنْ مَوَاهِبِهِ فَضْلاً وَإِمَّا اسْتَفَدْنا مِنْهُ آدابَا(١)

٤٧ — وقال أبو تمام :

وَمَا خَيْرُ بَرْقٍ لاحَ فِي غَيْرِ وَقْتِهِ وَوَادٍ غَدَا مَلْآنَ قَبْلَ أَوَانِهِ(٢)

فقال البحترى :

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الغَيْثَ لَيْسَ بِنَافِعٍ لِلنَّاسِ مَا لَمْ يَأْتِ فِي إِبَّانِهِ(٣)

٤٨ — وقال أبو تمام :

لا يَكْرُمُ السَّائِلُ الْمُعْطَى وَإِنْ أَخَذَتْ
مِنْهُ الرَّغَائِبُ حَتَّى يَكْرُمَ الطَّلَبُ(٤)

فقال البحترى :

عَلَّمْتَنِي الطَّلَبَ الشَّرِيفَ، وَإِنَّمَا كُنْتُ الْوَضِيعَ مِنَ اتِّضَاعِ مَطَالِبِي(٥)

---

(١) لم أعثر على هذا البيت فى ديوانه المطبوع فى مصر

(٢) من قصيدة له يمدح فيها الحسن وسليمان ابنى وهب (الديوان ٣٢٠) وقبله قوله :

رأيتكما من ريب دهرى هضبة وما زلتما — لازلتما — من رعانه
فأصبح لى تحت الجران فريسة ولولا كما أصبحت تحت جرانه
وملكتمانى صعبة وخشاشها وأمكنتما من طامح وعنانه
لئن رمت أمرا ساءنى عند بكره لقد سرنى فعلا كما فى عوانه

ريب الدهر : حوادثه ، والهضبة : الجبل المنبسط ، والرعان : الجبال الطويلة ، والجران : مقدم عنق البعير

(٣) من قصيدة له يعاتب فيها الحسن بن وهب (الديوان ٢ / ٣١٥) وإبان الشىء : وقته

(٤) من قصيدة له يمدح فيها أبا جعفر محمد بن عبد الملك بن أبى مروان الزيات (الديوان ٤٨) وفيه « لا يكرم الظفر » وفيه « أخذت به الرغائب »

(٥) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ١/ ٦٧) وفيه« وربما كنت الوضيع » وهى أحسن

٤٩ ـ وقال أبو تمام :

أَرْسَى بِنَادِيكَ النَّدَى، وَتَنَفَّسَتْ نَفَسًا بِعَقْوَتِكَ الرِّيَاحُ ضَعِيفَا(١)

فقال البحترى :

رَاحَتْ لِأَرْبُعِكِ الرِّيَاحُ ضَعِيفَةً وَأَصَابَ مَغْنَاكِ الْغَمَامُ الصَّيِّبُ(٢)

٥٠ ـ وقال أبو تمام :

الْوُدُّ لِلْقُرْبَى ولٰـكِنْ رِفْـدُهُ لِلْأَبْعَدِ الْأَوْطَانِ دُونَ الْأَقْرَبِ(٣)

فقال البحترى :

بَلْ كَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنْ سَيْبِهِ سَبَبًا مَنْ كَانَ أَبْعَدَهُمْ مِنْ جِذْمِهِ رَحِمَا(٤)

٥١ ـ وقال أبو تمام :

شَرْخٌ مِنَ الشَّرَفِ الْمُنِيفِ يَهُزُّهُ هَزَّ الصَّفِيحَةِ شَرْخُ عُمْرٍ مُقْبِلِ(٥)

فقال البحترى :

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف ويعرض بوال ولى الثغر بعده (الديوان ٢٠٦) وقد سبق ذكر هذا البيت (انظر ص ١٣٣ من هذا الكتاب) وأرسى : ثبت وأقام ، والعرصة : ساحة الدار ، والندى : الكرم، والعقوة : الساحة أيضا

(٢) من قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم بن مصعب (الديوان ١ ٦١) وفيه « الرياح مريضة » والأربع : جمع ربع

(٣) من قصيدة له يمدح فيها عمر بن طوق التغلبي (الديوان ١٤) وفيه« ولكن عرفه » وقد تقدم ذكر هذا البيت (انظر ص ١٤٣ من هـذا الكتاب) والرفد بكسر فسكون ـ العطاء ، والعرف ـ بضم فسكون ـ المعروف

(٤) من قصيدة له يمدح فيها رافع بن هرثمة (الديوان ٢ / ٢٦٠) وقد تقدم ذكر هذا البيت (انظر ص١٥٣ من هذا الكتاب) والجذم ـ بكسر الجيم وسكون الدال ـ الأصل ، والسيب : العطاء

(٥) من قصيدة يمدح فيها أبا الوليد أحمد بن أبى دؤاد (الديوان ٢٣٧) ووقع فى الأصول « شرخ عمر مقبل » والتصحيح عن الديوان ، والشرخ : العرق ، =

أَدْرَكْتَ مافاتَ الكُهُولَ مِنَ الحِجَى
فِى عُنْفُوَانِ شَبَابِكَ المُسْتَقْبَلِ (١)

٥٢ ــ وقال أبو تمام :

بَعَثْنَ الهَوَى فى قَلْبِ مَنْ لَيْسَ هائماً
فَقُلْ فى فُؤادٍ رُعْنَهُ وَهْوَ هائِمُ (٢)

فقال البحترى :

فَبَعَثْنَ وَجْداً لِلْخَلِيِّ ، وَزِدْنَ فى — بُرَحاءِ وَجْدِ الهائِمِ المُسْتَهْتَرِ (٣)

٥٣ ــ وقال أبو تمام :

غُرَّةٌ بُهْمَةٌ ألاَ إنَّمَا كُنْـ — ـتُ أغَرَّا أيَّامَ كُنْتُ بَهِيمَا (٤)

فقال البحترى :

= والمنيف : العالى ، والصفيحة : السيف العريض ، والشرخ الثانى : أول الشباب ، والغمر ــ بالغين معجمة ــ الكريم ، والمبقل : الذى نبت شعر وجهه

(١) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن صالح الهاشمى (الديوان ٢ / ٢١٨) وعنفوان الشباب : أوله ، أو أول بهجته ، ووقع فى الاصول « ما فات الكهول من الدجى » وهو تحريف صوابه عن الديوان

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن أبى دؤاد (الديوان ٢٨٥) ورعنه : أخفنه ، تقول : راعه يروعه ، إذا أخافه .

(٣) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله (الديوان ١ / ٢١٣) وفيه « العاشق المستهتر » والوجد : الشوق ، والخلى : الفارغ من الحب ، والبرحاء ــ بضم الباء وفتح الراء ــ الشدة والمشقة ، تقول : أخذته برحاء الشوق ، وقد برح به الهوى ، والمستهتر بالشىء : المولع به

(٤) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان ٢٩١) والغرة ــ بضم الغين ــ أراد مقدم الشعر ، والبهمة ــ بفتح الباء ــ الشديدة السواد ، والأغر : الأبيض ، والبهيم : الأسود ، يريد أنه كان مرضيا مقبولا أيام كان شابا أسود الشعر ، وقبل البيت ــ مما يتضح به المعنى ــ قوله : =

عَجِبْتُ لِتَفْوِيفِ الْقَذَالِ ، وَإِنَّمَا تَفْوِيفُهُ لَوْ كَانَ غَـيْرَ مُفَوَّفِ [(١)]

٥٤ — وقال أبو تمام :

وَما زالَتْ تُجِدُّ أَسًى وَشَوْقًا لَهُ وَعَلَيْهِ أَخْلاقُ الرُّسُومِ [(٢)]

فقال البحترى :

فَهَيَّجَ وَجْدِى رَبْعُهَا وَهْوَ سَاكِنٌ وَجَدَّدَ شَوْقِى رَسْمُها وهْوَ مُخْلَقُ [(٣)]

٥٥ — وقال أبو تمام :

تَرَاهُ يَذُبُّ عَنْ حَرَمِ الْمَعَالِى فَتَحْسَبُهُ يُدَافِعُ عَنْ حَرِيمِ [(٤)]

فقال البحترى :

حَامٍ عَنِ الْمَكْرُماتِ مُجْتَهِداً ذَبَّ الْمُحَامِى عَنْ مَالِهِ وَدَمِهِ [(٥)]

٥٦ — وقال أبو تمام :

= أصبحت روضة الشباب هشيما وغدت ريحه البليل سموما
شعلة فى المفارق استودعتنى فى صميم الفؤاد ثكلا صميما
تستثير الهموم ما اكتن منها صعدا وهى تستثير الهموما

(١) من قصيدة له يمدح فيها يوسف بن محمد (الديوان ٢ / ١٢٠) وأصل التفويف من الفوف — بضم الفاء — وهو نقط بياض فى أظفار الأحداث ، وأراد هنا ابيضاضه ، والقذال : جماع مؤخر الرأس ، يقول : عجبت من بياض شعرى

(٢) لا يوجد هذا البيت فى ديوانه المطبوع ، والأخلاق : جمع خلق ، وهو البالى

(٣) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن على القمى (الديوان ٢ / ١٣٨) وفيه « فحرك بثى » والبث : الحزن ، ومخلق : بال

(٤) من قصيدة له يمدح فيها بعض بنى عبد الكريم الطائيين (الديوان ٢٨٨) ويذب : يدافع ، وحرم المعالى : كناية عما تستدعيه من كريم الصفات ، وحريم الرجل : حرمه الذى يجب أن يدفع عنه

(٥) من قصيدة له يمدح فيها ابن ثوابة (الديوان ٢ / ٢٣٩) وفيه « جهد المحامى » والذب : الدفع

تَنَصَّلَ رَبُّهَا مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ ... إِلَيْكَ سِوَى النَّصِيحَةِ وَالْوِدَادِ (١)

فقال البحترى :

أُقِرُّ بِمَا لَمْ أَجْنِهِ مُتَنَصِّلاً ... إِلَيْكَ، عَلَى أَنِّى إِخَالُكَ أَلْوَمَا (٢)

٥٧ ـ وقال أبو تمام :

وَتَنِدُّ عِنْدَهُمُ الْعُلَى إِلاَّ عُلًى ... جُعِلَتْ لَهَا مُرَرُ الْقَصِيدِ قُيُودَا (٣)

فقال البحترى :

وَالْمَجْدُ قَدْ يَأْبِقُ عَنْ أَهْلِهِ ... لَوْلَا عُرَى الشِّعْرِ الَّذِى قَيَّدَهُ (٤)

٥٨ ـ وقال أبو تمام :

شَكٌّ حَشَاهَا بِخُطْبَةٍ عَنَنٍ ... كَأَنَّهَا مِنْهُ طَعْنَةٌ خَلْسُ (٥)

فقال البحترى :

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها أبا عبد الله أحمد بن أبى دؤاد (الديوان ٨١) وتنصل : تبرأ ، وربها : صاحبها ، والجرم - بضم الجيم - الخطيئة والذنب ، والبيت فى وصف قصيدته ، وقبله قوله :

إليك بعثت أبكار المعانى ... يليها سائق عجل وحاد

جوائز عن ذنابى القوم حيرى ... هوادى للجماجم والهوادى

شداد الأسر سالمة النواحى ... من الإقواء فيها والسناد

يذللها بذكرك قرن فكر ... إذا حزنت فتسلس فى القياد

لها فى الهاجس القدح المعلى ... وفى نظم القوافى والعماد

منزهة عن السرق المورى ... مكرمة عن المعنى المعاد

(٢) من قصيدة له يمدح فيها الفتح بن خاقان ويعاتبه (الديوان ٢/٢٢٨)

(٣) من قصيدة له يمدح فيها خالد بن يزيد الشيبانى (الديوان ٩٠) وتند : تشذ وتنفر ، والمرر : جمع مرير ، وهو الحبل المحكم فتله

(٤) من قصيدة له يمدح فيها عبدون بن مخلد (الديوان ١ / ١٦٠) وفيه « يأبق من أهله »

(٥) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ١٦٨) وقبله قوله :

وحومة للخطاب فرجها ... والقوم عجم فى مثلها خرس =

فَرَّجْتَ جونتها بِخُطْبَةِ فَيْصَلٍ   مِثْلٌ لها فى الرَّوْعِ طَعْنَةُ فَيْصَلِ (١)

٥٩ ـ وقال أبو تمام :

جَمُّ التَّوَاضُعِ والدُّنيا بِسُؤْدَدِهِ   تَكادُ تَهْتَزُّ مِنْ أَقْطَارِها صَلَفَا (٢)

فقال البحترى :

أَبْدَى التَّوَاضُعَ لما نَالَها رِعَةً   عَنْهَا فَنَالَتْهُ فَاخْتَالَتْ بِهِ تِيهَا (٣)

٦٠ ـ وقال أبو تمام :

إِذَا أَطْلَقُوهُ عَنْ جَوَامِعِ غُلِّهِ   تَيَقَّنَ أَنَّ المَنَّ أَيْضاً جَوَامِعُ (٤)

فقال البحترى :

وَفِى عَفْوِهِ لَوْ يَعْلَمُونَ عُقُوبَةٌ
تُقَعْقِعُ فى الأَعْرَاضِ إِنْ لَمْ يُعَاقِبِ (٥)

٦١ ـ وقال أبو تمام :

= وخطبة عنن : ظاهرة المعانى ، أو معترضة خطب القوم ، وطعنة خلس : سريعة نافذة

(١) لم أجد هذا البيت فى ديوانه المطبوع بمصر

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلى (الديوان ٢٠١) وفيه « والدنيا لسؤدده » والصلف : الكبر

(٣) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل ويصف البركة (الديوان ٢ / ٣٢٠) وفيه « نالها دعة » وما هنا هو الصواب ، والرعة ـ بكسر الراء ـ الورع ، تقول : ورع الرجل يرع ـ من باب ضرب ـ وورع يرع ـ من باب علم ـ ورعا ورعة ، كوصف وصفة ، والرعة : مفعول لأجله عامله أبدى فى قوله « أبدى التواضع » .

(٤) من قصيدة له يصف فيها قومه ويفتخر بهم (الديوان ٤٨٠) وفيه « إذا أطلقوا عنه جوامع » وكان فى الأصول « علة » بالعين المهملة وآخره تاء ، وتصويبه عن الديوان ، والجوامع : جمع جامعة ، وهى ضرب من الحلى بجمع اليدين إلى العنق ، والغل ـ بالضم ـ القيد ، والمن : ذكر المنعم نعمته بما يكدرها على المنعم عليه

(٥) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان ١ / ٧٤) وفيه « لو تعلمون »

قصَّرْ بِبَذْلِكَ عُمْرَ وَعْدِكَ تَحْوِلِي   شُكْراً يُعَمِّرُ عُمْرَ مَتْبعةِ أنسُرِ [١]

فقال البحترى :

وَجعلتَ نَيْلَكَ تِلْوَ وَعْدِكَ قَاصِرًا   عُمْرَ العَدُوِّ بِهِ وَعُمْرَ المَوعِدِ [٢]

٦٢ ــ وقال أبو تمام :

دَعَا شَوْقُهُ يا ناصِرَ الشَّوْقِ دَعْوَةً   فَلَبَّاهُ طَلُّ الدَّمْعِ يَجْرِي وَوَابِلُهْ [٣]

فقال البحترى :

نَصَرْتُ لَهُ الشَّوْقَ اللَّجُوجَ بِعَبْرَةٍ   تَوَاصَلُ فى أعْقَابِ وَصْلٍ تَصَرَّمَا [٤]

٦٣ ــ وقال أبو تمام :

مِنْ لَيْلَةٍ فِى وَبْلِها لَيْــلاءَ   فَلَوْ عَصَرْتَ الصَّخْرَ صَارَ مَاءَ [٥]

---

(١) من قصيدة له يعاتب فيها عياش بن لهيعة (الديوان ١٩٧) وفيه « عمر مطلك تحولى حمدا » ووقع فى الأصول « قصر بذلك » وتصويبه عن الديوان والبذل : العطاء ، وتحوى : تشمل

(٢) من قصيدة له يمدح فيها الخضر بن أحمد الثعلبى (الديوان ١ / ١٧١) وفيه « وجعلت فعلك تلو قولك »

(٣) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المعتصم بالله (الديوان ٣٢٠) وقد تقدم ذكر هذا البيت (انظر ص ١٧٩ من هذا الكتاب)

(٤) من قصيدة له يمدح فيها سليمان بن عبد الله بن طاهر (الديوان ٢/٢٤٧) وروايته فيه :

نصرت لها الشوق اللجوج بأدمع   تلاحقن فى أعقاب وصل تصرما

(٥) هذا بيت من الرجز يصف فيه الأمطار (الديوان ٤١٣) وترتيبه فيه على عكس ما هنا ، وروايته تختلف بعض الاختلاف ، وهاك البيت مع ما قبله وما بعده برواية الديوان :

ألا ترى ما أصدق الأنواء   قد أفنت الحجرة واللأواء
فلو عصرت الصخر صار ماء   من ليلة بتنا بها ليلاء
إن هى عادت ليلة عداء   أصبحت الأرض إذن سماء =

فقال البحترى :

أشرَقْنَ حتّى كادَ يَقتَبِسُ الدُّجى ‌ ‌ ‌ ‌ ورَطَبْنَ حتّى كادَ يَجْرِى الجَنْدَلُ(١)

٦٤ ـ وقال أبو تمام :

بِرٌّ بَدَأْتَ بِهِ ودَارٌ بابُهــا ‌ ‌ ‌ ‌ لِلْخَلْقِ مَفْتُوحٌ ووَجْهٌ مُقفَلُ(٢)

فقال البحترى :

إلَامَ بابُكَ مَفْقُودٌ عَلَى خُلُقٍ ‌ ‌ ‌ ‌ ورَاءَهُ مِثْلُ مَدِّ النِّيلِ مَحْلُولِ(٣)

هذا ما أخذه البحترى من أبى تمام .

* * *

ولعل قائلا يقول: قد تجاوزت فى هذا الباب ، وقصَّرْت ، ولم تَسْتَقْصِ جميع ،

= والأنواء : جمع نوء ، وهو النجم الذى يظهر المطر عند ظهوره ، والحجرة : السنة المجدبة ، واللأواء : الشدة ، وليلة ليلاء : طويلة شديدة الظلمة ، وهو تأكيد كليل أليل ويوم أيوم ، وأراد بقوله « إن هى عادت ليلة عداء » إن هى عادت مرة أخرى ، وأصل العداء الطلق الواحد

(١) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله (الديوان ٢/ ١٥٨) وقبله قوله :

فكأنما الدنيا هنالك روضة ‌ ‌ ‌ ‌ راحت جوانبها تراح وتوبل

أو ما ترى حسن الزمان وما بدا ‌ ‌ ‌ ‌ وأعاد فى أيامــه المتوكل

(٢) هو ثانى بيت من سبعة أبيات يمدح فيها أبا دلف ويعاتبه (الديوان ٢٤٠) والذى قبله قوله :

عجب ، لعمرى ، أن وجهك معرض ‌ ‌ ‌ ‌ عنى ، وأنت بوجه نفعك مقبل

(٣) هو أول ستة أبيات يعاتب فيها إبراهيم بن الحسن بن سهل (الديوان ٢ / ١٨٠) وفيه « وراءه مثل ماء المزن » ومحلول : صفة لخلق ، وبعد البيت قوله :

إذا أتيتك إجلالا وتكرمة ‌ ‌ ‌ ‌ رجعت أحمل برا غير مقبول

فاليوم أكسب نفسى نية قذفا ‌ ‌ ‌ ‌ عن اعتلال على بالأباطيل

فإن أردتك عرضت الرسول لما ‌ ‌ ‌ ‌ أخشى من الرد واستأذنت من ميل

ما خرجه أبو الضياء بشر بن تميم من المسروق ، وليس الأمر كذلك ، بل قد استوفيتُ جميعه ، فأوضحت ، وسامحت بأنْ ذكرتُ ما لعلّه لا يكون مسروقاً، وإن اتفق المعنيانِ أو تقاربا ، غير أنى اطّرحت سائر ما ذكره أبو الضياء بعد ذلك لأنه لم يقنع بالمسروق الذى يشهد التأملُ الصحيحُ بصحّته حتى تعدّى ذلك إلى التكثير ، وإلى أن أدخل فى الباب ما ليس منه ، بعد أن قدّم مقدمة افتتح بها كلامه ، وقال : ينبغى لمن نظر فى هذا الكتاب أن لا يَعْجَل بأن يقول : ماهذا مأخوذ من هذا ، حتى يتأمل المعنى دون اللفظ ، ويُعْمِل الفكر فيما خفى ، وإنما السَّرَقُ فى الشعر ما نُقل معناه دون لفظه ، وأبعد آخذُه فى أخذه ، قال : ومن الناس من يبعد ذهنه إلا عن مثل بيت امرىء القيس وطَرَفة حين لم يختلفا إلا فى القافية ، فقال أحدهما « وتحمل » ، وقال الآخر « وتجلد »[١] .

قال : وفى الناس طبقة أخرى يحتاجون إلى دليل من اللفظ مع المعنى ، وطبقة يكون الغامض عندهم بمنزلة الظاهر ، وهم قليل ؛ فجعل هذه المقدمة توطئة لما اعتمده من الإطالة والحَشْد ، وأن يُقْبَلَ منه كلُّ ما يورده ، ولم يستعمل ـ مما وصّى به من التأمل وإعمال الفكر ـ شيئاً ، ولو فعل ذلك لرجوتُ أن يُوَفَّقَ لطريق الصواب ؛ فيعلم أن السَّرَقَ إنما هو فى البديع المخترع الذى يختص به الشاعر ، لا فى المعانى المشتركة بين الناس التى هى جارية فى عاداتهم ، ومستعملة فى أمثالهم ومحاوراتهم، مما ترتفع الظّنّة فيه عن الذى يورده أن يقال: أخذه من غيره .

غير أن أبا الضياء استكثر من هذا الباب ، وخَلَطَ به ما ليس من السَّرَقِ فى شىء ، ولا بين المعنيين تناسب ولا تقارب ، وأتى بضَرْب آخر ادّعى فيه أيضاً

---

(١) قال امرؤ القيس فى طويلته المعلقة :

وقوفا بها صحبى على مطيهم   يقولون : لا تهلك أسى وتحمل

وقال طرفة بن العبد البكرى فى طويلته المعلقة :

وقوفا بها صحبى على مطيهم   يقولون : لا تهلك أسى وتجلد

السرق والمعانى مختلفة ؛ وليس فيه إلا اتّفاق ألفاظ ليس مثلها مما يحتاج واحد أن يأخذه من آخر ؛ إذ كانت الألفاظ مباحة غير محظورة ، فبلغ غرضه فى توفير الورق وتعظيم حجم الكتاب

وأنا أذكر من هذه الأبواب أمثلة تدل على صحة ما ذكرناه ، ونجعلها قياساً على مالم نذكره ، فإن فى البعض غِنًى عن الإطالة بذكر الكل .

١ ــ فما أورده أبوالضياء من المعانى المستعملة الجارية مجارى الأمثال وذَكَر أن البحترى أخذه من أبى تمام قول أبى تمام :

جَرَى الْجُودُ مَجْرَى النَّوْمِ مِنْهُ ؛ فَلَمْ يَكُنْ
بِغَيْرِ سَمَاحٍ أوْ طِعَانٍ بِحَالِمِ [١]

وقال البحترى :

وَيَبِيتُ يَحْلُمُ بِالْمَكَارِمِ وَالْعُلَى حَتَّى يَكُونَ الْمَجْدُ جُلَّ مَنَامِهِ [٢]

وهذا الكلام موجود فى عادات الناس ، ومعروف فى معانى كلامهم ، وجارٍ كالمثَلِ على ألسنتهم ، بأن يقولوا لمن أحب شيئاً أو استكثر منه : فلان لا يَحْلُم إلا بالطعام ، وفلان لا يحلم إلا بفلانة من شدة وَجْده بها ، وهذا الزَّنجى ما حُلْمه إلا بالتمر ، ولا يقال لمن كانت هذه سبيله : سَرَق ، وإنما يقال له : اتفاق ، فإن كان واحد سمع هذا المعنى أو مثله من آخر فاحتذاه فإنما ذكر معنًى قد عرفه واستعمله ، لا أنه أخذه أخْذَ سرقة .

---

(١) من قصيدة له يرثى فيها هاشم بن عبد الله بن مالك الخزاعى (الديوان ٣٨٥) وفيه « جرى المجد » والباء فى قوله « بحالم » زائدة فى خبر يكن المنفى مثل قول الشنفرى :

وإن مدت الأيدى إلى الزاد لم أكن بأعجلهم ؛ إذ أجشع القوم أعجل

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن عبد الرحمن الحرانى ويصف فرسا (الديوان ٢ / ٢٥١)

٢ — وأنشد لأبى تمام :

إِذَا القَصَائِدُ كَانَتْ مِنْ مَدَائِحِهِمْ　　يَوْماً فَأَنْتَ لَعَمْرِى مِنْ مَدَائِحِهَا(١)

فذكر أن البحترى أخذه فقال :

وَمَنْ يَكُنْ فَاخِراً بِالشِّعْرِ يُذْكَرُ فِى　　أَضْعَافِهِ فَبِكَ الأَشْعَارُ تَفْتَخِرُ(٢)

وهذا غلط على البحترى ؛ لأن الناس لا يزالون يقولون : فلان يَزِينُ الثياب ولا تزينه ، ويجمِّل الولايةَ ولا تجمله ، وفلانة تزيدُ فى حسن الحلى ولا يزيد فى حسنها ، وفلان تفتخر به الأنسابُ ولا يفخَر بها ، وهــذا ليس من المعانى التى يجوز أن يدعى أحد من الناس أنه ابتدعها واخترعها أو سَبَقَ إليها ، ولا يجوز أن يكون مثل هذا ـ إذا اتفق فيه خطيبان ، أو شاعران ـ أن يقال : إنَّ أحدهما أخذه من الآخر .

٣ — وأنشد لأبى تمام :

ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ السِّنُونَ وَأَهْلُهَا　　فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّهُمْ أَحْلَامُ(٣)

وذكر أن البحترى أخذه فقال :

وَأَيَّامُنَا فِيكَ اللَّوَاتِى تَصَرَّمَتْ　　مَعَ الوَصْلِ أَضْغَاثٌ وَأَحْلَامُ نَائِمِ(٤)

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها الفضل بن صالح الهاشمى (الديوان ٧٤) وقبله قوله :

لئن قليبك جاشت بالسماحة لى　　لقد وصلت بشكرى حبل ماتحها

وهل رأتنى قريش ساحبا رسنى　　إليك عن طلقها وجها وكالحها

(٢) من قصيدة له يمدح فيها على بن مر الأرمنى (الديوان ٢ / ٤٤) وفيه « يمدح فى أضعافه » وأضعاف الشىء : أثناؤه

(٣) من قصيدة له يمدح فيها المعتصم ـ ويقال : المأمون ـ (الديوان ٢٧٩)

(٤) من قصيدة له يمدح فيها أبا مسلم بن حميد (الديوان ٢ / ٢٥٢) ورواية عجزه فيه « مع الوصل أم أضغاث أحلام نائم »

وكأنه ما سمع الناس يقولون : ما كان الشباب إلا حلما ، وما كانت أيامه إلا نومة نائم ، وما أشبه ذلك من اللفظ ، فكيف يجوز أن يكون ذلك مسروقا ؟

٤ — وذكر أن من ذلك قول أبي تمام :

* قَدْ يُقْدِمُ الْعَيْرُ مِنْ ذُعْرٍ عَلَى الأَسَدِ(١) *

وقول البحترى :

فَجَاء مَجِيءَ الْعَيْرِ قَادَتْهُ حَيْرَةٌ   إِلَى أَهْرَتِ الشِّدْقَيْنِ تَدْمَى أظافِرُهْ(٢)

أَوَ لم يسمع ما هو كالمجمع عليه من أن العَير إذا رأى السبع أقبل إليه من شدة خوفه منه ، حتى صار مثلا يُتَمثل به ، كما يُتَمثل بالفَراشة إذا تهافتت فى النار ، وفى ذلك أمثال وأشعار كثيرة ، فما أظن علمها سقط عن البحترى .

٥ — ومن ذلك قول أبي تمام :

هَيْهَاتَ لَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّكَ لَوْ ثَوَى   بِالصِّينِ لَمْ تَبْعُدْ عَلَيْكَ الصِّينُ(٣)

وقول البحترى :

يُضْحِى مُطِلًّا عَلَى الأَعْدَاء لَوْ وَقَعُوا
فى الصِّينِ مِنْ بُعْدِهَا مَا اسْتَبْعَدَ الصِّينَا(٤)

---

(١) هو عجز بيت من كلمة له يهجو فيها محمد بن يزيد (الديوان ٤٩٥) وصدره قوله :

* أطلت روعك حتى صرت لى غرضا *

(٢) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان ٢ / ١٢) والعير — بفتح العين وسكون الياء — الحمار ، وتقول : أسد أهرت ، وأسد هرت ، إذا كان واسع الشدقين ، وتدمى أظافره : كناية عن افتراسه الفريسة ، فدمها عالق بأظافره

(٣) من قصيدة له يمدح فيها الأفشين (الديوان ٣٢٨) وثوى : أقام ، والحديث عن بابك الخرمى

(٤) لم أعثر على هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع بمصر ، وأحسب أن الأصل « فى الصين مع بعدها »

وهذا جارٍ على أفواه العامة والخاصة والنساء والصبيان أن يضربوا المثل فى البعد بالصين ، وأن يوقعوا التهديد به ؛ فيقولوا : لو أنك بالصين لما بعدت على ، فكيف لا يهتدى البحترى إلى مثل هذا ؟

٦ — ومن ذلك قول أبى تمام :

كَأَنَّ بَنِي نَبْهَانَ يَوْمَ وَفَاتِهِ نُجُومُ سَمَاءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدْرُ(١)

وقول البحترى :

فَإِذَا لَقِيتَهُمُ فَمَوْكِبُ أَنْجُمٍ زُهْرٍ وَعَبْدُ اللهِ بَدْرُ الْمَوْكِبِ(٢)

وهذا معنى متقدِّم مبتذَل : جاء به النابغة وغيره ، وكثر على الألسُنِ حتى صار أشهر من كل مشتهر ، وبيت أبى تمام خاصة فإنما سَرَقه على سياقه من مريم بنت طارق ترثى أخاها :

كُنَّا كأَنْجُمِ لَيْلٍ بَيْنَهَا قَمَرٌ يَجْلُو الدُّجَى فَهَوَى مِنْ بَيْنِنَا الْقَمَرُ(٣)

٧ — ومن ذلك قول أبى تمام :

هِمَّةٌ تَنْطَحُ النُّجُومَ وَجَدٌّ آلِفٌ لِلْحَضِيضِ فَهْوَ حَضِيضُ(٤)

وقول البحترى :

مُتَحَيِّرٌ يَغْدُو بِعَزْمٍ قَائِمٍ فى كُلِّ نَائِبَةٍ وَجَدٍّ قَاعِدِ(٥)

---

(١) من قصيدة له يرثى فيها بنى حميد الطوسى (الديوان ٣٦٩) وقد تقدم ذكر هذا البيت فى سرقات أبى تمام (انظر ص ٦٠ من هذا الكتاب)

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أبا صالح بن يزدان (الديوان ١ / ٦٠)

(٣) قد سبق ذكر هذا البيت (انظر ص ٦٠ من هذا الكتاب)

(٤) من قصيدة له يمدح فيها أبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقى (الديوان ١٨١) وقد تقدم ذكر هذا البيت (انظر ص ١٠٨ من هذا الكتاب)

(٥) من قصيدة له يمدح فيها الخضر بن أحمد الثعلبى (الديوان ١ / ١٦٩) وفيه « فى كل نازلة »

وهذان المعنيان جنسهما واحد ، ولفظهما مختلف ، وهما شائعان فى الـكلام ، وجاريان فى الأمثال ، يقال : فلان عالى الهمة ،وهمته فى الثريا وحاله فى الحضيض، وفلان سامٍ بهمته ولـكن قَعَدَ به حَظّه ، ونحو هـذا من اللفظ ؛ فليس يجوز أن يَعْتَوِرَ هذا المعنى شاعران فيقال : أحدهما أخذه من الآخر .

٨ — ومن ذلك قول أبى تمام :

وَلَيْسَتْ فَرْحَةُ الأَوْبَاتِ إِلاَّ لِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَحِ الْوَدَاعِ(١)

وقول البحترى :

مَا لِشَىْءٍ بَشَاشَةٌ بَعْدَ شَىْءٍ كَتَلاَقٍ مُوَاشِكٍ بَيْنَ بُعْدِ(٢)

وهذا معنى مستفيض معروف ، ومنه قول الحجاج بن يوسف : لولا فَرْحَة الأوبات لما عرفتهم إلا بالأسفار ، وغرض كل واحد من هذين الشاعرين فى هذين البيتين مخالف لغرض صاحبه ؛ لأن أبا تمام ذكر أنه لا يفرح بالقدوم إلا مَنْ شَجَاهُ وأحزنه التوديع ، وأراد البحترى أنه ليس شىء من المسرة والجذَل إذا جاء فى أثر شىء ما كالتلاقى بعد التفرق ؛ فليس ـ وإن كان جنس المعنيين واحدا ـ يصح أن يقال: إن أحدهما أخذ من الآخر ؛ لأن هذا قد صار جاريا فى العادات ، وكثيراً على الألسن ، فالتُّهَمَةُ ترتفع عن أن يأخذ أحد عن أحد

٩ — ومن ذلك قول أبى تمام :

لَهُمْ نَشَبٌ وَلَيْسَ لَهُمْ سَماحٌ وَأَجْسَامٌ وَلَيْسَ لَهُمْ قُلوبُ(٣)

---

(١) من غزل قصيدة له يمدح فيها ابن أصرم (الديوان ١٩٣) والأوبات : جمع أوبة ، وهى العودة والرجعة ، تقول : آب المسافر يؤوب أوبا وأوبة ومآبا وإيابا ، والترح : الحزن

(٢) لم أعثر على هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع بمصر

(٣) لا يوجد هذا البيت فى ديوان أبى تمام المطبوع فى بيروت وفى مصر ،وأنا أظن أن الأصل « كتلاق مواشك بعد بعد » ويرجح ذلك تفسير المؤلف للبيت .

وقول البحترى :

خَلْقٌ مُمَثَّلَةٌ بِغَيْرِ خَلائِقٍ تُزْجى،وَأَجْسامٌ بِلا أَرْوَاحِ[(١)]

وهذا الـكلام أيضاً هو أعْرَفُ فى كلامهم وأشْهَرُ من أن يحتاج شاعرٌ أن يأخذه من الآخر ، وهم دائماً يقولون : ما فلان إلا شَبَحٌ من الأشباح ، وما هو إلا صورة فى حائط ، أو جسد فارغ ، ونحو هذا من القول الشائع المشتهر .

١٠ — ومن ذلك قول أبى تمام :

لا تَدْعُوَنْ نُوحَ بْنَ عَمْرٍو دَعْوَةً لِلْخَطْبِ إلا أَنْ يَكُونَ جَلِيلا[(٢)]

وقول البحترى :

يَا أَبَا جَعْفَرٍ! وَمَا أَنْتَ بِالْمَدْ عُوِّ إلاَّ لِـكُلِّ أَمْرٍ كُبارِ[(٣)]

ونسى قولَ الناسِ : اخْتَرْ لعظيم الحوائج العظيمَ من الناس، ولـكبير الأمور كبيرهم ، وقال رجل لابن عباس : إن لى إليك حاجة صغيرة ، فقال : اطلب لها رجلا صغيرا .

١١ — ومن ذلك قول أبى تمام :

بِيضٌ فَهُنَّ إذا رُمِقْنَ سَوَافِرًا صُوَرٌ، وَهُنَّ إذا رَمَقْنَ صِوَارُ[(٤)]

---

(١) لا يوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع بمصر

(٢) من قصيدة له يمدح فيها نوح بن عمرو السكسكى من كندة (الديوان ٢٤٤) ووقع فى الأصول « إلا أن يكون جليله » وهو تحريف صوابه عن الديوان. والخطب : الأمر والشأن ، والجليل : العظيم

(٣) من قصيدة له يمدح فيها أبا جعفر بن حميد ، ويستوهبه غلاما (الديوان ٢٥/٢) والـكبار ــ بضم الـكاف بزنة غراب ــ الـكبير

(٤) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد (الديوان ١٤٥) والبيض: جمع بيضاء، ورمقن ــ بالبناء للمجهول ــ أديم النظر إليهن ، وسوافر : جمع سافرة ، وهى التى لم تضع على وجهها نقابا ، والصور : جمع صورة ، وأراد بها الدمية ، ومن عاداتهم أن يشبهوا النساء بالدمى لافتنان الصناع فى تجميلها . والصوار ــ بكسر الصاد ، بزنة الكتاب ــ القطيع من بقر الوحش تشبه به النساء فى سعة عيونهن

وقول البحترى :

أَنَّى لَحَظْتِ فَأَنْتِ جُؤْذَرُ رَمْلَةٍ وَإِذَا صَدَدْتِ فَأَنْتَ ظَبْىُ كِنَاسِ (١)

وهذا تشبيه أعين النساء بأعين البقر ، وتمثيلهن بالصوار ، وبالظباء . وجُلّ كلام العرب عليه يجرى ؛ فلا تكون الشعراء فيه إلا متفقين .

١٢ — ومن ذلك قول أبى تمام :

وَلَقَدْ جَهَدْتُمْ أَنْ تُزِيلُوا عِزَّهُ فإذا أَبَانٌ قَدْ رَسَا وَيَلَمْلَمُ (٢)

وقول البحترى :

وَلَنْ يَنْقُلَ الْحُسَّادُ مَجْدَكَ بَعْدَ مَا تَمَكَّنَ رَضْوَى وَاطْمَأَنَّ مُتَالِعُ (٣)

وهذا المعنى أيضاً شائع من معانيهم ، وكثير من أشعارهم ، ومنه قول الفرزدق :

وَارْفَعْ بِكَفِّكَ إِنْ أَرَدْتَ بِنَاءَنَا ثَهْلَانَ ذَا الْهَضَبَاتِ هَلْ يَتَحَلْحَلُ (٤)

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها أبا الحسن بن عبد الملك (الديوان ٢ / ٥٩) وفيه « إما لحظت » ولحظت : نظرت ، والجؤذر : ولد البقرة الوحشية ، وتشبه به الحسان فى سعة العين ، وصددت : هجرت ، والكناس — بزنة الكتاب — بيت الظباء فى الغابة ، وتقول : ظبى كانس ، وظباء كوانس ، وكنست الظباء ، واكتنست ، وتكنست .

(٢) من قصيدة له يمدح فيها مالك بن طوق حين عزل عن الجزيرة (الديوان ٢٧٤) وأبان ويلملم : جبلان

(٣) من قصيدة له يمدح فيها الفتح بن خاقان (الديوان ٢ / ٧٧) ورضوى ومتالع : جبلان

(٤) أنشده فى اللسان (ح ل ل) وفيه فى آخره « ما يتحلحل » ووقع فى الأصول « فادفع بكفك إن أردت بقاءنا » وهو تحريف صوابه عن اللسان وثهلان : جبل ، ويتحلحل : يتحرك ويذهب عن موضعه ، وفى ثهلان يقول امرؤ القيس :

* عُقَابٌ تَدَلَّتْ مِنْ شَمَارِيخِ ثَهْلَانِ *

وقوله يخاطب جريرا أيضاً :

* فَرُمْ حَضَناً فانظرْ مَتَى أنتَ ناقِلُهْ[1] *

أفترى البحترى ماسمع هذا من قول الفرزدق ولا من قول غيرهِ حتى سمعه أبو تمام فنقله ؟

١٣ — ومن ذلك قول أبي تمام :

وَفِى شرَفِ الحَديثِ دَليلُ صِدْقٍ لِمُختَبِرٍ عَلَى شَرَفِ القَديمِ[2]

وقول البحترى :

عَلَى أنَا نُوَكَّلُ بِالأدَانِي وَتُخبِرُنا الفُرُوعُ عَنِ الأصُولِ[3]

وهذا معنى شائع فى الكلام أيضاً ، مشهور كثير على الأفواه أن يقولوا : العروقُ عليها ينبتُ الشجر ، ومَنْ أشبه أباه فما ظلم ، والعَصَى من العُصَيَّة ، والغصن من الشجرة ، ودلَّتْ على الأم السَّخلَةُ ، ومثل هذا لا يكون مأخوذا مستعارا

١٤ — ومن ذلك قول أبي تمام :

ولِذَاكَ قِيلَ : مِنَ الظُّنُونِ جِلِيَّةٌ صِدْقٌ ، وَفِى بَعْضِ القُلوبِ عُيُونُ[4]

وقول البحترى :

وَإذا صَحَّتِ الرَّوِيَّةُ يَوْماً فسواء ظَنُّ امْرِىءٍ وَعِيانُهْ[5]

---

(١) حضن ـ بفتح الحاء والضاد جميعا ـ جبل معروف بنجد ، وأراد بقوله « فرم حضنا » حاول أن تنقل حضنا عن مكانه ، والغرض أن هجاءه فيهم لن يؤثر فى كرامتهم على الناس إلا بمقدار تأثيره فى حضن إذا حاول نقله عن مكانه ، يريد أنه من أمحل المحالات

(٢) من قصيدة له يمدح فيها بعض بنى عبدالكريم الطائيين (الديوان ٢٨٩) وقوله « لمختبر » يتعلق بمحذوف صفة لدليل ، و « على شرف القديم » مثله أو يتعلق بدليل إذا نظرت إلى أنه فى الأصل مشتق

(٣) لم أعثر على هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع بمصر

(٤) من قصيدة له يمدح فيها الواثق بالله (الديوان ٢٢٩)

(٥) من قصيدة له يمدح فيها عبدون بن مخلد (الديوان ٢/٢٨٧)

وهذا أيضاً من الأمثال المشهورة المبذولة السائرة ، وهو قولهم : ظَنٌّ كيقين ، ومن ذلك قول أَوْس بن حَجَر :

الأَلمَعِيّ الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظَّـــنَّ كأَنْ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا[1]

١٥ — وقول أبى تمام :

لا نَجْمَ مِنْ مَعْشَرٍ إلاَّ وَهِمَّتُهُ عَلَيْكَ دَائِرَةٌ يأَيُّهَا القُطْبُ[2]

بقى بيت البحترى لم يذكره ، وهو هذا :

وَدارَتْ بَنُو ساسَانَ طُرًّا عَلَيْهِمُ مَدارَ النُّجُومِ السَّائِرَاتِ عَلَى القُطْبِ[3]

وكأنه ما سمع قول الناس : فلانٌ قُطْبُ هذا الأمر ، وعلى فلان مَدار القصة ، ونحو هذا من القول الذى يستغنى الإنسان بما جَرَى منه فى عاداته أن يستعيره من غيره .

١٦ — ومن ذلك قول أبى تمام :

وأقلّ الأشياءِ مَحْصُولَ نَفْعٍ صِحَّةُ القَوْلِ وَالْفَعَالُ مَرِيضُ[4]

وقول البحترى :

وَمَا لِمِثْلِي فِي القَوْلِ مِنْكَ رِضًى وَالْقَوْلُ فى الْمَجْدِ غَيْرُ مَحْسُوبِ[5]

---

(١) من قصيدة له يرثى فيها فضالة بن كلدة ، وأولها قوله :

أيتها النفس ، أجملى جزعا إن الذى تحذرين قد وقعا
إن الذى جمع السماحة والـــنجدة والحزم والقوى جمعا
أودى ، وهل تنفع الإشاحة من أمر لمن قد يحاول البدعا

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أبا جعفر محمد بن عبدالملك بن أبى مروان الزيات (الديوان ٥٠)

(٣) من قصيدة له يمدح فيها عبدالله بن دينار بن عبدالله (الديوان ١ / ٥٣)

(٤) هذا البيت آخر أبيات قصيدة له يمدح فيها أبا الغيث موسى بن إبراهيم الرافقى (الديوان ١٨٣)

(٥) من قصيدة له يمدح فيها عبدالرحمن بن نهيك (الديوان ١ / ٦٠) وفيه « ولا لمثلى » وقبله قوله :

=

وأبو تمام زعم أن رَوْنَق القول بالمواعيد لايتحصّل منه نفع إذا لم يكن فعال ، وجَعل الصحة فى القول والمرض فى الأفعال مثلين فى الاستعارة ، والبحترى إنما ذكر أنه لا يرضى بالقول ؛ لأن القول لا يُحْتَسب به للماجد بغير فعل ؛ فالغرضان مختلفان ، والمعنى معنى واحد شائع جارٍ فى عادات الناس أن يقولوا : إنما زيد كلام ، وإنما عمرو قول بلا فعل ، ومثل هذا ـ مع كثرته على الألسُنِ ـ لا يقال : إنه مسروق .

١٧ — ومن ذلك قولُ أبى تمام :

سَتَرَ الصَّنِيعةَ وَاسْتَمَرَّ مُلَعَّناً يَدْعُو عَلَيْهِ النَّائِلُ الْمَظْلُومُ[١]

وقول البحترى :

أَكافِرٌ مِنكَ فَضْلَ نُعْمَى وَسَتْرُ نُعْمَى الكَرِيمِ كُفْرُ[٢]

فذكر أبو تمام رجلا ذمَّهُ بسَتْرِ الصنيعة ، وجعله مُلَعَّنا يدعو عليه النائل المظلوم ، على الاستعارة ، والبحترى ذكر أن سَتْر النُّعمى كفر ، وكِلاَ اللفظين مستعملان شائعان[٣] على الألسن ؛ فلا يقال لمن تكلم بأحد اللفظين : إنه استعارةُ من الآخر .

= لست على غرة بمشتمل ولا إلى مطمع بمنسوب

(١) من قصيدة له يمدح فيها أبا الحسن محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان ٣٠١) وفيه « سرق الصنيعة فاستمر بلعنة » ووقع فى الأصول « واستحر » وهو تحريف الذى أثبتناه ، والنائل : العطاء

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله (الديوان ١ / ٢١٧) وهو ـ مع ما قبله الذى يتضح به معناه ـ برواية الديوان هكذا :

إنى ـ وإن كنت ذا وفاء لا يتخطى إلى غدر ـ
لذاكر منك فضل نعمى وستر نعمى الكريم كفر

(٣) كلا وكلتا : لفظهما مفرد ومعناهما مثنى ، والكثير فى الاستعمال مراعاة لفظهما ؛ فيكون خبرهما مفردا والضمير العائد على كل منهما مفردا ومن ذلك قوله تعالى(كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه ، شيئا) وقول الشاعر :

كلانا غنى عن أخيه حياته ونحن ـ إذا متنا ـ أشد تغانيا

١٨ — ومن ذلك قول أبى تمام :

شَهِدْتُ جسيمات العُلَى وهوَ غائبٌ ... وَلَوْ كانَ أيضاً شاهِداً كانَ غائِبَا(١)

وقول البحترى :

بَشِيراً لَكُمْ فِيهَا نَذِيراً لِغَيْرِكُمْ ... لَهُ شاهِدٌ عنْ مَوْضِعِ الفَهْمِ غائِبُ(٢)

وهذا المعنى أيضاً جارٍ على الأفواه ، ومستعمل فى الكلام ، تعرفه العامة كما تعرفه الخاصة ، وذلك قولهم : فلان شاهد كغائب ، وحاضر كمَنْ لم يحضر ، وفلان سَوَاء والعَدَمُ .

١٩ — ومن ذلك قول أبى تمام :

دَعِينِى عَلَى أخْلاقِىَ الصُّمِّ لِلَّتِى ... هِىَ الوَفْرُ أوْ سِرْبٌ تَرِنُّ نَوادِبُهْ(٣)

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن سهل (الديوان ١٧) وقبله قوله :

وملآن من ضغن كواه توقلى ... إلى الهمة القعسا سناما وغاربا

والضغن : الحقد ، وتوقلى : صعودى ، وأراد به استشرافه وتطلعه للمعالى ، والهمة القعساء : الثابتة المنيعة ، وأصل السنام : المرتفع من ظهر الإبل . والغارب : ما بين السنام والعنق ، ويعبر بهما عن أعالى الأشياء

(٢) البيت على هذه الصورة غير موجود فى الديوان ، وله من قصيدة يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان ١ / ٧٤) فى هذا المعنى قوله :

نصحتكم لو كان للنصح موضع ... لدى سامع عن موضع النصح غائب

نذيرا لكم منه ، بشيرا لكم به ، ... ومالى فى هاتين قولة كاذب

وأكبر الظن أن مافى الأصل محرف عن هذا

(٣) من قصيدة له يمدح فيها أبا العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب (الديوان ٤٤) ووقع فى أصول هذا الكتاب وفى بعض نسخ الديوان رواية البيت هكذا :

دعينى على أخلاق الصمل التى ... هى الوفر أو سرب ترن نوادبه

والتى أثبتناها أظهر وأوضح معنى ، يقول : إنى معتزم عزما لا تردد معه على أن أرتحل فإما أن تهيىء لى أخلاق الصم تمولا وإما أن تسلمنى إلى الموت فيقوم على سرب من النساء يندبنى

وقول البحترى :

وَخُذُ القِلَاصِ يَرُدُّنِى لَكَ بِالْغِنَى   فى بَعْضِ ذَا التَّطْوَافِ أَوْ يُرْدِينِى [(١)]

وهذان المعنيان أصلهما واحد ، وهو قول امرىء القيس :

* نُحَاوِلُ مُلْكاً أَوْ نَمُوتَ فَنُعْذَرَا [(٢)] *

وشهرته وكثرة استعمال الناس إياه يغنى البحترى عن أن يقال : إنه استعاره ، أو أخذه .

٢٠ — ومن ذلك قول أبى تمام :

كُحِلَتْ بِقُبْحِ صُورَتِهِ فأمْسَى   لَهَا إِنْسَانُ عَيْنِى فى السِّيَاقِ [(٣)]

وقول البحترى :

شَكَوْتُ قَذًى بِعَيْنِكَ بَاتَ يَدْمَى   كأَنَّكَ قَدْ نَظَرْتَ إِلى طمَاسِ [(٤)]

وهذا أيضاً من المعانى التى تمنع شهرتُها وابتذالُ العامة والخاصة لها من أن يقال : إنها مسروقة ، و إن واحداً ائتم فيها بآخر .

* * *

---

(١) لا يوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع بمصر

(٢) هذا عجز بيت ، وصدره قوله :

* فقلت له لا تبك عينك إنما *

وانظر العقد الثمين (٧٩)

(٣) من أبيات له يهجو فيها ابن الأعمش (الديوان ١ ٥٠١) وبعده قوله :

مساولو قسمن على الغوانى   لما جهزن إلا بالطلاق

قبحت وزدت فوق القبح حتى   كأنك قد خلقت من الفراق

(٤) هو ثانى بيت من أبيات يهجو فيها من اسمه « طماس » (الديوان ٢ / ٥٣) وقبله قوله :

أقول لصاحب من سر عبس   أرى وردى برؤيته وآسى

٢١ ـــ ومما جاء به أبو الضياء على أنه مسروق ، والمعنيان مختلفان ليس بينهما اتفاق ولا تناسب ، قولُ أبي تمام :

فاقْسِمِ اللَّحْظَ بَيْنَنَا إنَّ فِي اللَّحْـــظِ لَعُنْوَانَ ما يُجِنُّ الضَّميرُ(١)

وقال البحترى :

سَلَامٌ وَإِنْ كانَ السَّلامُ تَحِيَّةً فَوَجْهُكَ دُونَ الرَّدِّ يَكفِي المُسَلِّمَا(٢)

وأبو تمام سأل مَنْ يخاطبه أن يُقْبل عليه ، ويجعل له قِسْطاً من النظر ؛ فإن إدامة النظر تدلُّ على المودة ، كما أن الإعراضَ يدل على البغض . والبحتريُّ إنما سَلَّم على الهيثم الغنوى ، وذكر أن السلام تحية ، وأن وجهه لجماله وطلاقته يكفى المسلِّمَ قبل رَدِّه ، والمعنيان مختلفان ، وليس لواحد منهما من الرقة والغرابة ماينسب أحدهما أنه مَحْذُوٌّ على الآخر أو مسروق منه .

٢٢ ـــ ومن ذلك قولُ أبي تمام :

وَرَحْبِ صَدْرٍ لَوَ انَّ الأَرْضَ وَاسِعَةٌ كَوُسْعِهِ لَمْ يَضِقْ عَنْ أَهْلِهِ بَلَدُ(٣)

---

(١) من أبيات له فى العتاب (الديوان ٢٩٨) وقبله قوله :

ليس يدرى إلا اللطيف الخبير أى شىء تطوى عليه الصدور

ويقولون : إنك المرء بالغيـــب محام عن الصديق نصور

فإذا جئت زائرا حجبت وجـــهك عنى كآبة وبسور

فتطاق مع العناية إن الـــبشر فى أكثر الأمور بشير

إنما البشر روضة فإذا كا ن ببذل فروضة وغدير

والكآبة : الغم ، والبسور : العبوس ، وتطلق : مأخوذ من الطلاقة وهى البشر وانفراج أسارير الوجه ، والبذل : العطاء ، ويجن : يستر ويكن

(٢) من قصيدة له يمدح فيها الهيثم الغنوى (الديوان ٢/٢٣٤)

(٣) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائى (الديوان ٩٧) وقد تقدم ذكر هذا البيت فى بيان أخطاء أبى تمام (انظر ١٦٥ من هذا الكتاب)

وقول البحترى :

مَفَازَةَ صَدْرٍ لَوْ تُطَرَّقُ لَمْ يَكُنْ لِيَسْلُكَها فَرْدًا سُلَيْكُ الْمَقَانِبِ(١)

وأبو تمام ذكر أن رَحْبَ صَدْرِ الممدوح وسَعَته تزيد على سعة الأرض ، فأسرف ، وأخطأ فى المعنى بما قد ذكرته فى باب خطائه فى المعانى ، والبحترىُّ ذكر سَعَةَ صدر الممدوح ، وجعل له مفازة على الاستعارة ، وذكر أنه لو تطرق لم يكن ليسلكها سُلَيكٌ الذى لم يكن ليكبر عليه سلوكُ الأرض وإن عَرُضت وطالت ، وإنما أرادا جميعاً سعةَ صدر الممدوح ، كما جرت العادة بهذا الضرب من المدح ، فأفرطا ، ولكن سَلَكَ كل واحد منهما معنًى غير معنى صاحبه كما ترى

٢٣ — ومن ذلك قول أبى تمام :

إنَّمَا الْبِشْرُ رَوْضَةٌ فإذَا ما كانَ بِرٌّ فَرَوْضَةٌ وغَدِيرُ(٢)

وقول البحترى :

فَإِنَّ الْعَطاء الجَزْلَ ما لَمْ تُحَلِّهِ بِبِشْرِكَ مِثْلُ الرَّوْضِ غَيْرَ مُنَوِّرِ(٣)

فأراد أبو تمام البشر مع البر كالروضة والغدير ، وأراد البحترى أن العطاء

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان ١ / ٧٣) وقد سبق ذكر هذا البيت (انظر ص ١٦٦ من هذا الكتاب)

(٢) من أبيات له فى العتاب ، وقد مضى ذكر بيت منها وذكرنا معه بقية الأبيات ومنها هذا البيت (انظر الهامشة رقم ١ من ص ٣٠١ من هذا الكتاب)

(٣) من قصيدة له يقولها وقد كان له غلام اشتراه إبراهيم بن الحسن بن سهل فلم يزل به حتى رده إليه (الديوان ٢ / ١٥) وفيه « وكان العطاء الجزل » وقبل هذا البيت قوله :

وهبت الذى لو لم تهبه لما التوى بك اللوم ، إن العذر عند التعذر

وأعطيت ما أعطيت والبشر شاهد على فرح بالبذل منك مبشر

ما لم يكن معه بشر كان كالروض غير منور ؛ فليس بين المعنيين اتفاق إلا فى ذكر البشر والروض ، والألفاظ غير محظورة على واحد .

٢٤ — ومن ذلك قول أبى تمام :

وَإِنِّىَ مَاحُورِفتُ فِى طَلَبِ الغِنَى ۞ وَلَـكِنَّمَا حُورِفتُمُ فِى الْمَكَارِمِ (١)

وقول البحترى :

إِذَا ابْتَدَا بُخَلَاءُ النَّاسِ عارِفَةً ۞ يَتْبَعُهَا المَنُّ فالمَرْزُوقُ مَنْ حُرِمَا (٢)

فأراد أبو تمام أنه ليس بمَحْدود ولا مُحَارَف فى ملتمساته ومطالبه ، ولكن الذى أمَّهم وطلب ماعندهم حُورِفوا فى مكارمهم ؛ فأحسن فى المعنى واللفظ كلَّ الإحسان ، وأراد البحترى أن البخيلَ إذا امتنَّ بمعروفه فالمرزوق من حُرِم ذلك المعروف ؛ فهذا المعنى غير معنى أبى تمام ، وليس بينهما اتفاق ولا تقارب .

٢٥ — ومن ذلك قول أبى تمام :

إذا شَبَّ نَاراً أَقْعَدَتْ كلَّ قائِمٍ ۞ وَقامَ لهَا مِنْ خَوْفِهِ كلُّ قاعِدِ (٣)

وقول البحترى :

ومُبَجَّل وسَطَ الرِّجَالِ خُفُوفُهُمْ ۞ لِقِيامِهِ وَقِيامُهُمْ لِقُعُودِهِ (٤)

وليس أحد المعنيين من الآخر فى شىء ؛ لأن أبا تمام أراد أن الممدوح إذا شبَّ نار الحرب أقعدت كل قائم لقتاله ومنابذته : أى تُزْعِج كلَّ واحد خوفاً وفرَقا ، وذلك مأخوذ من قول الفرزدق :

---

(١) لا يوجد هذا البيت فى ديوان أبى تمام ، وقد تقدم ذكره فى سرقات أبى تمام (انظر ص ٨٧ من هذا الكتاب)

(٢) من قصيدة له يمدح فيها رافع بن هرثمة (الديوان ٢ / ٢٥٩) وفيه « إذا بدا بخلاء الناس » والعارفة : الصنيعة

(٣) من قصيدة له يرثى فيها خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى (الديوان ٣٦٦) وشب النار يشبها : أوقدها وأججها ، وأراد — كما قال المؤلف — نار الحرب

(٤) لا يوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع بمصر

أَتانِي وَرَحْلِي بِالْمَدِينَةِ وَقْعَةٌ   لِآلِ تَمِيمٍ أَقْعَدَتْ كُلَّ قَائِمِ

وقوله «وقام لها من خوفه كل قاعد» أى : زال عن الطمأنينة والقرار فقام، وإنما يريد انزعاج الخائف ؛ فجعل ذلك قياماً له ، والبحترى إنما ذكر أن الرجال إنما يخفون لقيام ممدوحه ، أى : يُسْرِعون بين يديه إذا قام ، فاذا قعد قاموا إجلالا وهَيْبَةً ، وأن من شأنه أن لا يجلس أحد بجلوسه وأن يكون الناس كلهم قياماً إذا جلس ، والمعنيان مختلفان ، وليس بينهما اتفاق إلا فى ذكر القيام والقعود ، والألفاظ مباحة .

٢٦ — ومن ذلك قولُ أبى تمام :

وَرُبَّ يَوْمٍ كَأَيَّامٍ تَرَكْتَ بِهِ   مَتْنَ الْقَنَاةِ وَمَتْنَ الْقِرْنِ مُنْقَصِفَا[1]

وقول البحترى :

فِي مَعْرَكٍ ضَنْكٍ تَخَالُ بِهِ القَنا   بَيْنَ الضُّلُوعِ إذا انْحَنَيْنَ ضُلُوعا[2]

وليس بين المعنيين اتفاق إلا فى أن الشاعرين وصفا حال الطعن بالقنا كيف يقع ؛ فذكر ذلك أن ممدوحه يَقْصِفُ مَتْنَ القِرْن ومتن القناة ، وشَبَّه هذا انطواء الرماح واعوجاجها — إذا وقعت بضلوع القوم — باعوجاج ضلوعهم ، وهذا من التشبيهات الظريفة العجيبة ، وهو المعنى الذى استغرب به واستحسنه أبو تمـام على ما يرويه الشاميون

٢٧ — ومن ذلك قول أبى تمام :

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلى (الديوان ٢٠٣) وفيه « ومتن القرن متصفا » وهو تحريف عما أثبتناه هنا ، ومتن القناة : وسطها ، ومتن الإنسان : ظهره ، ومنقصفا: منكسرا

(٢) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان ٢ / ٨٥) وفيه « إذا انحنين » وقد تقدم ذكر هذا البيت (انظر ص ١٣ من هذا الـكتاب)

بَيَّنَ البَيْنُ فَقْدَها ، قلّما يُعْـــرَفُ فَقْدٌ لِلشَّمْسِ حَتَّى تَغِيبَا(١)

وقول البحترى :

فَاضَلَ بَيْنَ الإِخْوَانِ عُسْرِىَ فِى ظَلْمَاء لَيْـلٍ تَفَاضَلَتْ شُهُبُه(٢)

وليس بين المعنيين تناسب ؛ لأن أبا تمام ذكر أن موضع فقدها بَانَ ، وأنه قلّما يُعرف فقد الشمس إلا بعد غروبها ، وهذا جارٍ فى عادات الناس واستعمالهم : أن يقولوا : لا يُعْرف فضل الإنسان حتى يفقد ، ولا يعرف فضل العافية إلا عند البَلِيَّةِ ، وقَدْرُ الدراهم إلا عند الحاجة ، والبحترى أراد أن عُسْرَه بَيَّنَ له عن مراتب إخوانه ، وفَضَّل بعضهم على بعض ، وأراد بالشهب الكواكب ، وهذا معنى لطيف جداً ليس من معانى أبى تمام فى شىء .

هذا ، ومما ادعى أبو الضياء على البحترى فيــه السَّرَقَ والاتفاق فى ذلك أكثر فإنما هو من الألفاظ التى ليست محظورة على أحد ، وقد مضى فيما قبل من هذا الباب أبيات .

٢٨ — فمن ذلك قول أبى تمام :

إِنَّ الصَّفَائِحَ مِنْكَ قَدْ نُضِدَتْ عَلَى مَلْقَى عِظَامٍ لَوْ عَلِمْتَ عِظَامِ(٣)

---

(١) من غزل قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغرى (الديوان ٢٥) وفيه « قلما تعرف فقدا » وبين : أظهر ، والبين : البعد والفراق

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أبا العباس بن بسطام (الديوان ١ / ٣٣) وفيه « فاضل بين الأخوان عدمى » والعدم ـ بضم فسكون ـ الفقر

(٣) من أوائل قصيدة يهنىء فيها أمير المؤمنين الواثق بالله بالخلافة ، ويعزيه عن وفاة أبيه المعتصم بالله (الديوان ٢٧٥) وقبله ـ مما يتضح به معناه ـ قوله :

ما للدموع تروم كل مرام والجفن ثاكل هجعة ومنام
يا تربة المعصوم تربك مودع ماء الحياة وقاتل الإعدام

والثاكل : الفاقد ، والهجعة : الهجوع والنوم ، والصفائح : الحجارة العريضة التى يسد بها القبر ، ونضدت : ركبت فوق بعضها ، والعظام الثانية : جمع عظيم

وقول البحترى :

مَساعِ عِظامٌ لَيْسَ يَبْلَى جَدِيدُهَا   وَإِنْ بَلِيَتْ مِنْهُمْ رَمَائِمُ أَعْظُمِ (١)

فأراد أبو تمام أن عِظام الرجل الذى رثاه عظيم القدر ، وأراد البحترى أن مساعى القوم عظام لا يبلى جديدها و إن بَلِيَتْ عظامهم ، وليس ههنا اتفاق إلا فى لفظ العظام لا غير .

٢٩ — ومن ذلك قول أبى تمام :

لا يدهمنك من دهمائهم عدد   فإنَّ أكثرَهُمْ أوْ جُلَّهُمْ بَقَرُ (٢)

وقول البحترى :

عَلَيَّ نَحْتُ الْقَوَافِي مِنْ مَقَاطِعِهَا   وَما عَلَيَّ لَهُمْ أَنْ تَفْهَمَ الْبَقَرُ (٣)

فأراد أبو تمام أنه لا يجب أن ينظر إلى كثرة عـددهم فإن أكثرهم بقر ، وذكر البحترى أن عليه أن يُجيد القول ، وليس عليه أن تفهمه البقر ، وما ههنا اتفاق إلا فى لفظة البقر .

٣٠ — ومن ذلك قول أبى تمام :

* لَهَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَقُولَ وَنَفْعَلا (٤) *

---

(١) من قصيدة له يرثى فيها بنى حميد الطائيين ، ويخص من بينهم أبا مسلم (الديوان ٢/٢٥٦)

(٢) من قصيدة له يمدح فيها عمر بن عبد العزيز الطائى (الديوان ١٥٠) وفيه « فإن جلهم أو كلهم بقر » ويدهمنك : يفاجئك ، والدهماء : العدد الكثير ، وجلهم : معظمهم ، ولا يحسن الكلام به ، وإنما كان ينبغى أن يقول « فإن أكثرهم أو كلهم » وانظره فى أخبار أبى تمام ٥١ و ١٠١

(٣) من قصيدة له يمدح فيها على بن مر الأرمنى (الديوان ٢ / ٤٣) وفيه « عن مقاطعها » وقد تقدم ذكر هذا البيت (انظر ص ٢٦١ من هذا الكتاب)

(٤) هذا صدر مطلع قصيدة له يمدح فيها محمد بن عبد الملك الزيات (الديوان ٢٥٢) وعجزه قوله :

* ونذكر بعض الفضل منك فتفضلا *

وقول البحتري :

إنَّ الخليفةَ ليسَ يرقُبُ في الذي حاولْتُ إلاَّ أنْ تقولَ وتفعَلا[1]

والاتفاق ههنا إنما هو فى القول والفعل .

٣١ — ومن ذلك قول أبى تمام :

وما يومُ زُرْتَ اللَّحْدَ يومُكَ وحْدَهُ
علينا ، ولكنْ يومُ زيدٍ وحاتمِ[2]

وقول البحتري :

بأبيضَ وضّاحٍ كأنَّ قميصهُ يُزَرُّ على الشَّيخَيْنِ زيدٍ وحاتمِ[3]

أفترى البحتري ما سمع بذكر زيد الخيل ولا حاتم الطائى اللذين يفخر بهما اليمن كلها فيشبه ممدوحه بهما إلا من بيت أبى تمام ؟

٣٢ — ومن ذلك قول أبى تمام :

لعمْرُكَ ما كانُوا ثلاثةَ إخوةٍ ولكنَّهُمْ كانُوا ثلاثَ قبائلِ[4]

وقول البحتري :

كانُوا ثلاثةَ أبحُرٍ أفضى بهمْ ولَعُ المنونِ إلى ثلاثةِ أقبُرِ[5]

---

(١) لا يوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع بمصر ، وفيه من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المعتز بالله (٢ / ١٦٩) من هذا المعنى قوله :

قد قلت فافعل ما رأيت ، وإن من عادات جودك أن تقول وتفعلا

(٢) من قصيدة له يرثى فيها هاشم بن عبدالله بن مالك الخزاعى (الديوان ٢٨٦) وفيه « ولكن يوم عمرو وحاتم »

(٣) من قصيدة له يمدح فيها أبا مسلم بن حميد الطائى (الديوان ٢ / ٢٥٣) وفيه « بأروع من طى »

(٤) سادس ستة أبيات يرثى فيهـا بنى حميد : أبا نصر ، ومحمدا ، وقحطبة (الديوان ٣٨١)

(٥) من قصيدة له يرثى فيها قومه (الديوان ٢/٤٥) وفيه « أفضى بها » وإضافة « ولع » إلى « المنون » من إضافة المصدر إلى فاعله : أى شغفها بالعظام من الناس .

فجعلهم أبو تمام ثلاثَ قبائل ، وجعلهم البحترى ثلاثة أبحر ؛ فليس ههنا اتفاق إلا فى ذكر ثلاثة .

٣٣ – ومن ذلك قول أبى تمام :

كَسَاكَ مِنَ الأَنْوَارِ أَبْيَضُ نَاصِعٌ ... وأحمــــر قانٍ وأصْفَرُ فاقِعُ (١)

وقول البحترى :

مِنْ وَاضِحٍ يَقَقٍ وَأَصْفَرَ فاقِعٍ ... وَمُضَرَّجٍ جَسَدٍ وَأَحْمَرَ قانِى (٢)

أفترى البحترى لم يكن ليهتدى إلى أصفر فاقع وأحمر قانٍ لولا بيت أبى تمام ؟

٣٤ — ومن ذلك قول أبى تمام :

لَوْلاَ مُنَاشَدَةُ القُرْبَى لَغَادَرَكُمْ ... فَرِيسَةَ المُرْهَفَيْنِ السَّيْفِ وَالقَلَمِ (٣)

وقول البحترى :

زِنْتَ الخِلاَفَةَ إِشْرَاقاً وَقَدْ حَبِطَتْ ... وَذُدْتَ عَنْ حَقِّهَا بِالسَّيْفِ وَالقَلَمِ (٤)

وكذلك أيضاً لم يكن البحترى يهتـدى إلى الجمع بين السيف والقلم لو لم يجمعهما أبو تمام !

٣٥ — ومن ذلك قول أبى تمام :

---

(١) من قصيدة له يفخر فيها بقومه (الديوان ٤٧٨) وقد وقع فى أصول هذا الكتاب « كتابا من الألوان » وهو تصحيف ، وقد تقدم ذكر البيت على الصواب (انظر ص ٢٤٦ من هذا الكتاب) وعجز البيت على ما هنا غير مستقيم الوزن،وهو فى الموضع السابق صحيح الوزن وإن كان فيه ما ذكره المؤلف هناك

(٢) من قصيدة له يمدح فيها عبيد الله بن يحيى بن خاقان (الديوان ٢ / ٣١٢) والجسد : الدم ، وأراد كلون الدم

(٣) من قصيدة له يمدح فيها مالك بن طوق (الديوان ٢٧٠) وفيه « حصائد المرهفين » والمرهفين : المحددين الرقيقين

(٤) من قصيدة له يمدح فيها عبيد الله بن يحيى بن خاقان (الديوان ٢ / ٢٦٥) وفيه « سست الخلافة إشراقا »

أَبَى لِيَ نَجْرُ الْغَوْثِ أَنْ أَرْأَمَ الَّتِي أُسَبُّ بِهَا ، وَالنَّجْرُ يُشْبِهُهُ النَّجْرُ(١)

وقول البحترى :

سَـيِّدٌ نَجْرُ الْمَعَالِي نَجْرُهُ يَمْلِكُ الْجُودُ عَلَيْهِ ما مَلَكْ(٢)

وقد كان ينبغى لأبى الضياء أن لا يُخَرِّج مثل هـذا فى السَّرَق ، ولا يَفْضَح نفسه .

٣٦ — ومن ذلك قول أبى تمام :

مُتَوَاطِئُو عَقِبَيْكَ فِي طَلَبِ الْعُلَى وَالْمَجْدِ ثَمَّةَ تَسْتَوِي الأَقْدَامُ(٣)

وقول البحترى :

حُزْتَ الْعُلَى سَبْقاً ، وَصَلَّى ثَانِياً ثُمَّ اسْتَوَتْ مِنْ بَعْدِهِ الأَقْدَامُ(٤)

٣٧ ـ ومثله قول أبى تمام:

فِي غَـدَاةٍ مَهْضُوبَةٍ كَانَ فِيهَا نَاضِرُ الرَّوْضِ لِلسَّحَابِ نَدِيمَا(٥)

---

(١) من قصيدة له فى الفخر (الديوان ١٧٥) والنجر ـ بفتح النون وسكون الجيم ـ الأصل ، والغوث ـ بفتح الغين وسكون الواو ـ هو الغوث بن طيىء جده الأعلى ، وأرأم : أحب

(٢) من قصيدة له يمدح فيها عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر (الديوان ١٥١/٢)

(٣) هذا البيت آخر أبيات قصيدة يمدح فيها أمير المؤمنين المعتصم بالله ـ ويقال: المأمون ـ (الديوان ٢٨٢)

(٤) من قصيدة له يرثى فيها أبا سعيد (الديوان ٢ / ٢٥٨) وقبله ـ مما يتضح به معناه ـ قوله :

لا تبعدن وكيف يقرب نازل بالغيب تفنى دونه الأعوام
ولقد كناك المكرمات مهذب يرضيك منه النقض والإبرام

(٥) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد (الديوان ٢٩٣) ووقع فى الأصول « فى غداة مهضومة » وتصويبه عن الديوان ، والمهضوبة : المطورة ، مأخوذ من الهضبة وهى المطرة ، والهضب ـ بفتح فسكون ـ حلبات القطر بعد القطر ، هذا وقد سقط من أصول الكتاب بيت البحترى الذى يقال إنه أخذ معناه من هذا البيت

وما يجعل مثل هذا مسروقاً إلا مَنْ لا معرفة له بجليّ المعانى فضلا عن خفيها .

٣٨ — ومن ذلك قول أبى تمام يصف الفرس :

مِنْ نَجْلِ كُلِّ تَلِيدَةٍ أعراقُهُ   طِرْفٍ مُعِمٍّ فِي السَّوَابِقِ مُخْوِلِ [١]

وقول البحترى :

وَافِي الضُّلُوعِ يَشُدُّ عَقْدَ حِزَامِهِ   يَوْمَ اللِّقَاءِ عَلَى مُعِمٍّ مُخْوِلِ [٢]

وما فى « معمّ مخول » من الغرابة حتى يتلقنه البحترى من أبى تمام على كثرته على الألسن وقول الناس فى مدح الفرس : كريم الآباء والأمهات ، وشريف الأنساب ؟

٣٩ — ومن ذلك قول أبى تمام :

فَأَذْرَتْ جُمَاناً مِنْ دُمُوعٍ نِظَامُهَا   عَلَى الْخَدِّ إلاَّ أَنَّ صَائِغَهَا الشَّفْرُ [٣]

وقول البحترى :

جَرَى فِي نَحْرِهَا مِنْ مُقْلَتَيْهَا   جُمَانٌ يَسْتَهِلُّ عَلَى جُمَانِ [٤]

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ٢٣٥) والنجل : الولد ، والتليدة : الأصيلة ، والأعراق : الأصول ، والطرف : الكريم ، والمعم : الذى له عم ، والمخول : الذى له خال

(٢) لا يوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع بمصر

(٣) من قصيدة له فى الفخر (الديوان ٤٧٤) وفيه « فأبدت جمانا » ووقع فى أصول هذا الكتاب « إلا أن طالعها السفر » وتصويبه عن الديوان ، وقبل هذا البيت ـ مما يتضح به معناه ـ قوله :

تصدت وحبل البين مستحصد شزر   وقد سهل التوديع ما أوعز الهجر
بكته بما أبكته أيام صدرها   خلى ، وما يخلو له من جوى صدر
وقالت : أتنسى البدر ؟ قلت تجلدا :   إذا الشمس لم تغرب فلا طلع البدر

(٤) من قصيدة له يمدح فيها أحمد وإبراهيم ابنى المدبر (الديوان ٢ / ٢٨٠)

فالاتفاق ههنا إنما هو فى لفظ « جُمَانٌ » وقول ذلك « نظامها على الخد » وقول هذا « جرى فى نحرها » فلا يقتضى أن يكون أحدهما مأخوذا من الآخر؛ لأن الدمع على الخد جَرْيُهُ ، وإلى النحر يَصِل ، وهـذه حال لا يجهلها أحد ممن وصف الدمع .

٤٠ — ومن ذلك قول أبى تمام :

وَهَلْ لِلْقَرِيضِ الْغَضِّ أَوْ مَنْ يَحُوكُهُ عَلَى أَحَدٍ - إِلاَّ عَلَيْكَ - مُعَوَّلُ (١)

وقول البحترى :

وَعَلَيْكَ سُقْيَاهُمْ لَنَا إِذْ لَمْ يَكُنْ فِي نَوْبَةٍ إِلاَّ عَلَيْكَ مُعَوَّلُ (٢)

فحَظَر على البحترى لفظة « معول » وحرّمها عليه من أجل أن أبا تمام لَفَظ بها ! .

٤١ — ومن ذلك قول أبى تمام :

وَإِذَا امْرُؤٌ أَهْدَى إِلَيْكَ صَنِيعَةً مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّهَا مِنْ مَالِهِ (٣)

وقول البحترى :

حَازَ حَمْدِي ، وَلِلرِّيَاحِ اللَّوَاتِي تَجْلِبُ الْغَيْثَ مِثْلُ حَمْدِ الْغُيُومِ (٤)

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها أبا المستهل محمد بن شقيق الطائى (الديوان ٢٤٥) وفيه « فهل للقريض الغض أو من يصوغه » والقريض : الشعر ، والغض : أصله الطرى ، وأراد به الطريف المبتدع

(٢) لا يوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع بمصر

(٣) سادس ستة أبيات يمدح فيها إسحاق بن أبى ربعى كاتب أبى دلف ويسأله أن يشفع له (الديوان ٢٤٠) والصنيعة : المكرمة

(٤) من أبيات له يمدح فيها أحمد بن عبد الرحمن الحرانى ويستعينه فى قضاء حاجة (الديوان ٢ / ٢٥٠) ووقع فى الأصول « خان حمدى » وهو تحريف شنيع تصويبه عن الديوان ، وقبله — مما يوضح معناه — قوله :

وكريم عدا فأعلق كفى مستميحا فى نعمة من كريم

فمعنى أبى تمام مشترك بين الناس ، وليس مخترعا ؛ لأنك أبداً تسمع قول القائل ـ إذا بلغ حاجته بشفاعة ـ أن يقول للشفيع : ما أعتدُّ هذه إلا من الله ومنك ، فليس لأبى تمام فيه شىء أكثر من أن عَبَّر فيه بعبارة حسنة مكشوفة ، فالبحترى لم يأخذ المعنى منه لأنه فى العادات موجود ، ولكنه أحسن فى التمثيل ، وأغرب وأبدع .

* * *

وهذا الآن ما أخطأ فيه البحترى من المعانى :

١ — قال البحترى :

ذَنَبٌ كمَا سُحِبَ الرِّدَاءُ يَذُبُّ عَنْ عُرْفٍ وَعُرْفٌ كالْقِنَاعِ الْمُسْبَلِ (١)

هذا خطأ من الوصف ؛ لأن ذَنَب الفَرَس ـ إذا مسَّ الأرض ـ كان عيبا ، فكيف إذا سَحَبه ، وإنما الممدوح من الأذناب ما قرُبَ من الأرض ولم يمسَّها ، كما قال امرؤ القيس :

* بِضَافٍ فُوَيْقَ الأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْزَلِ (٢) *

فقال « فويق الأرض » [أى : فوق الأرض] بقليل .

وقد عِيبَ على امرىء القيس قوله :

لَهَا ذَنَبٌ مِثْلُ ذَيْلِ الْعَرُوسِ تَسُدُّ بِهِ فَرْجَهَا مِنْ دُبُرْ (٣)

---

(١) لا يوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع بمصر

(٢) هذا عجز بيت من طويلته المعلقة ، وصدره قوله :

* ضليع إذا استدبرته سد فرجه *

والضليع : القوى المنتفخ الجنبين ، وفرجه : ما بين رجليه ، والضافى : السابغ وأراد به ذنب الفرس ، و « ليس بأعزل » ليس ذنبه إلى جانب

(٣) قد تقدم ذكر ما بعد هذا البيت فى مآخذ العلماء على الشعراء ، وانظر (ص ٣٤ من هذا الكتاب) وانظر العقد الثمين ٨٦

وما أرى العيب لحق امرأ القيس فى هذا ؛ لأن العروس إذا كانت تَسْحَبُ ذيلها ، وكان ذنب الفرس إذا مس الأرض فهو عيب ؛ فليس ينكر أن يشبه الذنب به إن لم يبلغ أن يمس الأرض ؛ لأن الشىء إنما يشبه بالشىء إذا قرب منه ، أو دنا من معناه ، فإذا أشبهه فى أكثر أحواله فقد صح التشبيه ، ولاَقَ به ، ولأن امرأ القيس لم يقصد طولَ الذنب أن يشبهه بطول ذيل العروس فقط ، وإنما أراد السبوغَ والكثرةَ والكثافة . ألا تراه قال « تسد به فرجها من دُبُرْ » وقد يكون الذنب طويلا يكاد يمس الأرض ولا يكون كثيفا ، بل يكون رقيقاً نَزْرَ الشعر خفيفاً فلا يسد فرج الفرس ، فلما قال « تسد به فرجها » علمنا أنه أراد الكثافة والسبوغ مع الطول ، فإنما أشبه الذنبُ الطويلُ ذيلَ العروس من هذه الجهة ، وكان فى الطول قريباً منه ؛ فالتشبيه صحيح ، وليس ذلك بموجب للعيب ، ولا أن يكون ذنبُ الفرس من أجل تشبيهه بالذيل مما يحكم على الشاعر أيضاً أنه قصد إلى أن الفرس يسحبه على الأرض ، وإنما العيب فى قول البحترى « ذَنَبٌ كما سُحِب الرداء » فأفصح بأن الفرسَ يسحبُ ذنبه .

ومثلُ قول امرىء القيس قولُ خِدَاش بن زهير :

لَهَا ذَنَبٌ مِثْلُ ذَيْلِ الْهَدِىِّ   إِلَى جُؤْجُؤٍ أَيِّدِ الزَّافِرِ

الهدىّ : العروس التى تُهْدَى إلى زوجها ، وأيِّد : شديد ، والزافر : الصدر؛ لأنها تزفر منه ، فإنما أراد بذيل العروس طولَه وسُبُوغَه ، فشبه الذنبَ السابغ به ، وإن لم يبلغ فى الطول إلى أن يمسّ الأرض

ومما يصحح ذلك قولهم : فرسٌ ذَيَّال ؛ إذا كان طويلا طويل الذنب ، فإذا كان قصيرا طويل الذنب قالوا : ذائل ، وإنما قالوا ذلك تشبيهاً للذنب بالذيل لا غير ، قال النابغة :

بِكُلِّ مُدَجَّجٍ كاللَّيْثِ يَسْمُو   إِلَى أَوْصَالِ ذَيَّالٍ رِفَنِّ

رفنّ ورفلّ واحد ، وهو الطويل الذنب

وقد استقصيت الاحتجاج لبيت امرىء القيس فيما بينته[١] من سهو أبى العباس عبد الله بن المعتز فيما ادعاه على امرىء القيس من الغلط فى كتابه الذى جمع فيه سرقات الشعراء

٢ — وقال البحترى :

هَجَرَتْنَا يَقْظَى وَكَادَتْ عَلَى عَا   دَاتِهَا فِي الصُّدُودِ تَهْجُرُ وَسْنَى[٢]

وهذا عندى غلط ؛ لأن خيالها يَتَمَثَّلُ له فى كل أحوالها ، يَقْظَى كانت أو وَسْنَى ، والجيد قوله :

أُرَدُّ دُونَكِ يَقْظَاناً ، وَيَأْذَنُ لِي   عَلَيْكِ سُكْرُ الكرى إنْ جِئْتُ وَسْنَانَا[٣]

فصحح المعنى وأتى به على حقيقته

وكذلك قوله :

إذا ما تَبَادَلْنا النَّفَائِسَ خِلْتَنَا   مِنَ الجِـدِ أَيْقَاظاً وَنَحْنُ نِيَامُ[٤]

وقوله :

* نُعَذَّبُ أَيْقَاظاً وَنَنْعَمُ هُجَّدَا[٥] *

---

(١) لعل ذلك البيان قد ذكره المؤلف فى كتابه الذى صنفه فى تفضيل امرىء القيس على الشعراء الجاهليين .

(٢) هو ثانى بيت فى قصيدة له يمدح فيها ابن الفياض (الديوان ٢/٢٩٠) والبيت الذى قبله هو قوله :

ماتقضى لبانة عند لبنى   والمعنى بالغانيات معنى

(٣) لا يوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع بمصر ، وقد تقدم ذكره فى سرقات البحترى (انظر ص ٢٥٢ من هذا الكتاب)

(٤) من قصيدة له يعتذر فيها إلى يعقوب بن أحمد بن صالح (الديوان ٢/٢٤٩) وفيه « إذا ماتبادلنا » وقبله قوله :

وما نلتق إلا علم هاجد   يحل لنا جدواك وهى حرام

(٥) هذا عجز بيت من قصيدة له يمدح فيها للمعتز بالله ويستشفعه إلى ابنه عبدالله (الديوان ١ / ١٧٤) وصدره — مع بيتين قبله — قوله :

=

جيد أيضا ؛ لأنه حملها على أن حالها مع خياله إذا نامت كحاله مع خيالها إذا نام ، وأن كل واحد منهما ينعَم مفردا مع خيال صاحبه ؛ لأنهما ينعمان معا فى حال واحدة إذا نام أحدهما فرأى خيال الآخر . وإنما أخذ معنى بيته الأول وعليه بنى أكثر أوصافه للخيال من قول قيس بن الخطيم[1]

أَنَّى سَرَبْتَ وَكُنتَ غَيْرَ سَرُوبِ   وَتُقَرِّبُ الأَحْلامُ غَيْرَ قَرِيبِ
مَا تَمْنَعِي يَقْظَى فَقَدْ تُؤْتِينَهُ   فِي النَّوْمِ غَيْرَ مُصَرَّدٍ مَحْسُوبِ

وما أظن أحداً سبق قيساً إلى هذا المعنى فى وصف الخيـال ، وهو حسن جدا ، ولـكنْ فيه أيضا مقال لمعترض ، وذلك هو الذى أوقع البحترى فى الغلط ؛ لأن قيساً قال « ما تمنعى يقظى فؤتينه فى النوم » فأراد أيضا أنها تؤتيه نائمة وخيال المحبوب يتمثل فى حال نوم المحب ويقظته كما ذكرت ، وكان الأجود لو قال : ما تمنعى فى اليقظة فقد تؤتينه فى النوم : أى ما تمنعينه فى يقظتى فقد تؤتينه فى حال نومى ، حتى يكون النوم واليقظة معا منسوبة إليه ، إلا أنه يتّسع من التأويل لقيس ما لا يتسع للبحترى ؛ لأن قيسا قال « فقد تؤتينه فى النوم » فقد يجوز أن يُجْعل على أنه أراد ما تمنعى يقظى وأنا يقظان فقد تؤتينه فى نومى ، ولا يسوغ مثل هذا فى بيت البحترى ؛ لأن البحترى قال وَسْنَى ولم يقل فى الوسن

٣ ــ وقال البحترى فى مدح المعتز بالله :

= إذا ما الكرى أهدى إلى خياله   شفى قربه التبريح أو نقع الصدى
إذا انتزعته من يدى انتباهة   عددت حبيبا راح منى أو غدا
ولم أر مثلينا ولا مثل شأننا   نعذب أيقاظا وننعم هجدا

(١) قد مضى ذكر ثانى هذين البيتين فى أصل هذا الكتاب (٢٥٢) وذكرنا أولها فى الهامشة رقم ٥ فارجع إليها هناك

لا العَذْلُ يَرْدَعُهُ وَلا الـــتَّعْنِيفُ عَنْ كَرَمٍ يَصُدُّهْ[١]

وهذا عندى من أهْجَنِ ما مدح به خليفة وأقبحه ، ومن ذا يُعَنِّفُ الخليفة أو يصُده ؟ إن هذا بالهجو أولى منه بالمدح

٤ ــ وقال البحترى :

نَشُقُّ عَلَيْهِ الرِّيحُ كُلَّ عَشِيَّةٍ   جُيُوبَ الغَمَامِ بَيْنَ بِكْرٍ وَأَيِّمٍ[٢]

وهذا أيضا غلط ؛ لأنه ظن أن الأيم هى الثيب ، وقد غلط فى مثله أبو تمام ، وذكرته فى أغاليطه[٣] ، وسها فيه أيضا بعضُ كبار الفقهاء ، فظن البحترى أن الأيم هى الثيب ، فجعلها فى البيت ضدّ البكر ، والأيم : هى التى لا زوج لها ، بكراً كانت أو ثيبا ، قال الله تعالى : (وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ)[٤] أراد جل ثناؤه اللواتى لا أزواج لهن ؛ فالبكر والثيب جميعا داخلتان تحت الأيِّم فتكون بكرا وتكون ثيبا ، وتكون بكرا ومعنسا وكَعَابا ، إلا أن لفظة « أيم » لا تزول عن شىء من هذه الأوصاف ، وليست عبارة إلا عن التى لا زوج لها لا غير ، وقد شرحت هذا المعنى شرحا شافيا فى غلط أبى تمام

٥ ــ وقال البحترى :

شَرْطِيَ الإنْصَافُ إنْ قِيلَ اشْتَرِطْ   وَصَدِيقِى مَنْ إذا قَالَ قَسَطْ[٥]

وكان يجب أن يقول « أقسط » أى : عَدَلَ ، وقَسَط ــ بغير ألف ــ معناه جار ، قال الله تبارك وتعالى : (وَأَمَّا القَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً[٦]) وقال :

---

(١) الديوان (١٦٢/١)

(٢) لا يوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع بمصر

(٣) ارجع إلى ص ١٣٦ من هذا الكتاب فقد أطال المؤلف فى هذه المسألة .

(٤) من الآية ٣٢ من سورة النور

(٥) أول كلمة له يمدح فيها العلاء بن صاعد (الديوان ٢ / ٣٣٢) وفيه «وخليلى من إذا صافى قسط »

(٦) الآية ١٥ من سورة الجن

(إنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ[١])

٦ ـ وقال البحترى :

صبغة الأفقِ بين آخرِ لَيْلٍ مُنْقَضٍ شأنُهُ وأوّلِ فَجْرِ[٢]

يصف فرسا أشقر أو خلوقيا ، والحمرة لا تكون بين آخر الليل وأول الفجر ، وهو عندى فى هذا غالط ؛ لأن أول الفجر الزرقة ، ثم البياض ، ثم الحمرة عند بدوّ قَرْنِ الشمس ، كما أن آخر النهار عند غيبوبة الشمس الحمرة ، ثم البياض ، ثم الزرقة وهى آخر الشفق ؛ وقال البحترى :

وَأَزْرَقُ الْفَجْرِ يَبْدُو قَبْلَ أَبْيَضِهِ وَأَوَّلُ الْغَيْثِ رَشٌّ ثُمَّ يَنْسَكِبُ[٣]

وقال آخر :

وأن يسجع القمرى فيها إذا غدا بركبانه قَرْنٌ مِنَ الشَّمْسِ أَزْرَقُ

وكأن البحترى أراد أن يقول بين آخر ليل منقض شأنه وأول نهار ؛ فيكون قد قابل بين الليل والنهار ، والحمرة قد تكون بين آخر الليل وأول النهار ، كما تكون بين آخر النهار وأول الليل ؛ فقال « وأول فجر » ، والجيد فى هذا قول أبى تمام يصف فرساً أشقر :

كأنْ قَدْ كُسِفَتْ فِى أديمِهِ الشَّمْسُ[٤]

---

(١) من الآية ٤٢ من سورة المائدة

(٢) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن بدر (الديوان ٢ / ٢٠)

(٣) من قصيدة له يمدح فيها أبا أيوب سليمان بن وهب (الديوان ٦٥/١) وروايته فيه :

وأزرق الفجر يأتى قبل أبيضه وأول الغيث طل ثم ينسكب

(٤) هذه قطعة من بيت من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ١٦٨) وهو بتمامه هكذا :

ضمخ من لونه فجاء كأن قد كسفت فى أديمه الشمس

وضمخ ـ بالبناء للمجهول ـ لطخ بالطيب ونحوه ، والأديم : الجلد

٧ ـ وقال البحترى :

قِفِ العِيسَ قَدْ أدنى خُطاها كَلالُهَا   وَسَلْ دَارَ سُعْدَى إنْ شَفَاكَ سُؤالها[١]

هذا لفظ حسن ، ومعنى ليس بالجيد ؛ لأنه قال « قد أدنى خطاها كلالها » أى : قَارَبَ من خطوها الـكَلال ، وهذا كأنه لم يقف لسؤال الدار التى تعرَّض لأن يشفيه سؤالها ، وإنما وقف لإعياء المطىّ

والجيد قولُ عنترة ؛ لأنه لمـا ذكر الوقوف على الدار احتاط بأن شبه ناقته بالقَصر ، فقال :

فوَقفْتُ فِيها ناقتِي وَكأنها   فَدَنٌ لِأقْضِيَ حاجَةَ الْمُتلَوِّمِ[٢]

قال ذلك ليعلم أنه لم يقف بها ليريحها

وقد كشف عن هذا المعنى ذو الرمة فأحسن وأجاد ، فقال :

أنَختُ بِهَا الْوَجْنَاء لاَ مِنْ سَآمَةٍ   لِثِنْتَيْنِ بَيْنَ اثْنَيْنِ جَاء وَذاهِبِ

يقول : أنخت لأصَلّى ، لا من سآمة بها ، وقوله « لثنتين » يريد اللتين يقصُرهما المسافر « بين اثنين جاء » يريد الليل « وذاهب » يريد النهار

فإن قيل : فإنما قال « قد أدنى خطاها كلالها » ليعـلم أنه قصد الدار من شُقَة بعيدة

قيل : العرب لا تقصد الديار للوقوف عليها ، وإنما تجتاز بها ، فيقول الرجل لصاحبه أو صاحبيه : قِفْ ، وقِفَا ، وإنمـا ذلك تعريج على الديار فى مسيرها ، وسأزيد فى شرح هذا المعنى فيما بعد عند ذكر الوقوف على الديار .

---

(١) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله (الديوان ٢/١٧٩) والـكلال ـ بزنة السحاب ـ التعب والإعياء

(٢) هو من طويلته المعلقة (انظر شرح القصائد العشر ص ١٧٣) والفدن ـ بفتح الفاء والدال جميعا ـ القصر ، والمتلوم ـ بتشديد الواو مكسورة ـ المتمهل

٨ — وقال البحترى[1] :

غَرِيبُ السَّجَايَا مَا تَزَالُ عُقُولُنَا مُدَلَّهَةً فِي خَلَّةٍ مِنْ خِـــلالِهِ
إذا مَعْشَرٌ صانُوا السَّماحَ تَعَسَّفَتْ بِهِ هِمَّةٌ مَجْنُونَةٌ فِي ابْتِذَالِهِ

قوله « إذا معشر صانوا السماح » معنى ردىء ؛ لأن البخيل ليس من أهل السماح فيكون له سماح يصونه ، وسواء عليه قال : صانوا السماح ، أو صانوا السخاء ، أو صانوا الجود ، أو صانوا الكرم ؛ فإن هذا كله لا يملك البخلاء منه شيئا ، وهو منهم بعيد ، فكيف يصونونه ؟

فإن قيل : إنما أقام السماح مقام الشىء الذى يُسْمَح به ، وفى مَجَازات العرب ما هو أبعد من هذا .

قيل : البحترى لا يُسَوَّغ مثل هذا ، ولا يجوز له ؛ لأنه متأخر ، ولا سيما أن ليست ههنا ضرورة ؛ لأنه قد كان يمكنه أن يقول « صانوا الثراء » مكان « صانوا السماح »

وهذا ما عِيبَ به البحترى وليس بعَيْبٍ

وإنما ذكرته لئلا يظن ظان أنه صحيح ، وأنى تخطَّيته ؛ فمن ذلك ما نعاه عليه أصحابُ أبى تمام ، وهما بيتان ، وقد ذكرت احتجاج أصحاب البحترى فيهما فى الجزء الأول من هذا الكتاب ، وأنا أعيد ذكرهما لزيادةٍ عندى فى الاحتجاج يحتاج إليها .

١ — أنكروا عليه قوله :

يُخْفِي الزُّجَاجَةَ لَوْنُهَا فَكَأَنَّهَا فِي الْكَفِّ قَائِمَةٌ بِغَيْرِ إِنَاءِ[2]

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها على بن يحيى (الديوان ٢ / ١٧٣)
(٢) قد مضى ذكر هذا البيت (انظر ص ٢٦ و٢٥١ من هذا الكتاب)

وقالوا : لو ملىء الإناء دِبْساً لكانت هـذه حاله ، والمعنى عندى صحيح : لا عيب فيه ، ولا قَدْح ، وذلك أن الرجل قد دَلّ بهذا الوصف على أن شُعاع الشراب فى غاية الرقة ؛ فاعتمد أنْ وَصَفَ الإناء وما فيه وَصْفَ الهيئةِ على ما هى عليه ، و إنما أخذ المعنى من قول على بن جَبَلَة :

كَأَنَّ يَدَ النَّدِيمِ تُدِيرُ مِنْهَا   شُعَاعاً لا تُحِيطُ عَلَيْهِ كَاسُ[١]

ألا ترى أن هذا أيضاً قد دل على أن الكاس فى غاية الرقة ، ومثله قول الآخر :

إنمـــا نعجتنا مَوْسُومَةٌ   ضمنت حمراء تَرْمِى بِالزَّبَدْ[٢]

و إذا ما نَزَلَتْ فى كأسها   فهْىَ وَالكأسُ مُعَاشَىً بِأَحَدْ

وقد أنشد أبو العباس ثعلب بيت البحترى هذا فى أماليه ، وقال : إنه أخذ المعنى من قول الأعشى :

تُرِيكَ الْقَذَى مِنْ دُونِها وَهْىَ دُونَهُ   إِذَا ذاقَهَا مَنْ ذاقَها يَتَمَطَّقُ[٣]

قال أبو العباس : وهذا البيت أجود ما قيل فى وصف الخمرة ؛ لأنه جمع بين اللون والطعم ، ونحوه قول الآخر ، وهو الأخطل :

وَلَقَدْ تُبَاكِرُنِى عَلَى لَذَّاتِها   صَهْبَاءُ عَارِيَةُ الْقَذَى خُرْطُومُ

يريد أنها صافية ؛ فالقذى فيها لا يستتر ، ولم يعب أبو العباس البحترى ، ولا طعن فى بيته ، بل يدلُّك إنشاده وذِكْرُهُ فى موضع السرق على استجادته واستحسانه إياه .

٢ — وأنـكروا قوله :

ضَحِكَاتٌ فِى إِثْرِهِنَّ الْعَطَايَا   وَبُرُوقُ السَّحَابِ قَبْلَ رُعُودِهْ[٤]

---

(١) انظر (٣١و٢٥١ من هذا الـكتاب) أيضا

(٢) قد أنشد المؤلف ثانى هذين البيتين فيما مضى (٣١) عن أبى الحسن الأخفش وفيه « وإذا ما مزجت »

(٣) انظره فى ديوان الأعشى (١٤٧) ويتمطق : يتلمظ

(٤) انظر (ص ٢٦ من هذا الـكتاب)

وقالوا : أقام الرعود مُقَام العطايا ، و إنما كان ينبغى أن يقيم الغيوث مُقَام العطايا ، وهذا جهل ممن قاله بمعانى كلام العرب ، ومعنى التمثيل فى البيت صحيح ؛ لأن الرعد مقدِّمة الغيث ، وقَلَّ رعدٌ لا يتلوه المطر ، و إذا كان هذا هكذا فقد صار المعنى كأنه أو له ، و إنما أخذ البحترى المعنى من قول بشار :

وَعْدُ الجَوَادِ يَحُثُّ نَائِلَهُ كالبَرْقِ ثم الرَّعْدِ فى أَثَرِهْ

وأظنهما جميعاً أخذا المعنى من قول الأعشى :

وَالشِّعْرُ يَسْتَنْزِلُ الكَرِيمَ كَمَا اسْتَنْزَلَ رَعْدُ السَّحَابَةِ السَّبَلا[١]

فأقام الرعد مقام الغيث ، ونحوه قول بشار :

حَلَبْتُ بِشِعْرِى رَاحَتَيْهِ فَدَرَّتَا سَمَاحاً ، كَمَا دَرَّ السَّحَابُ عَلَى الرَّعْدِ

وأنشد ابن الأعرابى فى نوادره :

فَإِنْ لَمْ أُصَدِّقْ ظَنَّهُمْ بِتَيَقُّنِى فَلا سَقَتِ الأَوْصَالَ مِنِّى الرَّوَاعِدُ

فجعل التى تسقى هى الرواعد ، وقال الكميت :

وَأَنْتَ فِى الشَّتْوَةِ الجَمَادِ إذا أَخْلَفَ مِنْ أَنْجُمٍ رَوَاعِدُها[٢]

ومثل هذا كثير فى كلامهم لا ينكره منكر ، وقال أبو تمام :

وكَذا السَّحَائِبُ قَلَّمَا تَدْعُو إِلَى مَعْرُوفِهَا الرُّوَّادَ مَالَمْ تُبْرِقِ[٣]

فجعل البرق عند الرواد دليلَ الغيثِ ، وقد يكون برق لا مطر معه كثيرا ، و برق الخلَّب هـذه حاله ؛ فالبحترى فى أن أقام الرعد مُقَامَ الغيث أعْذَرُ من أبى تمام ؛ لأنه قد يرتفع سحاب و برق لا مطر فيه ، فإذا أرعد لا يكاد يخلف

٣ — ومن ذلك قول البحترى :

---

(١) قد سبق ذكره فى (ص ٣١ من هذا الكتاب)
(٢) ومضى ذكر هذا أيضا فى (ص ٣١ من هذا الكتاب)
(٣) قد تكرر ذكر هذا البيت (انظر ص ٧٩)

يا هِلالاً أوْفَى بِأعْلَى قَضِيبٍ وَقَضِيباً على كَثِيبٍ مَهِيلِ(١)

وقالوا : هـذا خطأ ؛ لأن الـكثيب ـ إذا كان مَهِيلاً ـ فإنه يذهب ولا يستمسك ، وذلك مذموم من الوصف ، قالوا : والجيد قوله :

كالبدر غير مخيل والغصن غيـــر مميل والدِّعْصِ غَيْرَ مَهِيلِ(٢)

وقالوا : قد تراه هنا كيف شرط فى الدِّعْصِ ـ لما مَثَّلَ العَجزَ به ـ أن جعله غير مهيل ؛ لأن العرب إذا شبهت أعجاز النساء بكُثبان الرمل شَرَطت فيها أن تكون ندية ، وأن تكون ممطورة ، كأنها الـكثبان غِبَّ سارية ناوية سمان ، من النيّ وهو الشحم ، كقول الآخر :

* مِثْلُ الـكَثِيبِ إذا ما بَلَّهُ المَطَرُ(٣) *

وكما قال مِرْداس بن أبى عامر السلمى :

إذا هِيَ قَامَتْ فى النِّساء حَسِبْتَ مَا فُوَيْقَ نِطَاقِ العِقْدِ صَعْدَةَ مأسِمِ(٤)
وَأسْفَلُ مِنْهُ ظَهْرُ دِعْصٍ أصَابَهُ نجاء السماك فى الـكَثِيبِ المُجَسَّمِ(٥)

وقال الأخضر بن جابر الفزارى :

---

(١) من غزل قصيدة له يمدح فيها أبا أيوب بن طوق (الديوان ٢ / ٢٠٥)
(٢) لا يوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع فى مصر
(٣) الـكثيب ـ بفتح الـكاف ـ التل من الرمل ، سمى بذلك لأنه انكثب أى انصب فى مكان فاجتمع فيه ، ويجمع على كثب كسرر ، وعلى أكثبة كأرغفة، وعلى كثبان ، بضم الـكاف
(٤) الصعدة : القناة المستوية تنبت هكذا ولا تحتاج إلى تثقيف ، وتجمع على صعاد كجفان ، شبه عنقها فى استوائه بها
(٥) الدعص ـ بكسر الدال وسكون العين ـ كثيب الرمل المجتمع ، وجمعه أدعاص ودعصة

بكرت أثناء اللِّفاعِ الأتحمى بمثلِ دِعْصِ الرَّمْلَةِ المُدَيَّمِ (١)

أراد الذى قد بلّته الدِّيمة ، وهى السحابة ، وقال جَندَل بن المثنى الطُّهَوِىُّ :

لا بَلْ كَدَعْصاء نَفاها مُثْرِى عفراء حُفَّتْ بِرِمالٍ عُفْرِ (٢)

وقال امرؤ القيس :

كَحِقْفِ النَّقا يَمْشى الْوَلِيدَانِ فَوْقَهُ
بِمَا احْتَسَبا مِنْ لِينِ مَسٍّ وَتَسْهَالِ (٣)

والحِقْف : المستدير من الرمل ؛ لأن الريح تنحله وتجمعه ، وقال « يمشى الوليدان فوقه » لأن الندى أصابه فهو صلب وفيه مع ذلك لين ونعمة ، وقد شبه امرؤ القيس أيضاً كَفَلَ الفرس بالدِّعْصِ النَّدى فقال :

---

(١) اللفاع : كل ما تجلل به المرأة جسدها ، كساء كان أو غيره ، والأتحمى : ضرب من البرود ، هذا أصله ، وقد أشربه هنا معنى الوصف ، كما اشتقوا منه فعلا فقالوا : تحمت الثوب ، يريدون معنى وشيته ، وذكر فى اللسان أن الأتحمى من البرود هو الأحمر ، فيكون قد استعمله هنا فى الأحمر لجرده عن بعض معناه ، والدعص : الكثيب ، والمديم : الذى أصابته الديمة — بكسر الدال — وهى المطر الذى ليس فيه رعد ولا برق ، يكون أقله ثلث النهار أو ثلث الليل ، وقال ابن مقبل :

رَبِيبَـــةُ رَمْلٍ دَافَعَتْ فِي حُقُوفِهِ رَخَاخَ الثَّرَى وَالْأُقْحُوَانَ الْمُدَيَّمَا

ومن هنا تعرف أن تفسير المؤلف الديمة بالسحابة فيه قصور .

(٢) أراد بالدعصاء القطعة من الدعص ، ونفاها : أراد بللها ورشها ، من قولك : نفت السحابة الماء نفيانا ، إذا مجته ، وقال الأزهرى: نفيان السحاب ماتفاه السحاب من مائه فأساله ، والمثرى : اسم الفاعل من قولك « أثرى المطر » إذا بل الثرى ، فكأنه قال كقطعة من الرمل رشها المطر بمائه .

(٣) انظره فى العقد الثمين (١٠١) وقبله قوله :

إذا ما الضجيع ابتزها من ثيابها تميل عليه هونة غير مجبال

لَهُ كَفَلٌ كالدِّعْصِ لَبَّدَهُ النَّدَى إلى كاهِلٍ مِثْلِ الرِّتَاجِ الْمُضَبَّبِ (١)

وقال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت :

وَإِنْ مَالَ الضَّجِيعِ بِهَا فَدِعْصٌ مِنَ الْكُثْبَانِ مُلْتَبِدٌ مَطِيرُ (٢)

قالوا : هذا الوصف المجوَّد ، والمعنى الصحيح من معانى العرب ، ولولا أن تشبيه أردافه بالكثيب المُنْهَال خطأٌ لما قال البحترى فى بيته الآخر « والدعص غير مهيل » .

وهذا المذهب الذى ذهبوا إليه لعمرى صحيحٌ من مذاهبهم ، إلا أن الشعراء إذا شبهت أعجاز النساء بكثبان الرمل ووصفتها بالانهيال فإنما تقصد إلى تحرك أعجازهن عند المشى ، كما قال رؤبة بن العجاج :

إذا وَصَلْنَ الْعَوْمَ بِالْهِرْكَلِّ رَجْرَجْنَ مِنْ أَعْجَازِهِنَّ الْخُزْلِ (٣)

* أَوْرَاكَ رَمْلٍ وَاِلجٍ فى رَمْلِ *

---

(١) انظره فى العقد الثمين أيضا (٦٦) وفيه « له حارك كالدعص » والكفل — بفتح الكاف والفاء جميعا — العجز أو الردف ، والحارك : أعلى الكاهل ، وهو مقدم أعلى الظهر مما يلى العنق ، والرتاج — بزنة الكتاب — الباب العظيم ، والمضبب : الذى جعلت له ضبة ، وهى حديدة عريضة

(٢) ملتبد : لاصق بعضه ببعض حتى يصير كاللبد ، وذلك من أثر الماء ، ومطير : ممطور ، فعيل بمعنى مفعول

(٣) أصل العوم السباحة فى الماء ، ويشبه بها المشى اللين الهادىء ، والهركل — بكسر الهاء وسكون الراء وفتح الكاف وتشديد اللام — ضرب من المشى فيه اختيال وبطء ، وقال الراجز :

قَامَتْ تَهَادَى مَشْيُهَا الْهِرْكَلاَّ بَيْنَ فِنَاءِ الْبَيْتِ وَالْمُصَلَّى

ورجرجن : حركن ، والأعجاز : جمع عجز ، والخزل : جمع أخزل ، وهو كقول الأعشى :

* إذَا تَأَتَّى يَكَادُ الْخَصْرُ يَنْخَزِلُ *

فقال « أوراك رمل والج فى رمل » ووُلُوجه تحرُّكه ودخول بعضه فى بعض، وكما قال الأعشى[١] :

رَوَادِفُهُ تَثْنِى الرِّدَاءَ، تَسَانَدَتْ إلى مِثْلِ دِعْصِ الرَّمْلَةِ المُتَهَيِّلِ[٢]

نِيَافٌ كَغُصْنِ البَانِ تَرْتَجُّ إنْ مَشَتْ دَبِيبَ قَطَا البَطْحَاءِ فى كُلِّ مَنْهَلِ[٣]

فدل بقوله « ترتج إن مشت » على أن قوله « إلى مثل دعص الرملة المتهيل » إنما أراد تحرك عجزها فى حال مشيها ، وكذلك قول رؤبة[٤] :

مَيَّالَةٌ مِثْلُ الكَثِيبِ المُنْهَالْ عَزَّزَ مِنْهُ وَهْوَ مُعْطِى الأَسْهَالْ[٥]

* ضَرْبُ السَّوَارِى مَتْنَهُ بالتَّهْتَالْ[٦] *

التهتال والتهتان واحد ، فقال « مثل الكثيب المنهال » لما قال « ميالة » أى : أنها تتثنّى فى مشيتها وتتحرك روادفها ، وشرط أنه « عزز منه ضرب

---

(١) انظرها فى ديوان الأعشى (ص ٢٦٦) وقبله وقوله :

يَنُوءُ بِهَا بُوصٌ إذا ما تَفَضَّلَتْ تَوَعَّبَ عَرْضَ الشَّرْعَبِيِّ المُغَيَّلِ

وينوء بها : يثقلها ، والبوص — بضم الباء — العجيزة ، وتفضلت : لبست الثياب التى تبتذل للنوم ، وتوعب : استوعب ، والشرعبى : ضرب من البرود ، والمغيل : الذى صنع واسعا ، والضمير المستتر فى « توعب » يعود إلى البوص

(٢) وقع فى أصول هذا الكتاب « ورادفة » وهو تحريف أثبتنا صوابه عن الديوان ، والضمير البارز المتصل فى « روادفه » يعود إلى البوص

(٣) وقع فى أصول هذا الكتاب « فياف » وهو تحريف أثبتنا صوابه عن الديوان ، ونياف : خبر مبتدأ محذوف ، يريد هى نياف ، والنياف — بزنة الكتاب — التامة الطول والحسن

(٤) نسبه إلى اللسان (هـ ت ل) إلى العجاج

(٥) عزز : قوى وصلب

(٦) وقع فى الأصول « صوب السوارى » وهو تحريف ، وأراد بالسوارى السحائب الممطرة

السوارى » أى شَدَّهُ ليمنع من سيلانه وذهابه ، وإنما أراد حالا بين الحالين ، ألا تراه قال « وهومعطى الاسهال ضرب السوارى » وهو مع ذلك يتهيل، وقال ابن أخى سفيان الغامدى :

ذَاتَ شَوًى عَبْلٍ وَخَصْرٍ أَبْتَلِ وَكَفَلٍ مِثْلِ الكَثِيبِ الأَهْيَلِ (١)

فأراد بالأهيل الذى يتدخرج عند المشى ، وقال المقنع الكندى :

إذا قامَتْ تَنُوءُ بِمُرْجَحِنٍّ كَدِعْصِ الرَّمْلِ يَنْهَالُ انْهِيَالا (٢)

فجاء بذكر الانهيال من أجل ذكره للقيام ، ولو لم يذكره لكان غرضه فيه معروفاً . وقال عبد الرحمن بن الحكم :

كأنَّ ما بَيْنَ قُصْرَاهَا وَخِنْصَرِهَا مِنْهَا نَقَا دَمِثٌ مِنْ عَالِجٍ هَارِ (٣)

فقُصْرَاها : آخر الأضلاع ، وهى القُصْرى والقُصَيْرَى ، فدل بقوله « هار » على أنه أراد تحرك روادفها ، فكذلك قول البحترى :

* وقضيب على كثيب مَهِيلِ *

إنما أراد تحرك أردافه ، وقد دل على المشى بقوله :

* ياهلالاً أوفى بأعلى قَضِيبِ *

---

(١) الشوى : اليدان والرجلان وأطراف الأصابع ، وعبل : ضخم ، وأبتل : منقطع ، يريد أنه ناحل يكاد ينقطع ، وباقى المفردات تقدم فى شواهد هذه المسألة مشروحا

(٢) المرجحن : اسم الفاعل من قولك : ارجحن الشىء ، إذا اهتز أو مال ، وقال الشاعر :

وَشَرَابٍ خُسْرُوَانِيٍّ إذَا ذَاقَهُ الشيخ تَغَنَّى وَارْجَحَنّ

وأراد بالمرجحن هنا عجزها

(٣) القصرى — بضم فسكون — الضلع التى تلى الشاكلة بين الجنب والبطن ، والقصيرى — مصغرة — مثله ، وأراد بما بين قصراها وخنصرها بطنها ، وعالج : مكان كثير الرمل ، وهار : منهار

فالمعنيان لا يتناقضان ؛ لأن الشاعر إن ذكر الانهيال فإنه أراد الحركة عند المشى ، وإن لم يذكر ذلك وشَرَطَ فى الـكثيب الندى وإصابة الغيث فإنما قصد أن ينُصَّ على اجتماعه واستمساكه كما قال رؤبة :

* ميَّالَةٌ مِثْلُ الـكَثِيبِ المُنْهَالْ *

ثم قال:

عَزَّزَ منه وهو مُعْطِى الأسْهالُ   ضَرْبُ السَّوارى مَتْنَه بالتَّهْتَالْ

فانتظم الوجهان جميعاً . والذى شَرَحَ هذين المعنيين أتمَّ الشرح ، وأبرَّ (١) فى الوصف على كل محسن ، تميمُ بن أبىّ بن مقبل فى قوله يصف مشى النساء :

يَمْشِينَ هَيْلَ النَّقا مالَتْ جَوَانِبُهُ   يَنْهَالُ حِيناً وَيَنْهاهُ الثَّرَى حِيناً (٢)

إنما أراد بقوله « ينهال حينا » تحركَ أعجازهنَّ إذا مَشَيْنَ كما يتحرَّكُ جانب الرملة للانهيال فينهاه الثرى وهو ما تحته من التراب والرمل الندى ، وهذا لاشىء أوضح منه .

٤ ــ ومن ذلك قوله :

مَتَى أَرَدْنا وَجَدْنا مَنْ يُقَصِّرُ عَنْ   مَسْعَاتِهِ وَفَقَدْنا مَنْ يُدَانِيهِ (٣)

وقالوا : ليس هذا بالجيد ؛ لأنه وصفٌ يَشْرَكُ ممدوحَه فيه البقَّالُ والمراق وباعةُ الدواء ولُقاط النوى ؛ لأن هؤلاء أيضاً متى شِئنا وجَدْنا من يقصر عن مسعاتهم ، وهو الحجام والـكناس والنباش .

---

(١) أبر : زاد

(٢) الهيل : الرمل الذى لا يثبت مكانه حتى يسقط

(٣) من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن ثوابة (الديوان ٢ / ٣٢٢) وقبله قوله :

تغدو فإما استعرنا من محاسنه   فضلا ، وإما استمحنا من أياديه

برز فى السبق حتى مل حاسده   طول العناء وخلاه مجاريه

والبيت عندى صحيح ، وغرض البحترى فيه معروف ، ومثله قول الأعشى:

وَأَخُو النِّسَاءِ مَتَى يَشَأْ يَصْرِمْنَهُ ... وَيَعُدْنَ أَعْدَاءً بُعَيْدَ وِدَادِ [(١)]

وهو لايشاء ذلك ، إنما أراد أنَّ ذلك سهلٌ موجود فى النساء ، وكذلك قول البحترى « متى أردنا وجدنا » أى : أن ذلك موجود سهل حاصل ، وإن لم يكن هناك إرادة ولا طلب ؛ لأن تلك حال قد عُلمت منه ، وقد صَحَّح للمعنى ووكَّد المدحَ بقوله « وفقدنا من يدانيه » والبقال والمراق وأمثالها غير مفقود من يدانيهم ؛ فجعل البحترىُّ أحَدَ القسمين فى البيت معلقاً بالآخر : أى ذلك كله سهل موجود ، ولو اقتصر على النصف الأول كان لعمرى فيه متعلّق .

٥ — ومن ذلك قوله :

تَهَاجُرُ أُمَمٍ لَا وَصْلَ يَخْلِطُهُ ... إِلَّا تَزَاوُرُ طَيْفَيْنَا إِذَا هَجَرَا [(٢)]

قالوا : والطيفانِ لا يهجران ، وإنما أراد إذا هجرنا ، فقال « إذا هجرا » .

وقد سمعت من يحتج فيه بما لا يبعد عندى من الصواب ، وهو أن قال : إنه أراد إلا تزاور نفسينا إذا هجرا ، فأقام الطيف مقام النفس ، وقال « هجرا » ولم يقل «هجرنا» للفظ الطيف وهو مذكر ، وقال : إن النفس تنام على الحقيقة كما قال تعالى : (اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا)[(٣)] .

فقيل له : النفس لعمرى يطلق عليها النوم ، فإذا نامت رأت خيالاتِ الأشياء التى ترى حقائقها فى اليقظة ؛ فالنفس غير الخيال ، وقد تتمثل للنفس فى حال يقظتها وإن لم ترها العين ؛ فليس النفسُ من الخيال فى شىء .

---

(١) انظر ديوان الأعشى ميمون (ص ٩٨) وفيه « ويكن أعداء » وروى « وأخو الغوان » و « يصرن أعداء » وهو من قصيدة له أولها قوله :

أجبير ، هل لأسيركم من فاد ؟ ... أم هل لطالب شقة من زاد

(٢) لا يوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع بمصر

(٣) من الآية ٤٢ من سورة الزمر

قال : فإذا كانت النفس والخيال يلتقيان فى النوم فلم لا أسميهما خَيَالَيْنِ ـ وإن كان أحدهما خيالا والآخر نفساً ـ على المجاز الذى تفعله العرب ؟

وهذا عندى احتجاج صحيح ، ويصح عليه معنى البيت .

٦ — ومما نسبوا فيه البحترى إلى سوء التقسيم قوله :

فَكَأَنَّ مَجْلِسَهُ الْمَحَجَّبَ مَحْفِلٌ وَكَأَنَّ خَلْوَتَهُ الْخَفِيَّةَ مَشْهَدُ(1)

وقالوا : إنه ليس فى المصراع الثانى من الفائدة إلا ما فى الأول ؛ لأن مجلسه المحجّب هى خلوته الخفية ، وقوله « محفل » كقوله « مشهد » .

والمعنى عندى صحيح ؛ لأن المجلس المحجّب قد يكون فيه الجماعة الذين يخصهم ، وفى الأكثر الأعم لا يسمى مجلساً إلا وفيه قوم ، ألا ترى إلى قول مُهَلْهِل :

* وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يا كُلَيْبُ الْمَجْلِسُ(2) *

أى : أهل المجلس ، على الاستعارة ، فجعل البحترىُّ مجلسَه الذى احتجَب فيه مع ما يخصه كالمحفل ، والمحفل : هو المجمع الكثير ، والخلوة الخفية قد يكون فيها منفرداً ، وقد يكون معه محبوب فيها ، وبين المجلس والمحفل فرق ؛ فكأنه إذا خلا خلوة خفية وفيها معه من يشاهده ـ ومن يشاهده يجوز أن يكون واحداً أو اثنين ـ والمحفل لا يكون إلا عدداً كثيراً ، فهذا أيضاً فرق صحيح ، وإنما أراد البحترى أنه لا يفعل فى مجلسه المحجَّب إلا ما يفعله فى المحفل ، ولا يفعل فى خلوته الخفية إلا مايفعله مع مَنْ يشاهده ، ينسبه إلى شدة التصوُّن وكرم السريرة

٧ ـ ومثله قوله :

أَمِينَ اللهِ ، دُمْتَ لَنَا سَلِيمًا وَمُلِّيتَ السَّلَامَةَ وَالدَّوَامَا(3)

---

(1) من قصيدة له يمدح فيها أبا أيوب ابن أخت أبى الوزير (الديوان ١ / ١٧٦) وقد تكفل المؤلف ببيان مفردات البيت

(2) هذا عجز بيت من قصيدة له يرثى فيها أخاه كليب وائل ، وصدره قوله :

* أُنْبِئْتُ أَنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أُوقِدَتْ *

وروى الجاحظ فى الحيوان ٣/١٢٨ صدره هكذا * أودى الخيار من المعاشر كلهم *
وانظر ديوان المعانى ١/٢٠٤ والصناعتين ١٩٤

(3) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله (الديوان ٢ / ٢٢٥)

قالوا : وقوله « دمت لنا سليما» هو قوله « مُلّيت السلامة والدواما » فإن هذا قبيح جداً .

وليس الأمر عندى كذلك ، بل القسمة صحيحة ؛ لأنه لما تقدم ذكر السلامة والدوام فى أول البيت قال فى عجزه « ومليت السلامة » أى : أديمت لك تلك السلامة ، والمِلاوة ـ بكسر الميم وضمها وفتحها ـ ذكر ابن السكيت لها ثلاث لغات ، وذلك الدوام ، وليس بمنكر أن يقول « دام لك الدوام » كما يقول : طال طولك ، وقر قرارك ، وضل ضلالك ، وزال زوالك ، وذلك كلام مستعمل حَسَن ، ومعنى « مُلِّيت » أُطِيلت [لك] وأديمت ، مثـــل تَمَلَّيت ، وهو مأخوذ من المَلاوة والمَلْوَة ، وهما الدهر ، والملوان : الليل والنهار . ومنه قولهم : وَقَفْتُ مَلِيًّا .

٨ ـ وقال البحترى :

الْيَوْمَ أَطْلَعَ لِلخِلَافَةِ سَعْدَهَا ... وَأَضَاء فِينَا بَدْرُهَا الْمُتَهَلِّلُ[(١)]
لَبِسَتْ جَلالَةَ جَعْفَرٍ فَكَأَنَّهَا ... سَحَرٌ تَجَلَّلَهُ النَّهَارُ الْمُقْبِلُ

وقالوا : هذا معنى فاسد ؛ لأن السَّحَر طُرَّة النهار وأوله وبدء ضيائه ، والشيء فى مثل هذا لا يتجلل أوله ؛ لأن التجلل هو أن يشتمل عليه ويغطيه ، والسحر أمام النهار أبدا ، فلا يجوز أن يتغشاه ؛ لأنه المتصل بالظلمة والمختلط بها والطارد لها ، فهو يدور حول كرة الأرض دائما على صورة واحدة لا يتغير .

وهذا عندى معارضة صحيحة ، إلا أن هـذا معنى يُتَجاوز فى مثله ؛ لأن البحترى إنما أراد تجلله النهار فى رأى أعيننا وما نشاهده ؛ لأن زُرْقة السحر لما استطار الضوء صار كأنه شيء غَطّى عليها ، وإن كانت حقيقتها أنها انقلبت إلى قطر آخر من الأرض .

---

(١) البيتان من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله (الديوان ١٧٥/٢) وفيه فى عجز الأول « وأضاء فيه بدرها »

٩ — وقال البحترى :

لَمْ أَرَ كَالْهَجْرِ لَمْ يُرْحَمْ مُعَذَّبُهُ ... وَالْوَصْلِ لَمْ يَعْتَمِدْ مُعْطَاهُ بِالْحَسَدِ (١)

وهذا بعضهم كان يراه سهوا ، ويقول: إن المعذب بالهجر مرحوم، فأما الذى يواصله حبيبه فمغبوط أبداً ومحسود ، وقد قيـل فى ذلك من الأشعار ما هو أشهر وأ كثر ؛ فمنها قولُ يزيد بن الطَّثْرِيَة :

أَعُوذُ بِخَدَّيْكِ الْكَرِيمَـيْنِ أَنْ يَرَى ... لَنَا حَاسِدٌ فِي غُبَّرِ الْوَصْلِ مَطْمَعَا (٢)

وقول أبى صخر الهذلى :

فَقَدْ تَرَكَتْنِي أَحْسُدُ الطَّيْرَ أَنْ أَرَى ... أَلِيفَيْنِ مِنْهَا لَمْ يُرَوِّعْهُمَا النَّفْرُ (٣)

وقول جرير :

وَيُحْسَدُ أَنْ يَزُورَكُمْ وَيَرْضَى ... بِدُونِ الْبَذْلِ لَوْ عَلِمَ الْحَسُودُ

وقول جميل بن معمر :

لَوْلَا الْوُشَاةُ لَزُرْتُكُمْ بِبِلَادِكُمْ ... لَكِنْ أَخَافُ مَقَالَةَ الْحُسَّادِ

وقول عتبة بن مجر الحارثى (؟) :

أَيَّامَ تَهْجُرُنِى لَيْـلَى وَأَحْسُدُهَا ... وَأَطْيَبُ الْعَيْشِ عِنْدِى مُضْغَةُ الْحَسَدِ

أى : هى تهجرنى وأنا أحْسُدها : أى أحْسَد عليها .

وليس الأمر عندى فى هذا البيت ماتأوَّله المتأول وظنَّه ، وذلك أن البحترى لم يرد بقوله « لم أر كالهجر لم يرحم مُعَذَّبه » حسن الهجر ، ولا حسن الوصل ، فيخرج الكلام مخرج العموم لكل هجر وكل وصل ، يقال : أَهْلَكَ النَّاسَ

---

(١) هذا البيت ثانى أبيات قصيدة له يمدح فيها أبا مسلم البصرى (الديوان ١٧٨/١) ووقع فى الأصول فى آخره « لم يعتمد معطاه بالجود» وهو تحريف صوابه عن الديوان ، والذى قبله قوله :

عهد المشوق بوصل الأنس الخرد ... يكاد يشرك نجم الليل فى البعد

(٢) غبر الوصل ـ بضم الغين وتشديد الباء مفتوحة ـ أعقابه

(٣) يروى ـ وهو المحفوظ ـ « أحسد الوحش » و « لا يروعهما النفر »

الدينارُ والدرهم ، وإنما أراد « لم أر كالهجر لم يرحم معذبه » أى : كالهجر الذى هذه حاله ، ولم يرد كل الرجال ، وكيف يظن مثل هذا بالبحترى وهو يقول[1] :

وَنُحْسِدُ أَنْ يَسْرِى إِلَيْنَا مِنَ الْهَوَى عَقَابِيلُ يَعْتَادُ الْهَوَى بِاعْتِيَادِهَا
فَكَمْ نَافَسُوا فِى حُرْقَةٍ إِثْرَ فُرْقَةٍ تَعَجَّبُ مِنْ أَنْفَاسِنَا وَامْتِدَادِهَا

فقد ترى كيف يزعم أنه يُحْسَد على الجَوَى وعلى الحُرَقِ ، فكيف على الوصل؟

١٠ ــ وقال البحترى :

أَىُّ لَيْلٍ يبهى بِغَيْرِ نُجُومٍ وَسَحَابٍ يَنْدَى بِغَيْرِ بُرُوقِ؟[2]

عابَه بعضهم بهذا ، وقالوا : قد يكون بَرْقٌ ولا غيث معـــه ، وهو برقُ الخلّب ، والرجل لم يقل لا برق إلا ومعه مطر ، وإنما قال لا مطر إلا ومعه برق .

١١ ــ وسمعت من يعيب قولَه :

كالرَّوْضِ مُؤْتَلِقاً بِحُمْرَةِ نَوْرِهِ وَبَيَاضِ زَهْرَتِهِ وَخُضْرَةِ عُشْبِهِ[3]

---

(١) البيتان من غزل قصيدة له يمدح فيها المهتدى بالله (الديوان ١ / ١٣٠) ووقع فى الأصول فى عجز أولهما « عقائل يعتاد الهوى » وهو تصحيف أثبتنا صوابه عن الديوان ، وقبلهما قوله :

يكثر فينا الكاشحون، وبيننا حواجز من سلمى وبرك غمادها

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أبا نهشل (الديوان ٢ / ١٣٥) وفيه « أو سحاب تندى بغير بروق » وقبل هذا البيت قوله :

عذلتنـا فى عشقها أم عمرو هلْ سمعتم بالعاذل المعشوق
ورأت لمـة ألم بها الشيـــب فريعت من ظلمة فى شروق
ولعمرى لولا الأقاحى لأبصر ت أنيق الرياض غير أنيق
وسواد العيون لو لم يحجر ببياض ما كان بالموموق
ومزاج الصهباء بالماء أملى بصبوح مستحسن وغبوق

(٣) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ١ / ٦٨) ووقع فى الأصول « بحمرة لونه » وما أثبتناه عن الديوان ، وهو الذى يتطابق مع اعتراض المعترضين على هذا البيت .

ويقول : النَّور هو الأبيض ، والزهر هو الأصفر بلا محالة ، فإذا قلت « فى هذا الروض أنوار مختلفةٌ » جاز ذلك ؛ لأنك تضم إلى البياض غيره فيجرى الرسم على الجميع ، على سبيل المجاز ، كما تقول « العُمَرَانِ » لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، و «القَمَرَانِ» للشمس والقمر ، وما أشبه ذلك ، وكذلك إذا قلت « فيها أزهار كثيرة » جاز ذلك وإن كان فيها أبيض وأحمر وما سواهما من الصفرة تَوَسُّعا ومجازاً ؛ فإذا فصلت مقيداً [اضطررت] لأن تخص كل جنس باسم ، كما فعل البحترى ، ولم يجز أن يعدل بكل جنس عن اسمه المخصوص ؛ فتقول حينئذ : يعجبنى مِنْ هذا الموضع صفرةُ زَهْرِهِ ، وبياضُ نَوْرِهِ ، وحُمْرة شقائقه ، ولا يجوز أن تقول : يعجبنى حُمْرة نَوْره ، ولا بياض زهره ، كما قال البحترى ؛ لأن ذلك خطأ فى اللغة على ما استعملته العرب. ولعمرى إن هذا هو الأشهر فى كلامهم ، والأغلب فى المأثور عنهم ، إلا أنهم قد جعلوا الزَّهَر نَوْراً ، والنَّوْرَ زَهَراً ، وجاء ذلك فى الشعر ، قال عدى بن زيد :

حتى تعاوَنَ مُسْتَكٌ لهُ زَهَرٌ مِنَ التَّناوِيرِ شَكْلَ العِهْنِ فى اللُّؤَم (١)

اللُّؤَم: جمع لأمة ولُؤْمَة ، وهى مَتَاعُ الرحْلِ (٢) من الأشِلَة (٣) والولايا (٤)

---

(١) أنشده فى اللسان (هـ و ل ـ ل أ م) ووقع فى الأصول « حتى تهول مستكا » وما أثبتناه عن اللسان فى الموضعين ، وأراد بالمستك روضا التفت أغصانه قال ابن منظور : « استك النبت : التف وانسد خصاصه ، الأصمعى : استكت الرياض ؛ إذا التفت ، قال الطرماح يصف عيرا :

صُنْتُعُ الحَاجِبَيْنِ خَرَّطَهُ البَقْلُ بَدِيًّا قَبْلَ اسْتِكاكِ الرِّيَاضِ

(٢) فى الأصول « وهى متلع الرجل » وهو تصحيف لا يقضى العجب منه

(٣) الأشلة : جمع شليل ، وهو مسح من صوف أو شعر يجعل على عجز البعير من وراء جله ، قال جميل بن معمر :

تَئِجُ أجيجَ الرَّحْلِ لَمَّا تَحَسَّرَتْ مَنَاكِبُها وَابْتَزَّ عَنْها شَلِيلُهَا

(٤) الولايا : جمع ولية ، وهى البردعة

تكون مُوَشَّاة بالعِهْن والصوف المصبوغ بالحمرة وغير ذلك من الألوان ؛ فقال « زهر » ثم قال « من التناوير » وقال « شكل العهن » وقال زُهَير بن مسعود :

مُتَنَوِّرٌ غَدِقُ النَّدَى قُرْيانُهُ مِثْلُ الْعُهُونِ مِنَ الخواطر مُقْمِرُ(١)

وقال أبو النجم :

فالرَّوْضُ قَدْ نَوَّرَ فِى حُوَّائِهِ مُخْتَلِفَ الْأَلْوَانِ فِى أَسْمَائِهِ(٢)
نَوْرٌ تَحَارُ الشَّمْسُ فى حَمْرَائِهِ مُكَلَّلًا بِالنَّوْرِ مِنْ صَفْرَائِهِ

فقال « بالنَّوْر من صَفْرائه » . وقال حميد بن ثور :

كَأَنَّ عَلَى أَشْدَاقِهِ نَوْرَ حَنْوَةٍ إذَا هُوَ مَدَّ الْجِيدَ مِنْهُ لِيَطْعَمَا(٣)

يصف فرخ الحمامة وصُفْرة أشداقه ، ويشبهها بصفرة نَوْر الْحَنْوَةِ ؛ ولم يقل زهر حنوة ، وقال الأعشى :

وَشَمُول تَحْسِبُ الْعَيْنُ ـ إذَا صُفِقَتْ ـ وُرْدَتَها نَوْرَ الذُّبَحْ(٤)

---

(١) متنور : ذو نور ، وغدق الندى : كثير الماء ، والقريان : جمع قرى ـ بفتح القاف والراء جميعا ـ وهو مجرى الماء إلى الروض ، وأراد بالخواطر الخطر وهى جمع خطرة ، مثل سدرة وسدر ، والخطرة : عشبة معروفة لها قضبة يجهدها الماء ويغزر عليها .

(٢) الحواء ـ بضم الحاء وتشديد الواو ـ نبت يشبه لونه لون الذئب ، وقال أبو حنيفة : الحواءة بقلة لازقة بالأرض ، وهى سهلية ، ويسمو من وسطها قضيب عليه ورق أدق من ورق الأصل ، وفى وسطه برعومة طويلة فيها بزرها

(٣) الحنوة ـ بفتح الحاء وسكون النون ـ نبات سهل طيب الريح ، قال النمر ابن تولب يصف روضة:

وكَأَنَّ أَنْمَاطَ الْمَدَائِنِ حَوْلَهَا مِنْ نَوْرِ حَنْوَتِها وَمِنْ جَرْجَارِها

(٤) انظر ديوان الأعشى (ص ١٦٢) وقد أنشده فى اللسان (ذ ب ح) ببعض اختلاف ، وما هنا كرواية الديوان ، والوردة ـ بضم فسكون ـ اللون والذبح ـ بضم الذال المعجمة وفتح الباء الموحدة ـ الجزر البرى ، وله لون=

والذُّبَح : نبت ، ونَوْره أحمر شديد الحمرة ، ويقال له « الذِّبَح » وهذا كله دليل على أن هذه الأسماء تستعمل فى هذه الألوان كما ترى على اختلافها .

١٢ ــ وسمعت من يعيب قولَه :

[فَمُجَدَّلٌ ومُرَمَّلٌ وَمُوَسَّدٌ وَمُضَرَّجٌ وَمُضَمَّخٌ وَمُخَضَّبُ](١)

ويقولون : إن قوله « مضرج ومضمخ ومخضب » بمعنى واحد ، ذكر أنه إن أراد رجلا واحداً أنه مُضَرَّج ومضمخ ومخضب جاز؛لأن لفظةً تكون مؤكدةً للأخرى، قال : ولكنه أراد منهم مضرَّج ومنهم مخضَّب ، كما فهم فى صدر البيت

واعمرى إن البحترى كذلك أراد، وليس بمنكر ؛ لأن التضرُّج من التضريج وهى الحمرة المشرقة التى ليست بقانية، والمضمَّخ يريد غلظ الدم وأنه فى متانة الطيب الذى يتضمخ به ، والمخضب أراد أن الدم قد خَضَّبه كما يخضَّب بالحناء ؛ فنى كل لفظة ما ليس فى الأخرى ، وإن كانت الحمرة قد شَمِلت الجميع ؛ لأن المضرج يجوز أن يكون أراد به طراوة الدم : أى منهم حديث عهد بالقتل ، والمضمخ مَنْ قد خَثُرَ عليه الدم كأنَّ قتله قد تقدم قَبْل الآخر ، والمخضَّب يجوز أن يكون مضى

=أحمر ، وقيل : هو نبات يأكله النعام ، قال ثعلب : « الذبحة والذبح (بضم ففتح فيهما) هو الذى يشبه الكمأة ، ويقال له الذبحة والذبح (بكسر الذال فيهما) والضم أكثر ، وهو ضرب من الكمأة بيض» اهـ، قلت : والذى يتناسب فى بيت الأعشى تفسير الذبح بالجزر ، فإن الخمر تشبه فى لونها بما كان أحمر ، ومنه قول الأعشى نفسه :

* كدم الذبيح سلبتها جريالها *

ولم يذكروا فى معاجم اللغة فى الجزر اللغتين ، ومنه تعلم ما فى كلام المؤلف

(١) سقط هذا البيت من بعض أصول الكتاب ، وأثبتناه عن بعضها الآخر ، وعن الديوان، وأخذا من اعتراض المعترضين عليه ، وهذا البيت من قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم بن مصعب (الديوان ١ / ٦٣)

لقتله يوم وأكثر فقد اسودَّ عليه الدم ، وهذه معانٍ كلها محتملة ، وقد يجوز أن يريد بقوله « مضرج » سائر جسده ، وبالمضمخ أن السيف أخذ عوارضَه وتحت لحيته ، وذلك موضع من مواضع التضمخ بالطيب ، وأراد بالمخضَّب أن السيف أخذ فى رأسه ويديه ورجليه ، وذلك مواضع الخِضاب ، وقد يكون المضرج المقطع ،يقال: « ضَرَّجْته » إذا قطعته ، وهذه معان لطيفة ، وقد يجوز أن يعتدّ بها ، والوجه القوىُّ هو الأول .

١٣ ـ وسمعت قوماً ينكرون قوله فى وصف الخمر :

وفواقع مِثْـل الدُّمُوعِ تَرَدَّدَتْ فِي صَحْنِ خَدِّ الْـكَاعِبِ الْحَسْنَاءِ(١)

ويقولون : إن الدموع لاتتردَّد فى الخد كما يتردد الحَباب فى الكأس ، وإنما الدمع يجرى ويتتابع .

والمعنى صحيح ، ولاعيب فيه ؛ لأن التردُّد قد يكون الجَوَلان ، وقد يكون التتابع والتواتر ، يقال : قد تَتَابعت كُتُبى إليك ، وتردَّدت ، بمعنى ، وتَوَاترت رُسُلى وتتابعت ، والكتابُ الأول هو غير الثانى ، وكذلك قد يكون الرسول الأول غير الرسول الثانى ، وإنما حَسُن أن يقال تتابعت وتردَّدت لأن كل واحد من الرسل رسول ؛ فلما ضَمَّهم اسم واحد حَسُن استعمالُ التتابع والتردد ، وإن كانت أشخاصاً متباينة، وكل واحد غيرالآخر ؛ فكذلك الدمع ، حَسُن أن يقال: قد تَتابعت دموعُه على خده ، وتردَّدت ، وإن كانت كلُّ دمعة غير الأخرى ،

---

(١) البيت من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان ١ /٤) وقبله قوله :

فاشرب على زهر الرياض يشوبه زهر الخدود وزهرة الصهباء
من قهوة تنسى الهموم وتبعث الـــشوق الذى قد ضل فى الأحشاء
يخفى الزجاجة لونها فكأنها فى الكأس قائمة بغير إناء
ولها نسيم كالرياض تنفست فى أوجه الأرواح والأنداء

والْحَبَابُ وإن جال فى القَدَح حائراً فيه فإنه ربما جَرَى فيه على جهةٍ واحدة ، كما يجرى الدمع على جهة واحدة ، وهذا من أحسن التشبيه وأليقه ؛ لأن الخمر قد يكون منها أحمر إلى التوريد الخفيف كحمرة الخد ، وخاصة إذا أُرِقَتْ بالماء ، كما قال الشاعر :

كُمَيْتٌ إذا فضت، وفى الكأس وَرْدَةٌ لها فى عِظَامِ الشـــاربينَ دَبِيبُ

فإذا شُبِّهت الحمرة بالخدّ وذكر الحَبَاب فمن أليق ما شبه به وأحسنه وأصحه الدمع ؛ لأن الدمع قد يقف فى الخد كوقوف الحَبَاب فى صحن الكأس . وباب اختلاف حركة الحَبَاب أو حركة الدمع فليس كل شىء يُشَبَّه بشىء يقع التشبيه فيه من جميع الجهات حتى لا يغادر منها شىء ، وقد يكون إنما شبه به ببعض ما فيه لا بكله .

١٤ — ورأيت مَنْ عاب قوله :

وَصَبَغْتُ أخلاق بِرَوْنَقِ خُلْقِهِ حَتّى عَدَلْتُ أُجَاجَهُنَّ بِعَذْبِهِ (١)

وقالوا : إنما كان ينبغى لما ذكر الأُجاج والعذب أن يقول «فمزجت» لا أن يقول « وصبغت » أو لما قال « وصبغت » أن يقول « حتى عدلت ألوانهن بحسن لونه » .

وليست هذه المعارضة بشىء ، والمعنى صحيح ، وذلك أنه ليس هناك صَبْغ على الحقيقة فيقابل بذكر لون حتى يتكافأ المعنيان ، ولا مشروب عذبٌ ولا أجاج على الحقيقة فيستعمل بذكر المزاج ، وهذه استعارات ينوب بعضها عن بعض ، ويقوم بعضها مقام بعض ؛ لأنها ليست بحقائق فيما استعيرت له ، ألا ترى أنك

(١) البيت من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ١/ ٦٨) وقبله — مما يتضح به معناه قوله — قوله :

كاثرته فإذا المروءة عنـده تعدى المفاوض من أقاصى صحبه
ووجدت فى نفسى مخايل سؤدد أن كنت يوما واحدا من شربه

تقول : فلان قد شارك فلانا ، وخالطه ، ومازجه ، وانصبغ به ، بمعنى واحد وإن كان بعضها أوكد من بعض ، ولا يكون هناك مُدَاخلة ولا ممازجة لجسم فى جسم ولا مخالطة على الحقيقة .

* * *

١٥ — ومما عيب عليه من التعسُّف والتعقيد فى اللفظ قوله :

فَتًى لَمْ يَمِلْ بِالنَّفْسِ مِنْهُ عَنِ الْعُلَى إلى غَيْرِهَا شَىْءٌ سِوَاهُ مُمِيلُهَا[1]

وكان بعض الناس يرى أنه لا حذف ، ويقول : إنه إنما أراد فتًى لم يملْ بنفسه عن العلى شىءٌ مميلُ نفْسٍ سواه ، أى : ما يميل النفسَ عن المعالى [من] اللهو واللعب والدَّعة وحبِّ الراحة والضَّنِّ بالمال ، ونحو هـذا من الأشياء الشاغلة عن السؤدد ، فقدَّم « سِوَاه » وكنى عن النفس بقوله « مميلها » بعد أن حَذفَها ، قال : وذلك غير جائز ؛ لأنك إذا قلت « لن يضرب هامة عمرو » فقلت : لن يضربَ هامةَ عمرو واحدٌ غير ضاربها ، وجعلت الهاء فى « ضاربها » كنايةً عن الهامة لتقدمها جاز ؛ إلا أن البصريين من النحويين يقولون « هامة غير ضاربها هو » كما أنه لو قال «شىءٌ نفسٍ سِوَاهُ مميلها هو» جاز ، فإن فصلت[2] الإضافة وأسقطت هامة وقدمت غير فقلت « لن يضرب هامةَ عمرو واحدٌ غير ضاربها » لم يجز ؛ لإسقاطك الهامة التى كنايتها الهاء فى قولك « ضاربها » ولا تجوز الكناية عن غير مذكور مثل هذا ، فكذلك لا يجوز فى البيت «شىء سواه مميلها » وهو يريد شىء نفس سواه مميلها ؛ لأن الهاء فى قوله « مميلها » كناية عن النفس ؛ فلا يجوز إسقاط النفس .

وهذا لعمرى إن كان البحترى أراده فهو غالط ، غير أنه — والله أعلم — إنما أراد فتًى لا يميلُ بالنفسِ منه عن العلى إلى غيرها شىء بخفض « شىء » على أن

(١) لا يوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع بمصر

(٢) فى هذه العبارة قلق واضطراب لا يتبين معهما المراد

الممدوح هو الذى لم يمل بنفسه عن العلى إلى شىء غيرها ، ثم قال «سواه مميلها» على الابتداء والخبر : أى لكن سواه من الناس مميلها ، فأضمر « لكن » وهذا سائغ ، وأنشد سيبويه :

عَلَى الحَكَمِ المَأْتِيِّ يَوْمًا إِذَا قَضَى　　قَضِيَّتَهُ أَنْ لا يَجُورَ ، وَيَقْصِدُ(١)

قال : أراد ولكنه يقصد ، فأضمر « لكن » فلذلك رفع « يقصد » ، وعلى أنه مستعمل كثير فاش فى الكلام أن تقول : زيد لا يقعد عن المكارم وعمرو يقعد عنها ، وأنا لا أجفوك إنما بكر الجافى لك ؛ فيكون الكلام مستغنيا بنفسه ؛ فلا يحتاج إلى إضمار .

فإن سلم البيت من عيب اللحن لم يَسْلَمْ من عيب التعسف ، ولست أعرف بيتا تعسف فى نظمه غير هذا .

***

١٦ — ومن ردىء التجنيس وقبيحه [قوله] :

أَمِنَّا أَنْ تُصَرَّعَ عَنْ سَمَاحٍ　　وَلِلْآمَالِ فِى يَدِكَ اصْطِرَاعُ(٢)

يقول : أمنا أن يغلبك غالبٌ يَصْرعك عن السماح ويمنعك منه ، وللآمال فى يدك اصطراع : أى تنافسٌ وتغالب وازدحام ، وقوله « فى يدك » لأن العطاء إليها ينسب ، وقد جاء بهذه اللفظة فى موضع آخر فقال يصف أخلاق الممدوح :

يَتَصَرَّعْنَ لِلرَّجَاءِ دُنُوَّ الْـمُزْنِ وَالْوَدْقُ خَارِجٌ مِنْ خِلَالِهْ(٣)

(١) البيت لعبد الرحمن بن أم الحكم ، وأنشده سيبويه (١ / ٣٤١) وهو شاهد على أنه قطع « ويقصد » عما قبله

(٢) هذا البيت من كلة له يمدح فيها إبراهيم بن المدبر (الديوان ٢ / ٨٢)

(٣) من قصيدة له يمدح فيها بعض بنى حميد (الديوان ٢ / ٢٠١) وفيه « يتصرعن للرجال » ولكل منهما وجه صحيح ، وفيه أيضاً « دنو الغيم » ووقع فى الأصول « والودق خارج خلله » وهو تحريف ، وقبل البيت — مما يتضح به المعنى — قوله :

=

وهى ههنا أقل قبحا منها فى البيت الأول ، ولو قال « يتدانين للرجاء دُنُوَّ المزن » كان أحْسَنَ فى اللفظ ، وأوْفَقَ من أجل التجنيس ، ولـكن «يتصرعن» أوكد فى المعنى ؛ لأنه بمعنى يتساقطن ويتطرحن ، يريد الإسراع إلى الرجاء من غير ترفق ولا توقٍ للانحطاط والوقوع ليدل على الحرص والشهوة .

وقد جاء بهذه اللفظة فى موضع آخر ، وأوقعها موقع الذم ، فقال :

مَنْ يَتَصَرَّعْ فى إِثْرِ مَكْرُمَةٍ فَدَأْبُهُ فى اتباعها دَأَبُهُ(١)

يريد مَنْ تساقط فى أثر مَكْرُمة إذا سَعَى لطلبها ولم يكن له نهوضٌ فيها فدأب الممدوح دأبه المعروف المشهور منه ، أى : جِدُّه ولَحَاقه ، وحرك الدأب الثانى وسكن الأول ، ومعناهما واحد ، ويجوز أن يكون أراد فدأبه فى اتباعها : أى عادته فى اتباعها دأبه ، أى : سَعْيُه وحَرَكته ، وهو أجود .

١٧ — ومن رديء التجنيس أيضاً قوله :

حُيِّيتِ بَلْ سُقِّيتِ مِنْ مَعْهُودَةٍ عَهْدِى غَدَتْ مَهْجُورَةً ما تُعْهَدُ(٢)

ويروى « سقيت من معمورة » يخاطب الدِّمَنَ ، أى : عهدى بها معمورة معهودة ، ومن روى « معهودة عهدى » أى : عهدى بها معهودة فغدت معهودة

= كأخيك ابن جعفر بن حميد فى احتمال الجليل واستقلاله
موسر من خلائق تتراءى من ضروب الربيع أو أشكاله

(١) من قصيدة له يمدح فيها أبا العباس بن بسطام (الديوان ١ / ٣٣) وفيه « فدأبه فى ابتغائها دأبه »

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أبا أيوب ابن أخت أبى الوزير (الديوان:١/١٧٦) وقبل هذا البيت ـ مما يتضح به المعنى ـ قوله :

أسند صدور اليعملات بوقفة فى المائلات كأنهن المسند
دمن تقاضاهن أعلام البلى هوج الرياح الباديات العود
حتى فنين ، وما البقاء لواقف والدهر فى أطرابه يتردد ؟
هل مغرم يعطى الهوى حق الهوى منكم فينفد دمعه أو يسعد ؟

ما تعهد وقد يكون تعهد من التعهُّد ، ويكون قوله «ما تعهد» أى : قد نسِيتَ ، وهذه شبه تجنيسات أبى تمام .

***

باب

فى اضطراب الأوزان

وما رأيت شيئاً مما عِيبَ به أبو تمام إلاّ وجدت فى شعر البحترى مثلَهُ ، إلا أنه فى شعر أبى تمام كثير وفى شعر البحترى قليل : من ذلك اضطراب الأوزان فى شعر أبى تمام ، وقد جاء فى شعر البحترى بيتٌ هو عندى أقبح من كل ما عيب به أبو تمام فى هذا الباب ، وهو قوله[1] :

ولمــــاذا تتبَّعُ النَّفسُ شَيْئاً   جَعَلَ اللهُ الفِرْدَوْسَ مِنْهُ بَوَاء

وكذلك وجدته فى أكثر النسخ[2] وهــذا خارج عن الوزن ، والبيت

(١) البيت من قصيدة له يعزى فيها أبا نهشل محمد بن حميد بن عبد الحميد الطوسى عن ابنه (الديوان ١ / ٦) وفيه « يجعل الله الفردوس » ولا يزال ـ على هذه الرواية ـ فى البيت زيادة السبب الخفيف على الوزن .

(٢) قوله « وكذلك وجدته فى أكثر النسخ » لا يلزم من وجدانه فى أكثر النسخ أن تكون لفظة الفردوس فى البيت من نظم البحترى ؛ لاحتمال أنها من الكاتب الأول وقعت سهوا ؛ لأن البحترى أجل من أن يجهل أوزان الشعر ؛ فلو كان الرواة رووا عنه هذا لأمكن التأويل باحتمال السهو منه حال الرواية ، ثم قوله « وجدته فى أكثر النسخ » مشكل ، ومن أين له أن الذى وقف عليه من النسخ كان أكثر النسخ ، فإن الأكثرية لا تعلم إلا إذا علم عدد النسخ جميعها الموجودة فى ذلك الوقت ، وهو أمر متعذر ، وإن أراد بالنسخ النسخ التى وصلت إليه وأن أكثرها كان هكذا والأقل منهـا مستقيم فالاعتراض حينئذ لا محل له ؛ لظهور أن الغلط من الكاتب الأول لبعض النسخ . هكذا كان فى هامش نسخة خطية ، فوضعها كل من نشر الكتاب فى صلبه ، وأثبتنا هنا هذه الهامشة لندل على هذا الصنيع

من العروض هو البيت الأوَّلُ من الخفيفِ سُداسِى ٌ

فَاعِلاتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلاتُنْ * فَاعِلاتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلاتُنْ

وتقطيعه

وَلِمَاذَا * تَتَبَّعَنْ * نَفْسُشَيْئًا جَعَلَلْلاهُلْ * فِرْدَوْسِمِنْ * هُبَوَاء

فَعِلاتُنْ * مَفَاعِلُنْ * فَاعِلاتُنْ فَعِلاتُنْ * مُسْتَفْعِلُنْ * فَعِلاتُنْ

لحذف ألف « فاعلاتن » الأولى والثانية والأخيرة فصارت فعِلاتن ، وسين « مستفعلن » الأولى فصارت مَفَاعلن ، وذلك كله زحاف جائز ، وزاد فى البيت سَبَبًا ، وهو حرفان : الهـاء من اسم الله عز وجل ، واللام من لفظ الفردوس ، وهو إكفاء ، ولا أعرف مثل هذا البيت ، وقد رأيت فى بعض النسخ « جَعَلَ اللهُ الْخُلْدَ مِنْهُ بَوَاء »(١) فإن يكن هكذا قال فقد تخلص من العيب ويكون تقطيع البيت :

* جَعَلَلْلا * هُلْخُلْدَ مِنْ * هُبَوَاء *

وقال البحترى(٢) :

حَلأَتنا عَنْ حاجَةٍ مَمْنُوعٍ مُبْتَغاهَا وَحاجَةٍ مَمْطُولَهْ

وهذا من العروض هو البيت الأولُ من الخفيف ، وتقطيعه :

حَلْلأتَنَا * عَنْحَاجَتِنْ * مَمْنُوعِنْ مُبْتَغاها * وَحَاجَتِنْ * مَمْطُولَهْ

فَاعِلاتُنْ * مُسْتَفْعِلُنْ * مَفْعُولُنْ فَاعِلاتُنْ * مَفَاعِلُنْ * مَفْعُولُنْ

---

(١) فى الـكتاب المنسوب إلى أبى العلاء المعرى المسمى « عبث الوليد » (ص٢٦) ذكر البيت بالخلل الذى تحدث عنه المؤلف ، وفيه ما يفهم منه أن الذى أصلح البيت بذكر الخلد فى مكان الفردوس هو ابن العميد ، وقد ذكر أبو العلاء بيتا آخر فيه هذه الشناعة عينها قوله :

وأحق الأيام بالحسن أن يؤ ثر عنه يوم المهرجان الـكبير

(٢) البيت من غزل قصيدة له يمدح فيها حمولة (الديوان ٢ / ١٩٢) وفيه « حلأتنا عن رفده فى منام » وأظنه من تصحيح بعض القراء فى النسخ المطبوع عنها ، على أنه ليس فيه كبير فضل ، فإن قوله « مبتغاها » بعيدة مما قبلها على هذا التصحيح ، وحلأتنا : صدتنا ومنعتنا ، ومبتغاها : ابتغاؤها وطلبها ، وممطولة : قد سوف فى قضائها

وكان يجب أن تكون عروض البيت ــ وهى مفعولن الأولى ــ فاعلاتن ، ولا يجوز فيها مفعولن ، بل لو كان البيت مُصَرَّعا لجاز فى عروضه مفعولن كما جاز فى ضَرْبه ــ وهى القافية ــ وذلك قوله « ممطوله » وأما جَعْله مفاعلن فى موضع مستفعلن الثانية فى البيت فذلك جائز من الزحاف ، وقد غير قومٌ هذه اللفظة فى البيت ــ وهى ممنوع ــ فقالوا « بمَنُوعٍ مبتغاها» أى : حلأتنا عن حاجة منع مبتغاها من عائقٍ ووالٍ عليها ، و يكون « مبتغاها » فى موضع نصب بمنوع ،وهو محتمل

* * *

قال أبو القاسم الحسنُ بن بشرِ بن يحْيى الآمدِىُّ :

وأنا أذكر بإذن الله الآن فى هـذا الجزء المعانىَ التى يَتَّفق فيها الطائيان ؛ فأُوَازِن بين معنًى ومعنًى ، وأقول : أيهما أشعر فى ذلك المعنى بعينه ، فلا تطلبنى أن أتعدَّى هذا إلى أن أفصح لك بأيهما أشعر عندى على الإطلاق ؛ فإنى غير فاعل ذلك ؛ لأنك إنْ قَلَّدتنى لم تحصل لك الفائدة بالتقليد ، و إن طالبت بالعلل والأسباب التى أوجبت التفضيل فقد أخبرتك فيا تقدم بمـا أحاط به على مِنْ نَعْتِ مذهبيهما ، وذكر مطاو بيهما فى سرقة معانى الناس وانتحالها ، وغلطهما فى المعانى والألفاظ ، و إساءة مَنْ أساء منهما فى الطِّباق والتجنيس والاستعارة ورَدَاءة النظم واضطراب الوزن ، وغير ذلك ممـا أوضحته فى مواضعه و بينته ، وما سيعود ذكره فى الموازنة من هذه الأنواع على ما يقوده القول وتقتضيه الحجة ، وما ستراه من محاسنهما و بدائعهما وعجيب اختراعهما ؛ فإنى أوقع الـكلامَ على جميع ذلك وعلى سائر أغراضهما ومعانيهما فى الأشعار التى أرتبها فى الأبواب ، وأنبّه على الجيد وأفضّله على الردىء ، وأبيّن الردىء وأرذّله ، وأذكر من علل الجميع ما ينتهى إليه التخليص ، وتُحيط به العناية ، و يبقى مالم يمكن إخراجه إلى البيان ولا إظهاره إلى الاحتجاج ، وهى علة مالا يُعرف إلا بالدُّرْبَة ودائم التجربة وطول الملابسة وبهذا يَفْضُل أهل الحذاقة بكل علم وصناعة مَنْ سِواهم ممن نقصت قريحته ، وقلّت دُرْبَتُه ، بعد أن يكون هناك طَبْع فيه تقبّل لتلك الطباع وامتزاج ، و إلا

لا يتم ذلك ، وأَكِلُكَ بعد ذلك إلى اختيارك ، وما تقضى عليه فِطْنَتك وتمييزك ؛ فينبغى أن تتم النظر فيما يرد عليك ، ولن ينتفع بالنظر إلا من يُحسن أن يتأمل ، ومن إذا تأمل علم ، ومن إذا علم أنصف

ثم إن العلم بالشعر خُصَّ بأن يَدَّعيه كلُّ أحد ، وأن يتعاطاه مَنْ ليس من أهله ؛ فلم لا يدعى أحد هؤلاء المعرفة بالعين والوَرِق والخيل والسلاح والرقيق والبز والطيب وأنواعه ، ولعله قد لابس من أمر الخيل وركوبها والسلاح والعلم بذلك والرقيق واقتنائه والثياب ولبسها والطيب واستعماله أكْثَرَ مما عاناه من أمر الشعر وروايته ؛ فلا يتَّهم نفسه فى المعرفة بالشعر تُهمته إياها بالمعرفة ببعض هذه الأشياء مما عاناه وتناوله ، وما بالُه وقد ركب الخيلَ كثيراً لمَّا راقه من الفرس ملاحةُ سَبِيبه ، واستدارةُ كفَلِه ، وبريقُ شعره ، وحسن إشرافه وعنقه ، وموضع نتاجه ، وصحة قوائمه ، وسلامة أعضائه ، وبراءته من العيوب الظاهرة والباطنة ، وكذلك السيف لمَّا بَهَرَه جلاؤه ، وصِقاله وصَفاء حديده — لم يُمْض فيه اختياره على غيره من السيوف ، حتى شاور مَنْ يعرف حسنه وطبعه وجوهره وفِرِنْدَه ومضاءهُ ، وكذلك لما أعجبه من ثوب الوشى حسنُ طَرْزِه ، وكثرة صوره ، وبديع نقوشه ، واختلاط ألوانه — لم يبادر إلى إعطاء ثمنه حتى رجع إلى أهل العلم بجوهره وكثرة مائه وجَوْدة رُقْعته وصحة نساجته وخلاص إبْرَيْسَمِه . فكيف لم يفعل ذلك بالشعر لما راقه حسنُ وَزْنه وقوافيه ، ودقيق معانيه ، وما يشتمل عليه من مواعظ وأدب وحِكَم وأمثال ؛ فلم يتوقف عن الحكم له على ما سواه حتى يرجع إلى من هو أعلم منه بألفاظه ، واستواء نظمه ، وصحة سبكه ، ووضع الكلام منه فى مواضعه ، وكثرة مائه ورَوْنقه ؛ إذ كان الشعر لا يُحكم له بالجودة إلا بأن تجتمع هذه الخلال فيه . ألا ترى أنه قد يكون فرَسَان سليمان من كل عيب موجودٌ فيهما سائرُ علامات العِتْق والجودة والنجابة ، ويكون أحدهما أفضَلَ من الآخر بفَرْق لا يعلمه إلا أهلُ الخبرة والدربة الطويلة ، وكذلك الجاريتان البارعتان فى الجمال ، المتقاربتان فى الوصف ، السليمتان من كل عيب ، قد يَفرق بينهما العالمُ بأمر

الرقيق ، حتى يجعل فى الثمن بينهما فضلا كبيرا ، فإذا قيل له وللنخّاس : من أين فضلت أنت هذه الجارية على أختها ؟ ومن أين فضلت أنت هذا الفرس على صاحبه ؟ لم يقدر على عبارة توضح الفرق بينهما ، وإنما يعرفه كلٌّ واحد منهما بطبعه ، وكثرة دربته ، وطول ملابسته . فكذلك الشعر : قد يتقارب البيتان الجيّدان النادران ، فيعلم أهل العلم بصناعة الشعر أيهما أجود إن كان معناهما واحدا ، أو أيهما أجود فى معناه إن كان معناهما مختلفاً

وقد ذكر هذا المعنى بعينه محمد بن سَلاّم الجمَحى وأبو على دِعْبِل بن على الخُزَاعى فى كتابيهما

وحكى إسحاق الموصلى قال: قال لى المعتصم: أخبرنى عن معرفة النَّغَم وَبَيِّنْهَا لى ، فقلت : إن من الأشياء أشياء تُحيط بها المعرفة ، ولا تؤديها الصفة .

قال : وسألنى محمد الأمين عن شعرين متقاربين ، وقال : اختر أحدهما ، فاخترت ، فقال : من أين فضلت هذا على هذا وهما متقاربان ؟ فقلت : لو تفاوتا لأمكننى التبيين ، ولكنهما تقاربا وفَضَل هذا بشىء تشهد به الطبيعة ولا يعبر عنه اللسان .

وقد قيل لخلف الأحمر : إنك لا تزال تردُّ الشىء من الشعر ، وتقول : هو ردىء ، والناس يستحسنونه ! فقال : إذا قال لك الصَّيْرَفى إن هذا الدرهم زائفٌ فاجهد جَهْدَكَ أن تنفقه فلا ينفعك قولُ غيرِهِ : إنه جيد

فمِنْ سبيل مَنْ عرف بكثرة النَّظَر فى الشعر والارتياض فيه وطول الملابسة له أن يُقْضَى له بالعلم بالشعر والمعرفة بأغراضه ، وأن يسلَّمَ له الحكم فيه ، ويُقبل منه ما يقوله ، ويعمل على تمثاله . ولا ينازع فى شىء من ذلك ؛ إذ كان من الواجب أن يسلم لأهل [كلٍّ] صناعة صناعتهم ، ولا يخاصمهم فيها ، ولا ينازعهم إلا مَنْ كان مثلهم نظرا فى الخبرة وطول الدربة والملابسة ؛ فإنه ليس فى وُسْع كل أحدٍ أن يجعلك أيها السائل المتعنت والمسترشد المتعلم فى العلم بصناعته كنفسه ، ولا يجد

إلى قذف ذلك فى نفسك ولا فى نفس ولده ومَنْ هو أخص الناس به سبيلا ، ولا أن يأتيك بعلة قاطعة ، ولا حجة باهرة ، وإن كان ما اعترضت فيه اعتراضاً صحيحاً ، وما سألت عنه سؤالا مستقيما ؛ لأن مالايدرك إلا على طول الزمان ومرور الأيام لا يجوز أن تحيطَ به فى ساعة من نهار .

ثم إن العلم الذى لا يُعلم به فى أكثر أحواله إلا بالرؤية والمشاهدة لا يعرف حق المعرفة بالقول والصفة ، وقد قيل : ليس الخبر كالمعاينة ، وعلة ذلك بينة واضحة ، ومعلوم ظاهر ، هى أنه لايمكن أن يشاهد بك جميع المعلومات التى احتواها وعلم علمه بملابستها فى السنين الطويلة ، فمن المحال أن يقدر أن يصف لك عشرة آلاف جارية أو عشرة آلاف سيف مختلفات الأجناس والجواهر فيجعلك مشاهدا لذلك كله فى لحظة واحدة ووقت واحد ، ومُخبرا لك بكل علة وكل حجة وكل نعت وصفة فى كل نوع من ذلك وكل جنس فى تلك الساعة ، وهو إنما عَلِم ذلك على مرور الأيام وطول الزمان ، وهذا مجال لا يمكن ولا يسوغ ولا يقدر عليه إلا خالق الخلق وبارىء البشر .

وبعد ؛ فلم لا تصدق نفسَك أيها المدعى ، وتعرفنا من أين طرأ لك الشعر ، أمن أجل أن عندك خزانةَ كتب تشتمل على عدة من دواوين الشعراء وأنت ربما قَلَبْتَ ذلك أو صحفته أو حفظت القصيدة والخمسين منه ؟ فإن كان ذلك هو الذى قوّى ظنك ، ومكّن ثقتك بمعرفتك ، فلم لا تدعى المعرفةَ بثياب بدنك ورَحْل بيتك ونَفَقَاتك؟ فإنك دأبا تستعمل ذلك وتستمتع به ، ولا تخلو من ملابسته كما تخلو فى كثير من الأوقات من ملابسة الشعر ودراسته وإنشاده ، حتى إذا رُمْتَ تصريف دينار بدراهم أو تصريف دراهم بدينار أو ابتياع ثوب أو شىء من الآلة لم تثق بفهمك ولا علمك حتى ترجع إلى من يعرف ذلك دونك فتستعين به على حاجتك ، ولم لمَّا خِفْتَ الغَبينة فى مالك فأذعنت وسلّمت وأقررت بقلة

المعرفة ، ولِمَ تخش الغبينة والوكس فى عقلك فتسلّم العلم بالشعر إلى أهله ؟ فإن الضرر فى غَبَن العقل أعظم من الضرر فى غبن المال .

فإن قلت : وما العلم بالخيل والبزّ والرقيق والذهب والفضة التى لم يُطْبع الإنسان على المعرفة بها والعلم بجيدها ورديئها كما طُبِع على الكلام ؛ فكان كل أحد متكلّما ، وليس كل أحد صيرفيا ولا بزازا ولا نخّاسا ؟.

قيل : ولا كل أحد يكون شاعراً ، ولا خطيباً ، ولا مِنْطِيقا بليغا ، ولا بارعا ، ولو كان ذلك كذلك لما رأيت أحداً يتكلم فيُضْحَك منه ؛ فالإنسان المتكلم يعلم معانى ألفاظ لغته ، ولا يعلم جيدها من رديئها ، ومُتَخَيَّرَها من مرذولها ، كما أنه يعلم أيضاً أنواع الثياب والجواهر والخيل والرقيق ، ويميز بين أجناسها ، ولا يعلم جيد كل جنس من رديئه ، وأرْفَعَه من دونه ، فكما أن المعرفة بكل جنس من هذه صناعة ، فكذلك المعرفة بكل جنس من أجناس الكلام والخطابة صناعة ، فإذا رجعت فى المعرفة بتلك إلى أهلها فارجع أيضاً بهذه إلى أهلها .

و بعد ؛ فإنى أدُلُّكَ على ما تنتهى إليه البصيرة والعلم بأمر نفسك فى معرفتك بأمر هـذه الصناعة أو الجهل بها ، وهو أن تنظر ما أجمع عليه الأئمة فى علم الشعر من تفضيل بعضِ الشعراء على بعض ، فإنْ عَرَفت علّة ذلك فقد علمت ، وإن لم تعرفها فقد جهلت، وذلك بأن تتأمل شعر أوْسِ بن حَجَر والنابغة الجعدى ؛ فتنظر من أين فَضّلوا أوساً ، وتنظر فى شعر كُثَيِّر بن [عبد الرحمن ، و][1] بشر بن أبى خازم وتميم بن أبى بن مقبل ، فتنظر من أين فَضَّلوا كثيراً ، وأخبرَنى بعضُ الشيوخ عن أبى العباس ثعلب عن ابن الأعرابى عن المفضّل أن سائلا سأله عن الراعى وذى الرمة أيهما أشعر ، فصاح عليه صَيْحَةً منكرة : أى لايقاس ذو الرمة بالراعى ، وكذلك غَيْرُ المفضل لايقيسه به ولا يقارب بينهما ، فتأمل أيضاً شعرَىْ

---

(١) زيادة لابد منها ليصح الكلام

هذين فانظر من أين وقع التفضيل ؛ فهذا الباب أقرب الأشياء لك إلى أن تعلم حالك فى العلم بالشعر ونقده . فإن علمت من ذلك ما علموه ، ولاح لك الطريقُ التى بها قَدَّموا من قَدَّموه وأخَّرُوا من أخروه ؛ فَثِقْ حينئذ بنفسك ، واحكم يُسْتَمَعْ حكمك ، وإن لم ينته بك التأمل إلى علم ذلك فاعلم أنك بمَعْزِل عن الصناعة ، ثم إن كنت شاعرا فلا تظهر شعرك واكتمه كما تكتم سرك ، فإن قلت إنك قد انتهى بك التأملُ إلى علم ما علموه لم يقبل ذلك منك حتى تذكر العلل والأسباب ، فإن لم تقدر على تلخيص العبارة عن ذلك حتى تعلم شواهد ذلك من فهمك ودليلَه من اختياراتك وتمييزك بين الجيد والردىء(١) .

ثم إنى أقول بعد ذلك : لعلك ـ أكرمك الله ـ اغْتَرَرْتَ بأن شارفت شيئاً من تقسيمات المنطق ، وجُمَلا من الكلام والجدال ، أو علمت أبواباً من الحلال والحرام ، أو حفظت صدرا من اللغة ، أو اطلعت على بعض مقاييس العربية ، وأنك لما أخذت بطَرَف نوع من هذه الأنواع بمُعاناة ومزاولة ومُتَّصِلِ عِناية فتوحَّدْتَ فيه ومُيزت ـ ظننتَ أن كل ما لم تُلابسه من العلوم ولم تزاوله يجرى ذلك المجرى ، وأنك متى تعرَّضت له وأمْرَرْتَ قريحتك عليه نَفَذْتَ فيه ، وكشفت عن معانيه ، وهيهات ! لقد ظننت باطلا ، ورُمْتَ عسيرا ؛ لأن العلم ـ أىَّ نوع كان ـ لايدركه طالبه إلا بالانقطاع إليه ، والإكباب عليه ، والجد فيه ، والحرص على معرفة أسراره وغوامضه ، ثم قد يتأتى جنسٌ من العلوم لطالبه ويسهل ، ويمتنع عليه جنس آخر ويتعذر ؛ لأن كل امرىء إنما يتيسر له ما فى طبعه قبولُه ، وما فى طاقته تعلُّمه ؛ فينبغى ـ أصلحك الله ـ أن تَقِفَ حيث وُقف بك ، وتقنع بما قُسِمَ لك ، ولا تتعدى إلى ما ليس من شأنك ولا من صناعتك .

***

(١) جواب الشرط فى هذه العبارة محذوف للعلم به مما قبله من الكلام ، وكأن تقديره : فتوقف فى ادعاء المعرفة ، أو نحوه .

باب
فى فضل أبى تمام

وجدتُ أهل البَصْرة من أصحاب البحترى ومَنْ يُقَدِّم مطبوعَ الشعر دون متكلّفِهِ لا يَدْفَعُون أبا تمام عن لَطيف المعانى ودقيقها ، والإبداع والإغراب فيها ، والاستنباط لها ، ويقولون : إنه وإن اخْتَلَّ فى بعض ما يورده فإن الذى يوجد فيها من النادر المستحسن أكثر مما يوجد من السخيف المستَرْذل ، وإن اهتمامه بمعانيه أكثر من اهتمامه بتقويم ألفاظه ، على كثرة غرامه بالطباق والتجنيس والمماثلة ، وإنه إذا لاح له أخرجه بأى لفظ استوى من ضعيف أو قوىّ .

وهذا من أعدل كلام سمعته فيه ، وإذا كان هذا هكذا فقد سلموا له الشىء الذى هو ضَالّةُ الشعراء وطَلِبَتهم ، وهو لطيف المعانى ، وبهذه الخلة دون ماسواها فُضّل امرؤ القيس ؛ لأن الذى فى شعره من دقيق المعانى وبديع الوصف ولطيف التشبيه وبديع الحكمة فوق ما استعار سائر الشعراء من الجاهلية والإسلام ، حتى إنه لا تكاد تخلو له قصيدة واحدة من أن تشتمل من ذلك على نوع وأنواع ، ولولا لطيفُ المعانى واجتهاد امرىء القيس فيها وإقباله عليها لما تقدم على غيره ، ولكان كسائر شعراء أهل زمانه ؛ إذ ليست له فصاحة توصف بالزيادة على فصاحتهم ، ولا لألفاظه من الجَزالة والقوة ما ليس لألفاظهم ، ألا ترى أن العلماء بالشعر إنما احتجُّوا فى تقديمه بأن قالوا : هو أول من شَبَّه الخيل بالعِصِى ، وذكر الوحش والطير ، وأول من قال «قَيْد الأوابد» وأول من قال كذا ، وقال كذا ، فهل هذا التقديم له إلا لأجل معانيه ؟

وقالوا : وإذا كان قد اضطرب لفظُ أبى تمام واختلّ فى بعض المواضع فهل خلا من ذلك شاعر قديم أو محدث ؟ هذا الأعشى يُحيل لفظه كثيراً ، ويُسَفْسِف دائماً ، ويرقّ ويضعف ، ولم يجهلوا حقه وفضله حتى جعلوه نظير النابغة ، وألفاظ

النابغة فى الغاية من البراعة والحسن ، وعديلاً لزهير الذى صَرَف اهتمامه كلّه إلى تهذيب ألفاظه وتقويمها ، وألحقوه بامرىء القيس الذى جمع الفضيلتين ؛ فجعلوهم طبقةً ، وصار فضلُ كل واحد من غير الوجه الذى فَضَل منه صاحبه ، ولو أن أبا تمام حى يخلو من كل فضل جيد البتة أو لو أنه قال بالفارسية أو الهندية :

وَإذا أَرَادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ ... طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ[١]

لَوْلا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيما جَاوَرَتْ ... مَا كَانَ يُعْرَفُ فَضْلُ عَرْفِ العُودِ

أو قال :

هِيَ البَدْرُ يُغْنِيهَا تَوَدُّدُ وَجْهِهَا ... إلى كلِّ مَنْ لاقَتْ وَإنْ لَمْ تَوَدَّدِ[٢]

أو ما أشبه هذا من بدائعه حتى يفسره لنا مفسر بكلام عربى منثور ، أما كان هذا يكون شاعراً محسناً باعثاً شعراء زمانه من أهل اللغة العربية على طلب شعره وتفسيره واستعارة معانيه ؟ فكيف وبدائعه مشهورة ، ومحاسنه متداولة ، ولم يأت إلا بأبلغ لفظ وأحسن سَبْك ؟

* * *

باب

فى فضـــــل البحترى

ووجدت أكثر أصحاب أبى تمام لا يَدْفَعُون البحتريَّ عن حُلو اللفظ ، وجَوْدة الوصف[٣] ، وحُسن الديباجة ، وكثرة الماء ؛ فإنه أقربُ مأخذاً ، وأسلم

(١) سبق ذكر هذين البيتين فارجع إليهما فى (ص ١١٥ و ٢٦٢ من هذا الكتاب)

(٢) البيت من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان ١٠٠) و « تودد » فى آخر البيت أصله تتودد فحذفت منه إحدى التاءين ، وهذا كثير فى كلام العرب جار فى الفصيح منه

(٣) كذا ، ولعله « وجودة الرصف »

طريقا من أبي تمام ، ويحكمون ـ مع هذا ـ بأن أبا تمام أشْعَرُ منه ، وقد شاهدتُ وخاطبت منهم على ذلك عدداً كثيراً ، وهذا رجلٌ ما يراعيه من أمر الشعر دقيق المعانى ، ودقيق المعانى موجود فى كلامه ، وكل لغة ، وليس الشعر عند أهل العلم به إلا حُسْن التأتِّى ، وقرب المأخذ ، واختيار الكلام ، ووَضْع الألفاظ فى مواضعها ، وأن يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه المستعمل فى مثله ، وأن تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له وغير منافرة لمعناه ؛ فإن الكلام لا يكتسى البهاء والرَّوْنَق إلا إذا كان بهذا الوصف ، وتلك طريقة البحترى .

قالوا : وهذا أصل يحتاج إليه الشاعر والخطيب صاحب النثر ؛ لأن الشعر أجوده أبلغه ، والبلاغة إنما هى إصابة المعنى و إدراك الغرض بألفاظ سَهْلة عذْبة مستعملة سليمة من التكلّف ، لا تبلغ الهَذَر الزائد على قدر الحاجة ، ولا تنقص نقصانا يقف دون الغاية ، وذلك كما قال البحترى :

والشعر لَمْحٌ تَكْفِى إشارَتُهُ ... وَلَيْسَ بِالْهَذْرِ طُوِّلَتْ خُطَبُهْ(١)

وكما قال أيضا :

وَمَعَانٍ لَوْ فَصَّلَتْها القَوَافِى ... هَجَّنَتْ شِعْرَ جَرْوَلٍ وَلَبِيدِ(٢)

حُزْنَ مُسْتَعْمَلَ الكَلامِ اخْتِياراً ... وَتجنبْنَ ظُلْمَةَ التَّعْقِيدِ

وَرَكِبْنَ اللَّفْظَ الْغَرِيبَ فَأَدْرَكْـنَ بِهِ غَايَةَ الْمَرَامِ الْبَعِيدِ

فإن اتفق ـ مع هذا ـ معنى لطيف ، أو حكمة غريبة ، أو أدب حسن ؛ فذلك زائد فى بهاء الكلام ، و إن لم يتفق فقد قام الكلام بنفسه ، واستغنى عما سواه .

---

(١) البيت من قصيدة له يجيب فيها عبيدالله بن عبدالله عن قصيدة كان قد أرسلها إليه (الديوان ١ / ٣٨)

(٢) ثلاثة أبيات من قصيدة له يمدح فيها محمد بن عبد الملك الزيات (الديوان ٢٠٦/١) وجرول : هو الحطيئة

قالوا : و إذا كانت طريقةُ الشاعر غيرَ هذه الطريقة ، وكانت عبارته مقصرة عنها ، ولسانه غير مدركٍ لما يعتمد دقيق المعانى من فلسفة يونان أو حكمة الهند أو أدب الفرس ويكون أكثر ما يورده منها بألفاظ متعسَّفة ونَسْج مضطرب ، و إن اتفق فى تضاعيف ذلك شيء من صحيح الوصف وسليمه قلنا له : قد جئت بحكمة وفلسفة ومعان لطيفة حسنة ، فإن شئت دعوناك حكيما ، أو سميناك فيلسوفا، ولكن لا نسميك شاعراً ، ولا ندعوك بليغاً ؛ لأن طريقتك ليست على طريقة العرب ، ولا على مذاهبهم ، فإن سَمَّيناك بذلك لم نُلْحقك بدرجة البلغاء ولا المحسنين الفصحاء ، وينبغى أن تعلم أن سوء التأليف ورديء اللفظ يذهَب بطلاوة المعنى الدقيق ويفسده ويعميه حتى يحتاج مستمعه إلى تأمل ، وهذا مذهب أبى تمام فى عظم شعره ، وحسنُ التأليف و براعةُ اللفظ يزيد المعنى المكشوفَ بهاءً وحسناً ورَوْنقاً حتى كأنه قد أحدث فيه غرابة لم تكن ، وزيادةً لم تعهد ، وذلك مذهب البحترى ، ولذلك قال الناس : لشعره ديباجة ، ولم يقولوا ذلك فى شعر أبى تمام ، و إذا جاء لطيف المعانى فى غير غرابة ولا سَبْك جيد ولا لفظ حسن كان ذلك مثل الطراز الجيد على الثوب الْخَلَق ، أو نفث العبير على خدّ الجارية القبيحة الوجه .

وأنا أجمع لك معانى هذا الباب فى كلمات سمعتها من شيوخ أهل العلم بالشعر: زعموا أن صناعة الشعر وغيرها من سائر الصناعات لا تجود وتستحكم إلا بأربعة أشياء : جودة الآلة ، و إصابة الغرض المقصود ، وصحه التأليف ، والانتهاء إلى نهاية الصنعة من غير نقص منها ولا زيادة عليها .

وهذه الخلالُ الأربع ليست فى الصناعات وحدها ، بل هى موجودة فى جميع الحيوان والنبات

ذكرتِ الأوائلُ أن كل مُحدَث مصنوع محتاجٌ إلى أربعة أشياء : علة

هيولانية وهى الأصل ، وعلة صورية ، وعلة فاعلة ، وعلة تمامية ، فأما الهَيُولىٰ فإنهم يعنون الطينةَ التى يبتدعها البارى تبارك وتعالى ويخترعها ليصور ما شاء تصويره من رجل أو فرس أو جمل أو غيرها من الحيوان ، أو بُرَّة أو كَرْمَة أو نخلة أو سِدْرَة أو غيرها من سائر أنواع النبات ، والعلة الفاعلة هى تأليف البارى جل جلاله لتلك الصورة ، والعلة التمامية هو أن يُتِمَّهَا تعالى ذكره ويفرغ من تصويرها من غير انتقاص منها ، وكذلك الصانع المخلوق فى مصنوعاته التى علّمه الله عز وجل إياها : لا تستقيم له وتَجُود إلا بهذه الأربعة ، وهى : آلة يستجيدها ويتخيرها مثل خشب النجار وفضة الصائغ وآجُرّ البناء وألفاظ الشاعر والخطيب ، وهـذه هى العلة الهيولانية التى قدموا ذكرها وجعلوها الأصل ، ثم إصابة الغرض فيها بقصد الصانع صَنْعَتَه ، وهى العلة الصوريّة التى ذكرتها ، ثم صحة التأليف حتى لا يقع فيه خلل ولا اضطراب ، وهى العلة الفاعلة ، ثم أن ينتهى الصانعُ إلى تمام صنعته من غير نقص منها ولا زيادة عليها ، وهى العلة التمامية ؛ فهذا قولٌ جامع لـكل الصناعات المخلوقات ، فإن اتفق الآن لـكل صانع بعدَ هـذه الدعائم الأربع أن يُحْدِثَ فى صنعته معنى لطيفا مستغربا كما قلنا فى الشعر من حيث لا يخرج عن الغرض فذلك زائد فى حُسْن صنعته وجَوْدتها ، وإلا فالصنعة قائمة بنفسها مستغنية عما سواها .

وقد ذكر بُزُرْجَمهر فضائلَ الـكلام ورذائله ، وبعض ذلك دليل فى الشعر ، فقال : إن فضائل الـكلام خَمْسٌ لو نَقَصَ منها فضيلة واحدة سَقَطَ فضلُ سائرها ، وهى : أن يكون الـكلام صدقا ، وأن يوقع موقع الانتفاع به ، وأن يتكلم به فى حينه ، وأن يحسن تأليفه ، وأن يستعمل منه مقدار الحاجة . قال : ورذائله بالضد ؛ فإنه إن كان صدقا ولم يوقع موقع الانتفاع به بطل فضل الصدق منه ، وإن كان صدقا وأوقع موقع الانتفاع به وتـكلم فى حينه ولم يحسن تأليفه لم يستقرّ فى قلب

مستمعه و بطل فضل الخلال الثلاث منه ، و إن كان صدقاً ووقع موقع الانتفاع به وتكلم به فى حينه وأحسن تأليفه ، ثم استعمل منـه فوق الحاجة خرج إلى الهَذَر ، أو نقص عن التمام صار مبتورا وسقط منه فضل الخلال كلها .

وهذا إنما أراد به بُزُرْجمهر الكلامَ المنثور الذى يخاطَبُ به الملوك ، و يقدّمه المتكلم أمام حاجته ، والشاعر لا يطالَبُ بأن يكون قوله صدقاً ، ولا أن يوقعه موقع الانتفاع به ؛ لأنه قد يقصد إلى أنه يوقعه موقع الضرر ، ولا أن يجعل له وقتاً دون وقت ، و بَقِيَت الخلتان الأخْرَيان واجبتان فى شعر كل شاعر : أن يحسن تأليفه ، ولا يزيد فيه شيئاً على قدر حاجته ؛ فصحة التأليف فى الشعر وفى كل صناعة هى أقوى دعائمه بعد صحة المعنى ، وكلما كان أصحّ تأليفاً كان أقوم بتلك الصناعة مما اضطرب تأليفه . والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما .

***

بسم الله الرحمن الرحيم

[وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم]

وقد انتهيت الآن إلى المُوَازَنة ، وكان الأحسن أن أوازن بين البيتين أو القطعتين إذا اتفقتا فى الوزن والقافية و إعراب القافية ، ولكن هذا لا يكاد يتفق مع اتفاق المعانى التى إليها المقصد ، وهى المرمى والغرض ، وبالله أستعين على مجاهدة النفس ، ومخالفة الهوى ، وتَرْك التحامل ؛ فإنه جلّ اسمه حسبى ونعم الوكيل .

وأنا ابتدىء بإذن الله من ذلك بما افتتحا به القول : من ذكر الوقوف على الديار والآثار ، ووصف الدِّمَن والأطلال ، والسلام عليها ، وتَعْفية الدهور والأزمان والرياح والأمطار إياها ، والدعاء بالسُّقيا لها ، والبكاء فيها ، وذكر استعجامها عن جواب سائلها ، وما يَخْلُف قَطِينها الذين كانوا حُلُولاً بها من الوحش ، وفى تعنيف الصحابة ولومهم على الوقوف بها ، ونحو هذا مما يتصل به من أوصافها ونعوتها ، وأقدّم من ذلك ابتداءات قصائدهم فى هذه المعانى ، إن شاء الله .

* * *

الابتداءاتُ بذكر الوقوف على الديار

قال أبو تمام :

مَا فِي وُقُوفِكَ سَاعَةً مِنْ بَاسِ   تَقْضِى حُقُوقَ الْأَرْبُعِ الْأَدْرَاسِ [1]

(١) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أحمد بن المعتصم بالله (الديوان ١٧٢) وفيه « تقضى ذمام الأربع الأدراس » وسينشده المؤلف على هذا الوجه قريباً ، (ص ٣٦٠) والذمام : العهد ، والأربع : جمع ربع ، وهو الدار ، والأدراس : جمع دارس ــ كما قال المؤلف ــ والدارس : العافى المتغير .

وهذا ابتداء جيد صالح ، وقوله « الأدراس » جمع دارس ، وقليلٌ ما يُجمع فاعل على أفعال ، ومثله : شاهد وأشهاد ، وماجد وأمجاد ، وصاحب وأصحاب .

وقال أيضاً :

قِفُوا جَدِّدُوا مِنْ عَهْدِكُمْ بِالْمَعَاهِدِ وَإِنْ هِيَ لَمْ تَسْمَعْ لِنِشْدَانِ نَاشِدِ[١]

أراد لنشدان الناشد الذى يقول : أين أهلكِ يادارُ ؟ كما ينشد الناشد الضالة إذا طلبها .

وقال أيضاً :

قِفْ بِالطُّلُولِ الدَّارِسَاتِ عُلَاثَا أَضْحَتْ حِبَالُ قَطِينِهِنَّ رِثَاثَا[٢]

علاثة : اسم صاحبه ، أراد قف ياعلاثة ، وهذان ابتداءان صالحان .

وقال أيضاً :

قِفْ نُؤَبِّنْ كِنَاسَ هٰذَا الْغَزَالِ إِنَّ فِيهَا لَمَسْرَحاً لِلْمَقَالِ[٣]

التأبين : مَدْح الهالك ، والكِناس هنا : الرَّبْع ، وإنما يريد الخَيْمة أو البيت من بيوتهم ، سماه كناسا لأنه جَعَل المرأة غزالا : أى قِف بنا نندبه فإن المقال يَتّسع فيه ، وهذا أيضاً بيتٌ جيد ومعنى حسن مستقيم .

---

(١) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها محمد بن الهيثم (الديوان ١١٦) والعهد: الموثق ، والمعاهد : جمع معهد ، وهو المنزل الذى كنت تعهده ورجعت إليه بعد ما فارقته

(٢) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها مالك بن طوق (الديوان ٦٣) والطلول: جمع طلل ، وهو ما بقى شاخصا من آثار الديار ، والدارسات : جمع دارس ، وقد تقدم شرحه فى الهامشة رقم ١ فىالصحيفةالسابقة ، والقطين : الساكن ، فعيل بمعنى فاعل ، والرثاث : جمع رث ، وهو البالى

(٣) لا يوجد هذا البيت فى ديوانه المطبوع

وقال :

لَيْسَ الْوُقُوفُ يَكُفُّ شَوْقَكَ فَانْزِلِ وَابْلُلْ غَلِيلَكَ بِالْمَدَامِعِ يُبْلَلِ (١)

وهذا معنى ظريف ، وقد جاء مثله فى الشعر ، قال الأصم الباهلى – واسمه عبد الله بن الحجاج – ولا أعرف غيره ، وأظن أبا تمام عَثَر به واحتذى عليه ؛ لأنه كان مُولعاً بغرائب الألفاظ والمعانى :

أَتَـنْزِلُ الْيَوْمَ بِالْأَطْلالِ أَمْ تَقِفُ

لا بَلْ قِفِ الْعِيسَ حَتَّى يَمْضِيَ السَّلَفُ

السلف : المتقدمون ، وإنما قال ذلك لأن الوقوف على الديار إنما هو وقوف المطىّ ، ولا يكادون يذكرون نزولاً . وأنشد منشد قول كثير وكثيرٌ يسمع :

وَقَضَّيْنَ مَا قَضَّيْنَ ثم تَرَكْنَنِي بِفَيْفَا خُرَيْمٍ قَاعِـداً أَتَبَلَّدُ (٢)

فقال كثير : أنا ما قلت كذا ، أترانى قاعدا أصنع ماذا ؟ قيل : فجالساً ؟ قال : ولا هذا ! أجالساً كنت أبول ، قيل : فما قلت ؟ قال : واقفاً ، يريد واقفاً على مطيته ، فهذا هو المعروف من عاداتهم .

وقد قال كثير :

خَلِيلَيَّ هٰذَا رَبْعُ عَزَّةَ فَاعْقِلاَ قَلُوصَيْكُمَا ثُمَّ ابْكِيَا حَيْثُ حَلَّتِ (٣)

والقَلُوص لا يَعْقلها راكبها إلا إذا نزل عنها ، والعَقل فوق الركبة .

* * *

(١) البيت من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ٢٣٣) وفيه « وابلل غليلا بالدموع فيلل » وماهنا أحسن ، ويكف : يمنع ، والغليل : العطش

(٢) هذا ثانى بيت من قصيدة له (انظر ديوان كثير ١ / ١١٤) وفيه « وأجمعن بينا عاجلا وتركننى » وفيه « قائما أتبلد » ووقع فى الأصول «بفيفا جريما» وهو تصحيف شنيع،وخريم : ثنية بين جبلين بين المدينة والروحاء

(٣) انظر ديوان كثير (١/ ٣٦ طبع الجزائر) واعقلا قلوصيكما : شداهما بالعقال ، والقلوص : الناقة الشابة .

وقال البحترى :

مَا عَلَى الرَّكْبِ مِنْ وُقُوفِ الرِّكَابِ
فِي مَغَانِي الصِّبَا وَرَسْمِ التَّصَابِي[١]

التصابى : التفاعل من صَبَا يَصْبُو إذا اشتاق ، و إذا فَعَلَ فِعْلَ الصبى .

وقال أيضاً :

ذَاكَ وَادِي الْأَرَاكِ فَاحْبِسْ قَلِيلاً
مُقْصِراً عَنْ مَلامَتِي أَوْ مُطِيــلاَ[٢]

وهذان ابتداءان فى غاية الجودة .

وقال :

قِفِ الْعِيسَ قَدْ أَدْنَى خُطاهَا كَلاَلُهَا
وَسَلْ دَارَ سُعْدَى إِنْ شَفَاكَ سُؤَالُهَا[٣]

وهذا لفظ حسن ، ومعنى ليس بالجيد ؛ لأنه قال « أدنى خطاها كلالها » أى : قارَبَ من خطوها الكلالُ ، وهذا كأنه لم يقف لسؤال الديار التى تَعَرَّض لأن يشفيه ، و إنما وقف لإعياء المطى .

والجيد قولُ عنترة :

---

(١) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أحمد بن إسماعيل بن شهاب (الديوان ١ / ٧٠) والركب : اسم جمع واحده راكب ، ويقال : هو جمع راكب ، وقد خصوه بركاب الابل ، والمغانى : المنازل ، وواحدها مغنى

(٢) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها محمد بن على بن عيسى القمى (الديوان ٢ / ٢١) وفيه « مقصرا من صبابة أو مطيلا »

(٣) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها المتوكل على الله (الديوان ٢ / ١٧٩) وقد تقدم ذكره (ص ٣١٨ من هذا الكتاب)

فَوَقَفْتُ فِيهَا نَاقَتِي وَكَأَنَّهَا   فَدَنٌ لِأَقْضِيَ حَاجَةَ الْمُتَلَوِّمِ (١)

فإنه لما أراد ذكر الوقوف احتاط بأن شبّه ناقته بالفَدَن ، وهو القَصْر ؛ ليُعلم أنه لم يقفها ليريحها .

وقد كشف ذو الرمة هذا المعنى وأحسن فيه وأجاد ؛ فقال :

أَنَخْتُ بِهَا الْوَجْنَاءَ لا مِنْ سَآمَةٍ   لِثِنْتَيْنِ بَيْنَ اثْنَيْنِ جاءٍ وَذَاهِبِ (٢)

يقول : أنختها لأن أصلى ، لا من سآمة ، هكذا فسروه ، وقوله « لثنتين » يعنى اللتين يقصرهما المسافر « بين اثنين جاء » يريد الليل «وذاهب» يريد النهار

فإن قيل : إنما قال «أدنَى خطاها كلالها» ليُعلَمَ أنه قصد الدار من شقة بعيدة قيل : العرب لا تقصد الديار للوقوف عليها ، وإنما تجتاز بها ، فإن كانت على سَنَن الطريق قال الذى له أرَبٌ فى الوقوف لصاحبه أو أصحابه : قِفْ ، وقِفَا ، وقِفُوا ، وإن لم تكن على سَنَن الطريق قال : عُوجَا ، وعَرِّجَا ، وعُوجُوا ، وعرِّجوا ، كما قال امرؤ القيس :

عُوجَا عَلَى الطَّلَلِ الْمُحِيلِ لَعَلَّنَا
نَبْكِي الدِّيَارَ كَمَا بَكَى ابْنُ حِذَامِ (٣)

وإذا عَرَّجوا كان التعريج أشقَّ على الركب والركاب ؛ لأن لها فى الوقوف حيث انتهت راحة ، والتعريج فيه زيادة فى تَعبها وكَلاَلها ، وإن قَلّت المسافة ، كما قال أبو تمام :

---

(١) قد تقدم ذكر هذا البيت مشروحا (انظر ص ٣١٨ من هذا الكتاب)

(٢) وقد مضى ذكر هذا البيت أيضاً (انظر ص ٣١٨ من هذا الكتاب)

(٣) الطلل المحيل ، ومثله المحول : الذى أتى عليه حول ، وقال الكميت :

أَأَبْكَاكَ بِالْعُرُفِ الْمَنْزِلُ   وَمَا أَنْتَ وَالطَّلَلُ الْمُحْوِلُ

وقد اضطرب الرواة فى ضبط « ابن حذام » فمنهم من يجعله بالحاء المهملة ومنهم من يجعله بالخاء المعجمة ، ورواه فى اللسان (خ ذ م) بالخاء والذال المعجمتين

وَمَا بِكَ إِرْكَابِي مِنَ الرُّشْدِ مَرْكَبًا   أَلا إِنَّمَا حَاوَلْتَ رُشْدَ الرَّكَائِبِ (١)

لأن هذا القول منه دلّ على التعريج والتردد فى الرسوم ، وأن أصحابه أرادوا أن يستمرّ فى السير ولا يترفق فى الوقوف فيعود عليها ذلك بضرر وإن أكسبها راحة ما فى الوقوف ؛ فقال له أبو تمام « إنما حاولت رشد الركائب » لا رشدى ، فأما الأصمعى فإنه يرى التعريج أيضاً وقوفا لا عدولا ، قال أبو حاتم : قلت له : ما معنى عرّج ؟ قال : وقفَ ، فقلت : يقال : عرّج إذا عدَل ، فقال : لا ، وأنشد بيت ذى الرمة :

يا حَادِيَىْ بنت فضاض أمَا لَكُمَا   ـ حَتَّى نُكَلِّمَهَا ـ هَمٌّ بِتَعْرِيجِ

أى : همٌّ بوقوف ، وهذا لا يمنع أن يكون همٌّ بعدول ، ونفس الاشتقاق يدل على العدول ، والله أعلم .

وقال كثير يصف السَّيْلَ :

فَطَوْراً يَسِيلُ عَلَى قَصْدِهِ   وَطَوْراً يُعَرِّجُ أَلاَّ يَسِيلا

فلو كان هناك قصد إلى الدار من جماعتهم ومنهم وحده (؟) لما لاموه ، ولا عنفوه على احتباسه وإطالته ، ولا استعجلوه وهو دائباً يسألهم التلوّمَ عليه والتوقف معه.

وهذه طريقة القوم فى الوقوف على الديار ، ولهم فيها من الأشعار ما هو أشهر وأكثر من أن أحتاج إلى ذكره ، وتلك سبيل سائر المحدَثِينَ ، وطريقة الطائيَّيْنِ : ما عدَلاَ عنها ، ولا خرجا إلى غيرها ، ألا ترى إلى قول أبى تمام :

مَا فِي وُقُوفِكَ سَاعَةً مِنْ بَاسِ   تَقْضِي ذِمَامَ الأَرْبُعِ الأَدْرَاسِ (٢)

---

(١) البيت خامس أبيات قصيدة له يمدح فيها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلى (الديوان ٤١)

(٢) قد مضى ذكر هذا البيت قريباً (انظر ص ٣٥٥ من هذا الكتاب)

كيف سأل صاحبه أن يقف ساعةً ، ثم قال بعد بيت آخر :

لا يُسْعِدُ الْمُشْتَاقَ وَسْنَانُ الْهَوَى　　يَبِسُ الْمَدَامِعِ بَارِدُ الْأَنْفَاسِ

وقوله :

لا تَمْنَعَنِّى وَقْفَةً أَشْفِى بِهَا　　دَاءَ الفِرَاقِ فإنها مَاعُونُ(١)

وقال البحترى :

يَا وَهْبُ هَبْ لِأَخِيكَ وَقْفَةَ مُسْعِدٍ　　يُعْطِى الأَسَى مِنْ دَمْعِهِ المَبْذُولِ(٢)

وقال أيضاً :

خَلِّيَاهُ وَوَقْفَةً فِى الرُّسُومِ　　يَخْلُ مِنْ بَعْضِ بَثِّهِ الْمَكْتُومِ(٣)

ثم إنَّا ما علمنا أحداً قصَدَ داراً عفَت من شُقة بعيدة ، واحدا كان أو فى جماعة ، للتسليم عليها ، والمسألة لها ، ثم انصرفوا راجعين من حيث جاءوا ، وإن هذا ما سُمِع به ، ولاهو من أغراضها ، وليس فيه جدوى ، ولا يؤدِّى إلى فائدة ؛ لأن المحبوب إن كان حيًّا موجوداً فقصْد رِباعه ومَوَاطنه التى هو قاطنها والإلمامُ به فيها أولى وأحْرَى ، وإن كان ميتاً فالإلمام بناحية الأرض التى فيها حُفرته أولى وأحْرَى ، وعلى أنهم لا يكادون يَزُورون القبورَ ، وإنما وقَفوا على الديار ، وعرَّجوا عليها عند الاجتياز بها والاقتراب منها ؛ لأنهم تذكروا عند مُشارفتها أوطارَهم فيها ، فنازَعَتهُم نفوسهُم إلى الوقوف عليها ، والتلوُّم بها ، ورأوا أن ذلك من كَرَم العهد وحُسْن الوفاء ، ألا ترى إلى قول أبى تمام :

---

(١) البيت ثالث أبيات قصيدة يمدح فيها أبو تمام الواثق بالله (الديوان ٣٢٨) والماعون : كل شىء ينتفع به ، وهو يشير إلى قوله تعالى فى ذم بعض الناس : (الذين هم يراءون ويمنعون الماعون)

(٢) البيت ثالث أبيات قصيدة يمدح فيها البحترى المفضل بن إسماعيل الهاشمى (الديوان ٢/٢٠٥)

(٣) البيت سادس أبيات قصيدة يمدح البحترى فيها إبراهيم بن المدبر (الديوان ٢/٢٦٠)

أَمَوَاطِنَ الفتيان نَطوِى لَمْ نَزُرْ شَوْقاً وَلَمْ نَنْدُبْ لَهُنَّ صَعِيدَا[١]

ويروى « لم نزر شَعَفاً » أى : كيف نطوى الرسوم والدمن التى هى مواقف أهل الفتوة ، يريد الكرام ، ولم نزر حَزْناً لها ولا سَهْلا ؛ لأنه أراد بالشعف ما ارتفع من الأرض وعلا ، وأراد بالصعيد ما اطمأنّ من الأرض وسفل ، والصعيد إنما هو وجه الأرض الذى فيه التراب ، وأكثر ما يكون فيما اطمأن من الأرض ، لا فيما علا ، فكانوا يرون الوقوف على الديار من الفتوّة والمروءة ، وأنّ طَيها عند الاجتياز بها من النذالة وقبيح الرعاية وسوء العهد ، وما أحسن ما قال أبو نُوَاس :

وَإِذَا مَرَرْتَ عَلَى الدِّيَارِ مُسَلِّماً فَلِغَيْرِ دَارِ أُمَيْمَةَ الهِجْرَانُ

على طريقة القوم .

وقال البحترى يخاطب نفسه أو صاحباً معه :

قِفِ العِيسَ قَدْ أَدْنَى خُطاهَا كَلاَلُهَا
وَسَلْ دَارَ سُعْدَى إِنْ شَفَاكَ سُؤَالُهَا[٢]

فمن زعم أن البحترى بهذا القول كان قاصداً للدار وغيرَ مجتاز احتاج إلى دليل من لفظ البيت يدل عليه ، ولا سبيل له إلى ذلك .

فإن قيل : لم لا يكون للمطية حق على من بَلَّغته منازلَ الأحباب يوجب أن يكرمها ويريحها ، كما قال أبو نُوَاس :

وَإِذَا المَطِىُّ بِنَا بَلَغْنَ مُحَمَّداً فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامُ
قَرَّبْنَنَا مِنْ خَيْرِ مَنْ وَطِىءَ الحَصَى فَلَهَا عَلَيْنَا حُرْمَةٌ وَذِمَامُ

---

(١) البيت خامس أبيات قصيدة يمدح أبو تمام فيها خالد بن يزيد الشيبانى (الديوان ٨٧)

(٢) سبق قريباً ذكر هذا البيت (انظر ص ٣١٨ و ٣٥٨ من هذا الكتاب)

قيل : هذا أصلٌ آخر طريقهُ غير طريق الوقوف على الديار ، ولا يقاس أصل على أصل ، وإنما يقاس على الأصل فروعُه التى تتفرّع منه ، وهذا الشرط فى كل علم . وقال أبو نُوَاس فى موضع آخر يخاطب ناقته أيضاً :

فلَمْ أجْعَلْكِ للغربان نَحْلاً وَلَمْ أقُلِ اُشْرَقِى بِدَمِ الْوَتِينِ

يريد قول الشماخ ، والشماخ إنما قال :

إذَا بَلَّغْتِنِى وَحَمَلْتِ رَحْلِى عَرَابَةَ فَاشْرَقِى بدَمِ الْوَتِينِ

لأنه رأى ناقته قد شفّها السيرُ وهزَلها وأنضاها حتى دَبِرَت ، وذلك قوله :

إلَيْكَ بَعَثْتُ رَاحِلَتِى تَشَكَّى كُلوماً بَعْدَ مَحْفِدِها السَّمِينِ (١)

فيقول : إذا بلغتنى عَرَابةَ فلا أبالى أن تهلكى ، وهذا ليس بدُعاء عليها ، وإنما أراد أنك إذا بلّغتنيه فقدبلغتُ الغنى وأدركتُ العوض منك ؛ فهذا معنى وقولُ أبى نواس معنى آخر ، وليس بضد لقول الشماخ ، وإنما يضاده قول المرأة التى قالت : يا رسول الله ، نَذَرْتُ إن بَلّغَتْنى ناقتى هذه إليكَ أن أنحرَها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لَبئسَ ما جزَيتِها » لأن هذه قصدَتْ أن جعلت جزاء التبليغ النحر ؛ فهذان المعنيان يتضادان ، وقول الشماخ خارج عنهما ، فإنه أصل ثالث، والوجه الذى جاء به البحترى فى الوقوف على الديار وتحرز منه عنترة وذو الرمة وجه غير هذه الوجوه ، وطريقة غير هذه الطرق ، ولم أقل إنه خطأ ، وإنما قلت : إن المعنى غير جيد ، فإن التمست العذر للبحترى قلنا : إنه وصف حقيقة أمر العِيسِ عند الوصول إلى الدار ، وهذا مذهب من مذاهب العرب عام فى أن يَصِفُوا الشىء على ما هو ، وعلى ماشوهد ، من غير اعتماد لإغراب ولا إبداع، وإنما وقع فيه مثلُ هذا الخلل لقلة التجوز ، وسترى للبحترى وغيره فى هذا الكتاب مِنْ هذا النوع فى مواضعه ما هو أجود من كل جيد ، إن شاء الله .

---

(١) المحفد ـ بزنة المجلس ، أو بزنة المنبر ـ شىء كالمكتل تعلف فيه الإبل

وقال البحترى :

عَرِّجْ بِذِى سَلَمٍ فَثَمَّ الْمَنْزِلُ   فَيَقُولُ صَبٌّ مَا أَرَادَ وَيَفْعَلُ(١)

وهذا ابتداء جيد ، وقد رواه قوم « ليقول صب ما أراد ويَفْعَلُ » والنصب أجود ، والرفع له وجه ، والمتأخرون لا يتَسَلَّمُون من اللحن ، وهو فى أشعارهم كثير جداً .

وقال :

كَمْ مِنْ وُقُوفٍ عَلَى الأَطْلاَلِ وَالدِّمَنِ
لَمْ يَشْفِ مِنْ بُرَحَاءِ الشَّوْقِ ذَا شَجَنِ(٢)

وهذا أيضاً ابتداء جيد .

وقال أيضاً :

اسْتَوْقِفِ الرَّكْبَ فِى أَطْلاَلِهِمْ وَقِفَا   وَإِنْ أَجَدَّ بِلَى مَأْثُورِهَا وَعَفَا(٣)

يقال : أجد فى أمره من الانكماش ، وجَدَّ ، وهذا ابتداء صالح .

[وقال] :

قِفَا فِى مَغَانِى الدَّارِ نَسْأَلْ طُلُولَهَا   عَنِ النَّفَرِ اللاَّئِينَ كَانُوا حُلُولَهَا(٤)

وهـذا الابتداء ليس بالجيد ؛ من أجل قوله « اللائين » لأنها لفظة ليست بالحلوة ، وليست مشهورة .

---

(١) الذى فى ديوان البحترى المطبوع بمصر ، فى مطلع قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله (الديوان ٢ / ١٥٧) قوله :

لولا تعنفنى لقلت المنزل   معنى تبينه ومعنى مشكل
وبوقفة يشفى غليل صبابة   ويقول صب ما أراد ويفعل

(٢) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها الحسن بن مخلد (الديوان ٢ / ٣٠٦)

(٣) لا يوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع فى مصر

(٤) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها إسماعيل بن بلبل (الديوان ١ / ١٩٩)

فهذا ما ابتدآ به من ذكر الوقوف ، وأجعلهما فيه متكافئين ؛ من أجل براعة بيتى البحترى الأولين ، وأنهما أجود من سائر أبيات أبى تمام ، ولأن البحترى فى الباب القصير الذى ذكرته له (؟) وليس لأبى تمام مثله[١]

* * *

التسليم على الديار

قال أبو تمام :

دِمَنٌ أَلَمَّ بِهَا فَقَالَ سَلَامُ ... كَمْ حَلَّ عُقْدَةَ صَبْرِهِ الإِلْمَامُ[٢]

هذا المصراع الأول فى غاية الجودة والبراعة والحسن والحلاوة ، وعجز البيت أيضاً جيد بالغ .

وقال :

سَلِّمْ عَلَى الرَّبْعِ مِنْ سَلْمَى بِذِى سَلَمِ

عَلَيْهِ وَسْمٌ مِنَ الأَيَّامِ وَالقِدَمِ[٣]

وهذا ابتداء ليس بالجيد ؛ لأنه جاء بالتجنيس فى ثلاثة ألفاظ ، وإنما يحسن إذا كان بلفظتين ، وقد جاء مثله فى أشعار الناس ، والردىء لا يُؤتم به ، وقال الأُبَيْرِد بن المعذل الرياحى :

جَزِعْتَ وَلَمْ تَجْزَعْ مِنَ البَيْنِ مَجْزَعَا ... وَكُنْتَ بِذِكْرِ الجَعْفَرِيَّةِ مُولَعَا

وقد جعل بعض الرواة هذا البيت أول قصيدة لامرىء القيس على هـذا الوزن ، وذلك باطل ، وما ينبغى للمتأخر أن يَحْتَذِى الأخذَ إلا للجيد المختار ؛ لِسَعة مجاله ، وكثرة أمثلته .

---

(١) فى هذه العبارة قلق ، وأحسب أن أصلها « ولأن البحترى قصر فى البيت الذى ذكرته له ، وليس لأبى تمام مثله »

(٢) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها المأمون كما فى الديوان (٢٧٩) والدمن : جمع دمنة ، وهى أثر الديار ، وألم بها : نزل

(٣) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها مالك بن طوق (الديوان ٢٦٧)، والربع: المنزل ، وذو سلم : موضع ، والوسم : العلامة

وقال البحترى :

هُذِى المَعاهِدُ مِنْ سُعَادَ فَسَلِّمِ   وَاسْأَلْ وَإِنْ وَجَمَتْ وَلَمْ تَتَكَلَّمِ (١)

وقال أيضاً :

أَمحلتَىْ سَلْمَى بِكاظِمَةَ اسْلَما   وَتَعَلَّما أَنَّ الهَوَى ما هِجْتُمَا (٢)

وهذان ابتداءان جيدان .

وقال أيضاً :

حُيِّيتُما مِنْ مَرْبَعٍ وَمَصِيفِ   كانَا مَحَلَّىْ زَيْنَبٍ وَصَدُوفِ (٣)

هذا ابتداء صالح

وقال أيضاً :

مِيلُوا إلى الدَّارِ مِنْ لَيلَى نُحَيِّيهَا   نَعَمْ وَنَسْأَلُهَا عَنْ بَعْضِ أَهْلِيهَا (٤)

وهذا البيت ردىء ؛ لقوله « نعم » وليس بالمعنى إليها حاجة ، جاء بها حَشْواً . ومن الحشو مالا يقبح ، و « نعم » ههنا قبيحة ، وقد أولع بها كُثَيِّر بن عبد الرحمن فى ابتداءاته فقال :

أَمِنْ آلِ عَمْرٍو بِالْخَرِيقِ دِيارُ   نَعَمْ دَارِساتٌ قَدْ عَفَوْنَ قِفَارُ

---

(١) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها الهيثم الغنوى (الديوان ٢ / ٢٣١) ووقع فى الأصول « هذى المعاهد من سليم » وأثبتنا رواية الديوان

(٢) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أحمد وإبراهيم ابنى المدبر (الديوان ٢ / ٢٣٩)

(٣) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها وصيفا الكبير (الديوان ٢ / ١١٦) وفيه « حييت من متربع ومصيف »

(١) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله ويصف البركة (الديوان ٢ / ٣١٨)

وقال :

أمِنْ آلِ سَلْمَى الركب أمْ أنْتَ سائِلُ
نَعَمْ وَالْمَغَانى قَدْ دَرَسْنَ مَوَائِلُ

وقال :

أهَاجَتْكَ لَيْلَى إذْ أجَدَّ رَحِيلُها   نَعَمْ وَثَنَتْ لَمَّا احْزَألَّتْ حُمُولُها

احْزألت : انتصبت وارتفعت

وقال :

أبَائِنَةٌ سُعْدَى ؟ نَعَمْ سَتَبِينُ   كَمَا انْبَتَّ مِنْ حَبْلِ القَرِينِ قَرِينُ

وهى فى كل هذه الأبيات رديئة ، وموضعها من هذا البيت الأخير أصلح ؛ لأن إسقاطها من الجميع يَحْسن ، ولا يحتاج الاستفهام فيها إلى جواب ، إلا هـذا البيت فإن الاستفهام فيه يقتضى أن يكون نعم جوابا له ، ومع هذا فليس لها حلاوة ولا حسن ، ولـكُثير استفهامات لا جواب لها على عادات الشعراء المحسنين ومنها قوله :

مِنْ آلِ قَيْلَةَ بالدَّخُولِ رُسُومُ   وَبِحَوْمَلٍ طَلَلٌ يَلُوحُ قَدِيمُ

وكل أبيات كُثَير أجود من بيت البحترى ؛ لأن « نعم » فيها جواب ، وهى فى بيت البحترى حَشْو ، وقال البحترى فى بيته «نحييها» والأجود «نحيِّها» لأنه جواب الأمر ، وقد يكون « نحييها » رفعاً على الحال ، والجواب ههنا أجود من الحال .

فهذا ما وجدته من تسليمهما على الديار ، وأبو تمام عندى فى قوله « دِمَنٌ أَلَمَّ بِهَا فَقَالَ سَلام » أشعر من البحترى فى سائر أبياته

وما سمعت من التسليم على الديار أحسن من قول أبى نُوَاس :

وَإذا مَرَرْتُ عَلَى الدِّيَارِ مُسَلِّماً   فَلِغَيْرِ دَارِ أُمَيْمَةَ الهِجْرَانُ

* * *

ما ابتدأ به من ذكر تعفية الدهور والأزمان للديار

قال أبو تمام :

لَقَدْ أَخَذَتْ مِنْ دَارِ مَاوِيَّةَ الْحُقْبُ ... أُنُحْلُ الْمَغَانِى لِلْبِلَى هِىَ أَمْ نَهْبُ[(١)]

أراد أنُحْلٌ المغانى لِلْبلى ، فحذف التنوين ، والحُقْبُ : الدهر ، وجمعه أحقاب ، والحِقَبُ : السِّنُون ، واحدتها حِقْبة ، وقال « لقد أخذت » فأنَّثَ والحُقْبُ مذكر ، وأظنه أراد أيام الدهر ولياليه ، ويقال : الحقب ثمانون سنة ، فعلى هذا قال « أَخَذَتْ »

وقال أيضا :

قَدْ نَابَتِ الْجِزْعَ مِنْ مَاوِيَّةَ النُّوَبُ ... وَاسْتَحْقَبَتْ جِدَّةً من رَبْعِها الْحِقَبُ[(٢)]

« واستحقبت » أى جعلتِ الحِقَبُ ـ وهى السنون ـ جِدَّةَ الربع فى حقيبتها ، والحقيبة : ما يحتقبه الراكب ، وهو وعاء يجعله خلفه إذا ركب ويُحْرِز

(١) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى (الديوان ٣٠) والنحل : العطاء بلا عوض ، والمغانى : جمع مغنى ، وهو المنزل الذى يقيم فيه أصحابه ، وقول المؤلف فى التعليق على هذا البيت « أراد أنحل المغانى » هو بالتنوين ، ويجوز هذا الوجه ، ويكون « نحل » مبتدأ ، و « المغانى » فاعل أغنى عن الخبر ، أو يكون « نحل » خبرا مقدما و « المغانى » مبتدأ مؤخراً . وهذا الوجه الذى ذكره ليس بلازم ، بل يجوز أن يكون « نحل » خبرا مقدما و « المغـــانى » مضافا إليه ، و « هى » مبتدأ مؤخرا ، وكأنه يستغرب أن تكون دور ماوية من بين سائر الدور نحلا للدهر يعصف بها ، ولا يكون قد حذف التنوين إلا للاضافة

(١) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا جعفر محمد بن عبد الملك الزيات (الديوان ٤٦) وفيه « قد نابت الجزع من أروية » ونابت : أصابت ، والجزع : منعطف الوادى ، والنوب : المصائب ، واحدها نائبة ، وقد فسر المؤلف بقية مفردات البيت .

فيه متاعه وزاده ، وهذه استعارة حسنة ، وإنما يريد أن الحقب سلبت الربع جدّته وذهبت بها

وقال البحترى :

أَرُسُومُ دَارٍ أَمْ سُطُورُ كِتَابِ   دَرَسَتْ بَشَاشَتُهَا عَلَى الأَحْقَابِ (١)

أى : على مر السنين ، وهذا البيت أبرع من بيتى أبى تمام لفظا ، وأجود سَبْكا ، وأكثر ماءورَوْنقا ، وهومن الابتداءات النادرة العجيبة ، وللمشبهة لكلام الأوائل ؛ فهو فيه أشعر من أبى تمام

* * *

وفى إقواء الديار وتعفّيها

قال أبو تمام :

طَلَلَ الجَمِيعِ لَقَدْ عَفَوْتَ حَمِيداً
وَكَفَى عَلَى رُزْئِى بِذَاكَ شَهِيدَا (٢)

أراد « وكفى بأنه مضى حميداً شاهداً على أنى رزئت » وكان وجه الكلام أن يقول : وكفى رزئى شاهدا على أنه مضى حميدا ، وقد استقصيت الكلام فى هذا فيما تقدم فى غلط أبى تمام . وقال أيضاً :

---

(١) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا الخطاب الطائى (الديوان ١ / ١٦) وبعده قوله :

يجتاز زائرها بغير لبانة   ويرد سائلها بغير جواب
ولربما كان الزمان محببا   فينا بمن فيه من الأحباب
أيام روض العيش أخضر ، والهوى   ترب لأدم ظبائها الأتراب

(٢) قد تقدم ذكر هذا البيت واعترض المؤلف عليه اعتراضا طويلا (انظر ص ١٧٧ من هذا الكتاب) ثم انظر ص ٣٩٥

أَجَلْ أَيُّهَا الرَّبْعُ الذِى بَانَ آهِلُهْ
لَقَدْ أَدْرَكَتْ فِيكَ النَّوَى مَا تُحَاوِلُهْ (١)

وهذا أيضاً ابتداء جيد .

وقال أيضا :

شَهِدْتُ لَقَدْ أَقْوَتْ مَغَانِيكُمُ بَعْدِى وَمَحَّتْ كَمَا مَحَّتْ وَشَائِعُ مِنْ بُرْدِ (٢)

وهذا بيت ردىء مَعيب ؛ لأن الوشيعة والوشائع هو الغَزْلُ الملفوف من اللحمة التى يُدْخلها الناسجُ بين السَّدى ، والبرد الذى تمت نساجته ليس فيه شىء يسمى وشيعة ولا وشائع ، وقد ذكرت هذا فى أغاليطه .

وقال البحترى :

تِلْكَ الدِّيَارُ وَدَارِسَاتُ طُلُولِهَا طَوْعُ الْخُطُوبِ دَقِيقِهَا وَجَلِيلِهَا (٣)

وقال أيضاً :

يَامَغَانِى الْأَحْبَابِ صِرْتِ رُسُومَا وَغَدَا الدَّهْرُ فِيكِ عِنْدِى مَلُومَا (٤)

وقال أيضاً :

لَمْ يَبْقَ فِى تِلْكَ الرُّسُومِ بِمَنْعَجِ إِمَّا سَأَلْتَ مُعَرَّجٌ لِمُعَرِّجِ (٥)

---

(١) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المعتصم بالله (الديوان ٢٩٩) وفيه « خف آهله » وأجل : حرف جواب بمعنى نعم ، والربع : المنزل ، وآهله : ساكنوه ، وخفوفهم : ارتحالهم ، والنوى : الفراق

(٢) قد تقدم ذكر هذا البيت واعتراض المؤلف عليه (انظر ص ١٥٧ من هذا الكتاب)

(٣) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا الحسن الهاشمى (الديوان ٢/١٨٤)

(٤) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها إبراهيم بن الحسن بن سهل (الديوان ٢ / ٢٤١)

(٥) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا نهشل ويصف فرسا وبغلا (الديوان ١ / ١٠١)

وقال أيضاً :

هَلاَّ سَأَلتَ بِجَوِّ ثَمْهَدَ   طَلَلاً لِمَيَّةَ قَدْ تَأَبَّدَ(١)

هذه كلها ابتداءات جياد بارعة اللفظ صحيحة المعنى ، وأبيات أبي تمام أيضاً رائعة ، ولكن فيها ما ذكرته

* * *

تعفية الرياح للديار

قال أبو تمام :

عَفَتْ أَرْبُعُ الحَلاَّتِ لِلأَرْبَعِ المُلدِ   لِكُلِّ هَضِيمِ الكَشْحِ مُغْرِبَةِ القَدِّ(٢)

الحلات: جمع حِلَّة ، وهو الموضع الذى يَحُلُّونه ، يقال : حِلَّة ومَحَلَّة ، والأربع الملد : يريد أَرْبَعَ نساء مُلْدٍ ، من قولهم : غُصْنٌ أُمْلُود ، وهو الناعم ، و « أملود » لا يجمع على « مُلْد » وإنما هو جمع أملد ، و « هضيم الكشح » يريد ضامرة البطن ، وقوله « مغربة القد » يريد أغربَ قدُّها : أى لها قَدٌّ غريبٌ فى الحسن ، وإنما أراد عَفَتْ أَرْبُعُ حِلال : أى مواطن ، لأربع نسوةٍ ، وهذا تكلف شديد ، وقد جاءت بلفظٍ غير حسن ولا جميل ، وكذلك «مغربة القد» من قول الشعراء المتأخرين : غريبُ الحسنِ ، وغريب القد ، والكلمة إذا لم يؤتَ بها على لفظها المعتاد

---

(١) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها الحسن بن مخلد (الديوان ١ / ١٤٣) وتأبد : صار منزلا للأوابد ، وهى الوحوش

(٢) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها حفص بن عمر الأزدى (الديوان ١٣٠) وفيه «مجدولة القد» وعفت : ذهبت معالمها ، و«أربع الحلات» أراد المنازل الأربعة أو جمع الربع وإن أنكره المؤلف ، و«للأربع الملد» أراد التى كانت سكنا الأربع فتيات ملد ، والملد: جمع ملداء ، وهى اللينة القوام الناعمة ، وليس جمعا للأملود كما قال المؤلف ، وتقول: ملد الغصن يملد ملدا — مثل فرح يفرح فرحا — فهو أملد ، والشجرة ملداء ، وذلك إذا اهتزت ، وإنما يكون ذلك فى نضارتها ، والكشح : ما بين الخصر إلى الضلع ، ويراد به البطن ، وهضيمه : ضامرته

هجنت وقبحت ، وقوم يروونه « أرْبُع الحلاَت » جمع رَبْع ، وذلك غلط ، وإنما أراد الرجلُ العدَدَ : أى عفت أرْبَعٌ لأربعٍ ، ولا أعلم لأبى تمام ابتداء ذكر فيه الرياح غير هذا البيت ، وهو ردىء اللفظ قبيح النسج .

وقال البحترى :

بَيْنَ الشَّقِيقَةِ فاللِّوَى والأجْرَعِ   دِمَنٌ حُبِسْنَ على الرِّيَاحِ الأرْبَعِ (١)

وهذا من ابتداءاته الحسنة النادرة وإحسانه فيه الإحسان المشهور ، وقوله « بين الشقيقة فاللوى » كقول امرىء القيس « بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ » (٢) والأصمعى يرويه بالواو ، وأهلُ العربية يقولون : الدخول مواضع متفرقة

وقال البحترى :

أصبا الأصائِلِ إنَّ بُرْقَةَ مُنْشِدِ   تَشْكُو اخْتِلافَكِ بالهُبُوبِ السَّرْمَدِ (٣)

ما زلت أسمع الشيوخ من أهل العلم بالشعر يقولون : إنهم ما سمعوا لمتقدم

---

(١) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها يوسف بن محمد (الديوان ٢ / ١٠٠)

(٢) هذه قطعة من بيت ، وهو بتمامه :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وهذا البيت مطلع طويلة امرىء القيس المعلقة ، وكان الأصمعى يعيبه ، والسر فى ذلك أن كلمة « بين » إنما تضاف إلى متعدد لفظا ومعنى نحو قولك : جلست بين محمد وعلى ، أو معنى دون لفظ نحو قولك : جلست بين العلماء ، وفى المثال الأول لا يجوز العطف بالفاء لأن الفاء تدل على أن ما بعدها قد تعلق به العامل بعد تعلقه بما قبلها ، وأنت تريد أن تدل على أن العامل قد تعلق بهما معا فى وقت واحد ، وقد عطف امرؤ القيس بالفاء ، فهذا وجه الاعتراض ، والنحويون يقولون : إن « الدخول » المراد به أماكن متعددة فيكون من نوع المثال الثانى ، هذا تلخيص ما أشار المؤلف إليه

(٣) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها الخضر بن أحمد الثعلبى (الديوان ١ / ١٧٠)

ولا متأخر فى هذا المعنى أحْسَنَ من هذا البيت ، ولا أبرعَ لفظا ، ولا أكثر ماء ولا رونقاً ، ولا ألطف معنًى

وقال البحترى :

لا أرَى بِالْبِرَاقِ رَسْماً يُجِيبُ أسْكَتَتْ آيَهُ الصَّبا وَالْجنُوبُ(١)

وهذا ابتداء صالح .

***

وفى البكاء على الديار

قال أبو تمام :

عَلَى مِثْلِهَا مِنْ أرْبُعٍ وَمَلاَعِبِ
أُذِيلَتْ مَصُونَاتُ الدُّمُوعِ السَّوَاكِبِ(٢)

قد أنكر «مَصُونات الدموع السواكب» بعضُهم ، وقال : كيف يكون من السواكب ما هو مَصُون ، وإنمـا أراد أبو تمام مصونات الدموع التى هى الآن سواكب ، ولفظه يحتمل ما أراده ، والبيت جيد لفظا ومعنى ونظما .

وقال أيضا :

أما الرُّسُومُ فَقَدْ أذْكَرْنَ مَاسَلَفَا فَلاَ تَكُفَّنَّ مِنْ شَانِيكَ أوْ يَكِفَا(٣)

---

(١) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها جعفر بن عبد الغفار (الديوان ٨١/١) وفيه « لا أرى بالعقيق رسما يجيب »

(٢) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيهـا أبا دلف القاسم بن عيسى العجلى (الديوان ٤٠)

(٣) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلى (الديوان ٢٠٠) والرسوم : جمع رسم ، وهو ما بقى لاصقا فى الأرض من آثار الديار ، ولا تكفن : يريد لا تنتهين ، والشانى : المبغض لك ، وأصله الهمز فقلبت همزته ياء لانكسار ما قبلها ، ويكف : يسكب الدمع ، يقول : لا تترك شانئك حتى يبكى كما تبكى . وقد يكون « شأنيك » مثنى الشأن بالهمز ، وهو مجرى الدمع ، والألف فى « يكفا » على الوجه الأول هى ألف الإطلاق ، وهى على الوجه الثانى ضمير التثنية عائد على الشانين ، وانظر ص ٣٩٣ الآتية

هذا ابتداء حسن .

وقال أيضاً :

أَزَعَمْتَ أَنَّ الرَّبْعَ لَيْسَ يُتَيِّمُ   وَالدَّمْعَ فِي دِمَنٍ عَفَتْ لا يُسْجِمُ(١)

وقال أيضاً :

قِرَى دارِهِمْ مِنِّي الدُّمُوعُ السَّوَافِكُ
وَإِنْ عادَ صُبْحِي بَعْدَهُمْ وَهُوَ حالِكُ(٢)

وهذان ابتداءان جيدان .

وقال أيضاً :

تَجَرَّعْ أَسًى قَدْ أَقْفَرَ الْجَرَعُ الْفَرْدُ
وَدَعْ حِسْيَ عَيْنٍ يَحْتَلِبْ ماءَهُ الْوَجْدُ(٣)

الجرع والأجرع والجرعاء : أرض ذاتُ رملٍ وحجارة مختلطة خَشِنة ، وقد قيل : رملة سهلة ، والحِسْيُ : ماء المطر يغيض فى الرمل قليلا ثم يصير إلى الصلابة فيقف فيحفر عنه ويشرب ، وجمعه أحساء .

وقال البحترى :

مَتَى لاحَ بَرْقٌ أَوْ بَدَا طَلَلٌ قَفْرُ   جَرَى مُسْتَهِلٌّ لا بَكِيءٌ وَلا نَزْرُ(٤)

(١) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها محمد بن حسان الضبى (الديوان ٢٨٣) ويتيم : يذل ، والدمن : جمع دمنة ، وهى أثر الديار ، وعفت : ذهبت وامحت، ولا يسجم : لا تقطعه العين ولا تكف عن إسالته .

(٢) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغرى (الديوان ٢٢٣) والقرى:ما يقدم للضيف ، أو هو الضيافة ، والسوافك :المنسكبة والحالك : المظلم

(٣) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان ١٢٠) وتجرع : ابتلع ، والأسى : الحزن ، والوجد : الغرام ، وقد شرح المؤلف بقية مفردات البيت

(٤) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله (الديوان ٢١٧/١) وأراد بالمستهل الدمع ، والبكىء : القليل ، ومثله النزر

وهذا بيت حَسْبُك به جودةً و براعة وفصاحة .

ونحوهُ قوله :

لَهَا مَنزِلٌ بَيْنَ الدَّخُول فَتُوضِحِ   مَتَى تَرَهُ عَيْنُ الْمُتَيَّمِ تَسْفَحِ (١)

هذا مثل قول امرىء القيس « بين الدخول فحومل » وهذا أيضاً بيت جيد ، وليس كالأول .

وقال أيضاً :

أَفِي كُلِّ دَارٍ مِنكَ عَيْنٌ تَرَقْرَقُ   وَقَلْبٌ عَلَى طُولِ التَّذَكُّرِ يَخْفِقُ (٢)

وهذا أيضاً غاية فى جودته و براعته وكثرة مائه .

وقال أيضاً :

أَلَمَّا يَكْفِ فِي طَلَلَىْ زَرُودِ   بُكَاؤُكَ دَارِسَ الدِّمَنِ الْهُمُودِ (٣)

وقال أيضاً :

أَعَنْ سَفَهٍ يَوْمَ الْأُبَيْرِقِ أَمْ حِلْمِ   وُقُوفٌ بِرَبْعٍ أَوْ بُكَاءٌ عَلَى رَسْمِ (٤)

هذه الأبيات الثلاثة كأنه منكر على نفسه البكاء ، وقد أحسن فيما اعتمد من ذلك وأجاد ، وهو ضد ما ذهب إليه أبو تمام فى أبياته .

وقال البحترى وهو حسن جداً :

وُقُوفُكَ فِي أَطْلَالِهِمْ وَسُؤَالُهَا   يُرِيكَ غُرُوبَ الدَّمْعِ كَيْفَ انْهِمَالُهَا (٥)

---

(١) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها المعتز بالله (الديوان ١ / ١١١) وقد تكلمنا قريبا عن قول المؤلف «هذا مثل قول امرىء القيس بين الدخول فحومل» (وانظر الهامشة رقم ٢ فى ص ٣٧٢ من هذا الكتاب)

(٢) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها محمد بن على القمى (الديوان ١٣٨/٢)

(٣) لا يوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع فى مصر

(٤) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا الصقر (الديوان ٢٣٦/٢)

(٥) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها إبراهيم بن المدبر (الديوان ٢ / ١٧٤)

وقال :

عِنْدَ الْعَقِيقِ فَمَائِلاتِ دِيَارِهِ   شَجَنٌ يَزِيدُ الصَّبَّ فى اسْتِعْبارِهِ [١]

وقال :

يَأْبَى الْخَلِيُّ بُكاءَ الْمَنْزِلِ الْخَالِي   وَالنَّوْحَ فِي دِمَنٍ أَقْوَتْ وَأَطْلَالِ [٢]

وقال :

أَبُكاءٌ فِي الدَّارِ بَعْدَ الدَّارِ   وَسُلُوًّا عَنْ زَيْنَبٍ بِنَوَارِ [٣]

وهـذا من البحترى وصفٌ فى البكاء على الديار حسن ، ومعان فيه مختلفة عجيبة ، كلها جيد نادر ، وأبو تمام لزم طريقة واحدة لم يتجاوزها ، والبحترى فى هذا الباب أشعر .

***

سؤال الديار واستعجامها عن الجواب

قال أبو تمام :

الدَّارُ نَاطِقَةٌ وَلَيْسَتْ تَنْطِقُ   بِدُثُورِهَا ؛ إِنَّ الْجَدِيدَ سَيَخْلُقُ [٤]

وقال فى مثل معناه :

وَأَبِى الْمَنَازِلِ إِنَّهَا لَشُجُونُ   وَعَلَى الْعُجُومَةِ إِنَّهَا لَتُبِينُ [٥]

وهذا معنى شائع على ألسنِ العرب أن تقول لمن يعقل : وأبيك لقد أجملت ،

---

(١) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيهـا أبا عامر الخضر بن أحمد (الديوان ٢ / ٨)

(٢) لا يوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع بمصر

(٣) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا جعفر محمد بن حميد ويستوهبه غلاما (الديوان ٢ / ٢٤) وفيه « وسلوا بزينب عن نوار » وانظر ص ٤٠٢ الآتية

(٤) هذا البيت لا يوجد فى ديوان أبى تمام المطبوع

(٥) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها الواثق بالله (الديوان ٢٣٨)

وكثرت على الألسن حتى صمدوا بها إلى ما لا يعقل ، قَسَماً وغير قسم ، وكذلك قالوا : لأمك الْهَبَل ، ولأبيك الْوَيْلُ ، ثم قالوا ذلك لما لا أم له ، وقال محرز بن المكعبر يرثى بسطام بن قيس :

لِأمِّ الأرْضِ وَيْلٌ مَا أجَنَّتْ   بحيث أضر بالحسن السبيل

فجعل للأرض أما .

وقد قال البحترى :

لَعَمْرُ أبِى الأيَّامِ ما جَارَ حُكْمُهَا   عَلَىَّ ، وَلا أعْطَيتها ثنى مقولى(١)

فجعل للأيام أباً ، وقوله « شجون » جمع شَجَن ، وما أقلّ ما يجمع فعَل على فعُول ، قالوا : أسد وأسود ، وليس هو بابه ، والشجن : الحاجة ، والشجن : الهم والحزن .

وقال أبو تمام :

مِنْ سجَايَا الطلُولِ أنْ لا تُجِيبَا   فَصَوَابٌ مِنْ مُقلَتِى أنْ تَصُوبَا(٢)

هذا البيت صَدْرُه جيد ، وقوله «فصواب» ليست بالجيدة فى هذا الموصع ، وإنما أراد التجنيس .

وقال البحترى :

لا دِمْنَةٌ بِلِوَى خَبْتٍ وَلا طَلَلُ   تَرُدُّ قَوْلاً على ذِى لَوْعَةٍ يَسَلُ(٣)

---

(١) لا يوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع بمصر

(٢) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان ٢٥) وقد تقدم ذكر هذا البيت (ص ١٤)

(٣) هذا البيت مطلع قصيدة يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان ٢ / ٢١٤) وفيه « يرد قولا » وقوله « يسل » أراد يسأل ، فحذف الهمزة ، والمشهور فى العربية حذفها من فعل الأمر نحو قوله تعالى : (سل بنى إسرائيل) وفى المضارع المجزوم نحو قولك : لم يسل

وهذا ابتداء جيد لفظه ومعناه .

وقال :

صَبٌّ يُخَاطِبُ مُفحَمَاتِ طُلول   مِنْ سَائِلٍ بَاكٍ وَمِنْ مَسْئولِ (١)

أراد أنه باكٍ والطلول با كية ، وهذا ابتداء صالح .

وقال :

عَزَمْتُ على المَنَازِلِ أنْ تُبِينَا   وَإِنْ دِمَنٌ بَلِينَ كَمَا بَلِينَا (٢)

أى : عزمت عليها أن توضح لنا ، ويكون « تبين » بمعنى تُفصح هى فى نفسها، يقال : بانَ الشىء وأبَانَ ، وقوله « و إن دِمَن بلين كما بلينا » أى : عزمت عليها أن تُبين لنا القولَ و إن كانت قد بَلِيَتْ كما بلينا نحن ، وهـذا بيت ردىء العجز .

وقال :

أقِمْ عَلَّها أنْ تَرْجِعَ القَوْلَ أوْ عَلَّى
أُخَلِّفُ فِيهَا بَعْضَ مَابِى مِنَ الخَبْلِ (٣)

وهذا أيضاً بيت ردىء الصدر لفظُه ومعناه ؛ لأنه أراد أن يقول : قف لعلها أن تَرْجع القولَ أو لعلّى ، فقال « أقم » مكان قِفْ ، وليست هذه اللفظة نائبةً عن تلك ؛ لأن الإقامة ليست من الوقوف فى شىء ، والدليل على أنه أراد أن يقول قف قولُه بعد هذا :

---

(١) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيهـا المفضل بن إسماعيل الهاشمى (الديوان ٢ / ٢٠٥) ووقع فى الأصـول « ضيف يخاطب » وما أثبتناه عن الديوان .

(٢) هذا البيت مطلع قصيـدة له يمدح فيها إذ كوتـكين (الديوان ٢ / ٣٠١)

(٣) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا صالح بن عمار (الديوان ٢ / ١٨٧)

فَإِنْ لَمْ تَقِفْ مِنْ أَجْلِ نَفْسِكَ سَاعَةً ... فَقِفْهَا عَلَى تِلْكَ الْمَعَالِمِ مِنْ أَجْلِي

وقال «علها أو عَلِّي» وهما وإن كانتا لفظتين عربيتين فَلَعَلَّ أحسن من عَلَّ وأبرع، وزاد في تهجينها أنه كرّرها في مصراع، وقوله «أخلف فيها بعض مابي من الخَبْل» عَجُز حسن، أي: أطْرَحه عنى، أي: لعلى أبكى فأخفف بعض مابي من البكاء، وإلى هـذا المعنى ذهب، وإن لم يكن البكاء في البيت فقد ذكره من بعد.

وقال:

بِاللهِ يَارَبْعُ لَمَّا زِدْتَ تِبْيَانَا ... فَقُلْتَ لِي الْحَيُّ لَمَّا بَانَ لِمْ بَانَا [1]

وقال أيضاً:

هَبِ الدَّارَ رَدَّتْ رَجْعَ ما أَنْتَ سَائِلُهْ

وَأَبْدَى الْجَوَابَ الرَّبْعُ عَمَّا تُسَائِلُهْ [2]

وهذا بيت غير جيد؛ لأن عَجُز البيت مثل صدره سواء في المعنى، وكأنه بنى الأمر على أن الدار غـير الربع، وأن السؤال إن وقع وقع في محلين اثنين، والبيت أيضاً لا يقوم بنفسه؛ لأنه جعله مُعلّقاً بالبيت الثاني وهو قوله:

أَفِي ذَاكَ بُرْءٌ مِنْ جَوًى أَلْهَبَ الْحَشَا

تَوَقُّدُهُ وَاسْتَغْزَرَ الدَّمْعَ جَائِلُهْ

وقال:

هَلِ الرَّبْعُ قَدْ أَمْسَتْ خَلَاءً مَنَازِلُهْ ... مُجِيبٌ صداه أَوْ يُخَبِّرُ سَائِلُهْ [3]

وهذا ابتداء صالح.

---

(١) لا يوجد هذا البيت في ديوان البحترى المطبوع في مصر

(٢) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله (الديوان ٢ / ١٦٢)

(٣) لا يوجد هذ البيت في ديوان البحترى المطبوع بمصر

وقال أيضاً :

عَفَتْ دِمَنٌ بِالأَبْرَقَيْنِ خَوَالِي تَرُدُّ سَلاَمِي أَوْ تُجِيبُ سُؤَالِي (١)

وهذا ابتداء حسن .

فهذا ما وجدته لهما من الابتداءات فى الباب ، وليس لهما فيه بيت بارع ، والجيد للبحترى قوله :

* لادِمْنَةٌ بِلِوَى خَبْتٍ وَلاَ طَلَلُ *

وقوله :

* عَفَتْ دِمَنٌ بِالأَبْرَقَيْنِ خَوَالِى *

والجيد لأبى تمام بيتاه الأولان ، ومعناهما غير معنى هذين البيتين ، و بيتا البحترى أجود لفظاً ، وأصح سَبْكاً ، وهما فى هذا الباب متكافئان .

* * *

ما يَخْلُفُ الظاعنين فى الديار من الوحش وما يقارب معناه

قال أبو تمام :

أَطْلاَلُهُمْ سُلِبَتْ دُمَاهَا الْهِيفَا وَاسْتَبْدَلَتْ وَحْشاً بِهِنَّ عُكُوفَا (٢)

وهذا بيت جيد لفظه ومعناه .

---

(١) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا طلحة منصور بن مسلم ، ويقال : يمدح بها محمد بن عمر بن على بن مر (الديوان ٢ / ٢١٩) ووقع فى الأصول « عفت دمن بالأبرقين خوالى » وما أثبتناه عن الديوان ، وهو الصواب

(٢) هذا مطلع قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف ، ويعرض بوالى ولى الثغر من بعده (الديوان ٢٠٥) والأطلال : جمع طلل ، وهو مابقى شاخصامن أثر الديار ، والدمى — بضم الدال وفتح الميم — جمع دمية ، وهى فى الأصل الصورة المنقوشة (التمثال) وأراد بها ههنا النساء الحسان ، والهيف — بكسر الهاء — جمع هيفاء ، وهى الضامرة البطن الدقيقة الخصر ، وعكوفا : مقيمات

وقال أيضاً :

أَأَطْلَالَ هِنْدٍ سَاءَ مَا اعْتَضْتِ مِنْ هِنْدِ
أَقَايَضْتِ حُورَ العِينِ بِالْعِينِ وَالرُّبْدِ[(١)]

العِينُ : بقر الوحش والظباء ، والرُّبد : النعام ، وقايضت : أبدلت ، وهذا بيت ليس بالجيد ولا بالردىء .

وقال أيضاً :

أَرَامَةُ كُنْتِ مَأْلَفَ كُلِّ رِيمٍ لَوِ اسْتَمْتَعْتِ بالأَنَسِ القَدِيمِ[(٢)]

وهذا بيت جيد .

وقال البحترى :

رَبْعٌ خَلاَ مِنْ بَدْرِهِ مَغْنَاهُ وَرَعَتْ بِهِ عِينُ المَهَا الأَشْبَاهُ[(٣)]

---

(١) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا العباس نصر بن منصور بن بسام (الديوان ١١٤) واعتضت : استبدلت ، من العوض وهو البدل ، وقايضت : بادلت ، من المقايضة ، وهى المبادلة على الشىء بشىء آخر ، والحور : جمع حوراء وهى الشديدة سواد سواد العين مع شدة بياض بياضها ، وأراد بها النساء الجميلات العيون . والعين بكسر العين – جمع عيناء ، وهى الواسعة العين ، وأراد بها هنا بقر الوحش ، وقيل لبقر الوحش « عين » لسعة عيونها ، ووقع فى الديوان « بالعور » وليس بشىء ، والربد – بضم الراء وسكون الباء – جمع ربداء ، وهى التى لونها بين السواد والكدرة ، وأراد بها النعام ، يريد أستبدلت من النساء الجميلات العيون بقر الوحش والنعام ؟

(٢) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها بعض بنى عبد الكريم الطائيين (الديوان ٢٨٧) وقد تقدم ذكر البيت (انظر ص ٢٢٨ من هذا الكتاب) ووقع فى الديوان « بالأنس المقيم » ورامة : اسم مكان بعينه ، والريم – بكسر الراء – أصله الرئم خففه بقلب الهمزة ياء لانكسار ماقبلها ، والرئم : ولد الغزال ، والأنس – بفتح الهمزة والنون جميعا – الحى

(٣) لا يوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع بمصر

وهذا بيت حسن حلو.

وقال البحترى أيضاً :

عَهْدِى بِرَبْعِكَ مَأنُوساً مَلاَعِبُهُ أَشْبَاهُ آرَامِهِ حُسْنًا كَوَاعِبُهُ(١)

وهذا بيت فى غاية الجودة والبراعة لفظهُ ومعناه .

وقال أيضاً :

عَهْدِى بِرَبْعِك مُثَلاًّ آرَامُهُ يُجْلَى بِضَوْءِ خُدُودِهِنَّ ظَلاَمُهُ(٢)

وهـذا بيت جيد اللفظ والمعنى ، ولفظ الأول أحلى وأبرع ، وقوله « يجلى بضوء خدودهن ظلامه » حسن جدا .

وقال أيضاً :

أَرَى بَيْنَ مُلْتَفِّ الأَرَاكِ مَنَازِلاَ مَوَائِلَ لَوْ كَانَتْ مَهَاهَا مَوَائِلَا(٣)

وهـذا أيضاً بيت من أبرع ابتداءاته ، فهذا ما وجدته لهما فى هذا النحو ، والبحترى فى أبياته أشعر من أبى تمام فى أبياته .

* * *

(١) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها محمد بن بدر (الديوان ١/٣٩) والآرام : جمع رئم ، وهو ولد الغزال ، وأصله أرآم فقلب بتقديم الهمزة على الراء ، والكواعب : جمع كاعب ، وهى الفتاة التى كعب ثديها واستدار

(٢) لا يوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع بمصر

(٣) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان ٢ / ٢١٢) والموائل : جمع مائل ، وهو الشاخص ، والمها : أصله بقر الوحش ، واحدها مهاة ، وأراد بها ههنا النساء الحسان

وفيما تهيجه الديار وتبعثه من جوى الواقفين بها

قال أبو تمام :

أَقَشِيبَ رَبْعِهِمُ أَرَاكَ دَرِيساً   وَقِرَى ضُيُوفِكَ لَوْعَةً وَرَسِيسَا(١)

وهذا بيت من جيد الابتداءات و بارعها .

وقال البحترى :

مَغَانِي سُلَيْمَى بِالعَقِيقِ وَدُورُهَا   أَجَدَّ الشَّجَى أَخْلاقُهَا وَدُثُورُهَا(٢)

وهذا بيت فى جودة بيت أبى تمام و براعته .

وقال :

لَعَمْرُ المَغَانِي يَوْمَ صَحْرَاء أَرْبَدِ   لَقَدْ هَيَّجَتْ وَجْداً عَلَى ذِي تَوَجُّدِ(٣)

وقال أيضاً :

مَا جَوُّ خَبْتٍ وَإِنْ نَأَتْ ظُعُنُهْ   تَارِكَنَا أَوْ تَشُوقَنَا دِمَنُهْ(٤)

---

(١) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقى (الديوان ١٧٥) والقشيب : الجديد ، والدريس : البالى ، والقرى ـ بكسر القاف ـ الضيافة أو مايقدم للضيفان ، والرسيس : الحب الثابت ، يريد وأرى قرى ضيوفك لوعة ورسيسا ، وانظر ص ٣٩٨ التى تأتى

(٢) هذا البيت مطلع قصيدة يمدح فيها ابن بسطام (الديوان ٣٦/٢) والعقيق : اسم مكان بعينه ، والشجى : الحزن ، والأخلاق : جمع خلق ، وهو البالى ، والدثور : التى ذهب أثرها وامحت

(٣) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أحمد بن المدبر (الديوان ١٩٦/١) وفيه « يوم صحراء أرثد »

(٤) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا عيسى بن صاعد ويهجو ابن البريدى (الديوان ٢٨٨/٣) وخبت : اسم مكان بعينه ، ونأت : بعدت ، والظعن ـ بضم الظاء والعين ـ جمع ظعينة ، وهى المرأة مادامت فى الهودج ، وتشوقنا : تبعث الشوق فى أنفسنا ، والدمن ـ بكسر الدال وفتح الميم ـ جمع دمنة ، وهى أثر الديار .

وقال أيضاً :

كُلَّمَا شَاءَتِ الرُّسُـومُ المحِيلَهْ ... هَيَّجَتْ مِنْ مَشُوقٍ صَدْرٍ غَلِيلَهْ[1]

وهذه كلها ابتداءات جياد ، وهى مع بيت أبى تمام متكافئة .

* * *

الدعاء للدار بالسقيا

قال أبو تمام :

أَسْقَى طُلُولَهُمُ أَجَشُّ هَزِيمُ ... وَغَدَتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَةٌ وَنَعِيمُ[2]

وقال أيضاً :

سَقَى عَهْدَ الحِمَى صَوْبُ العِهَادِ ... وَرَوَّى حَاضِرٌ مِنْهُمْ وَبَادِى[3]

وهذان ابتداءان جيدان .

وقال أيضاً :

يَا بَرْقُ طَالِعْ مَنْزِلاً بِالأَبْرَقِ ... وَاحْدُ السَّحَابَ لَهُ حُدَاءَ الأَيْنُقِ[4]

---

(١) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها حمولة (الديوان ٢/١٩٢) وفيه « مشوق قلت غليله » والمحيلة ـ بضم الميم ـ التى أتى عليها حول ، وأراد هنا المتغيرة ، والغليل أصله العطش ، وأراد به ههنا حرارة الحب وتحرق الوجد

(٢) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان ٢٩٩) والأجش : الخشن الصوت ، وأراد به ههنا الرعد ، والهزيم : صوت الرعد والنضرة ـ بفتح النون وسكون الضاد ـ الحسن

(٣) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا عبد الله أحمد بن أبى دؤاد (الديوان ٧٨) وفيه « سبل العهاد » والعهاد ـ بكسر العين ، بزنة الكتاب ـ مطر الربيع ، والحاضر : الذى يسكن الحضر ، والبادى : الذى يسكن البادية ، وانظر ص ٣٩٩

(٤) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب ويصف فرسا حمله عليه (الديوان ٢١١) وفيه « حداء الأنيق » وكلتاهما صحيحة ، والحداء ـ بضم الحاء وبزنة الغراب ـ سوق الإبل بالغناء ، والأينق ومثله الأنيق : جمع ناقة ، وانظر ص ٣٩٨

قوله « طالع » لفظة رديئة فى هذا الموضع قبيحة ، وقوله « واحْدُ السحاب له حداء الأينق » لفظه ومعناه جيدانِ فصيحان، و إنما خص البرق لأنه دليل الغيث

وقال أيضاً :

أَيُّهَا الْبَرْقُ بِتْ بِأَعْلَى الْبِرَاقِ وَاغْدُ فِيهَا بِوَابِلٍ غَيْدَاقِ[1]

الْبِرَاق : جمعُ بُرْقة، مثل بُرْمة و بِرَام ، وهى الأرض ذات الطين والحصى تكون ذاتَ ألوانٍ مختلفة ، وهذا بيت جيد ، ووَصَله ببيت هو غاية فى الحسن والحلاوة نأتى به إن شاء الله تعالى فى بابه .

وقال :

يا دَارُ دَارَ عَلَيْكِ أرهَامُ النَّدَى وَاهْتَزَّ رَوْضُكِ فِى الثَّرَى فَتَرَأَدَا[2]

يقال : أرهمت السماء ، إذا أتت بالرِّهْمة ، وهو المطر اللين ، يقال : رِهْمة وأرهام ، كأكَمة وآكام ، فإن قلت «أرهام الندى» كان ذلك سائغاً ، فترأد : تثنَّى لكثرة مائه وغضاضته ، ومنه « امرأة رُودُ الشباب » أى : غضَّته ، وهذا بيت ليس بجيد اللفظ ولا النَّسْجِ .

وقال البحترى :

---

(١) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها إسماعيل بن شهاب ويشكره (الديوان ٢٢٠) والوابل : المطر الغزير ، والغيداق : المنسكب ، وبعد هذا البيت قوله :

وتعلم بأنه مالأنوا ئك إن لم تروها من خلاق

والخلاق ـ بفتح الخاء ، بزنة السحاب ـ النصيب

(٢) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أحمد بن عبد الكريم (الديوان ١٢٥) والأرهام : الأمطار الضعيفة الدائمة ، والثرى ـ بفتح الثاء ، بزنة العصى ـ التراب ، وأراد الأرض

نَشَدْتُكَ اللهَ مِنْ بَرْقٍ عَلَى أَضَمٍ   لَمَّا سَقَيْتَ جَنُوبَ الحَزْنِ فَالعَلَمِ (١)

وهذا بيت بارع اللفظ ، جيد المعنى ، وزاد فى جَوْدته قوله « نشدتك الله »

وقال أيضاً :

سُقِيتِ الغَوَادِى مِنْ طُلُولٍ وَأَرْبُعِ   وَحُيِّيتِ مِنْ دَارٍ لأَسْمَاءَ بَلْقَعِ (٢)

وهذا أيضاً بيت جيد اللفظ والمعنى ، ويدخل فى باب التسليم على الديار لقوله « وحييت من دار » .

وقال أيضاً :

أناشد الغَيْثَ هَلْ تَهْمِى غَوَادِيهِ   عَلى العَقِيقِ وَإِنْ أَقْوَتْ مَغَانِيهِ (٣)

وهذا بيت جيد .

وقال أيضاً :

أَقَامَ كُلُّ مُلِثِّ الوَدْقِ رَجَّاسِ   عَلى دِيَارٍ بِعُلْوِ الشَّامِ أَدْرَاسِ (٤)

ملثّ : دائم كثير ، ورجّاس : مُصَوِّت ، يريد الرعد ، وهذا بيت كثير الماء والرَّوْنَق .

وقال أيضًا :

لا تَرِمْ رَبْعَكِ السَّحَابُ تَجُودُهْ   تَبْتَدِى سَوْقَهُ الصَّبَا أَوْ تَقُودُهْ (٥)

---

(١) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها عبيد الله بن يحيى بن خاقان (الديوان ٢٦٤/٢)

(٢) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها الفتح بن خاقان (الديوان ٧٨/٢) ووقع فى بعض الأصول « من طلوع » محرفا عما أثبتناه

(٣) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أحمد بن ثوابة (الديوان ٣٢١/٢) وفيه « كى تهمى غواديه »

(٤) هذا البيت مطلع قصيدة له يرثى فيها موسى بن عبد الملك عن ابنة له توفيت (الديوان ٦٥/٢) وأدارس : بالية

(٥) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها إسماعيل بن بلبل (الديوان ١٦٥/١) ولا ترم : لا تبرح ، ويجوده : يسقيه ، والصبا : ريح

وقال أيضاً :

سَقَى دَارَ لَيْلى حَيْثُ حَلَّتْ رُسُومُهَا
عِهَادٌ مِنَ الوَسْمِىِّ وُطْفٌ غُيُومُهَا(١)

وهذان ابتداءان جيدان ، وليسا مثل ما تقدم .

وقال أيضاً :

سَقَى رَبْعَهَا سَحُّ السَّحَابِ وَهَاطِلُهْ وَإنْ لَمْ يُخَبِّرْ آنِفاً مَنْ يُسَائِلُه(٢)

وهذا البيت ردىء العجز ؛ من أجل قوله « آنفاً » لأنه حَشْوٌ لا حاجة للمعنى به ؛ فهذا ابتداء من الدعاء للديار بالسقيا ، وهما عندى متكافئان .

* * *

فى لوم الأصحاب فى الوقوف على الديار

قال أبو تمام :

أَرَاكَ أَكْبَرْتَ إدْمَانِى عَلى الدِّمَنِ وَحَمْلِىَ الشَّوْقَ مِنْ بَادٍ وَمُكْتَمِنِ(٣)

وقال أيضاً :

مَا عَهِدْنَا كَذَا نَحِيبَ المَشُوقِ كَيْفَ وَالدَّمْعُ آيَةُ المعشوق(٤)

هذا بيت ردىء جدًّا ، وقد ذكرتُ ما فيه فى باب ما ذكر له فى وسط

---

(١) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها المهتدى بالله (الديوان ٢/٢٣٠)

(٢) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها إبراهيم بن المدبر (الديوان ٢/١٧٥)

(٣) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا الحسن على بن مرة (الديوان ٣٣٣) وأكبرت الأمر: عددته كبيرا واستعظمته ، والإدمان : المداومة ، والدمن: آثار الديار ، والبادى ههنا : الظاهر ، والمكتمن : المختفى المستتر

(٤) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان ٢١٥) وفيه « ماعهدنا كذا بكاء المشوق »

الـكلام فى تعنيف الأصحاب على الوقوف على الديار ، وهذا البيت ابتداء ، و إنما ذكرته هناك لأن معناه يتضح بالأبيات التى بعده ؛ فجعلته فى ذلك الباب .

وليس لأبى تمام ابتداء صالح فى لوم الأصحاب غير هذين البيتين .

فأما البحترى فإنه تصرف فيه فى ابتداءاتٍ جياد حسان بارعة حلوة ؛ فمن ذلك قولُه :

فِيمَ ابْتِدَارُكُمَا المَلَامَ وَلُوعَا　　أَبَكَيْتُ إلاَّ دِمْنَةً وَرُبُوعَا(١)

وهذا بيت حسن ، وفيه سؤال ، وهو أن يقال : إنما لاموه على بكائه على الدِّمْنَةِ والربوع ، فما وجه اعتذاره بأنه لم يبك إلا دمنة وربوعا ؟ والجواب أنه أراد أبكيت إلا ما مِثْلُهُ يُبْكَى ؟ وقد تقدَّمنى الناسُ فيه ولم ينكر ذلك على أحد .

وقوله :

خُذَا مِنْ بُكَائِى فى المَنَازِلِ أوْدَعَا　　وَرُوحَا على لَوْمِى بِهِنَّ أوِ ارْبَعَا(٢)

وهذا بيت جيد .

وقوله أيضاً :

ذاكَ وَادِى الْأَرَاكِ فَاحْبِسْ قَلِيلاَ　　مُقصِراً فى مَلامَتِى أوْ مُطِيلا(٣)

وهذا بيت جيد حسن ، بارع اللفظ والمعنى ، وقد ذكرته أيضاً فى باب الوقوف على الديار .

---

(١) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان ٢/٨٤) وفيه « فيم ابتداركم الملام » وقد تقدم هذا البيت (ص ١٣)

(٢) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ٢ / ٩٧) واربعا : كفا عن لومى، وتوقفا عن الاستمرار عليه .

(٣) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها محمد بن على بن عيسى القمى (الديوان ٢/٣١٠) وفيه « مقصرا من صبابة »

وقوله :

أحْرَى الْخُطُوبِ بأنْ يَكُونَ عَظِيما   قَوْلُ الْجَهُولِ : ألاَ تَكُونُ حَلِيماَ(١)

وقوله :

مَا أنْتَ لِلْكَلِفِ الْمَشُوقِ بِصَاحِبِ   فَاذْهَبْ عَلَى مَهَلٍ فَلَيْسَ بِذَاهِبِ(٢)

وقوله :

فِي غَيْرِ شَأْنِكَ بُكْرَتِي وَأصِيلِي   وَسِوَى سَبِيلِكَ فِي الدُّلُوِّ سَبِيلِي(٣)

وقوله :

بَعْضَ هٰذَا العِتَابِ وَالتَّفْنِيدِ   لَيْسَ ذَمُّ الْوَفَاءِ بالْمَحْمُودِ(٤)

ولهما فى تأنيب العُذَّال فى غير الوقوف على الديار ابتداءات ليس بضائر ذكرها ههنا .

فمن ذلك قول أبى تمام :

تَقِي جَمَحَاتِي لَسْتُ طَوْعَ مُؤَنِّبِي   وَلَيْسَ جَنِيبِي إنْ عَذَلْتُ بِمُصْحِبِي(٥)

---

(١) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها إبراهيم بن الحسن بن سهل (الديوان ٢٤٢/٢) وأحرى الخطوب : أحق الأمور وأجدرها .

(٢) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ١/ ٦٥) والكلف ـ بفتح الكاف وكسر اللام ـ المحب الشديد الحب

(٣) هذا البيت مطلع قصيدة له يرثى فيها إسماعيل بن نيبخت (الديوان ١٧١/٢)

(٤) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها محمد بن عبدالملك الزيات (الديوان ١/ ٢٠٤) و « بعض » بالنصب مفعول لفعل محذوف : أى اتركا بعض هذا العتاب ، والتفنيد : مصدر فندت فلانا ـ بتشديد نون الفعل ـ أى : كذبته ، يريد كفا من ملامكما لى واتهامى بالكذب فى المحبة

(٥) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها عياش بن لهيعة الحضرمى (الديوان ٢٣) وتقى : فعل أمر ، وأصله « اتقى » ومثله قول الشاعر : =

وقوله أيضاً :

دَأْبُ عَيْنِي الْبُكَاءُ وَالْحُزْنُ دَأْبِي   فَاتْرُكِينِي ـ وُقِيتِ مَا بِي ـ لِمَا بِي[1]

وقوله أيضاً :

كُفِّي وغاكِ فَإِنَّنِي لكِ قَالِي   لَيْسَتْ هَوَادِي عَزْمَتِي بِتَوَالِي[2]

وقوله أيضاً :

لَامَتْهُ لامَ عَشِيرُهَا وَحَمِيمُهَا   مِنْهَا خَلَائِقَ قَدْ أَبَرَّ ذَمِيمُهَا[3]

وقوله أيضاً :

زِيَادَتَنَا نُعْمَانُ لا تَحْبِسَنَّهَا   تَقِ اللهَ فِينَا وَالْكِتَابَ الَّذِي تَتْلُو

يريد « اتق الله فينا » وجماحى : عصيانى لك وجموحى عن استماع نصحك ، ويروى « تقى جهلاتى » ووقع فى المطبوعات محرفا « تقى جهاتى » ومؤنبى : لائمى وعاذلى .

(١) هذا البيت مطلع قصيدة له يرثى فيها أحمد بن هرون القرشى (الديوان ٣٥٥) والدأب : العادة ، وأصله الهمز نخففه فى الثانية بقلب الهمزة ألفا لانفتاح ما قبلها لأجل التصريع ، وقوله : « وقيت مابى » أى حفظك الله من مثل ما ألاقيهمن لوعة الحزن وحرارة الألم ، وقوله «لمابى» متعلق باتركينى ، يريدعينى وما أنا فيه وقاك الله شر مثله

(٢) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها الحسن بن رجاء (الديوان ٢٤٦) وفيه « يكفى وغاك » والوغى : أكثر ما تستعمل فى الحرب ، وأراد به ههنا جلبتها عليه فى لومها إياه وتعنيفه على الحب ، وقال : اسم الفاعل من قلاه يقلوه ويقليه ، إذا كرهه ، والهوادى : الأوائل ، والتوالى : الأواخر

(٣) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها جماعة من كتاب عبدالله بن طاهر (الديوان ٣١٠) والحميم : الصديق ، والخلائق : جمع خليقة وهى الطبيعة ، وأبر : زاد ، وذميمها : مذمومها

مَتَى كَانَ سَمْعِى خِلْسَةً لِلَّوَائِمِ ⁂ وَكَيْفَ صَغَتْ لِلْعَاذِلِينَ عَزَائِمِى[1]

وقوله أيضاً :

قَدْكَ اتَّئِبْ أَرْبَيْتَ فِى الْغُلَوَاءِ ⁂ كَمْ تَعْذِلُونَ وَأَنْتُمُ سُجَرَائِى[2]

وهذه كلها ابتداءات صالحة ، إلا هذا البيت الأخير ؛ فإن الناس عابوه ، وذكر أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح فى كتابه أن مما عيب من ابتداءات الطائى قوله :

* كَذَا فَلْيَجِلَّ الْخَطْبُ وَلْيَفْدَحِ الأَمْرُ *

وقوله :

* خَشُنْتِ عَلَيْهِ أُخْتَ بَنِى خُشَيْنِ *

فأما قوله « خشنت عليه » فهو لعمرى من تجنيساته القبيحة ، وعهدت مُجَّانَ البغداديين يقولون : قليل نورة يذهب بالخشونة ، وأما قوله « كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر » فليس بمعيب عندى ، وقد ذكرته فى ابتداءات المراثى ، وأخبرت بمعناه ، وأما قوله « قدك اتئب أربيت فى الغلواء » فإنها ألفاظ صحيحة فصيحة من ألفاظ العرب ، مستعملة فى نظمهم ونثرهم ، وليست من متعسف ألفاظهم ، ولا وحشىّ كلامهم ، ولكن العلماء بالشعر أنكروا عليه أنْ جمعها فى مصراع واحد، وجعلها ابتداء قصيدة ، ولم يفرق بينها إلا بفواصل [يسيرة][3] فقال « قدك اتئب أربيت فى الغلواء » فصار قوله « قدك اتئب » كأنهما كلمة واحدة على وزن

---

(١) هذا البيت مطلع كلة له يمدح فيها أبا سعيد (الديوان ٢٩٠) والخلسة : السلب والنهب فى سرعة ، وصغت : مالت ، والعاذلين : جمع العاذل ، وهو الذى يلوم فى تسخط ، والعزائم : جمع عزيمة ، وهى القصد إلى الشىء قصدا موثقا

(٢) هذا البيت مطلع كلة له يمدح فيها يحيى بن ثابت (الديوان ٢) وقد مضى ذكره (انظر ص ٢٥ من هذا الكتاب)

(٣) زيادة لابد منها ليستقيم الكلام

مُسْتَفعل ، وضم إليه « أربيت فى الغَلْواء » فاسْتُهْجنت ، ولو جاء هذا فى شعر أعرابى لما أنكروه ؛ لأن الأعرابى إنما ينظم كلامه المنثور الذى يستعمله فى مخاطباته ومحاوراته ، ولو خاطب أبو تمام بهذا المعنى فى كلامه المنثور لما قال لمن يخاطبه إلا حَسْبُكَ اسْتحى زِدْتَ وَغَلَوْتَ ، وهذا كلام حسن بارع ، قال : فمن شأن الشاعر الحَضَرى أن يأتى فى شعره بالألفاظ المستعملة فى كلام الحاضرة ، فإن اختار أن يأتى بما لا يستعمله أهلُ الحضرِ فمن سبيله أن يجْعله من المستعمل فى كلام أهل البَدْوِ دون الوحشى الذى يقلّ استعمالهم إياه ، وأن يجعله متفرقا فى تضاعيف ألفاظه ، ويضعه فى مواضعه ؛ فيكون قد اتسع مجاله بالاستعارة ، ودل على فصاحته وعلمه ، وتخلّص من الهُجنة ، كما أن الشاعر الأعرابى إذا أتى فى شعره بالوحشىّ الذى يقل استعماله إياه فى منثور كلامه وما جرى دائما فى عادته هَجَّنه وقَبَّحه ، إلا أن يضطر إلى اللفظة واللفظتين ، ويقلل ، ولا يستكثر ؛ فإن الكلام أجناس إذا أتى منه شىء مع غير جنسه باينَه ونافره وأظهر قبحه .

وقد تَصَرّف البحترى فى هـذا الباب أحسَنَ تصرف وأبلغه وأعجبه ؛ فمن ذلك قوله :

أَتَارِكِى أَنْتَ أَمْ مُغرًى بِتَعْذِيبِى
وَلائِمِى فِى هَوًى إِنْ كَانَ يُزْرِى بِى (١)

وقوله أيضاً :

يُفَنِّدُونَ وَهُمْ أَدْنَى إلى الفَنَدِ ... وَيُرْشِدُونَ وَمَا العُذَّالُ فِى رَشَدِ (٢)

---

(١) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أحمد بن محمد الطائى (الديوان ١/ ٦٩) ووقع فى الأصول « أن كان يردى بى » وتصويبه ما أثبتناه عن الديوان ، فإن « أردى » يتعدى بنفسه

(٢) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا صالح (الديوان ١ / ١٣٣) وفيه « وما التعذال من رشدى »

وقوله أيضاً :

إِنَّمَا الغَيُّ أَنْ يَكُونَ رَشِيدَا   فَانْقُصَا مِنْ مَلامِهِ أَوْ فَزِيدَا[١]

وقوله أيضاً :

أَلَمْ يكُ فِي وَجْدِي وَبَرْحِ تَلَدُّدِي   نِهَايَةُ نَهْيٍ لِلعَدُوِّ المُفَنِّدِ[٢]

وقوله أيضاً :

مَرَنَتْ مَسَامِعُهُ عَلَى التَّفْنِيدِ   فَقَضَى المَلامَ لأَعْيُنٍ وَخُدُودِ[٣]

وقوله أيضاً :

شُغْلانِ مِنْ عَذْلٍ وَمِنْ تَفْنِيدِ   وَرَسِيسِ حُبٍّ طَارِفٍ وَتَلِيدِ[٤]

وقوله أيضاً :

أَقْصِرَا لَيْسَ شَأْنِيَ الإِكْثَارُ   وَأَقِلاَّ لَنْ يُغْنِيَ الإِكْثَارُ[٥]

وقوله أيضاً :

قُلْتُ لِلاَّئِمِ فِي الحُبِّ أَفِقْ   لا تَهُوِّنْ طَعْمَ شَيْءٍ لَمْ تَذُقْ[٦]

وقوله أيضاً :

---

(١) هذا البيت مطلع قصيدة له يفتخر فيها (الديوان ١ / ١٨٣) ووقع فى الأصول « من ملامى » وما أثبتناه عن الديوان ، وهو أقرب .

(٢) لا يوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع بمصر

(٣) وهذا البيت أيضاً غير موجود فى ديوانه المطبوع بمصر

(٤) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيهـــا أمير المؤمنين المتوكل على الله (الديوان ١ / ١٢٥)

(٥) هكذا وقع هذا البيت فى الأصول ، وروايته المستقيمة كما فى الديوان هكذا :

أقصرا إن شأنى الإقصار   وأقلا لن يغنى الاكثار

وهو مطلع قصيدة له يمدح فيها المهتدى بالله (الديوان ١/ ٢٢٠)

(٦) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها صاعدا ويهجو يعقوب بن أحمد بن صالح (الديوان ٢ / ١٣١)

أمَا كانَ فِي تِلكَ الرُّبُوع السوائل ... بيَانٌ لِناء أوْ جوَابٌ لِسائِلِ (١)

وقوله أيضاً :

أكْثَرْتَ فِي لَوْمِ المُحِبِّ فأقْلِلِ ... وَأمَرْتَ بِالصَّبْرِ الجَمِيلِ فَأجْمِلِ (٢)

وقوله أيضاً :

رُوَيْدَكَ إنَّ شَأْنَكَ غَيْرُ شَانِى ... وَقَصْرَكَ لَسْتُ طَاعَةَ مَنْ نَهَانِى (٣)

وقوله أيضاً :

يَكادُ عاذِلُنَا فِي الحُبِّ يُغْرِينَا ... فَمَا لَجَاجُكَ فِى لَوْمِ المُحِبِّينَا (٤)

وقوله أيضاً :

عَذِيرِى فِيكِ مِنْ لاحٍ إذَا مَا ... شَكَوْتُ الحُبَّ قَطَّعَنِى مَلامَا (٥)

قوله أيضاً :

طَفِقَتْ تلومُ وَلاَتَ حِينَ مَلامِهِ ... لاَ عِنْدَ كَرَّتِهِ وَلا إحْجَامِهِ (٦)

ولا خفاء بفضل البحترى فى هـذا الباب على أبى تمام ، وقد مضت الموازنة

---

(١) لا يوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع فى مصر

(٢) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها محمـد بن صالح الهاشمى (الديوان ٢ / ٢١٧)

(٣) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها الهيثم الغنوى (الديوان ٢/٢٧٨) ورويدك : اسم فعل بمعنى أمهل ، وقصرك : معناه أقصر

(٤) لا يوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع بمصر

(٥) هذا البيت مطلع قصيـدة له يمدح فيها المتوكل على الله (الديوان ٢ / ٢٢٤) وفيه « حرقنى ملاما » واللاحى : اسم الفاعل من لحاه يلحاه ويلحوه؛ إذا لامه وعذله

(٦) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أحمد بن عبدالرحمن الحرانى ويصف فرسا (الديوان ٢ / ٢٥٠) ومعنى « لات حين ملامه » ليس الوقت وقت لومك إياه ، والكرة : الإقدام ، والإحجام : التأخر عن الشىء والنكوص عنه

بين الابتداءات بذكر الديار والآثار ، وأما الآن فأذكر ما جاء عنهما من ذلك في وسط الكلام .

***

ما قالا في أوصاف الديار والبكاء عليها

قال أبو تمام[(١)] :

طَلَلَ الْجَمِيعِ لَقَدْ عَفَوْتَ حَمِيدَا ۞ وَكَفَى عَلَى رُزْئِى بِذَاكَ شَهِيدَا[(٢)]
دِمَنٌ كَأَنَّ الْبَيْنَ أَصْبَحَ طَالِبًا ۞ دِمَنًا لَدَى آرَامِهَا وَحُقُودَا[(٣)]
قَرَّبْتَ نَازِحَةَ الْقُلُوبِ مِنَ الْجَوَى ۞ وَتَرَكْتَ شَأْوَ الدَّمْعِ فِيكَ بَعِيدَا[(٤)]
خَضِلاً إِذَا الْعَبَرَاتُ لَمْ تَبْرَحْ لَهَا ۞ وَطَنًا سَرَى قَلِقَ الْمَحَلِّ طَرِيدَا[(٥)]

وقوله « وكفى على رزئى بذاك شهيدا » ليس بالجيد ، وقد ذكرت معناه في باب الابتداءات عند ذكر البيت ، وقوله «قربت نازحة القلوب من الجوى» يريد القلوب التي بَعُد عهدها بمرض الحب فأرَيْتَها من ذلك عند الوقوف عليك ،

---

(١) الأبيات من أوائل قصيدة له يمدح فيها خالد بن يزيد الشيبانى (الديوان ٨٧)

(٢) قد تقدم ذكر هذا البيت فيما أخذه على أبى تمام (انظر ص ١٧٧ من هذا الكتاب ثم انظر ص ٣٦٩)

(٣) فى الديوان « دمنا لدى آرامها » والدمن فى أول البيت : جمع دمنة ، وهى أثر الديار ، والدمن الثانية فى رواية الديوان ـ وهى الأشبه بأبى تمام ـ الحقد القديم ، والآرام : الغزلان

(٤) النازحة : البعيدة ، والجوى : الحزن ، والشأو : الغاية

(٥) خضلا : هو حال من الدمع ، ومعناه الذى ترشش نداه ، يريد أن هذا الدمع فائض لا يزال يسفح على الخدين ولا يقر له قرار ، فى حال أن غيره من الدموع لا تبرح محاجرها

يخاطب الدمن ، وقوله « وتركت شأو الدمع فيك بعيداً » أى : دائماً طويلا ، وقوله « خضلا إذا العبرات لم تبرح لها وطنا سرى قلق المحل طريداً » أى : مَنْ كان إنما يبكى فى وطنه على الحوادث التى تحدُث عليه فيه سَرَى هذا الدمعُ قلق المحل إذا عسف المسير لطوله حتى يحل بهذه الدمن ، وهذا نحو من قوله :

فَمَا وَجَدْتُ عَلَى الأَحْشَاءِ أَبْرَدَ مِنْ ... دَمْعٍ عَلَى وَطَنٍ لى فى سِوَى وَطَنِى (١)

فقوله « على وطن » يعنى الرسوم والطلول التى يقف عليها ، وهذا من جيد ألفاظه وصحيح معانيه ، وغرضُه فيما وصف من الدمع غرضٌ صحيحٌ ، وأحسن منه وأغرب قولُه (٢) :

أَمَّا الرُّسُومُ فَقَدْ أَذْكَرْنَ مَا سَلَفَا ... فَلَا تَكُفَّنَّ عَنْ شَانَيْكَ أَوْ يَكِفَا (٣)

لَا عُذْرَ لِلصَّبِّ أَنْ يَقْنِى السُّلُوَّ وَلَا ... لِلدَّمْعِ بَعْدَ مُضِىِّ الحَىِّ أَنْ يَقِفَا (٤)

حَتَّى يَظَلَّ بِمَاءٍ سَافِحٍ وَدَمٍ ... فى الرَّبْعِ يُحْسَبُ مِنْ عَيْنَيْهِ قَدْ رَعِفَا (٥)

وهذا المعنى ليس له ، وإنما أخذه من قول أبى وَجْزَة :

عُيُونٌ تَرَامَى بِالرُّعَافِ كَأَنَّهَا ... مِنَ الشَّوْقِ صِرْدَانٌ تَدِبُّ وَتَلْمَعُ

قيل فى تفسيره : شبه الدمع وقد عَصْفَره الدم بالرعاف ، وشَبَّه العيون وهى

---

(١) هذا البيت سادس بيت من قصيدة له يمدح فيها أبا الحسن على بن مرة (انظر ديوان أبى تمام ص ٣٣٣) وفيه « أوقد من دمع »

(٢) الأبيات من أوائل قصيدة له يمدح فيها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلى (الديوان ٢٠٠)

(٣) قد مضى ذكر هذا البيت (انظر ص ٣٧٣ من هذا الكتاب)

(٤) « يقنى السلو » معناه يكتسب السلو أو يلزمه ، مأخوذ من قولك : قنى الرجل الشىء يقنيه — من باب ضرب — إذا اكتسبه ، وقنى الحياء يقنيه — من باب ضرب أيضا — إذا لزمه

(٥) سفح الدمع والماء : سكبه وصبه ، وتقول : رعف الدم ، إذا خرج من الأنف ، وبابه فرح

تفيض بالدمع تارة وتحبسه أخرى بالصَّردان تَنْتَفض تارة وتظهر عرضا من الأرض تارة، و بيت أبي تمام أجود لفظا ونظما، ولا أظن البحترى ذهب إلى مثل هذا المعنى، ولا للمعنى الذى قبله، ولكنه يعتذرُ مرةً بقلّة دمعه، ومرة يذكر كثرته و يفتخر بغزره، وفى كل ذلك يُحْسِنُ و يجيد؛ فمن اعتذاره قوله فى قصيدته التى أولها[1] :

فِيمَ ابْتِدَارُ كُمَا الْمَلامَ وَلُوعَا ... أَبَكَيْتُ إِلاَّ دِمْنَةً وَرُبُوعَا[2]

يَادَارُ غَيَّرَها الزَّمَانُ وَفَرَّقَتْ ... أَيْدِى الْحَوادِثِ شَمْلَهَا الْمَجْمُوعا[3]

لَوْ كَانَ لِى دَمْعٌ يحسن لَوْعَتِى ... خَلَّيْتُه فى عَرْصَتَيْكِ خَلِيعا[4]

لاتخطِى دَمْعِى إِلىَّ فَلَمْ يَدَعْ ... فى مُقْلَتَىَّ جَوَى الْفِرَاقِ دُمُوعا

قوله فى ابتداء القصيدة « أَبَكَيْتُ إلا دمنةً ور بوعا » قد أخبر أنه بكى ثم قال « لو كان لى دمع يحسن لوعتى » أى : لو كان لى دمع غزير يليق بِلَوْعَتِى ويُنْبِىء عنها، وكذلك قوله « فلم يدع فى مقلتى جوى الفراق دموعاً » أى : دموعاً كافيةً أرضاها، أودموعا تسعُنِى ؛ لأنه استقلّ دَمعه واسْتَنْزَره، وأن يكون انقطع دمعه، ولله در كُثَيِّر إذ يقول[5] :

وَقَضَّيْنَ مَا قَضَّيْنَ ثُمَّ تَرَكْنَنِى ... بِفَيْفَا خُرَيْمٍ وَاقِفاً أَتَلَدَّدُ

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ الْعَيْنِ ضَنَّتْ بِمَائِهَا ... عَلَىَّ ولامِثْلِى عَلَى الدَّمْعِ يُحْسَدُ

---

(١) الأبيات من أوائل قصيدة له يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان ٢ / ٨٤)

(٢) تقدم ذكر هذا البيت مرارا (انظر ص١٣ و ٣٨٨ من هذا الكتاب)

(٣) فى الديوان «وفرقت * عنها الحوادث شملها» وما هنا أظرف

(٤) فى الديوان « خلفته فى عرصتيك » والعرصة ـ بفتح فسكون ـ فناء الدار

(٥) قد سبق ذكر أول هذين البيتين (انظر ص ٣٥٧ من هذا الكتاب)

وقال أبو تمام :[١]

أَقَشِيبَ رَبْعِهِمُ أَرَاكَ دَرِيسَا   تَقْرِى ضُيُوفَكَ لَوْعَةً وَرَسِيسَا[٢]

وَلَئِنْ حُبِسْتَ عَلَى الْبِلَى لَقَدِ اغْتَدَى   دَمْعِى عَلَيْكَ إلى المماتِ حَبِيسَا

وأَرَى رُسُومَكَ مُوحِشَاتٍ بَعْدَمَا   قَدْ كُنْتَ مَأْلُوفَ المَحَلِّ أَنِيسَا[٣]

وَبَلاقِعاً حَتَّى كَأَنَّ قَطِينَهَا   حَلَفُوا يَمِيناً أَخْلَفَتْكَ غَمُوسَا[٤]

وهذا كلام رَصِينٌ ، وقوله « حلفوا يمينا أخلفتك » أى : كأنهم حلفوا يمينا أن يعود إليك فأخلفك ذلك

ومن حلو معانيه وجيد ألفاظه فى البكاء على الديار قولُه :

دِمَنٌ لَوَتْ عَزْمَ الْفُؤَادِ وَمَزَّقَتْ   فِيهَا دُمُوعُ الْعَيْنِ كلَّ مُمَزَّقِ[٥]

وقال أيضا[٦] :

---

(١) الأبيات من أوائل قصيدة له يمدح فيها أبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقى (الديوان ١٧٥)

(٢) تقدم ذكر هذا البيت (انظر ص ٣٨٣ من هذا الكتاب) وفى الديوان وما مضى من الكتاب « وقرى ضيوفك »

(٣) فى الديوان «وأرى ربوعك» وموحشات : خاليات من الأنيس ، وكأن قد سكنها الوحش ، وأنيسا : مأنوسا ، يعنى آهلا

(٤) القطين : الساكن ، من قطن بالمكان إذا أقام ، والغموس : اليمين الكاذبة

(٥) هذا ثانى بيت من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ٢١١) والذى قبله قوله :

يا برق طالع منزلا بالأبرق   واحد السحاب له حداء الأنيق

وقد تقدم ذكر هذا المطلع (٣٨٤) والذى فى الأصول « دمن لوت عزم الديار » وما أثبتناه عن الديوان

(٦) الأبيات من أول قصيدة له يمدح فيها أحمد بن أبى دؤاد ويعتذر إليه (الديوان ٧٨)

سَقَى عَهْدَ الْحِمَى سَبَلُ الْعِهَادِ ... وَرُوِّضَ حَاضِرٌ مِنْهُ وَبَادِى (١)
نَزَحْتُ بِهِ رَكِىَّ الْعَيْنِ إِنِّى ... رَأَيْتُ الدَّمْعَ مِنْ خَيْرِ الْعَتَادِ (٢)

وهذ البيت فى غاية الجودة لفظه ومعناه إلا أنه وَصَله بكلام غليظ ، فقال :

فَيَا حُسْنَ الرُّسُوم وَما تَمَشَّى ... إِلَيْهَا الدَّهْرُ فى صُورِ البعَادِ

وهذا بيت فى غاية الرداءة والسخافة ، ومعناه : فياحسن الرسوم ولم يمش إليها الدهر : أى لم يُصِبها الدهرُ ببعد أهلها عنها ، فأخرجه هذا المخرج القبيح المستهجن .

ومن إحسان أبى عُبَادة المشهور فى هذا قولُه (٣) :

أَمحلَّتَىْ سَلْمَى بِكاظِمَةَ اسْلَمَا ... وَتَعَلَّمَا أَنَّ الهوَى مَاهِجْتُمَا (٤)
هَلْ تُرْوِيَانِ مِنَ الأَحِبَّةِ هَائِمًا ... أَوْ تُسْعِدَانِ عَلى الصَّبَابَةِ مُغْرَمَا (٥)
أَبْكِيكُما دَمْعًا وَلَوْ أَنِّى عَلَى ... قَدْرِ الجَوَى أَبْكِى بَكَيْتُكما دَمَا

---

(١) تقدم ذكر هذا البيت (ص ٣٨٤ من هذا الكتاب) وفيما تقدم ورد فى عجزه « وروى حاضر »

(٢) نزحت : أخذت ماءها كله ، والركى : البئر ، والعتاد ـ بزنة السحاب ـ العدة .

(٣) الأبيات من أول قصيدة له يمدح فيها أحمد وإبراهيم ابنى المدبر (الديوان ٢ / ٢٣٩)

(٤) كاظمة : اسم لمكان بعينه ، وتعلما : معناه ههنا اعلما ، وهجتما : أثرتما وقد سبق ذكر هذا البيت فى (ص ٣٦٦ من هذا الكتاب)

(٥) تقول : روى فلان من الماء واللبن يروى ـ مثل فرح يفرح ـ إذا شرب وشبع ، وأرواه غيره ، إذا جعله ريان ، وأصل الهيام ـ بكسر الهاء ـ العطش ، ثم استعير للحب لأن له حرارة كحرارة العطش ؛ وأراد هنا من الهائم المحب ، وتسعدان : تعينان وتكونان له ساعدا

ومن جيد شعر أبي تمام أيضاً فى هذا الباب قوله[١] :

أَرَامَةُ كُنْتِ مَأْلَفَ كلِّ رِيمٍ ... لَوِ اسْتَمْتَعْتِ بالأُنْسِ الْقَدِيمِ [٢]

أَدَارَ الْبُؤْسِ حَسَّنَكِ التَّصَابِى ... إِلَىَّ فَصِرْتِ جَنَّاتِ النَّعِيمِ [٣]

لَئِنْ أَصْبَحْتِ مَيْدَانَ السَّوَافِى ... لَقَدْ أَصْبَحْتُ مَيْدَانَ الْهُمُومِ [٤]

وَمِمَّا ضَرَّمَ الْبُرَحَاءَ أَنِّى ... شَكَوْتُ فَمَا شَكَوْتُ إِلَى رَحِيمِ [٥]

أَظُنُّ الدَّمْعَ فِى خَدِّى سَيُبْقِى ... رُسُوماً مِنْ بُكَائِى فى الرُّسُومِ [٦]

وهـذا من أسهل الـكلام وأسلس نظمه ، ومن أبعد قولٍ من التكلف والتعسف ، وأشبهه بكلام المطبوعين وأهل البلاغة ، وقوله « فصرتِ جنات النعيم » معنًى حسنٌ ، ولـكن فيه إسراف أن يجعل داراً خلَتْ من أهلها دارَ بؤس وهو باكٍ فيها جناتِ النعيم .

وقد أتى البحتريُّ بهذا المعنى متبعاً فيه أبا تمام ، ولـكنه جاء به على سبيل اقتصاد واعتدال ، واجتنب إفراطه ، فقال[٧] :

---

(١) الأبيات من أول قصيدة له يمدح فيها بعض بنى عبدالـكريم الطائيين (الديوان ٢٨٧)

(٢) قدتقدمذ كرهذا البيت وشرحه (انظرص ٢٢٨ و ٣٨١من هذا الـكتاب)

(٣) البؤس : الشدة ، والتصابى : إظهار الصبابة ، وهى الغرام

(٤) السوافى : جمع سافية ، وهى الريح التى تسفى التراب

(٥) ضرم : أشعل وأوقد ، والبرحاء ـ بضم الباء وفتح الراء ـ الشدة

(٦) وقع فى الأصول « سيفنى » وهو تحريف ماأثبتناه عن الديوان ، والرسوم الأولى : العلامات ، وهم يقولون « خدد الدمع خده » وإلى هذا ذهب أبو تمام ، والرسوم الثانية : آثار الديار

(٧) البيتان من أول قصيدة له يمدح فيها إبراهيم بن الحسن بن سهل (الديوان ٢٤١/٢)

يامَغَانِى الأحْبَابِ صِرْتِ رُسُوماَ ... وَغَدَا الدَّهْرُ فِيكِ عِنْدِى مَلُوماَ(١)

أَلِفَ البُؤْسُ عَرْصَتَيْكِ وَقَدْ كُنْـــتِ بِعَيْنَىَّ جَنَّـــةً وَنَعِيماَ

فقال « ألف البؤسُ عرصتيك » ثم قال « وقد كنت بعيني جنة ونعيما » فجعلها جنةً ونعيما فيما مضى ، ومع هـذا فإنى أقول : إن بيت أبى تمام أحسن ، وهو فى سائر أبياته أشعر .

وقال البحترى(٢) :

لَعَمْرُكَ إنَّ الدَّارِسَاتِ لَقَدْ غَدَتْ ... بِرَيَّا سُعَادٍ وَهْىَ طَيِّبَةُ العَرْفِ(٣)

بَكَيْنَا فَمِنْ دَمْعٍ يُمَازِجُهُ دَمٌ ... هُنَاكَ وَمِنْ دَمْعٍ نَجُودُ بِهِ صِرْفِ(٤)

وهذا حسن جدا ، وإنما أخذ قوله « بريا سعاد وهى طيبة العَرْفِ » من قول الآخر ، أنشده الأخفش عن المبرد :

وَاسْتُودِعَتْ نَشْرَهَا الدِّيَارُ فَمَا ... تَزْدَادُ إلاَّ طِيباً عَلَى القِدَمِ

وهذا أجود من بيت البحترى ؛ لما فيه من الزيادة الحسنة ، وهى قوله « فما تزداد إلا طيباً على القدم » .

وقال البحترى :(٥)

تَرَى اللَّيْلَ يَقْضِى عُقْبَةً مِنْ هَزِيعِهِ ... أو الصُّبْحَ يَجْلُو غُرَّةً مِنْ صَدِيعِهِ(٦)

---

(١) المغانى : جمع مغنى ، وأصله اسم المكان من «غنى فلان بالمكان يغنى فيه» إذا أقام فيه ، ثم قيل للدار مغنى لأنها مكان الإقامة ، ورسوما : آثارا ، وملوما : اسم المفعول من لامه يلومه ، إذا عتب عليه وعنفه

(٢) البيتان من قصيدة له يمدح فيها أبا نهشل ويعاتبه (الديوان ٢/١١٢)

(٣) رواية الديوان « لعمر الرسوم الدارسات » والريا : الريح الطيبة ، والعرف ـ بفتح العين وسكون الراء ـ الريح والنشر

(٤) صرف ـ بكسر الصاد وسكون الراء ـ غير ممزوج بشىء آخر

(٥) الأبيات من أول قصيدة له يمدح فيها محمد بن طاهر (الديوان ٢ / ٩٠)

(٦) رواية الديوان « أم الصبح » والعقبة ـ بضم العين وسكون القاف ـ الشدة ويقولون : لقيت من فلان عقبة الضبع ، يريدون لقيت منه شدة ، والهزيع من الليل : =

أو المَنزِلَ العَافِى يَرُدُّ أنِيسَهُ بكاءً عَلَى أطلالِهِ ورُبُوعِهِ
إذا ارتَفقَ المُشتَاقُ كانَ مُهادُهُ أحَقَّ بِجَفنَىْ عَينِهِ مِنْ هُجُوعِهِ

وهذا معنى فحلٌ ، ومعانٍ فى غاية الصحة والاستقامة .

وللبحترى فى وصف الديار والبكاء عليها مذهبٌ آخر ، وهو قوله[1] :

أبُكاءً فِى الدَّارِ بَعدَ الدَّارِ وَسُلُوًّا بِزَينَبٍ عَنْ نَوَارِ[2]
لاهَنَاكَ الشُّغلُ الجَدِيدُ بِحُزْوَى عَنْ رُسُومٍ بِرَامَتَينِ قِفَارِ[3]
ما ظَنَنتُ الأهْوَاءَ قَبلَكَ تُمْحَى مِنْ صُدُورِ العُشَّاقِ مَحْوَ الدِّيارِ
نَظْرَةٌ رَدَّتِ الهَوَى الشَّرقَ غَرْباً وَأمالَتْ نَهْجَ الدُّمُوعِ الجَوَارِى

وهذا غرض حلو ، ومعنى لطيف ، ومثله قوله[4] ولكن ليس فيه ذكر البكاء :

أبيتُ بأعلَى الحَزْنِ وَالرَّمْلُ دُونَهُ مَغَانٍ لَهَا مَجْفُوَّةٌ وَطُلُولُ[5]
وَقَدْ كُنتُ أرْجُو الرِّيحَ غَرْباً مَهَبُّها
فَقَدْ صِرْتُ أهْوَى الرِّيحَ وَهْىَ قَبُولُ[6]

= الطائفة منه أو نحو ثلثه أو ربعه . وأصل الغرة بياض فى جبهة الفرس قدر الدرهم ويريد منه ههنا البياض مطلقا ، ويقال للصبح صديع من الصدع الذى هو الشق ؛ لأن الظلام ينشق عنه .

(١) الأبيات من مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا جعفر بن حميد ويستوهبه غلاما (الديوان ٢/٢٤) وسيذكر ثالثها قريبا (ص ٤٠٣)

(٢) قد تقدم ذكر هذا البيت (انظر ص ٣٧٦ من هذا الكتاب)

(٣) « لا هناك » أصله « لا هنأك » بالهمز ، فقلب الهمز ألفا لانفتاح ماقبلها كما قال الشاعر :

* فَارْعَىْ فَزَارَةُ لا هَنَاكِ المَرْتَعُ *

(٤) البيتان من أوائل قصيدة له يمدح فيها حمولة (الديوان ٢/١٨٣)

(٥) رواية الديوان « والرمل عنده »

(٦) رواية الديوان « وقد كنت أهوى الريح غربا مآبها »

وذلك لأن القَبول هى الصبا ، ومَهَبُّها من مطلع الشمس ، ونحوه قوله[(١)] :

كَلَّفَتْنِى أَرْيَحِيَّاتُ الصَّبا طَلَقاً فِى الْحُبِّ مُمْتَدَّ الرَّسَنْ[(٢)]

نَقَلَتْنِى فِى هَوًى بَعْدَ هَوًى وَابْتَغَتْ لِى سَكَنًا بَعْدَ سَكَنْ[(٣)]

وقولُه :

مَاظَنَنْتُ الأَهْوَاءَ قَبْلَكَ تُمْحَى مِنْ صُدُورِ الْعُشَّاقِ مَحْوَ الدِّيَارِ[(٤)]

معنى حسنٌ ، وإنما أخذه من قول أبى تمام :

زَعَمَتْ هَوَاكَ عَفَا الْغَدَاةَ كَمَا عَفَتْ مِنْهَا طُلُولٌ بِاللِّوَى وَرُسُومُ[(٥)]

وبيت البحترى أحلى وأبدع .

وقال البحترى فى وجه آخر ، وهو أيضاً حَسَن لطيف[(٦)] :

---

(١) من غزل قصيدة له يمدح فيها أحمد بن محمد الطائى (الديوان ٣ / ٣٠٩)

(٢) وقع فى أصول هذا الكتاب هذا البيت محرفا هكذا :

كفق أريحات الصبا كلفا فى الحب ممتد الرش

وأثبتنا صوابه عن الديوان ، والطلق ـ بفتح الطاء واللام جميعا ـ أصله الشوط الواحد فى جرى الخيل ، وقد يستعمل فى غيره استعمال الشوط ، يقال : جرى طلقا ، وطلقين . والرسن ـ بفتح الراء والسين جميعا ـ أصله الحبل وما كان من زمام على الأنف ، ويجمع على أرسن وأرسان ، وتقول : رسن فلان دابته ـ من بابى ضرب ونصر ـ وأرسنها ، إذا جعل لها رسنا .

(٣) السكن ـ بفتح السين والكاف جميعا ـ كل شىء تسكن إليه وتطمئن نفسك له ، وأراد هنا الحبيب

(٤) من قصيدة له يمدح فيها أبا جعفر بن حميد ويستوهبه غلاما (الديوان ٢/٢٤) وفيه « فى صدور العشاق » وانظر (ص ٤٠٢)

(٥) البيت من قصيدة له يمدح فيها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان ٢٩٩) وعفا : امحى وذهبت معالمه ، والطلول : جمع طلل ، واللوى ـ بكسر اللام ـ اسم مكان بعينه ، والرسوم : جمع رسم

(٦) البيتان من غزل قصيدة له يمدح فيها أبا أيوب بن أخت أبى الوزير (الديوان ١/١٧٥)

فِي كُلِّ يَوْمٍ دِمْنَةٌ مِنْ حُبِّهِمْ ... تُقْوِى وَرَبْعٌ بَعْدَهُمْ يَتَأَبَّدُ(١)
أَوَ مَا كَفَانَا أَنْ بَكَيْنَا غَـــردا ... حَتَّى شَجَتْنَا بِالْمَنَازِلِ شُهَّدُ(٢)

ومثله :

هُوَ الدَّمْعُ مَوْقُوفاً عَلَى كُلِّ دِمْنَةٍ ... تُعَرِّجُ فِيهَا أَوْ خَلِيطٍ تُزَايِلُه(٣)
تَرَادَفَهُمْ خَفْضُ الزَّمَانِ وَلِينُهُ ... وَجَادَهُمُ طَلُّ الرَّبِيعِ وَوَابِلُه(٤)

وإنما حَذَا البحتريُّ هذا المعنى على حَذْوِ قول كُثَيِّر :

وَكُنْتُ امرأً بالغور مِنِّى صَرِيمَةٌ ... وَأُخْرَى بِنَجْدٍ ، ما لعينيك ما تبدى
فَطَوْراً أُكِرُّ الطَّرْفَ نَحْوَ تِهَامَةٍ ... وطَوْراً أُكِرُّ الطَّرْفَ كَرًّا إِلَى نَجْدِ
وَأَبْكِي إِذَا فَارَقْتُ هِنْدًا صَبَابَةً ... وَأَبْكِي إذا فارَقْتُ دَعْدًا عَلَى دَعْدِ

وهذا مالا مزيد فيه على حسنه وطلاوته ، ومثله قولُ جرير :

أَخَالِدَ قَدْ عَلِقْتُكِ بَعْدَ هِنْدٍ ... فَشَيَّبَنِي الْخَوَالِدُ وَالْهُنُودُ
هَوًى بِتِهَامَةٍ وَهَوًى بِنَجْدٍ ... فَقَتَّلْنَنِي التَّهَائِمُ وَالنُّجُودُ

---

(١) الدمنة ـ بكسر الدال وسكون الميم ـ أثر الدار ، و « تقوى » مضارع أقوت الدار ونحوها ، إذا خلت من ساكنيها ، والربع : المنزل ، و « يتأبد » يصير منزلا للأوابد ، وهى الوحوش

(٢) فى الديوان « أن بكينا غربا » وشجتنا : أورثتنا الشجى ، وهو الحزن

(٣) البيتان من غزل قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله (الديوان ١٦٢/٢) ووقع فى الديوان « هو الدمع موقوف » وما هنا أحسن ، والدمنة : أثر الدار ، وتعرج فيها : تميل نحوها ، والخليط : الذى تخالطه وتعاشره ، وتزايله : تفارقه .

(٤) فى الديوان « خفض النعيم » ووقع فى الأصول « ترافهم خفض الزمان » وهو تحريف ، وترادفهم : تتابع عليهم ، وتكرر لهم ، وخفض الزمان : الدعة وسعة العيش والخصب ، وجادهم : أمطرهم ، والطل ـ بفتح الطاء وتشديد اللام ـ المطر الخفيف ، أو هو أخف المطر وأضعفه ، أو هو الندى . والوابل : المطر الكثير ، وفى التنزيل : (فإن لم يصبها وابل فطل)

وقال :

أُحِبُّ ثَرَى نَجْدٍ وَبِالغَوْرِ حَاجَةٌ ... فَغَارَ الهَوَى يا عَبْدَ قَيْسٍ وَأَنْجَدَا

***

وهذا باب فى وصف أطلال الديار وآثارها

قال أبو تمام[١] :

قِفُوا نُعْطِى المَنَازِلَ مِنْ عُيُونٍ ... لَهَا فِي الشَّوْقِ أَحْسَاءٌ غِزَارُ[٢]

عَفَتْ آيَاتُهُنَّ وَأَىُّ رَبْعٍ ... يَكُونُ لَهُ عَلَى الزَّمَنِ الخِيَارُ[٣]

أَثَافٍ كَالْخُدُودِ لُطِمْنَ حُزْناً ... وَنُؤْىٌ مِثْلُ مَا انْفَصَمَ السِّوَارُ[٤]

قوله « أحساء » جمع حِسْىٍ ، وهو الماء يغيض فى الرمل ، فإذا وصل إلى الصلابة وقف فيُحْفَر عنه ويشرب . وقال البحترى[٥] :

عِوَضٌ مِنهُمُ خَسِيسٌ ـ وَقَدْ حَلُّـــوا اللِّوَى ـ مَنْزِلٌ بِوَجْرَةَ عَافِى[٦]

لَمْ تَدَعْ مِنْهُ مُبْلِيَاتُ اللَّيَالِى ... غَيْرَ نُؤْيٍ تَسْفِى عَلَيْهِ السَّوَافِى[٧]

---

(١) ثلاثة الأبيات من غزل قصيدة له يمدح فيها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان ١٤٠) وقد تقدم ذكر ثالثها فى سرقات أبى تمام (انظر ص ٥٦ من هذا الكتاب)

(٢) فى الديوان « قفا » وفيه « لها فى الشوق أنواء غزار » وأراد بالأنواء الأمطار ، والغزار : جمع غزير ، وهو الكثير

(٣) عفت : امحت ، والآيات : جمع آية ، وهى العلامة ، والربع : المنزل

(٤) الأثافى : جمع أثفية ، وهى حجارة توضع عليها القدر ، والنؤى : الحفيرة تصنع حول الخيمة لتمنع تسرب المطر إليها ، وانفصم : انقطع

(٥) ثلاثة الأبيات من غزل قصيدة له يمدح فيها أحمد بن على الإسكافى (الديوان ٢ / ١٠٨)

(٦) فى الديوان « عرض منهم خسيس » وهو محرف عما هنا ، واللوى ، ووجرة : موضعان .

(٧) مبليات : جمع مبلية ، وهو اسم الفاعل المؤنث من أبليت الشىء إذا صيرته باليا ، وتسفى : تجلب إليه السفا ، وهو التراب ، والسوافى : أراد بها الرياح .

وَأَثَافٍ أَتَتْ لَهَا حِجَجٌ دُو نَ لَظَى النَّارِ مُثَّلٌ كالأَثَافِي[١]

وقوله «مُثَّل» قائمة ثابتة «كالأثافى» يريد الكواكبَ التى عند الفرقدين وهى ثلاثة، قيل لها أثاف لشبهها بالأثافى، فشبه البحترى الأثافىَّ بها لثبوتها وأنها مُثَّلٌ على مرِّ الدهر، قال أبو حنيفة الدينورى فى كتابه فى الأنواء: إن تثليثها طُولاً، ولو شبهها البحترى بالنَّسر الواقع – لأنه أشهر وأظهر وأقرب شبهاً – لكان ذلك أحسن وأكشف للمعنى من أن يشبهها بشىء إنما استعير له اسمها، وليس يعرفه كل أحد، ولكنه جاء من أجل القافية، وقال البحترى[٢]:

لَهَا مَنْزِلٌ بَيْنَ الدَّخُولِ فَتُوضِحِ مَتَى تَرَهُ عَيْنُ الْمُتَيَّمِ تَسْفَحِ[٣]

عَفَا غَيْرَ نُؤْيٍ دَارِسٍ فِى فِنَائِهِ ثَلَاثُ أَثَافٍ كَالْحَمَائِمِ جُنَّحِ[٤]

وهذا جيِّدٌ حسن على مَنْهج الشعراء، وأظنه أخذه من قول عَدِىِّ بن زيد:

وثلاث كالْحَمَامَاتِ بِهَا بَيْنَ مَجْثَاهُنَّ تَوْشِيمُ الْحُمَمْ[٥]

وابن الأعرابى قال: لا يكون «مجثاهن»، إنما هو «مجراهن».

أو من قول أبى نُوَاس:

كما اقترنت عند المبر حمائم عبيرات تمسى بينهن وكون

---

(١) وقع فى الأصول محرفا «أفت» والحجج: جمع حجة – بكسر الحاء – وهى السنة، ولظى النار: التهابها.

(٢) البيتان أول قصيدة له يمدح فيها المعتز بالله (الديوان ١ / ١١١).

(٣) الدخول وتوضح: مكانان ذكرهما امرؤ القيس فى أول طويلته المعلقة فى قوله:

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل

وتسفح: مضارع سفحت العين دمعها – من باب فتح – سفحا وسفوحا؛ إذا أرسلته

(٤) عفا: تغير وانمحى، والنؤى: الحفير حول الخيمة، والفناء – بكسر الفاء – بزنة الكتاب – الساحة أمام البيت، ويقال: هو ما امتد من جوانب البيت، وجنح: جمع جانحة، وهى المائلة

(٥) هذا البيت ثالث أربعة أبيات يقولها عدى بن زيد العبادى، وهى – فيما يقال – من أوائل شعره، وهاك أربعتها: =

وهذا أجود من بيت عدى ومن بيت البحترى .

وقد شبه الأثافى بالحمائم غيرُ واحدٍ من الشعراء ، والبالغ النادر فى وصف الأثافى قول كُثَيِّر [1] .

أَمِنَ آلِ قَيْلَةَ بالدَّخُولِ رُسُومُ وَبِحَوْمَلٍ طَلَلٌ يَلوحُ قَدِيمُ
لَعِبَ الزَّمانُ بِرَسْمِهِ فأَجَدَّهُ جُونٌ عَوَاكِفُ فى الرَّمادِ جُثُومُ [1]
سُفْعُ الْخُدُودِ كأَنهُنَّ ، وَقَدْمَضَتْ حِجَجٌ ، عَوَائِدُ بَيْنَهُنَّ سَقِيمُ

قوله «فأجدَّه جُونٌ عَوَاكف» يعنى الأثافى ؛ لأن الريح لما كشفت عنها ظهرت سوداء [3] ، شبَّهها بالعوائد ، والجَوْن : الأسود . والجَوْن : الأبيض، وهو من الأسماء المتضادة ، قال الأصمعى : ويقال : غابَتِ الجونة ، وطلعت الغزالة ، يعنى مَغيبَ الشمس وطلوعها ، وهما أسمان من أسماء الشمس ، و إنما سميت الشمس جونة عند الغروب لما يعرض فيها من تغير اللون إلى السواد .

كمل كتاب الموازنة بين شعرى أبى تمام وأبى عبادة البحترى الطائيين مما ألفه أبو القاسم الحسنُ بن بشر بن يحيى الآمدى ، رحمه الله تعالى ، والحمد لله وحده

= لِمَنِ الدَّارُ تَعَفَّتْ بِخِيَمْ أَصبَحَتْ غَيَّرَها طُولُ الْقِدَمْ
مَا تُبِينُ العَيْنُ مِنْ آيَاتِها غَيْرَ نُؤْيٍ مِثْلَ خَطٍّ بالقَلَمْ
وَثَلاثٍ كالحَمَامَاتِ بِهَا بَيْنَ مَجْثاهُنَّ تَوْشِيعُ الْحُمَمْ
أَسْأَلُ الدَّارَ وَقَدْ أَنكرْتُها عَنْ حَبِيبِى فإِذَا فِيهَا صَمَمْ

(١) انظرها فى ديوان كثير (ج١ص ٢٥٢)، وفى أمالى المرتضى (ج٣ص١٢٢)

(٢) فى الديوان «لعب الرياح برسمه» والجون ـ بالضم ـ جمع جون، بفتح فسكون.

(٣) هذا أحد وجهين ذكرهما السيد المرتضى فى شرح هذه الأبيات، قال: «وقيل فى قوله فأجده جون عواكف : يعنى الأثافى ؛ لأن الريح لما كشفت عنها وظهرت صارت كأنها هى أجدت الرسم ، ويحتمل وجه آخر ، وهو أن يكون معنى أجدت أنها حمت الرماد الذى أحاطت به من لعب الرياح فبقى بحاله يستدل بها المتوسم ، فكأن الرياح درست الربع ومحته إلا ما أجدته هذه الأثافى ومنعت الريح عنه» اه.

والحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبى بعده ، وعلى آله وصحبه .

مطبعة السعادة بمصر